الجزء الثانى من تاريخ مصر

.....

المشهور ببدائع الزهور فى وقائع الدهور

.....

تأليف

العلامة المؤرخ محمد بن أحمد بن اياس

الحنفى المصرى رحمه الله تعالى

آمين

﴿طبع على نفقة الكتبخانه الخديويه﴾

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣١١

هجريه

فهرست

الجـــزء الثانى

مـــن تاريخ مصر لابن اياس

(فهرست الجزء الثاني من تاريخ مصر لابن اياس)

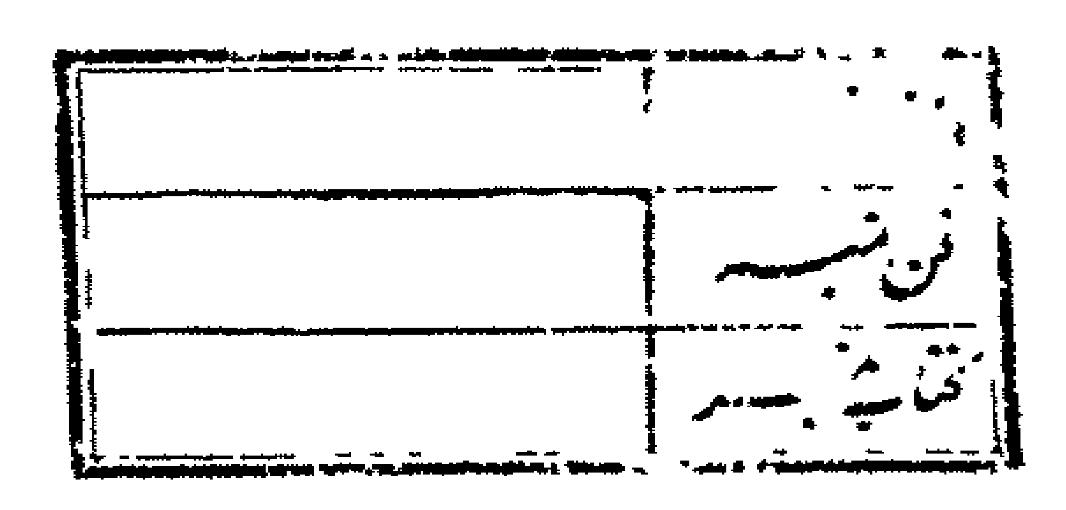
صحيفه

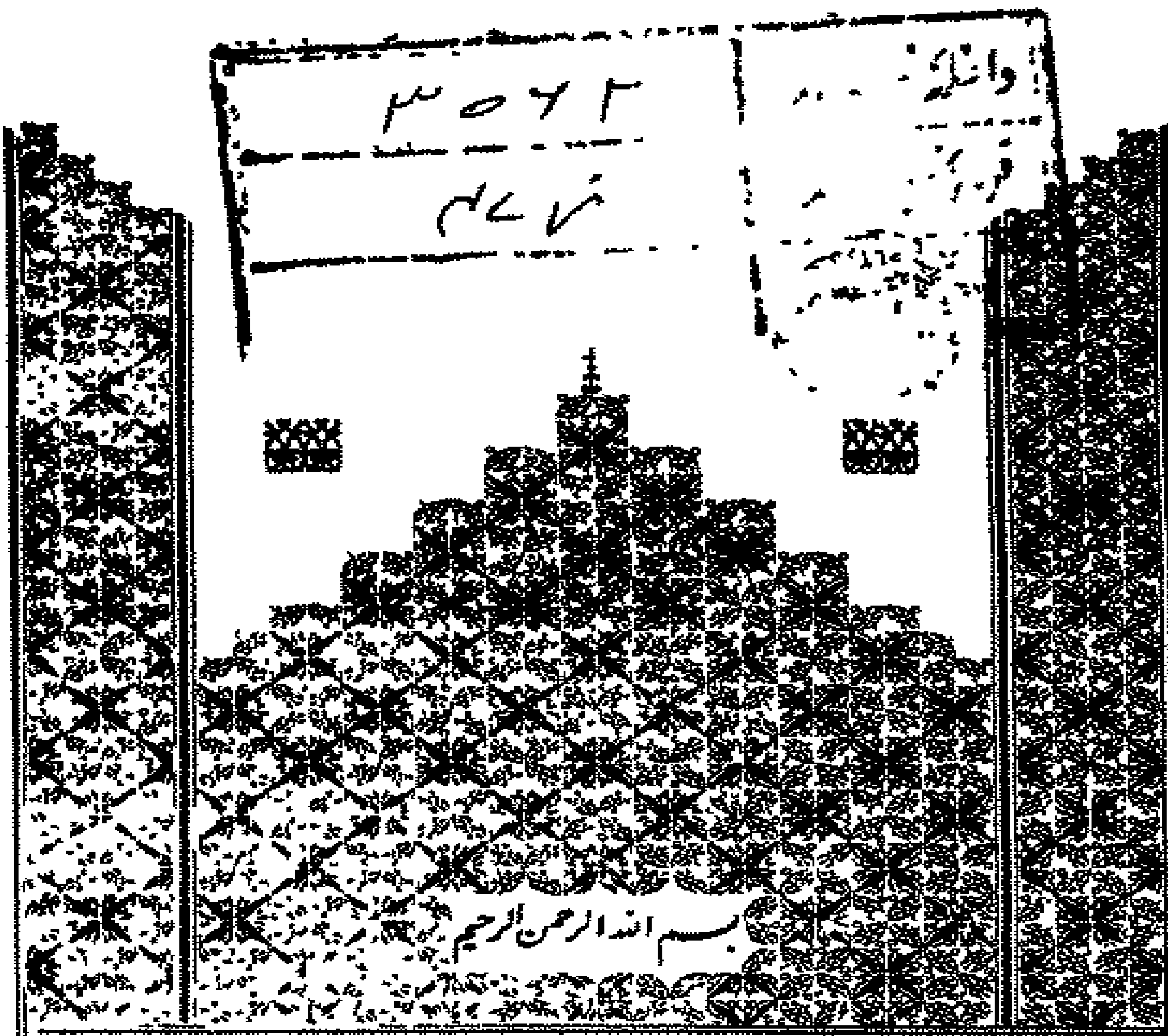
صحيفه



صحيفة







ذكر سلطنة الملك المؤيد أبي النصر شيخ ابن عبد الله المحمودي الظاهري

وكان يعرف بالخاصكي وهو الثامن والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الرابع من ملوك الجراكسة وأولادهم بويع بالسلطنة بعد خلع الخليفة العباس في يوم الاثنين مستهل شهر شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة فلبس خلعة السلطنة من باب السلسلة وطلع الى القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباس له الارض وتلقب بالملك المؤيد ودقت له البشائر ونودي باسمه في القاهرة وضج الناس له بالدعاء من الخاص والعام وفيه يقول الشيخ ناصر الدين بن كيل الشاعر

تسلطن الشيخ وزال العنا * فالناس في بشر وتشريف
فلا تقاتل بصبي ولا * تلق به سيفا وقاتل بشيخ

وكان

وكان أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق اشتراه من الخواجا محمود شاه وأعتقه وأخرج
له خيلا وقماشا وصار جمدارا ثم بقي خاصكيا ثم بقي ساقيا وكان يعرف بشيخ المجنون ثم بقي
أمير عشرة ثم بقي أمير أربعين وسافر الى الحجاز أمير حاج في سنة احدى وثمانمائة ثم بقي
مقدم ألف في دولة الملك الناصر فرج بن برقوق ثم بقي نائب طرابلس ونائب الشام أيضا
وأسره تمرلنك على حلب كما تقدم ووقع له في دولة الملك الناصر فرج أمور شتى ومحن عظيمة
وحبسه الملك الناصر بخزانة شمايل فأقام بها مدة ثم خرج الى الشام والتف على جكم
العوضي ونوروز الحافظي ولم يزل في عصيان وهجاج في البلاد الشامية حتى مضى أكثر
عمره فلما جرد الملك الى نوروز وقتل الملك الناصر كما تقدم وتسلطن الخليفة العباس بقي
أتابك العساكر بمصر ونظام المملكة ثم انه خلع الخليفة من السلطنة وتسلطن عوضه
فلما تسلطن وتم أمره في السلطنة قبض على جماعة من الامراء وأرسلهم الى السجن
بثغر الاسكندرية وأنعم على جماعة من الامراء بتقادم ألوف ووظائف سنية وأنعم على
ولده المقر الصارمي ابراهيم بتقدمة ألف وأقام له من الامراء عصبة وأرضى الجند
بالاقطاعات ثم قرب جماعة حضروا معه من البلاد الشامية فرقاهم الى وظائف سنية
فمنهم المقر الزيني عبد الباسط بن خليل ومنهم المقر الناصري ناصر الدين بن البارزي
ومنهم القاضي علم الدين داود بن الكويز والقاضي بدر الدين بن مزهر والامير ناصر الدين
التاج وأخيه والشيخ تقي الدين بن حجة الحموي عين أعيان الشعراء وغير هؤلاء جماعة
كثيرة حضروا معه من البلاد الشامية الى الديار المصرية ثم انه قبض على القاضي فتح الله
كاتب السر الشريف واحتاط على موجوده من صامت وناطق ثم انه خنقه ودفنه تحت
الليل فلما مضى أمر فتح الله خلع على المقر القاضوي ناصر الدين بن البارزي واستقر به كاتب
السر بالديار المصرية عوضا عن فتح الله واستقر بالمقر الزيني عبد الباسط كاتب الخزائن
الشريفة ثم جعله والي القاهرة وناظر الجوالي وناظر الكسوة الشريفة واستقر بالقاضي
علم الدين بن الكويز ناظر الجيوش المنصورة واستقر بالامير ناصر الدين التاج استادار
الصحبة وقرر كل واحد منهم في وظيفة تليق به ثم انه قرب من الامراء من شاء منهم وأبعد من
شاء منهم واستقامت أموره في السلطنة وأطاعه الجند ولم يختلف عليه اثنان من العسكر
❁ ثم دخلت سنة ست عشرة وثمانمائة فيها جاءت الاخبار من دمشق بأن نوروز الحافظي لما
بلغه ان شيخ خلع الخليفة العباس من السلطنة وتسلطن عوضه عز ذلك عليه ولم يقبل
الارض للملك المؤيد شيخ وأظهر العصيان وتعجب من شيخ كيف خان الايمان والعهود
التي كانت بينه وبين نوروز وكانوا أعظم من الاخوة ينامون على مخدة واحدة فخان شيخ
الايمان والعهود وتسلطن بمصر فكان كما قيل

وحلفت انك لاتميل مع الهوى * أين اليمين وأين ما عاهدتني

واستمر نوروز يخطب باسم الخليفة العباسي على منابر دمشق وأعمالها ولم يخطب باسم الملك المؤيد شيخ ولا ضرب باسمه سكة واستمر واضع يده على البلاد الشامية من غزة الى الفرات وفي هذه السنة خلع السلطان على منكلي بغا الشمسي وولاه محتسبا بالقاهرة وهو أول من تولى الحسبة من الاتراك ولم يتولها قبله أحد من الاتراك ومن الحوادث في تلك السنة انه ظهر بالقاهرة شخص يدعي انه يصعد الى السماء ويكلم البارى جل جلاله في كل يوم مرة فاعتقده جماعة كثيرة من عوام مصر فلما شاع أمره بين الناس رسم السلطان بان يعقدوا له مجلسا بالصالحية فاجتمع هناك القضاة الاربعة فأراد القاضي المالكي ان يثبت عليه الكفر فشهد جماعة من أهل الطب بانه في عقله خلل فسجنوه ولم يثبت عليه كفر وهذه الواقعة متفق على صحتها في زمن المؤيد شيخ انتهى ذلك *(ثم دخلت سنة سبع عشرة وثمانمائة)* فيها قوي عزم الملك المؤيد شيخ بأن يخرج الى الشام بسبب عصيان نوروز فعلق الجاليش وعرض العسكر وأنفق عليهم وخرج من القاهرة في موكب عظيم وصحبته الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة وسائر الامراء وقرر الامير ططر نائب الغيبة الى أن يحضر السلطان والامير سودون قراسنقر حاجب الحجاب يحكم بين الناس فلما وصل الى دمشق وجد نوروز قد حصن دمشق وركب على سورها المدافع من كل جانب فحاصره الملك المؤيد شيخ أشد ما يكون من المحاصرة ونصب حول مدينة دمشق ساعدة مناجيق ولازال يحاصر نوروز مدة طويلة حتى ضجر نوروز وأرسل يطلب من شيخ الامان على نفسه وكان بقلعة دمشق فاذا لوا على ذلك حتى غلب نوروز وسلم نفسه الى شيخ وآخر الامر قطع شيخ رأس نوروز في قلعة دمشق وأرسلها الى القاهرة وعلقت على باب زويلة ثلاثة أيام ثم دفنت وكان شيخ باغيا على نوروز فكأن لسان حال نوروز يقول

يا غادرا بي ولم أغدر بصحبته * وكان مني مكان السمع والبصر
قد كنت من قلبك القاسي أخاف جفا * جفاء ما قلته نقشا على حجر

قال الشيخ تقي الدين بن حجة الشاعر وفي النيل المبارك في سنة ست عشرة وثمانمائة في أوائل مسرى فنزل الملك المؤيد وخلق المقياس وكسر السد على العادة وذلك قبل أن يتوجه الى دمشق بسبب نوروز فانشدته في ذلك اليوم مهنئا

أيا ملكا بالله صار مؤيدا * ومنتصبا في ملكه نصب تمييز
كسرت بمسرى سد مصر وتنقضي * وحقك بعد الكسر أيام نوروز

فكان الفال بالنطق وتوجه الملك المؤيد عقيب ذلك الى نوروز وقطع رأسه وأرسلها الى مصر صحبة الامير برباش قاشق وذلك في جمادى الاولى سنة سبع عشرة وثمانمائة فارتجت

لها مصر وأقام بعد ذلك في دمشق أياما حتى مهد البلاد الشامية وعزل من عزل وولى من ولى وخلع على قانباى المحمدى واستقر به نائب الشام عوضا عن نوروز الحافظى وخلع على الامير اينال الصصلانى واستقر به نائب حلب وخلع على الامير سودون بن عبد الرحمن واستقر به نائب طرابلس وخلع على الامير جانى بك الصوفى واستقر به نائب حماه ثم قصد التوجه الى نحو الديار المصرية فلما دخل الى مصر كان له يوم مشهود وزينت له القاهرة وحملت على رأسه القبة والطير حتى طلع الى القلعة ﴿ثم دخلت سنة ثمان عشرة وثمانمائة﴾ فيها جاءت الاخبار بان النواب المقدم ذكرهم قد أظهروا العصيان وخرجوا عن الطاعة فجرد اليهم الملك المؤيد ثانيا وخرج اليهم بنفسه وأوقع معهم فانتصر عليهم وقبض على قانباى المحمدى نائب الشام وقطع رأسه ثم قبض على اينال الصصلانى وقتله على صدر أبيه ثم قتل الاب بعد ذلك ثم انه ولى جماعة من الامراء نوابا غير هؤلاء ورجع الى الديار المصرية فلم يقم سوى مدة يسيرة وقد جاءت الاخبار بان النواب قد تآمروا وأظهروا العصيان فجرد اليهم ثالث مرة وخرج بنفسه فلما بلغ النواب مجيئه هربوا من وجهه وتوجهوا الى قرا يوسف أمير التركمان فاستقر بنواب غيرهم ممن يثق بهم وفي هذه المرة مهد البلاد الشامية والحلبية وقطع بادرة هذه النواب الذين كانوا خامرين عليه ثم رجع الى الديار المصرية وقد صفا له الوقت وانشأ له مماليك كثيرة وجدد له أمراء وحسنت أوقاته بمصر فكان ينزل من القلعة ويتوجه الى بولاق ويقيم عند القاضى ناصر الدين بن البارزى في بولاق وكان يعمل المواكب هناك وتجتمع الامراء المقدمون عنده وكان ينزل يعوم في بعض الاوقات في البحر وحوله الامراء والخاصكية وكان يتباهى في يوم كسر سد النيل المبارك ويلزم الامراء المقدمين بان كل واحد منهم يزين له حراقة ويجعل فيها الصناجق والكوسات فاذا وفى النيل يحضرون له بالذهبية الى بولاق ويتوجه الى المقياس يخلق العمود ويكسر السد والامراء المقدمون حوله في الحراريق المزينة حتى يسدوا البحر من كثرة المراكب ويكون له يوم مشهود لم يسمع بمثله فيما تقدم وقد فاق في ذلك على ما كان يصنعه في ذلك اليوم أستاذه الملك الظاهر برقوق وكان يتباهى في المواكب الجليلة الى الغاية وكان رجلا كثير التنزه لا يقيم بالقلعة الا قليلا وأكثر أيامه في بولاق وقيل كانت الرماحة تلعب قدامه في بولاق وهو ينظر اليهم من البارزية ولم يعش أحد من الملوك على طريقته في اللهو والقصف ﴿ثم دخلت سنة تسع عشرة وثمانمائة﴾ فيها وقع الطاعون بالديار المصرية وفتك غاية الفتك في الرعية وقد قال بعض الشعراء

رأى الرحمن دعوتنا فولى ⁂ مؤذنة بالسلامة كل شره

وكان الناس في غفلات أمس ⁂ خباطاً فوقهم من تحت ابط

(ثم دخلت سنة عشرين وثمانمائة) فيها ظهرت أعجوبة ولدت جاموسة بمدينة بلبيس
مولودة لها رأسان وأربعة أيدي وسلسلتا ظهر ولها دبر واحد وفرج واحد ولها رجلان في
حقوها فأقامت أياما وماتت ومن العجائب أيضا ما ذكره العلامة شهاب الدين بن حجر في
تاريخه أن المصونة فاطمة بنت قاضي القضاة جلال الدين بن سراج الدين عمر البلقيني ولدت
ولدا ذكرا كالفرخ وله يدان زائدتان في كتفيه وله قرنان في رأسه مثل قرون الثور فأقام
ساعة ومات وذكر أيضا في تاريخه أن جملا ذبح بمدينة غزة بعد العشاء فأضاء لحمه في الليل
كما يضيء الشمع وقيل رمى بقطعة من لحمه لكلب فلم يأكل منها شيئا ولم يعلم سبب ذلك وهذا
من العجائب التي وقعت في تلك السنة (ثم دخلت سنة احدى وعشرين وثمانمائة) فيها
وقع الطاعون بالديار المصرية واستمر يتسلسل حتى دخلت سنة اثنتين وعشرين فكان
تارة يزيد وتارة ينقص وفي سنة احدى وعشرين وقع الغلاء أيضا بالديار المصرية ونزل الملك
المؤيد شيخ واستسقى كما جرت بذلك العادة وقيل ان الملك المؤيد لما نزل الى الاستسقاء لبس
جبة صوف أبيض وعلى رأسه عمامة صغيرة جدا بعذبة مرخية خلفه وعلى كتفه مئزر
صوف أبيض وركب فرسا بغير قماش حرير ولا سرج ذهب وذبح هناك بيده أغناما
وأبقارا وفرقها على الفقراء وفرق في ذلك اليوم على الفقراء ثلاثين ألف رغيف وصلى على
الرمل من غير سجادة ووضع جبهته لله تعالى في ذلك اليوم فزاد النيل ووفى في أواخر توت ثم
انهبط بسرعة وشرقت أكثر البلاد واستمر الغلاء بمصر سنة كاملة وعزت الاقوات (ثم
دخلت سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة) فيها كملت عمارة جامع الملك المؤيد شيخ الذي هو
داخل باب زويلة وكان مكان هذا الجامع سجنا يحبس فيه أصحاب الجرائم وكان يعرف
بخزانة شمايل وكان شمايل هذا من جملة جماعة والي القاهرة فلما خرج الملك الكامل
صاحب المدرسة الكاملية الى قتال الفرنج لما أخذوا ثغر دمياط كان شمايل هذا يمشي
في ركاب الملك الكامل ويسبح في البحر تحت الليل ويكشف عن أخبار الفرنج ويأتي
الملك الكامل بالاخبار فحظي عنده بذلك فلما انتصر الملك الكامل على الفرنج جعل شمايل
هذا والي القاهرة فبنى له هذا السجن فنسب اليه وقيل خزانة شمايل وكان الملك المؤيد شيخ
من جملة من حبس في خزانة شمايل في دولة الملك الناصر فرج بن برقوق فقاسى بها شدائد
عظيمة فنذر في نفسه ان خلص من هذه الشدة وبقي سلطانا يهدم هذا السجن ويبني مكانه
جامعا فلما ولي الملك بمصر هدمه وبنى مكانه هذا الجامع وقد تناهى في زخرفته ورخامه
وسقوفه وأبوابه فلم يبن في القاهرة مثله ولا مثل سقفه ولكنه ظلم أعيان الناس في تحصيل
رخامه وصاروا يكبسون البيوت والحارات بسبب الرخام فظلم خلق الله حتى حصل هذا
الرخام ومن جملة ظلمه فيه انه أخذ باب مدرسة السلطان حسن والتنور الكبير وجعلهما

في جامعه وأعطى فيهما أبخس الأثمان وأخذ العمودين السماق اللذين في المحراب من جامع قوصون الذي بالقرب من بركة الفيل ونزع أخشاب سقوفه ودهانها على أعيان المباشرين فكان كما قيل

بنى جامعا لله من غير حله * فجاء بحمد الله غير موفق
كمطعمة الايتام من كد فرجها * فليتك لا تزني ولا تتصدق

ولما تم بناء هذا الجامع وقف عليه الاوقاف الجليلة من بلاد ومسقفات وقرر فيه حضورا من بعد العصر ورتب لهم جوامك وخبزا وقرر شيخ الحضور الشيخ شمس الدين الديري الحنفي وجعل الخطابة للقاضي ناصر الدين بن البارزي وأودع بهذا الجامع خزانة كتب نفيسة قيل لما كملت عمارة هذا الجامع رسم السلطان بأن تملأ الفسقية التي في صحن الجامع سكرا وماء ليمون فملئت سكرا ووقف رؤس النواب يفرقون السكر على الناس بالطاسات وخلع في ذلك اليوم على جماعة كثيرة من المشدين والمهندسين والبنائين والمرخمين والنجارين فلما كان يوم الجمعة حضر بالجامع القضاة الاربعة وسائر الامراء وأرباب الوظائف وأعيان العلماء وخطب في ذلك اليوم القاضي ناصر الدين بن البارزي كاتب السر الشريف خطبة بليغة وكان يوما مشهودا فلما كان وقت الحضور في الجامع اجتمع الطلبة وخرج الشيخ شمس الدين الديري من الخلوة وقدامه ولد السلطان المقر الصارمي ابراهيم وهو حامل سجادة الشيخ شمس الدين الديري حتى فرشها له في المحراب وفي ذلك يقول بعض شعراء العصر

ان يقولوا سجادة فوق بحر * لولي يمشي عليها كرامه
قلت هذي سجادة فوقها البحر فخذت عنه بغير ملامه

ومن الحوادث انه لما بنوا مأذنتي هذا الجامع مالت احداهما الى السقوط عندما كملت فرسم بهدمها فهدمت ثم أعيدت ثانيا فقال العلامة شهاب الدين بن حجر يداعب قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي في هذه الواقعة

لجامع مولانا المؤيد رونق * منارته تزهو من الحسن والزين
تقول وقد مالت عليهم ترفقوا * فليس على حسني أضر من العين

فأجابه عن ذلك بدر الدين بن العيني

منارة كعروس الحسن اذ جليت * وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط * ما أوجب الهدم الا خسة الحجر

ومما عد له من المحاسن أنه أبطل مكس الدواكة قاطبة ونقش ذلك على رخامة وجعلها بباب هذا الجامع لما كمل بناؤه ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة فيها توفي المقر

الصارمي ابراهيم ابن السلطان المؤيد شيخ وقيل ان أباه المؤيد سمه في حلوى وسبب ذلك ان
سيدى ابراهيم كان شجاعا بطلا لا يمل من الحرب والقتال فمالت اليه قلوب الجند وكان
الملك المؤيد لا يزال يعتريه ضربان المفاصل وكان قد ثقل عن الحركة فكان يحمل على
أكتاف المماليك اذا نقل من مكان الى مكان فقال القاضي ناصر الدين بن البارزي للملك
المؤيد ان العسكر يقصدون خلعك من السلطنة ويولون سيدى ابراهيم فدس له ان يشغله
فلما شغله ومات حزن عليه الناس حزنا شديدا ودفن داخل القبة التي في الجامع المؤيدى فلما
كان يوم الجمعة حضر السلطان المؤيد في الجامع وصلى الجمعة في مأتم ابنه فخطب القاضي ناصر
الدين بن البارزي في ذلك اليوم خطبة في معنى ذلك حتى بقي عنه كلام الناس فروى وهو
على المنبر هذا الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما ان دخل على ولده
ابراهيم وجده يجود بنفسه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت عيناه تذرفان
وقال ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم
لمحزونون فلما سمع الملك المؤيد ذلك شق عليه وقال في نفسه يغريني على ولدى حتى أقتله
ثم يندمني عليه فلما فرغ القاضي ناصر الدين من صلاة الجمعة قدم اليه سلطانية سكر وشغله
فيها فتوجه الى بيته وأقام أياما ومات والجزاء من جنس العمل ۞ ثم دخلت سنة أربع
وعشرين وثمانمائة فيها ثقل الملك المؤيد في الضعف ولزم الفراش واستمر على ذلك أياما حتى
مات في يوم الاثنين تاسع المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة فغسل في القلعة وكفن وصلى
عليه ونزلوا به من القلعة والامراء مشاة قدامه حتى توجهوا به الى جامعه فلم يدخلوا
به من باب زويلة ودخلوا به من الباب الذى عند الخضريين وقيل مات وله من العمر خمس
وستون سنة وخلف من الاولاد صبيا وبنتين وهو سيدى أحمد الذى تسلطن بعده وهو ابن
خوند سعادات وكانت احدى بناته مزوجة بالاتابكي قرقماس الشعباني والاخرى مزوجة
بالامير يشبك الفقيه الدوادار وهي أم ولده سيدى يحيى ❊ فكانت مدة سلطنة الملك المؤيد
شيخ بالديار المصرية والبلاد الشامية ثمان سنين وخمسة أشهر وثمانية أيام وكان ملكا
جليلا كفأ للسلطنة عارفا بأحوال المملكة وافر العقل مقداما في الحرب وله مكايد وحيل
وثبات وقت التقاء الجيوش حتى ضرب به المثل فكان يقال نعوذ بالله من ثبات شيخ ومن
حطمة نوروز الحافظى وكان المؤيد كريما على من يستحق الكرم وشحيحا على من يستحق
الشح وكان يضع الشيء في محله وهو الذى مهد البلاد الشامية والحلبية وقطع جذور النواب
النواب العصاة الذين أخربوا غالب البلاد الشامية وكان يميل الى اللهو والطرب ويستعمل
الراح ويميل الى الملاح وكان يستعمل الاشياء المخدرة من المصطلات وكان يقرب أرباب
الفنون وكانت أرباب الفنون تتباهى في أيامه في فنونهم بحسن فهمه وحسن معرفته

وكان يغني من فن الموسيق ويركز الفن ويتعلم الشعر ومن نظمه الرقيق قوله من قصيدة

قتتنا سوالف وخدود * وعيون نواعس وقدود

أسرتنا الظبا وهن نعاس * وخضعنا لها وهن الأسود

ولم يزل يركز هذه الابيات الى الاستشهاد باسمه فقال

وأنا الملك شيخ المؤيد * نظم شعري جواهر وعقود

وله أشياء كثيرة من الفن دائرة بين المغنيين الى الآن وكان منقادا الى الشرع يحب ويصحب أهل العلم ويقرب الفقهاء والصلحاء ويبرهم ويحب فعل الخير وله أوقاف كثيرة على جهات بر وصدقة ولكن ذكر له المقريزي أشياء كثيرة من المساوي منها أنه كان جهوري الصوت سفيها في كلامه وكان غير مقبول الشكل واسع العينين كبير الكرش حرى اللون أ كث اللحية معتدل القامة متركن الوجه كبير الانف وكان سفاكا للدماء قتل جماعة كثيرة من النواب والامراء وكان اذا ظفر بأحد من أعدائه لا يرحمه وكان كثير المصادرات للرعية وأحدث في أيامه أشياء كثيرة من أبواب المظالم لما كان يخرج الى التجاريد وأما ما أنشأ من العمائر بالديار المصرية فهو الجامع الكبير الذي هو داخل باب زويلة وعمر الجامع الذي في رأس الصوة مكان المدرسة الاشرفية التي هدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وعمر الجامع الذي عند المقياس وعمر الخلاوي والمأذنة التي في المدرسة الخروبية التي في بر الجيزة وجدد عمارة القبة التي في قاعة البحرة وجدد عمارة التاج والسبعة وجوه التي كانت بالقرب من الكوم الابيض ولكن هدم ودرست معالمه في دولة الملك الظاهر جقمق وكان من جملة المفترجات القديمة بمصر فهدمه الناصري محمد بن اينال قريب الملك الظاهر جقمق والملك المؤيد آثار كثيرة غير ذلك بمصر والشام وكانت دولته ثابتة القواعد وصير الذئب والغنم يمشيان في صعيد واحد فأما قضاته الشافعية فالقاضي جلال الدين بن سراج الدين البلقيني الشافعي والقاضي ولي الدين العراقي الشافعي وأما قضاته الحنفية فالقاضي بدر الدين محمود العيني الحنفي والقاضي التفهني والقاضي صدر الدين بن العديم الحنفي وأما قضاته المالكية فالقاضي نصر الدين بن التونسي المالكي وأما قضاته الحنابلة فالقاضي علاء الدين بن مغلي الحنبلي وأما من توفي في أيامه من الاعيان فقاضي القضاة جلال الدين بن سراج الدين البلقيني الشافعي قيل انه توفي بمنزلة الصالحية عند عود الملك المؤيد من البلاد الشامية فلما توفي جلال الدين في الصالحية ودخل السلطان الى الديار المصرية اشتوروا فيمن يولونه قاضيا عوضا عن جلال الدين فأخبروا السلطان بذكر ابنه تاج الدين وأخيه علم الدين صالح فبالغ الشيخ شهاب الدين بن حجر في ذلك حيث يقول

مات جلال الدين قالوا ابنه * يخلفه أو فالأخ الكاشح

فقلت تاج الدين للاتسق * بمنصب الحكم ولا صالح

ثم وقع الاختيار على تولية الشيخ ولى الدين العراقى فولى عوضا عن جلال الدين البلقينى وتوفى فى أيام المؤيد من الاعيان الشيخ شمس الدين البناق وكان من كبار الحنفية وتوفى الشيخ مجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس وتوفى الشيخ خلف النحريرى وكان من كبار المالكية وتوفى الشيخ جمال الدين بن ظهيرة قاضى القضاة الشافعية بمكة وتوفى الشيخ برهان الدين بن رفاعة الدمشقى وكان من أعيان دمشق وله شعر جيد وتوفى ابن هشام العجمى وتوفى القاضى ناصر الدين بن البارزى الجهنى الشافعى كاتب السر الشريف بالديار المصرية وتوفى الشيخ عز الدين الموصلى صاحب شرح البديعية وتوفى الشيخ جمال الدين بن خطيب داريا وكان من فحول الشعراء وتوفى الشيخ علاء الدين بن نا بنك الدمشقى وكان من فحول الشعراء وتوفى فى أيامه جماعة كثيرة من الاعيان ولما توفى الملك المؤيد شيخ تولى من بعده ابنه الملك المظفر انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المؤيد شيخ وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المظفر أبى السعادات أحمد ابن الملك المؤيد شيخ المحمودى الظاهرى

وهو التاسع والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الخامس من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد تسلطن بعد موت أبيه الملك المؤيد شيخ فى يوم الاثنين تاسع المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة تسلطن وله من العمر سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام فكان مرضعا وكانت ولايته تقرب من ولاية سابور ذى الاكتاف الذى تولى الملك وهو فى بطن أمه فوضعوا على بطنها تاج الملك وسابور حمل فكانت ولاية الملك المظفر أحمد تقرب من ذلك وكانت أمه خوند سعادات بنت الامير صرغتمش الناصرى فلما تسلطن كان الاتابكى الطنبغا القرشى غائبا فى التجريدة هو وجماعة من الامراء نحو البلاد الشامية بسبب عصيان النواب وكان بمصر من الامراء المقر السيفى ططر أمير مجلس فلما توفى الملك المؤيد شيخ تعصب مماليكه وقالوا ما نسلطن الا ابن أستاذنا وكان المماليك المؤيدية نحو خمسة آلاف مملوك فلما حضر الخليفة والقضاة الاربعة وقصدوا المبايعة لاحمد ابن الملك المؤيد عارض الخليفة فى ذلك وقال هذا صغير وتضيع أحوال المسلمين بين الامراء فقال المماليك الامير ططر يكون مدبر المملكة الى أن يحضر الاتابكى الطنبغا فما وسع الخليفة الا انه بايعه على كره منه فسلطنوه ولقبوه بالملك المظفر ونودى باسمه فى القاهرة ثم اجلسوه على سرير الملك وهو فى حجر المرضعة وكانت العادة اذا تسلطن سلطان وجلس

على سرير الملك فى القصر الكبير تدق الكوسات داخل القصر فلما أجلسوا الملك المظفر
أحمد على سرير المملكة وهو فى حجر المرضعة دقت الكوسات فى القصر فاضطرب الملك
المظفر اضطرابا شديدا وأغمى عليه فحصل له فى الحال حول فى عينيه من الرجفة واستمر فى
كل وقت يضطرب الى ان مات فلما تم أمره فى السلطنة ثار المماليك المؤيدية على الامير
ططر بسبب الامريات والوظائف وصار ططر معهم فى غاية الضنك فلو سعه الا أن
يرضيهم بكل ما يمكن فخلع على الامير علي باى المؤيدى واستقر به دوادارا كبيرا وكان أمير
عشرة وخلع على الامير تغرى بردى بن قصروه واستقر به أمير اخور كبير وكان أمير
عشرة ثم جعل جماعة من الامراء المؤيدية مقدمى ألوف وجماعة منهم أمراء طبلخانات
وجماعة منهم أمراء عشراوات ثم انه فرق الاقطاعات السنية على المماليك المؤيدية ثم
جاءت الاخبار من البلاد الشامية بأن جقمق الارغونى نائب الشام قد خامر وخرج عن
الطاعة وكذلك يشبك المؤيدى نائب حلب قد خامر أيضا وخرج عن الطاعة وكذلك بقية
النواب قد خامروا وخرجوا عن الطاعة وكان الاتابكى الطنبغا القرشى لما توجه الى
الشام بسبب عصيان النواب أوقع معهم بمن معه من الامراء فهربوا الى صرخد
ثم ان الاتابكى الطنبغا لما توجه الى صرخد جمع العربان والعشير ورجع الى دمشق
وأوقع مع نائب الشام بدمشق فانكسر جقمق منه وهرب الى نحو حلب فملك الاتابكى
الطنبغا دمشق وقلعتها فلما بلغه وفاة الملك المؤيد وسلطنة ابنه أظهر العصيان
وخرج عن الطاعة وأقام بدمشق وحصنها ونصب على سورها المكاحل بالمدافع والتفت
عليه العربان والعشير فلما بلغ الامراء ذلك خلعوا على ططر واستقروا به أتابكى العسكر
عوضا عن الطنبغا القرشى ثم اتفق الحال على ان الاتابكى ططر يأخذ السلطان معه فى
محفة ويتوجه هو والعسكر الى دمشق بسبب الطنبغا القرشى والنواب فخرج ططر
من القاهرة وصحبته الملك المظفر أحمد فى محفة والمرضعة معه وخرج من مصر
وسائر الامراء والعسكر وكانت خوند سعادات صحبة ابنها فى المحفة لما خرج الى الشام
حتى تأمن عليه من القتل وكانت خوند سعادات لما انقضت عدتها مشت الامراء بينها
وبين ططر بأن يتزوج بها فلما خرج ابنها الى الشام خرجت معه فلما وصلوا به الى
الشام ألقى الله تعالى الرعب فى قلب الطنبغا القرشى وجقمق نائب الشام فلما دخل
الملك المظفر الى الشام حضر اليه الطنبغا القرشى وفى رقبته منديل فباس الارض قدام
الملك المظفر وهو فى المحفة فلما وقعت عليه عين الاتابكى ططر قبض عليه وسجنه بقلعة
دمشق ثم قبض على جقمق نائب الشام وسجنه بقلعة دمشق أيضا ثم انه أمر بخنقه
وبخنق الطنبغا القرشى فخنقا تحت الليل ثم قبض على جماعة من النواب وقتلهم وأخذ

فى أسباب القبض على جماعة من الامراء المؤيدية فاحتال عليهم وأظهر انه قد مرض وأقام بقلعة دمشق ولما بلغ الامراء ذلك طلعوا يسلمون عليه ودخلوا عليه فقبض على جماعة منهم حتى قيل قبض فى يوم واحد على أربعين أميرا من الامراء المؤيدية وحبسهم بقلعة دمشق ثم قبض على جماعة من المماليك المؤيدية نحو ثلثمائة مملوك وحبسهم بقلعة دمشق فعند ذلك صفا لططر الوقت والتفت عليه خشداشينه القاهرية وفرق عليهم الاقطاعات والوظائف وقويت شوكته وعصبته وصار يمهد لنفسه فى الباطن فعند ذلك خلع الملك المظفر أحمد من السلطنة وتسلطن عوضه بدمشق وكان الخليفة المعتضد بالله داود صحبته والقضاة الاربعة فبايعوا ططر وسلطنوه وذلك فى يوم الجمعة تاسع عشرى شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة وتلقب بالملك الظاهر وخطب باسمه فى ذلك اليوم على منابر دمشق فلما تم أمره فى السلطنة هنالك طلق خوند سعادات أم الملك المظفر أحمد وقد خاف على نفسه منها والذى خاف منه وقع فيه كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه فلم يزل من الدهر قصده فلما تسلطن قصد التوجه الى نحو الديار المصرية وأخذ الملك المظفر معه وأمه ورجع الى مصر فلما دخل الى القاهرة كان له يوم مشهود وزينت له المدينة وحملت على رأسه القبة والطير ولعبوا قدامه بالغواشى الذهب الى ان طلع القلعة فلما جلس على سرير الملك أرسل الملك المظفر أحمد الى السجن بثغر الاسكندرية وأرسل معه المرضعة والدادة فكانت مدة سلطنته بمصر سبعة أشهر وعشرين يوما فما كان أغناه عن هذه السلطنة والحول الذى حصل فى عينيه لما دقت الكوسات فى القصر يوم سلطنته كما تقدم وآخر الامر سجن وأقام فى السجن الى ان مات بثغر الاسكندرية فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فى دولة الاشرف برسباى ومات بالطاعون ثم نقل بعد موته الى القاهرة ودفن على أبيه داخل القبة التى فى الجامع المؤيدى الذى هو داخل باب زويلة ومات وله من العمر نحو احدى عشرة سنة ولم يع أيام سلطنته واعيا وعى نفسه فى السجن الى ان مات فيه وقد دخل مماليك أبيه فى خطيئته حيث سلطنوه وهو فى هذا السن وكان المظفر هذا حسن الشكل جميل الصورة وانما حدث له ذلك الحول فى عينيه من يوم سلطنته كما تقدم ومن الحوادث فى أيامه ان فى هذه السنة وهى سنة أربع وعشرين زاد النيل المبارك زيادة مفرطة واستمر ثابتا الى آخر هاتور من الشهور القبطية وهذا أمر لم يعهد فى الاسلام وحصل للناس فى تلك السنة الضرر الشامل واستبحرت الاراضى وغرق أكثر البساتين وفات الزرع عن أوانه وانقطعت الطرق من الماء وفى ذلك يقول بعض الشعراء

يارب ان النيل زاد زيادة ... أدت الى هدم وفرط تشتت

ماضره

ماضره لوجا على عاداته * فى دفعه أو كان يدفع بالتى

وتوفى فى أيامه قاضى القضاة الشافعية ولى الدين العراقى والشيخ شمس الدين الديرى الحنفى وقيل بل مات فى أثناء دولة الملك الاشرف برسباى والله أعلم بذلك انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المظفر احمد بن الملك المؤيد شيخ المحمودى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين أبى سعيد ططر الظاهرى الجركسى

وهو الثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو السادس من ملوك الجراكسة فى العدد (أقول) كان أصله من مماليك الظاهر برقوق من مشترواته ثم اعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك السلطانية الدوادارية ثم هرب من الملك الناصر فرج وتوجه الى حلب والتف على حكم العوضى لما تسلطن بحلب فلما قتل حكم التف ططر على شيخ ونوروز لما أظهروا العصيان بالشام فلما قتل الملك الناصر بالشام وتسلطن الخليفة العباس انعم على ططر بامرية عشرة ثم بقى أمير أربعين فى دولة الملك المؤيد شيخ ثم بقى مقدم ألف ثم بقى رأس نوبة النوب ثم بقى أمير مجلس كل ذلك فى دولة المؤيد شيخ فلما مات الملك المؤيد وتسلطن ابنه الملك المظفر بقى ططر مدبر المملكة فلما أظهر العصيان الاتابكى الطنبغا القرشى لما كان بالشام بقى ططر أتابك العساكر عوضا عنه فلما خرج الى الشام صحبة الملك المظفر احمد وظفر بالاتابكى الطنبغا القرشى والامير قجقار القردمى أمير سلاح ونائب الشام جقمق الارغون شاوى وجماعة من النواب وقتلهم كما تقدم ذلك قبض على جماعة كثيرة من الامراء المؤيدية وسجنهم بقلعة دمشق فعند ذلك صفا له الوقت وقويت شوكته والتفت عليه خشداشينه الذين كانوا مفرقين فى بلاد الشرق فخلع الملك المظفر من السلطنة وتسلطن عوضه بالشام وطلق خوند سعادات أم الملك فقيل انها أشغلته فى منديل الفرش لما خلع ابنها من السلطنة فرض ططر بالشام ودخل الى مصر وهو عليل واستمر يتسلسل فى المرض ولزم الفراش فهو كما قيل فى المعنى

فكان كالمتمنى أن يرى فلقا ... من الصباح فلما أن رآه عمى

فلم يزل عليلا حتى مات فى يوم الاحد رابع ذى الحجة من سنة أربع وعشرين وثمانمائة ومات وله من العمر نحو خمس وخمسين سنة ودفن بجوار قبر الامام الليث بن سعد رضى الله تعالى عنه فكانت مدة سلطنته بالشام ومصر ثلاثة أشهر وأياما وقد حصل فى هذه المدة

اليسيرة اثم من قتله من الامراء والمماليك فى طلب السلطنة وقدمه لغيره فكان كما قيل فى المعنى

الا انما الارزاق تحرم ساهرا ٭ وآخر يأتى رزقه وهو نائم

ولما مرض ططر عهد بالسلطنة الى ابنه محمد انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الظاهر ططر وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الصالح ناصر الدين محمد ابن الملك الظاهر ططر

وهو الحادى والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم وهو السابع من ملوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية فى العدد بويع بالسلطنة بعد موت أبيه ططر فى يوم الاحد رابع ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة تسلطن وله من العمر نحو احدى عشرة سنة فلما بايعه الخليفة أحضر والخلعة السلطنة وتلقب بالملك الصالح ودقت له البشائر ونودى باسمه فى القاهرة وجلس على سرير الملك فلما تم أمره فى السلطنة خلع على المقر الاتابكى جانى بك الصوفى واستقر به أتابك العساكر على عادته ومدبر المملكة فصار الاتابكى جانى بك فى تلك الايام صاحب الحل والعقد والابرام والنقض فعز ذلك على بقية الامراء وصار الامير طراباى الظاهرى حاجب الحجاب يرمى الفتن بين الاتابكى جانى بك الصوفى وبين المقر السيفى برسباى الدقماقى أمير دوادار كبير فوثب الامير برسباى على الاتابكى جانى بك الصوفى فهرب فى أواخر النهار فقبض عليه بعض المماليك وأحضروه الى الامير برسباى فقيدوه وأرسلوه الى السجن بثغر الاسكندرية فاجتمعت الكلمة من بعد ذلك فى برسباى وصار صاحب الحل والعقد ثم ان برسباى وقع بينه وبين الامير طراباى حاجب الحجاب فقبض عليه وأرسله الى السجن بثغر الاسكندرية فعند ذلك صفا للامير برسباى الوقت وقويت شوكته فتعصب له جماعة من الامراء وخلعوا الملك الصالح محمد بن ططر من الملك وتسلطن برسباى فكانت مدة سلطنة الملك الصالح بمصر ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما لاغير وكان ليس له فى السلطنة الا مجرد الاسم فقط فلما خلعه برسباى من السلطنة عطف عليه ولم يسجنه بثغر الاسكندرية كعادة أولاد الملوك بل أدخله دور الحرم وأسكنه فى قاعة البربرية هو وأمه وبات الامير سودون الفقيه ثم ان الاشرف برسباى تزوج الملك الصالح بنت الاتابكى يشبك الاعرج واستمر الملك الصالح ساكنا فى القلعة بدور الحرم ورسم له الملك الاشرف برسباى بأن ينزل ويركب فى كل جمعة ويرور قبر والده ططر فكان

يركب صحبة المقر الناصرى محمد الملك الاشرف برسباى ويسيروا نحو المطرية (أقول) وسيدى محمد هذا كان ابن الاشرف برسباى وكان أكبر من ولده سيدى يوسف ولكن توفى فى حياة والده عقيب الفصل الذى جاء فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وكان الملك الصالح محمد بن ططر هذا يهلل كثير الخباط فكان يسمى الفرس البوز الفرس الابيض فقال بعض الخدام لا تقل الفرس الابيض وقل الفرس البوز فتقيد منه ذلك الاسم فطلب يوما سلطانية صينى أبيض فقال هاتوا السلطانية البوز فنهره بعض الخدام ونهاه عن ذلك فقال له لالاتى علىّ هذا وكان له من أنواع الخباط أشياء كثيرة ليس هذا محلها فكان كما قيل فى الامثال

فى الناس من تقدمه الاقدار * وفعله جميعه ادبار

واستمر الملك الصالح على ذلك حتى توفى فى ليلة الخميس ثانى عشرى جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ومات بالطاعون الذى وقع فى تلك السنة ودفن على والده ططر بجوار قبر الامام الليث ومات وله من العمر اثنتان وعشرون سنة ولما مات الملك الصالح محمد رسم الملك الاشرف برسباى لاولاد الاسياد الذين كانوا فى دور الحرم من داخل بان ينزلوا ويسكنوا المدينة وأنعم على كل واحد منهم بفرس ومائة دينار فنزلوا من يومئذ وسكنوا بالمدينة وبطل أمرهم انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الصالح محمد بن ططر وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الاشرف أبى النصر برسباى الدقماقى الظاهرى

وهو الثانى والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصريه وهو الثامن من ملوك الجراكسة وأولادهم بويع بالسلطنة بعد خلع الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر فى يوم الاربعاء ثامن ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة فلبس خلعة السلطنة من باب السلسلة وركب من المقعد وحملت على رأسه القبة والطير حتى طلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباس له الامراء الارض من الاكابر والاصاغر وتلقب بالملك الاشرف ودقت له البشائر ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالدعاء من الخاص والعام قيل لما خلع الملك الصالح محمد بن ططر من السلطنة حضر أمير المؤمنين المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة وحضر الاتابكى بيبغا المظفرى وسائر الامراء فاشتوروا فيمن يولونه السلطنة فقال الاتابكى بيبغا الامير برسباى يكون سلطانا وهو أحق بها منى فأقر بالسلطنة على نفسه وكان الملك الاشرف برسباى يومئذ دوادارا كبيرا ولم يكن أتابك العساكر وأصله جركسى الجنس جلبه بعض التجار الى البلاد الشامية فاشتراه الامير دقماق المحمدى نائب ملطية ع

جملة مماليك صغار ثم انه قدمه الى الملك الظاهر برقوق فأخذه وجعله من جملة المماليك
السلطانية ونزل بطبقة الزمامية وكان اغاته الامير جركس القاسمي المصارع ثم ان الملك
الظاهر برقوق أعتقه وأخرج له خيلا وقماشا ثم بقي خاصكيا ثم ساقيا في دولة الملك الناصر فرج
ثم التف على شيخ ونوروز لما انكسروا بالشام فلما قتل الملك الناصر فرج وتسلطن الملك المؤيد
شيخ جعله أمير عشرة ثم بقي أمير طبلخانات ثم بقي مقدم ألف ثم ولي نيابة طرابلس ثم قبض عليه
الملك المؤيد وسجنه بقلعة المرقب مدة طويلة ثم أطلقه وأنعم عليه بتقدمة ألف بدمشق فلما
خامر نائب الشام جقمق الارغون شاوي قبض على برسباي وسجنه بقلعة الشام فلما توجه
ططر الى الشام وقبض على جقمق نائب الشام وحبسه في قلعة دمشق أفرج عن برسباي
وأحضره صحبته الى القاهرة فلما تسلطن بدمشق ثم انه خلع عليه واستقر به دوادارا كبيرا
عوضا عن الامير علي باي المؤيدي واستمر برسباي على ذلك حتى توفي الظاهر ططر وتسلطن
ابنه الصالح محمد فوقعت الفتن بين الاتابكي جاني بك الصوفي وبين الامير برسباي فقبض
عليه الامير برسباي وأرسله الى السجن بثغر الاسكندرية فعند ذلك خلع الملك الصالح محمد
من السلطنة وتسلطن عوضه كما تقدم فلما تم أمر برسباي في السلطنة عمل الموكب وخلع
على من يذكر من الامراء وهم المقر الاتابكي بيبغا المظفري واستمر به أتابك العساكر على
عادته وكان بيبغا هذا عظيم اللسان قليل الكلام بالعربي يابس الطباع سيء الخلق فلم توافق
العسكر على سلطنته فقنع بيبغا بالاتابكية دون السلطنة فكان كما قيل في المعنى

انا منعتك أشجار المعالي ٭ جناها الغض فاقنع بالشميم

وخلع على الامير جقمق العيسوي واستقر به أمير سلاح على عادته وخلع على الامير اقبغا
التمرازي واستقر به أمير مجلس وخلع على الامير سودون بن عبد الرحمن واستقر به دوادارا
كبيرا وخلع على الامير قصروه بن عثمان واستقر به أمير اخور كبير وخلع على الامير أزبك
المحمدي واستقر به رأس نوبة النوب وخلع على الامير جقمق العلائي واستقر به حاجب
الحجاب وخلع على المقر السيفي جاني بك الحمامي واستقر به نائب الشام وأنعم على جماعة من
الامراء بتقادم ألف وعلى جماعة بامريات طبلخانات وعلى جماعة بامريات عشرة ثم أنفق
على العسكر وفرق الاقطاعات على جماعة منهم واستقامت أحواله في السلطنة وراق
له الوقت ثم أخذ في أسباب تقريب جماعة من حاشية الملك المؤيد شيخ فخلع على المقر
الزيني عبد الباسط بن القرشي خليل واستقر به ناظر الجيوش المنصورة وقد رقي في أيامه
الزيني عبد الباسط حتى صار صاحب الحل والعقد في تلك الايام وكان الملك الاشرف
لا يتصرف في شيء من أحوال المملكة الا برأي القاضي عبد الباسط معظم أمره في تلك الايام
حتى أطلق عليه عظيم الدولة في ايامه واستمر على [illegible] الا [illegible]

ثم قرب الامير ناصر الدين التاج واستقر به والى القاهرة على عادته وكان أصل التاج من الشوبك وكان جده من النصارى وكان ينادم الملك الاشرف ولا ينشرح الا به وكان التاج واسطة خير قليل الاذى لا يتكلم فى حق أحد الا بخير ليس عنده ضرر وفيه يقول الشيخ تقى الدين بن حجة

سبع وجوه للتاج مصر * تقول ما فى الوجود شبهى
وعندنا ذو الوجوه سبعى * وأنت تاج بغير وجه

وقرب أيضا القاضى بدر الدين بن مزهر حتى صار كاتب السر الشريف بالديار المصرية وقرب جماعة كثيرة من حاشية الملك المؤيد شيخ غير هؤلاء انتهى ذلك ۞ (ثم دخلت سنة ست وعشرين وثمانمائة) فيها وفى النيل المبارك فى ثامن عشر أبيب من الشهور القبطية ولم يسمع بمثل هذا فيما تقدم من السنين الماضية وفيه يقول بعض الشعراء

لما وفى النيل المبارك عاجلا * عم البلاد والروابى طفقا
نشروا القلوع وبشروا بوفائه * فالراية البيضا عليه بالوفا

وفى هذه السنة رسم السلطان للامير جرباش الكريمى المعروف بقاشق بان يتوجه الى ثغر الاسكندرية بسبب حفر خليج الاسكندرية لانه قد طم بالرمال وضعف جريان الما فيه فتوجه اليه الامير جرباش وجمع ما قدر عليه من الرجال فجمع ثمانمائة وسبعين انسانا وابتدأ فى حفره فى حادى عشر جمادى الاولى من تلك السنة المذكورة فانتهى العمل منه ومشى فيه الماء فى مدة أربعة أشهر فسر الناس بذلك ۞ (ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثمانمائة) فيها تزايدت عظمة الامير جانى بك مملوك الملك الاشرف برسباى وصار أمير طبلخاناه دوادار ثانى واجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل والعقد فى دولة أستاذه وهو صاحب المدرسة التى بالقرب من الخنكية ومما يحكى عنه انه نفى الاتابكى بيبغا المظفرى الى ثغر الاسكندرية من غير علم السلطان فلما علم السلطان بذلك لم يقل له ليش فعلت ذلك وتناهت عظمته حتى التف عليه جميع العسكر وكان الامراء المقدمون ينزلون معه من القلعة الى بيته الذى بالقرب من سوق الخوار ولم يزل جانى بك على ذلك حتى تخيل منه الملك الاشرف أن يثب عليه فشغله فى حلوى فاستمر عليلا ملازم الفراش حتى مات فى أثناء دولة استاذه ولو عاش لوثب على استاذه وتسلطن ۞ ومن الحوادث فى أيامه ان شخصا من العوام شنق نفسه وسبب ذلك انه كانت له زوجة يحبها فطلقها فتزوجت بغيره ووكلته فيه فشنق نفسه من قهره منها فمات ۞ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثمانمائة فيها حجت خوند جلبان زوجة الملك الاشرف برسباى وهى أم ولده المقر الجمالى يوسف وكان المتسفر عليها القاضى عبد الباسط ۞ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثمانمائة فيها أرسل

السلطان تجريدة الى قبرس فأعطاه الله تعالى النصر وفتح مدينة قبرس فى ثالث السنة وأسر ملكها وجئ به الى القاهرة أسيرا فكان يوم دخوله الى القاهرة يوما مشهودا وزينت المدينة سبعة أيام ودخل عسكر الفرنج وهم فى زناجير وملكهم راكب وعليه آلة الحرب وكانت هذه النصرة على غير القياس وفى هذه السنة كملت عمارة مدرسة السلطان وهى المدرسة الاشرفية التى عند سوق الوراقين فلما وقعت هذه النصرة وأسر ملك الفرنج فى تلك السنة رسم السلطان بأن تعلق خوذة ملك الفرنج على باب هذه المدرسة لتكون تذكارا وهى الى الآن معلقة فى باب هذه المدرسة ۞ ثم دخلت سنة ثلاثين وثمانمائة فيها جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بأن الاتابكى جانى بك الصوفى قد كسر قيده وهرب من السجن وقيل ان جارية دخلت اليه فى السجن وقد حملت مبرد لطيف فى فرجها فبرد به قيده وهرب من أعلى حيطان البرج وتدلى فى حبل صغير وهرب فلما بلغ الملك الاشرف ذلك اضطربت جميع أحواله وصار يكبس البيوت والحارات وقبض على اصهار جانى بك الصوفى وعاقبهم وكذلك عياله وعاليكه وجرى بسبب ذلك على الناس ما لا خير فيه وصار كل من له عدو يكذب عليه ويقول جانى بك الصوفى مختف عنده فيكبسوا عليه بيته وينهبوا ماله ويعاقبوا ذلك الرجل اشد العقوبة واستمر الملك الاشرف على ذلك وهو لا يهنأ له عيش حتى ظهر جانى بك فى بلاد التركمان عند أولاد قرايوسف فعند ذلك سكن الاضطراب من القاهرة وفيها قبض السلطان على الصاحب بدر الدين نصر الله وعلى ولده صلاح الدين وقرر عليهما مالا وفيها تولى قاضى قضاة الشافعية العلامة الحافظ شهاب الدين بن حجر الكنانى العسقلانى الشافعى وهو أول ولايته فنزل من القلعة الى بيته فى موكب انتهى ذلك ۞ ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وثمانمائة فيها ابتدأ السلطان الملك الاشرف بعمارة مدرسته التى فى خانقاه سرياقوس وقد تناهى فى بنائها وزخرفها ثم عمل فيها خطبة ولم يعمل مثلها فى ذلك المكان وكان أول من خطب فيها الشيخ عبد الرحيم الحموى الواعظ وقد قرره السلطان فى الخطابة بل كان خطيبا فى الاشرفية التى عند سوق الوراقين أيضا ۞ ثم دخلت سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة فيها خلع السلطان على الامير جقمق العلائى واستقر أمير اخور كبير عوضا عن الامير قصروه بن عثمان وفيها رحل السلطان الى الرماية وشق من المدينة وزينت له وكان له يوم مشهود والله سبحانه وتعالى أعلم ۞ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فيها وقع الطاعون العظيم بالديار المصرية وكان هذا الطاعون مخالفا لبقية الطواعين فان عادة الطعن يقع فى فصل الربيع وهذا وقع فى وسط الشتاء واستمر يتسلسل أربعة أشهر وكانت قوة عمله فى الغرباء والاطفال والمماليك والعبيد والجوار فمات فيه من الناس ما لا يحصى عددهم حتى قيل انتهى من مات فى يوم واحد الى أربعة

وعشرين ألف جنازة حتى ضج الناس من ذلك وصار يودع بعضهم بعضا وفى ذلك يقول القائل

قد نقص الطاعون ثلث الورى * واهـــــلك الولد والوالده

كم منزل كالشمع سكانه * اطفاهمو فى نفخة واحده

وفى أول شعبان لم يمت غير طفل صغير مرضع وارتفع الوباء بالكلية فى ليلة واحدة فسبحان الحى الذى لا يموت ولكن ما ارتفع حتى أخلى عدة أماكن ومات فيه من الاعيان الملك الصالح محمد بن ططر وسيدى محمد ابن الملك الاشرف برسباى وجاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بموت الخليفة العباس الذى تسلطن ومات هناك أحمد ابن المؤيد شيخ قال الحافظ بن حجر لما كثر الطاعون بمصر اجتمع أعيان العلماء بالجامع الازهر ودعوا الله برفعه فازداد أمر الطاعون ولم يتناقص ❁ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثمانمائة) فيها كسفت الشمس وقت العصر حتى ظهرت النجوم بالنهار واستمرت مكسوفة نحو ساعة الى قرب الغروب ❁ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثمانمائة فيها حضر الى الابواب الشريفة بعض التراكمة وصحبتهم رأس الاتابكى جانى بك الصوفى قطعها بعض التراكمة الذين كان عندهم وأرسلها الى السلطان ليحظى عنده بذلك فلما حضرت الرأس رسم السلطان بان يطوفوا بها فى القاهرة فطافوا بها ثم علقوها فى باب زويلة ثلاثة أيام ثم رسم السلطان بان ترمى فى ميضة جامع الحاكم فرميت بها وبطل أمر جانى بك الصوفى ❁ ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثمانمائة فيها جاءت قصاد قرا ملك الى السلطان وطلعوا الى القلعة وصحبتهم هدية للسلطان فمن جملتها قرص مرآة مكفتة بذهب ومن جملتها خروف باليتين وخلعة للسلطان مخمل أحمر مرقومة بالذهب وبعض أثواب مخمل وصقورة برسم الصيد فلما رأى السلطان تلك الهدية استقلها وعز عليه أمر الخلعة ثم انه عزم قصاد قرا ملك فى الجيرة ثم احضر تلك الخلعة والبسها لشخص من الشهدارية وكان مضحكا فرقص بها قدام السلطان فضحك عليه ثم احضر نارا واحرق تلك الخلعة بحضرة القصاد وذبح الخروف ثم قال للقصاد استاذكم ان أراد ان يهدى أحدا ايش يعمل فيه فقالوا له يرميه فى الماء فرسم السلطان برميهم فى الجيرة فرموهم فيها فاقاموا ساعة ثم أطلعوهم فرسم السلطان بقص أذناب خيلهم وقال لهم اخرجوا سافروا فى هذا الوقت وقولوا لاستاذكم يلاقينى على الفرات فلما جرى ذلك علق السلطان الجاليش ونادى للعسكر بالعرض وأخذوا فى أسباب الخروج الى التجريدة وقد اولوا الخروف بانكم عندنا مثل النعاج والمرآة بانكم مثل النساء انظروا وجهكم فى هذه المرآة وأولوا الخلعة بانك نائب من تحت يدنا ثم ان السلطان

أنفق على العسكر وعين من الامراء أربعة مقدمين يقيمون بالقاهرة مع جماعة من الحجاب وعين جماعة من الامراء يتوجهون معه الى البلاد الشامية فلما انتهى شغل السلطان عزم على السفر وكان نائب الغيبة اقبغا المعروف بالتمرازى أمير مجلس وجماعة من الحجاب وبعض مماليك سلطانية وبرز خيامه الى نحو الريدانية ثم ان السلطان طلب وخرج من الميدان الذى تحت القلعة فكان فى طلبه مائتا فرس ملبسة بالبركستوانات الفولاذ والحرير الملون وكان فيه بكاوتان زركش وكان فيه خمسون فرسا بسروج ذهب وكنابيش وكان له يوم مشهود بموكب عظيم وكان صحبته أمير المؤمنين المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة وهم ابن حجر وبدر الدين العينى وشمس الدين البساطى ومحب الدين البغدادى الحنبلى وخرج معه سائر الامراء من الاكابر والاصاغر فأقام بالريدانية يومين ثم رحل وقصد التوجه الى نحو البلاد الشامية فكان له فى الشام موكب عظيم وكذلك فى حلب ثم خرج من حلب وقصد التوجه نحو آمد من ديار بكر فلما وصل الى هناك حاصر قلعة آمد أشد المحاصرة ونصب عليها عدة مناجيق فلم يقدر عليها فأقام هناك مدة فوقع فى العسكر الغلاء فقلق من ذلك وكانت العوام تغنى وتقول فى آمد رأينا العونه فى كل خيمة طاحونة الغلام نهاره يطحن والجندى يجيب المونه فلما سمع المماليك ثارت أخلاقهم على السلطان وقصدوا الوثوب عليه هناك فخشى الملك الاشرف ان تقع هناك فتنة فلم يقع بينه وبين قراملك واقعة ولا قابله فمشى بعض الامراء بين قراملك وبين السلطان بالصلح فأرسل اليه السلطان القاضى محب الدين بن الاشقر ناظر كاتب السر فحلف قراملك أنه لا يتعدى على بلاد السلطان ولا يحصل منه فساد ثم ان السلطان قصد التوجه الى نحو الديار المصرية قيل ان السلطان صرف على هذا التجريد من المال خمسمائة ألف دينار ولم يظفر بطائل فلما رجع عاد قراملك الى ما كان عليه من العصيان ❁ (ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثمانمائة) فيها عاد الملك الاشرف برسباى الى نحو الديار المصرية فدخل الى القاهرة فى موكب عظيم وحملت على رأسه القبة والطير وفرشت تحت حافر فرسه الشقق الحرير حتى طلع القلعة وهو آخر من جرد من الملوك وخرج بنفسه الى البلاد الشامية فلما وصل السلطان خرج ولده المقر الجمالى يوسف الى تلقيه من الخروشة ❁ (ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة) فيها خلع على المقر السيفى جقمق العلائى واستقر أمير سلاح وتوفى الشيخ تقى الدين الحصنى شارح كتاب أبى شجاع على مذهب الامام الشافعى وفيها خلع على القاضى أمين الدين بن الهيصم واستقر فى الوزارة عوضا عن كريم الدين بن كاتب المناخات ❁ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثمانمائة فيها استقر المقر السيفى

بحقوق العلائق أتابك العساكر بالديار المصرية وفيها تزايدت عظمة الملك الاشرف برسباى حتى صارت مماليكه المشتروات خمسة آلاف وفيها عمر السلطان الملك الاشرف تربته التى فى الصحراء عند تربة الظاهر برقوق وجعل فيها مدرسة وفيها نزل السلطان الى الرماية وشق فى القاهرة وزينت له وفيها توفى الشيخ صلاح الدين الاقفهسى وكان من أعيان العلماء ❁ ثم دخلت سنة أربعين وثمانمائة فيها شوش السلطان على أولاد الناس من أجناد الحلقة وصادرهم بسبب اقطاعاتهم وأخذ منهم على العبرة القديمة فحصل لهم الضرر الشامل وكان المتكلم فى ذلك القرالسيفى أركماس الظاهرى أمير دوادار كبير فجار عليهم وحصل لهم منه غاية الضرر وكان سبب ذلك انه بلغ السلطان ان شاه رخ بن تمرلنك تحرك على البلاد فقصد السلطان أن يجرد اليه تجريدة ثانيا فصادر اجناد الحلقة بسبب ذلك وفيها توفى الشيخ بدر الدين بن الدماميني المالكى المخزومى وكان من أهل العلم والفضل وله شعر جيد فمن ذلك قوله فى قاضى القضاة ناصر الدين التونسى المالكى لما ولاه أمر العقود فى مبادى عمره

يا قاضيا ليس يلقى ❁ نظيره فى الوجود
قد زدت فى الفضل حتى ❁ قلدتنى بالعقود

وفيها كانت وفاة الشيخ زين الدين الخراط الاديب الفاضل وله شعر جيد ❁ ثم دخلت سنة احدى وأربعين وثمانمائة فيها وقع الطاعون بالديار المصرية وهو الطاعون الثانى الذى جاء فى آخر دولته وكان خفيفا بالنسبة الى الطاعون الذى كان قبله فمات فى هذا الفصل ما لا يحصى عددهم من مماليك وأطفال وجوار وعبيد وغير ذلك وفى هذه الواقعة يقول بعض الشعراء

تعبرق مصر الهواء باهلها ❁ بدا وعليه صفرة ونحول
وصح بها موت النسيم وكيف لا ❁ وقد جاءه الطاعون وهو عليل

ثم ان الملك الاشرف برسباى مرض عقيب ذلك وسلسل فى المرض فحصل له ماليخوليا وخفة عقل وبرز مرسومه بنفى الكلاب الى بر الجيزة فصار كل من أمسك كلبا يأخذ له نصف فضة من صيرفى فى باب السلسلة فأمسك الغلمان من الكلاب نحو ألف كلب فنفوهم الى بر الجيزة ثم انه نادى بان امرأة لا تخرج من بيتها مطلقا فكانت المرأة اذا أرادت التوجه الى الميتة تأخذ ورقة من المحتسب وتجعلها فى رأسها حتى تمشى فى السوق ثم انه نادى فى القاهرة بان فلاحا لا يلبس زمطا ولا قماشا كبيرا ولا يصحبه فامتثل الناس ذلك ثم انه رسم بتوسيط الحكماء وهم العفيف الرئيس شمس الدين بن العفيف ... واستمر على

هذه الخرافات الى ان مات فكانت وفاته فى يوم السبت بعد العصر فبات بالقلعة وأخرجوه فى يوم الاحد ثالث عشر ذى الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة ودفن بتربته التى أنشاها عند البرقوقية بالصحراء وصلى عليه العلامة ابن حجر ومات وله من العمر نحو خمس وسبعين سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ست عشرة سنة وثمانية اشهر وخمسة أيام فكثر عليه الحزن والاسف من الناس فان مصر كانت هادية فى أيامه من الفتن والحروب التى كانت فى الدول الماضية وقد قال القائل

والمرء كالظل ولا بد أن * يزول ذاك الظل بعد امتداد

قيل ان الملك الاشرف لما ثقل فى المرض احضر الخليفة الى داره والقضاة الاربعة وسائر الجند والامراء وحلف المماليك ثم أنفق عليهم لكل واحد ثلاثون أشرفيا وعهد الى ولده يوسف بالسلطنة وجعل الاتابكى جقمق العلائى وصيا عليه ونظام المملكة ثم انه رسم بان يعاد الى أجناد الحلقة من أولاد الناس ما أخذ منهم بسبب الاقطاعات كما تقدم فرسم للامير اركماس الظاهرى بان يعاد الى كل واحد ما أخذ منه بالتمام والكمال ويكتب عليه شهادة بذلك فأعادوا الى أجناد الحلقة ما كان أخذ منهم وكان الملك الاشرف برسباى ملكا جليلا مبجلا فى موكبه وكان منقادا الى الشريعة ويحب أهل العلم ويقربهم وكانت معاملته أحسن المعاملات من أجود الذهب والفضة ولا سيما الاشرفية البرسبيهية فانها من خالص الذهب والى الآن يرغب اليها الناس فى المعاملة وكانت صفة الملك الاشرف برسباى انه عربى الوجه طويل القامة أبيض اللون مستدير اللحية شائب الذقن حسن الشكل صبيح الوجه عليه سكينة ووقار ومهابة مع لين جانب وكان عنده معرفة بأحوال السلطنة كفؤا للملك كثير البر والصدقات وله معروف وآثار لكنه كان عنده طمع زائد فى تحصيل الاموال محبا لجمع الاموال من المباشرين وغيرهم ومما أنشأ من العمائر فى أيامه المدرسة التى عند سوق الوراقين والمدرسة التى فى الصحراء التى دفن فيها والمدرسة التى فى خانقاه سرياقوس وعمر الوكالة التى فى الصليبة والربعين اللذين بها وله انشاءات كثيرة بالديار المصريه وغيرها وكان الامير جانبولاد شادا على عمائره وخلف من الاولاد صبيين وهما يوسف وأحمد وكان من أزواجه خوند جلبان وهى أم ولده يوسف وخوند فاطمة بنت الظاهر ططر وخوند بنت الاتابكى يشبك الاعرج وأرسل فأحضر بنت ابن عثمان ملك الروم لكنه لم يدخل عليها وكان خيار ملوك الجراكسة كما قيل فى المعنى

قالوا فهل جاد الزمان بمثله * قلت الزمان بمثله لشحيح

وأما من توفى فى أيامه من الاعيان فهم قاضى القضاة الهروى وقاضى القضاة علاء

الدين بن مفلح الحنبلي وقاضي القضاة التفهني الحنفي والشيخ ناصر الدين الديري الحنفي وابن النقاش من أعيان علماء الشافعية والشيخ شهاب الدين المقريزي المؤرخ والاتابكي بيبغا المظفري وغير ذلك من الاعيان انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك الاشرف برسباي الدقاق الظاهري وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك العزيز أبي المحاسن جمال الدين يوسف ابن الملك الاشرف برسباي الدقاق الظاهري

وهو الثالث والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو التاسع من ملوك الجراكسة وأولادهم في العدد بويع بالسلطنة بعد موت أبيه الملك الاشرف في يوم السبت ثالث عشر ذي الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة وتسلطن وله من العمر نحو أربع عشرة سنة وتلقب بالملك العزيز وأمه أم ولد جركسية تسمى جلبان فلما بايعه الناس بالسلطنة جلس على سرير الملك وحمل الاتابكي جقمق القبة والطير على رأسه من باب الستارة الى القصر الكبير فلما جلس باس له الامراء الارض فاستقر بالاتابكي جقمق العلائي نظام المملكة وصاحب الحل والعقد ❁ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة فيها دبت عقارب الفتنة بين الاتابكي جقمق وبين الامراء الاشرفية وصاروا يعاكسون الاتابكي جقمق فيما يفعله من الامور وصار الملك العزيز مع جقمق مثل اللولب بدوره كيف شاء مليس له في السلطنة غير مجرد الاسم فقط لاجل كتب العلامة على المراسيم وكان الاتابكي جقمق مع الامراء الاشرفية في غاية الضنك وقصدوا قتله في القصر عدة مرار ولولا أن في أجله فسحة لقتل من يوم مات الاشرف ثم ان جماعة من الامراء المؤيدية والناصرية اتفقوا على جقمق وتعصبوا له فوثبوا على الملك العزيز واتفق عليهم جماعة كثيرة من المماليك السيفية فاوقعوا مع المماليك الاشرفية فلم تكن الا ساعة من النهار حتى انكسر المماليك الاشرفية وأحاط بهم كل رزية فتشتتوا وتفرقوا بيد النوى وتزعوا فلما انكسروا وقع الاتفاق وتحقق على سلطنة الاتابكي جقمق فاحضروا الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة فخلعوا الملك العزيز من السلطنة وولوا الاتابكي جقمق فكان الذي خلع الملك العزيز قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر فلما تولى الاتابكي جقمق رسم بأن العزيز يدخل الى دور الحرم ولم يسجنه بثغر الاسكندرية كعادة أولاد الملوك فاخلى له قاعة البربرية وأقام بها وكان قصد السلطان

جقمق بأن يزوج الملك العزيز ويستمر ساكنا بالقلعة فاصبر الملك العزيز ووقع منه ما سيأتي ذكره في موضعه فكان كما قيل في المعنى

قد يدرك المتأني بعض مقصده * وقد يكون مع المستعجل الزلل

فكانت مدة سلطنة الملك العزيز يوسف بن الاشرف برسباي بالديار المصرية ثلاثة أشهر وخمسة أيام وكأنها أضغاث أحلام انتهى ما أوردناه من أخبار الملك العزيز يوسف ابن الاشرف برسباي وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين أبي سعيد جقمق العلائي الظاهري

وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو العاشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بويع في السلطنة بعد خلع الملك العزيز يوسف ابن الاشرف برسباي في يوم الاربعاء تاسع عشر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة فحضر الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة فخلعوا الملك العزيز من السلطنة وولوا جقمق ولقبوه بالملك الظاهر ثم أحضرت له خلعة السلطنة فلبسها من باب السلسلة وركب فرس النوبة وحمل القبة والطير على رأسه المقر السيفي قرقماس الشعباني أمير سلاح وقد تقدم انه حضر مع العسكر الذين كانوا في التجريدة فلما ركب من المقعد وطلع من باب سر القصر الكبير جلس على سرير الملك ونودي باسمه في القاهرة وضج الناس له بالدعاء ودقت له البشائر في ذلك اليوم بالقلعة وفرح غالب الناس بتوليته لكونه كان رجلا دينا خيرا قليل الاذى (أقول) كان أصل الملك الظاهر جقمق جركسي الجنس جلبه الخواجا كزل فاشتراه منه العلائي علي بن الاتابكي اينال اليوسفي وقدمه الى الملك الظاهر برقوق فصار من جملة المماليك السلطانية ثم بقي خاصكيا ثم بقي ساقيا ثم أمسك وحبس في دولة الملك الناصر فرج ثم أطلق وصار أمير طبلخاناه وخازندار في دولة الملك المؤيد شيخ ثم مقدم ألف في دولة الملك الظاهر ططر ثم بقي حاجب الحجاب في دولة الملك الاشرف برسباي ثم بقي أمير اخور كبير ثم بقي أمير سلاح ثم بقي أتابك العساكر كل ذلك في دولة الملك الاشرف برسباي فلما مات الاشرف وولي ابنه العزيز يوسف بقي جقمق نظام المملكة ومشى بها فبقي مع المماليك الاشرفية في غاية الضنك وأقام على ذلك مدة يسيرة ثم تعصب له جماعة من الامراء المؤيدية والناصرية وقاموا الملك العزيز من السلطنة وولوا جقمق فلما جلس على سرير الملك ثم أمر [illegible] السلطنة وباس له الامراء الارض قبض في ذلك اليوم على الامير جوهر الزمام اللالا ... حتى

البرج بالقلعة ثم قرر في وظيفة الزمامية فيروز الساقي ثم توفي جوهر اللالاقي أثناء ذلك من الرجفة ثم عمل الموكب في القصر الكبير وخلع على من يذكر من الامراء وهم المقر السيفي قرقماس الشعباني واستقر به أتابك العساكر بمصر عوضا عن نفسه وقرره في اقطاعه وهو تقدمة المملكة وزاد عليها امرية اربعين بدمشق وخلع على المقر السيفي آقبغا التمرازي واستقر به أمير سلاح عوضا عن قرقماس الشعباني وخلع على المقر السيفي يشبك السودوني واستقر به أمير مجلس عوضا عن أقبغا التمرازي وخلع على المقر السيفي قراقجا الحسني واستقر به أمير اخور كبير عوضا عن الامير جانم الاشرفي وخلع على المقر السيفي تغري بردي البكلمشي به رأس نوبة النوب عوضا عن غرازا القرمشي وخلع على المقر السيفي غرازا القرمشي واستقر الشهير بالمؤذي واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن يشبك السودوني وأقر المقر السيفي اركماس الظاهري دوادارا كبيرا على عادته كما كان في دولة الملك الاشرف برسباي فهذا كان ترتيب الامراء المقدمين أرباب الوظائف في مبتدا دولته ثم انتقلت الوظائف من بعد ذلك الى جماعة من الامراء حسبما يأتي ذكر ذلك في مواضعه عند انتقال الوظائف ثم ان الملك الظاهر أنعم بتقادم ألوف على جماعة من الامراء وأنعم على جماعة بامريات طبلخانات وعلى جماعة بامريات عشرة وأرضى جماعة المؤيدية والناصرية بكل ما يمكن من ذلك ثم انه أنفق على العسكر نفقة السلطنة وفرق الاقطاعات على المماليك السلطانية والمماليك السيفية الذين كانوا سببا لسلطنته فأقام في السلطنة مدة يسيرة والامر ساكن ثم بات الناس وأصبحوا وقد أشيع في ليلة عيد الفطر والناس في اضطراب أن الملك يوسف قد تسحب من القلعة ونزل بعد المغرب في صفة صبي طباخ وعليه ثياب رثة وعلى رأسه دست طعام وقد لوث وجهه بسواد الدست فكان ذلك فالا عليه فلما وصل الى باب القلعة ضربه الطباخ الذي وراءه واستخفه في المشي فلما نزل من القلعة اضطربت الاحوال وكان مماليك أبيه أوقعوه في هذه البلية فلما وقع تخلوا عنه وتبرأ كل أحد منه فكان كما قيل في المعنى

لقاء أكثر من يلقاك أوزار ❊ فلا تبالي أغابوا عنك أو زاروا

أخلاقهم حين تبلوهن أوعار ❊ وفعلهم ما تم للسر أوعار

لهم لديك اذا جاؤك أوطار ❊ اذا قضوها تنحوا عنك أو طاروا

ثم ان الملك العزيز استمر مختفيا نحو شهر والوالي في كل ليلة يكبس البيوت والحارات بسبب الملك العزيز وصار كل من كان له عدو يكذب عليه فيكبسون بيته واستمر الناس في حيرة غير مطاقة الى أن توجه الملك العزيز الى بعض الامراء فنم عليه فلما بلغ يلباي المؤيدي ذلك وكان ساكنا في زقاق حلب جاء ماشيا وقبض على الملك العزيز وتوجه به الى باب السلسلة فأنعم عليه السلطان بخمسمائة دينار وجعله أمير أربعين وقيد العزيز ودقت الكوسات

تحت الليل بسبب ذلك فلما أصبح الصباح ونزلوا بالملك العزيز من القلعة توجهوا به الى البحر ومضى الى الاسكندرية فسجن بها وآخر الطب الكي وكم عجلة أعقبت ندامة وكان قصد الملك الظاهر أن يزوج الملك العزيز ويبقيه ساكنا في القلعة فاستمال من مماليك أبيه وحسنوا له الهروب حتى هرب وقد دخلوا في خطيئته برأيهم المعكوس وفي هذه الواقعة يقول بعض الشعراء من أبيات

ولم يدخلوه السجن الا مخافة ‎* ‏ من العين أن تطرا على ذلك الحسن

وقلت له شاركت في الامر يوسفا ‎* ‏ فشاركه أيضا في الدخول الى السجن

واستمر الملك العزيز في السجن مدة دولة الملك الظاهر جقمق كلها فلما كانت دولة الملك الاشرف اينال رسم للملك العزيز بالافراج وان يسكن في بعض دور الطرم بثغر الاسكندرية وان يركب الى الجامع وقت صلاة الجمعة واستمر على ذلك الى دولة الملك الظاهر خشقدم فتوفى بثغر الاسكندرية كما سيأتى ذكر ذلك في موضعه ومن هنا نرجع الى أخبار دولة الملك الظاهر جقمق فانه لما رجع العسكر الذى كان قد توجه الى البلاد الشامية وحضر صحبة العسكر المقر السيفي قرقماس الشعباني فوجد الملك العزيز قد تسلطن وكان قرقماس في نفسه من السلطنة شئ فلما تسلطن جقمق جعله أميرا كبيرا فاستمر على ذلك أياما ثم لعب الاكرة مع السلطان فقصد الاتابكى قرقماس أن يقبض على السلطان وهو يلعب الاكرة فدنا منه وأراد أن يقبض عليه وهو راكب على الفرس فاجتنب منه السلطان وساق الى الدهيشة فلما انقضت الاكرة ونزل الامراء الى بيوتهم لبس الاتابكى قرقماس آلة الحرب وطلع الى الرميلة فالتفت عليه جماعة من الامراء والمماليك السلطانية ولكن كان أكثر الامراء والعسكر مع الملك الظاهر جقمق فلما ركب قرقماس وطلع الى الرميلة وقف بسوق الخيل فنزل السلطان الى باب السلسلة وجلس في المقعد المطل على الرميلة فلما تسامعت الامراء الذين من عصبة السلطان طلع الى الرميلة تسعة أمراء مقدمون منهم الامير يبغا الطيار والامير تمرباى والامير قراقجا الحسنى والامير يشبك السودونى الامير تمراز القرمشى والامير تغرى بردى المؤذى وغير ذلك من الامراء المقدمين وغيرهم فأوقعوا مع قرقماس واقعة قوية فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد كسر الاتابكى قرقماس وهرب واختفى في غيطه الذى عند الجزيرة الوسطى وسبب ذلك ان مملوكا يسمى بلبان كان في باب السلسلة فخرج على قرقماس وضربه بسهم نشاب فجاء في يده فخرقها من وسط كفه فتألم لذلك قرقماس وهرب من وقته وانكسر فلما بلغ ذلك السلطان أنعم على بلبان المذكور باقطاع ثقيل وجعله خاصكيا ثم ان قرقماس أقام في غيطه ثلاثة أيام وأرسل يطلب من السلطان

الامان فأرسل اليه بعض الامراء فطلع به الى القلعة فقيده السلطان وأرسله الى السجن بثغر الاسكندرية وخمدت الفتنة ولم ينل قرقماس مقصوده فكان كما قيل فى المعنى

ياخاطب الدنيا الى نفسه * تنح عن خطبتها تسلم
ان التى تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

ثم ان السلطان خلع على المقر السيفى أقبغا التمرازى واستقر به أتابك العساكر عوضا عن قرقماس الشعبانى وجعله أيضا نائب السلطنة وصار يحكم بين الناس وعلى بابه رأس نوبة ونقباء وهو آخر من ولى نيابة السلطنة بالديار المصرية وكانت هذه الوظيفة قد بطلت من أيام محمد بن قلاون وكانت أكبر من الاتابكية وتخرج النائب الاقطاعات الخفيفة من غير مشورة السلطان وفيها توفى قاضى القضاة المالكى شمس الدين البساطى وولى القضاء البدر التونسى عوضه ﴿ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة﴾ فيها جاءت الاخبار من البلاد الشامية بان اينال الجكمى نائب الشام قد خرج عن الطاعة وأظهر العصيان وكذلك تغرى برمش نائب حلب فعين السلطان لهم تجريدة ثم خلع على المقر السيفى اقبغا التمرازى واستقر به نائب الشام عوضا عن اينال الجكمى وخلع على المقر السيفى يشبك السودونى واستقر به أتابك العساكر عوضا عن اقبغا التمرازى فلما توجه العسكر الى البلاد الشامية أوقعوا مع النواب فانكسر النواب وأسروهم وقطعوا رؤسهم وأرسلوها الى القاهرة فعلقوها على باب زويلة وقد وقع للملك الظاهر فى أوائل دولته محن عظيمة منها تسحب الملك العزيز من القلعة ومنها وثوب الاتابكى قرقماس عليه ومنها عصيان النواب وحصل له غاية الاضطراب ثم انه أثبت على الاتابكى قرقماس كفرا وحكم به قاضى القضاة المالكى شمس الدين البساطى ومن النوادر ما حكاه بعض المؤرخين ان الاتابكى قرقماس هذا لما أرادوا ضرب عنقه وهو فى السجن أحضروا له المشاعلى فضربه ثلاث ضربات بالسيف فلم يؤثر فيه ذلك ففتشوه فوجدوا فى فمه خاتم فضة وكان قرقماس أصله من مماليك الظاهر برقوق وكان ضرب عنقه وهو بثغر الاسكندرية فى السجن ثم ان الملك الظاهر صفا له الوقت من بعد ذلك وعاش فى أرغد عيش ودام فى السلطنة الى أن مات على فراشه كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه فكان كما قيل فى المعنى

لاتسأل الدهر فى بأساء يكشفها * فلو أردت دوام البؤس لم يدم

﴿ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثمانمائة﴾ فيها خلع السلطان على القاضى جمال الدين بن البارزى واستقر به كاتب السر الشريف بالديار المصرية وكان القاضى جمال الدين بن البارزى صهر الملك الظاهر جقمق زوج أخته فرقى فى تلك الايام الى الغاية وخلع على القاضى جمال الدين يوسف بن كاتب جكم واستقر به ناظر الخواص الشريفة على

عادته ثم قبض على القاضي عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة وصادره واستصفى أمواله فأخذ منه نحو مائتي ألف دينار ثم نفاه الى مكة ثم نقله الى الشام ولما انفصل القاضي عبد الباسط من نظارة الجيش استقر بها القاضي محب الدين بن الاشقر عوضا عن القاضي عبد الباسط وفيها عزل السلطان قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر من القضاء وولى القاضي علم الدين صالح البلقيني فقال القاضي شهاب الدين بن حجر

يا أيها السلطان لا تستمع . في أمر قاضيك كلام الوشاه
والله لم نسمع بان امرأ * أهدى له قط ولا قدر شاه

فأقام القاضي علم الدين البلقيني في قضاء القضاة مدة يسيرة وعزل عنها ثم أعيد ابن حجر الى القضاء ثاني مرة ﴿ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثمانمائة﴾ فيها كانت وفاة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي الفتح داود بن المتوكل وكانت خلافته نحوا من تسعة وعشرين سنة وشهرين وقد بايع في أيامه من السلاطين ستة وهم المظفر أحمد بن المؤيد شيخ والظاهر ططر وابنه والاشرف برسباي وابنه والملك الظاهر جقمق ولما مات الخليفة داود نزل السلطان وصلى عليه وكان كثير البر والصدقات وكانت وفاته في يوم الاحد رابع ربيع الاول من هذه السنة وفي هذه السنة كان وفاء النيل في رابع عشر أبيب وقد وقع مثل ذلك في أيامه مرتين وفيها عزل البدر العيني عن الحسبة وولى الشيخ علي العجمي الخراساني وفيها توفي الشيخ تقي الدين المقريزي المؤرخ والاصح انه توفي سنة ست وأربعين لا في السنة المذكورة ولما مات المعتضد تولى من بعده أخاه سليمان بن المتوكل ولقب بالمستكفي بالله فقال الناس ورث سليمان داود ﴿ثم دخلت سنة ست وأربعين وثمانمائة﴾ فيها من الحوادث ان طائفة من العبيد السود خامروا على اساتذتهم وعدوا بر الجيزة فأقاموا هنالك وأظهروا العصيان وجعلوا لهم سلطانا ووزيرا وأميرا كبيرا ودوادارا وصار سلطانهم يركب وعلى رأسه صنجق أصفر وحوله جماعة من العبيد نحو من خمسمائة عبد فصاروا يفسدون هنالك وينهبون ما غر عليهم من غلال وغير ذلك فحصل للناس منهم غاية الاذى فلما بلغ السلطان ذلك عين لهم بعض الامراء ومعه جماعة من المماليك السلطانية فعدوا اليهم وأوقعوا معهم وقد كسروا العبيد وأسر سلطانهم ومسك منهم جماعة وهرب الباقون ورجعوا الى القاهرة فرسم السلطان ونادى في القاهرة بان كل من كان له عبد كبير فليطلع به الى باب السلسلة ويقبض ثمنه اثني عشر دينارا فامتثل الناس ذلك فاشترى منهم السلطان جماعة وأرسلهم الى بلاد ابن عثمان ورسم ببيعهم هنالك فتوجهوا بهم في مراكب وهم في الخشب وباعوهم هنالك وقطع بادرة العبيد الشياطين من مصر وخمدت تلك الفتنة التي كانت بين العبيد انتهى وفيها كان قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي محتسب

القاهرة فكان يعز الصوفة بذهاب المال فى وجد فى بضاعته غشا يرسلها الى المحبوس فيأكلها المحبوسون فكان يعز بذلك ﴿ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثمانمائة﴾ فيها تزايدت عظمة القاضى زين الدين أبى الخير بن النحاس حتى صار وكيل بيت المال وناظر الكسوة وناظر الجوالى فانفرد بالسلطان حتى قيل كان السلطان قصدان يزوجه باحدى بناته وقد صار عزيز مصر فى أيامه وأبطل كلمة جميع المباشرين واجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل والعقد بمصر كما قيل فى المعنى

يقول بيت المال لما رأى * تدبيره ذاك الجلى الجليل
الله أعطانى وكيلا رضا * حسبى الله ونعم الوكيل

﴿ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثمانمائة﴾ فيها أرسل السلطان خلف القاضى عبد الباسط وكان منفيا بمكة فلما حضر أكرمه السلطان وأقام فى بيته بطالا وهو فى غاية العز والعظمة وكان يطلع الى السلطان فى رأس كل شهر ويهنى به فيكرمه السلطان ويعظمه واستمر على ذلك حتى مات وفيها وثب مماليك الامير تغرى بردى المؤذى عليه وهو فى بيته فرموا عليه بالنشاب وهو جالس فى المقعد فهرب ودخل الى البيت وأغلق عليه الباب فاستمروا يحاصرونه من أول النهار الى العصر واستمر من الضربة مريضا الى ان مات فلما مات خلع السلطان على الامير اينال العلائى واستقر به دوادارا كبيرا عوضا عنه ﴿ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثمانمائة﴾ فيها وقع الطاعون بالديار المصرية ومات فيه من الناس ما لا يحصى عددهم لكنه كان خفيفا بالنسبة الى الطاعون الذى جاء فى أيام الاشرف برسباى وفيه يقول الشيخ شمس الدين النواجى

يا الها أهدى الى الخلق رحمى * بو باحم الثواب العظيم
قد شربت النفوس منا نفذها * بالرضا فى قضاك والتسليم

وفيها كان مولد الشيخ جلال الدين بن الشيخ كمال الدين الاسيوطى وذلك فى جمادى الآخرة من تلك السنة وفيها توفى الاتابكى يشبك السودونى واستقر فى الاتابكية اينال العلائى الاجرود وكان دوادارا كبيرا واستقر بالامير قانباى الجركسى دوادارا كبيرا عوضا عن الامير اينال العلائى وفيها ولى الشيخ شمس الدين محمد القاياتى قاضى القضاة الشافعية عوضا عن ابن حجر فقال الشهاب المنصورى فى القاياتى تعصبا لابن حجر

ان كان شمس الدين قاياتيكم * مستثقل الحركات والسكنات
لا عرو أن أضحى جبانا فى الورى * فالجبن منسوب الى القايات

وفيها تزايدت عظمة الامير زين الدين الحلبى استادار العالية ورقى فى أيام الملك الظاهر هذا الى الغاية وهو صاحب الجامع الذى بالحبانية والجامع الذى فى بولاق والجامع الذى

بين السودين وله عدة جوامع بمصر وغيرها وكان له حرمة وافرة وكلمة نافذة وكان الملك الظاهر منقادا له لا يسمع فيه مرافعة ولم يجئ بعده من يناطيه فى الاستدارية بل كان آخرهم ﴿ثم دخلت سنة خمسين وثمانمائة﴾ فيها تغير خاطر السلطان على الامير جانى بك الظاهرى حاجب الحجاب بسبب عبد القادر الكاشف الذى كان قد اشتهر بالصلاح فنفى الامير جانى بك الى ثغر دمياط لامر أوجب ذلك وفيها رسم السلطان باعادة مولد سيدى أحمد البدوى بعد ما كان بطل وفيها هجم الفيل الكبير على سايسه وقتله فلما بلغ السلطان رسم بقتل الفيل وفيها أحضر السلطان الامير خشقدم الناصرى من الشام فلما حضر أنعم عليه بتقدمة ألف ﴿ثم دخلت سنة احدى وخمسين وثمانمائة﴾ فيها تغير خاطر السلطان على الشيخ برهان الدين البقاعى وقد وقف شخص وشكاه للسلطان فأمر بسجنه بالمقشرة وأخرج عنه وظيفته فى قراءة الحديث ثم نفاه الى الهند حتى شفع فيه بعض الامراء ﴿ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة﴾ فيها كانت وفاة الشيخ الصالح السيد الشريف الحسيب النسيب شمس الدين محمد الطباطبى أعاد الله علينا من بركاته ودفن بالقرافة الكبرى عند الشيخ فضل الله بن فضالة وفى هذه السنة كان مولدى وذلك فى يوم السبت سادس ربيع الآخر من السنة المذكورة هكذا نقلته من خط والدى رحمة الله عليه وفيها من الحوادث ان السلطان رسم بسد خوخة ابن سراق ببركة الرطلى لامر أوجب ذلك فحصل عند الناس اضطراب زائد بسبب ذلك ثم تكلم فى ذلك الجمالى يوسف ناظر الخاص فرسم باعادة كل شئ على حاله وفيها ولى قاضى القضاة الشافعية الشيخ شرف الدين يحيى المناوى وكان قاضيا على القدر دينا خيرا من أهل العلم والصلاح وفيها من الحوادث ان شخصا أعجميا يسمى الشيخ أسد الدين كان يدعى انه شريف فجاء الى الشيخ على المحتسب وقال له أجمعنى على السلطان فانى أعرف صنعة الكيمياء فجمعه عليه فأوحى اليه انه يطبخ له كيمياء وان هذا وجه حل فانطاع السلطان الى كلامه وأجرى عليه ما يحتاج اليه من أسباب ذلك وصرف عليه جملة مال نحو من عشرة آلاف دينار ولم تصح معه الكيمياء فكان يأخذ القناطير الاحمر بالارطال ويوقده فى النار ولا يأتى بشئ أقيمه روح فانلف على الملك الظاهر جملة مال ولم يفد ذلك شيأ فكان كما قيل فى المعنى

كاف الكنوز وكاف الكيمياء معا * لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا

وقد تصدت قوم باجتماعهما * وما أظنهما كانا ولا اجتمعا

فأوحوا الى السلطان ان هذا يعبد النار وتحدثوا فى حقه بكلمات كثيرة فأرسله السلطان الى المدرسة الصالحية فحكم فيه بعض نواب القاضى المالكى بدر الدين التونسى بانه كفر فضربوا عنقه تحت شباك الصالحية وكان له يوم مشهود ﴿ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

وثمانمائة ❁ فيها توقف النيل عن الوفاء ثلاثة أصابع وقيل أربعة وأقام على ذلك أياما لم يزد شيأ فرسم السلطان بأن يخرج الناس للاستسقاء فخرج القضاة الاربعة وأمير المؤمنين المستكفي بالله سليمان ومشايخ العلم والصلحاء وأعيان الناس ولم ينزل السلطان فعز ذلك على الناس وقد تقدم أن الملك المؤيد شيخ نزل بنفسه واستسقى مع الناس وكان عليه جبة صوف أبيض فلم يوافق الملك الظاهر على ذلك ثم خرج أطفال المكاتب وعلى رؤسهم المصاحف وخرج طائفة اليهود وعلى رؤسهم التوراة وخرج طائفة النصارى وعلى رؤسهم الانجيل وأخرجوا معهم بعض أبقار وأغنام وخرج معهم السواد الاعظم من رجال ونساء وأطفال رضع والخلق يستغيثون يا ألله ارحمنا وكان يوما تسكب فيه العبرات فتوجهوا نحو الصحراء عند الجبل الاحمر وأحضروا هناك منبرا وكان قاضي القضاة الشافعية يومئذ القاضي شرف الدين يحيي المناوي فصعد المنبر وخطب خطبة الاستسقاء على جاري العادة فلما أراد ان يحول رداءه كما جرت به العادة في خطبة الاستسقاء سقط الرداء الى الارض فتطير الناس من ذلك فلما رجعوا من الاستسقاء طلع ابن أبي الرداد ومعه رايات زعفران ونادى بزيادة أصبع ففرح الناس بذلك وأنعم السلطان على ابن أبي الرداد بمائة دينار بسبب هذه الزيادة ثم ان البحر نقص في تلك الليلة اصبعين ومن النكت اللطيفة ان بعض العلماء خرج في بغداد ليستسقي بالناس وكان في السماء بعض سحاب وقت خروجه فلما خرج ودعا الناس ورفع يديه بالدعاء تقطع السحاب وصحت السماء من الغيم فخجل ذلك العالم ودفع الى منزله وفي ذلك يقول بعض الشعراء

خرجنا لنستسقي بفضل دعائه ❁ وقد كاد هدب الغيم أن يلحق الارضا

فلما ابتدا يدعو تكشفت السما ❁ فما تم الا والسحاب قد انفضا

فلما نزل البحر وقد بقي على الوفاء ثمانية أصابع رسم السلطان بأن يكسروا السد ان زاد البحر أو لم يزد فكسروا السد فلم يجر الماء الا قليلا فلم يدخل غالب الماء الى بركة الفيل من الجمون ثم نزل البحر من بعد ذلك ولم يزد شيأ فاضطربت أحوال الديار المصرية وماجت الناس على بعضها وحصل الضرر الشامل وشرقت البلاد وعزت الاقوات وشحط السعر في القمح والشعير والفول وسائر الحبوب وتزايد سعر كل شيء وتناهى سعر القمح الى خمسة أشرفية كل اردب ثم تناهى الى سبعة أشرفية كل اردب وغلا سعر كل شيء من البضائع حتى روايا الماء وعم الغلاء سائر البلاد وشرقت غالب البساتين وماتت الاشجار وماتت البهائم فلما جرى ذلك حول الامراء شونهم الى بيوتهم ومعهم مماليكهم ملبسة خوفا من العوام أن ينهبوا القمح ثم ان العوام رجموا القاضي أبا الخير بن النحاس وكيل بيت المال وقد بلغهم عنه انه قال للسلطان ان العوام يأكلون بذهبهم حشيشا ويأكلون

فوقه باربعة أنصاف حلوى فالذى يأكلون به حلوى يأكلون به خبزا فرجوه وهو نازل من القلعة وخلطوا عمامته من على رأسه وأخذوا خواتمه من أصابعه ثم رجموا العلائى على بن القيسى محتسب القاهرة بسبب الخبز فانه وصل سعر كل رطل خبز تصنيق فضة وقاضى الصاحب أمين الدين بن الهيصم والامير زين الدين الاستادار فى هذه الغلوة من المماليك ما لا خير فيه وصاروا يضربونهم ويرجمونهم وتشحط اللحم والجبن وسائر البضائع حتى الروايا الماء واستمرت هذه الغلوة نحو سنتين وقد رثى بعض الشعراء الخبز لما عز وتشحط بقوله

قسما بلوح الخبز عند نزوجه ❊ من فرنه وله الغداة فوار
ورغائف منه تروقك وهى فى ❊ حسب الثقال كأنها أقمار
من كل مصقول السوالف أحمر الـ ❊ خدين للشونيز فيه عذار
كالفضة البيضاء لكن يغتدى ❊ ذهبا اذا قويت عليه النار
تلقى عليه فى الوان جلالة ❊ لا تستطيع تحدقه الابصار
فكأن باطنه بكفك درهم ❊ وكأن ظاهر لونه دينار
ما كان أجهلنا بواجب حقه ❊ لولم تبينه لنا الاسعار
ان دام هذا السعر فاعلم انه ❊ لا حبة تبقى ولا معيار

ثم وقع الطاعون فى هذه السنة أيضا بالديار المصرية ومات فيه ما لا يحصى عددهم من مماليك وأطفال وجوارى وعبيد وغرباء حتى قيل كان يموت فى كل يوم نحو عشرة آلاف انسان وفى ذلك يقول شمس الدين النواجى

رب بج الانام من هول طعن ❊ قد قضى غالب الورى نحبه
رخصت قيمة النفوس فاضحت ❊ كل روح تباع فيه بحبه

وفى أواخر هذه السنة كانت وفاة القاضى عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة كان فكانت وفاته فى سادس شوال من السنة المذكورة وكان له بر ومعروف وفعل خير وأنشأ عدة مدارس بمصر ومكة والمدينة وبيت المقدس وكان له صحابه تطلع فى كل سنة برسم الحجاج المنقطعين وقطع من طريق العقبة وأرسل تجاريد قطعوا منها ما كان يشوش على الحجاج وكان القاضى عبد الباسط عزيز مصر فى أيامه وله مامات تزوج الملك الظاهر بنته والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثمانمائة﴾ (١) فيها كانت وفاة شيخ الاسلام قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى الكنانى الشافعى رحمة الله تعالى عليه وكانت جنازته مشهودة وله مامات لم يخلفه أحد من العلماء من بعده وقد رثاه الشيخ شهاب الدين المنصورى بقصيدة منها

بكاك العلم حتى الصواضى ❊ مع التصريف بعدك فى جدال

---

(١) فى الشذرات وغيرها ان وفاة ابن حجر كانت سنة ٨٥٢

وقد أضحى البديع بلا بيان * وقد سلفت معانيه الغوالى
وقد درست دروس العلم حزنا * وقد ضل الجواب عن السؤال
تنكرت المعارف فى عيانى * وتمييزى غدا فى سوء حال
وما عوضت من بذل وعطف * سوى توكيد سقمى واعتلالى
وكم جنت المنون على كرام * وجندلت الكمى بلا قتال
فيا قبرا ثوى فيه تهنى * فقد حوت الجميل مع الجمال
سقاك الله عينا سلسبيلا * وأسبغ ما عليك من الظلال

﴿ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثمانمائة﴾ فيها وفاة أمير المؤمنين المستكفى بالله سليمان ابن المتوكل على الله محمد وكانت وفاته فى يوم الجمعة ثانى المحرم من السنة المذكورة فكانت مدة خلافته نحو عشر سنين ولما مات نزل السلطان وصلى عليه ومشى فى جنازته حتى دفن عند أقاربه بالمشهد النفيسى ومات ولم يعهد لأحد من اخوته فلما كان يوم الاثنين خامس المحرم عقد السلطان مجلسا بالقصر الكبير وجمع فيه القضاة الاربعة وهم قاضى القضاة الشافعية شرف الدين يحيى المناوى وقاضى قضاة الحنفية سعد الدين الديرى وقاضى القضاة الحنابلة عز الدين الحنبلى وقاضى القضاة المالكية شمس الدين البساطى وكان المتكلم فى ذلك المجلس القاضى كمال الدين محمد بن البارزى كاتب السر الشريف فلما تكامل المجلس وقع الاختيار على تولية حمزة بن المتوكل وكان أسن اخوته فولاه السلطان ثم ان القاضى كمال الدين بن البارزى البارزى استدعى السلطان مبايعة الخليفة حمزة ولقبوه بالقائم بأمر الله ثم أحضروا له التشريف فالبسوه له ونزل من القلعة فى موكب عظيم وقدامه القضاة الاربعة وأعيان الناس حتى وصل الى بيته وهو فى غاية العظمة فكان أحق بقول القائل

كل يهنيك بالتشريف محتفلا * يا من بأيامه المعروف معروف
لكننى بك أختار الهناء له * فان قدرك للتشريف تشريف

ومن الحوادث ان السلطان رسم بحرق شخوص خيال الظل جميعها وأبطلها ورسم بابطال نوبة خاتون التى كانت تعرف بالقلعة بعد العشاء وفيها توفى العلامة قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى صاحب التاريخ البدرى ﴿ثم دخلت سنة ست وخمسين وثمانمائة﴾ فيها توفى القاضى كمال الدين ابن القاضى ناصر الدين البارزى كاتب السر الشريف بالديار المصرية فلما أن توفى القاضى كمال الدين بن البارزى خلع الملك الظاهر على القاضى محب الدين بن الاشقر واستقر به كاتب السر الشريف بالديار المصرية عوضا عن القاضى كمال الدين بن البارزى وخلع على القاضى جمال الدين يوسف واستقر به ناظر الجيوش المنصورة مع ما بيده من نظارة الخاص (أقول) كان القاضى كمال الدين بن البارزى

من أهل الفضل والعلم وله خط جيد وعبارة حسنة وكان له نظم رقيق وقد فاق والده القاضي ناصر الدين البارزي ۞ ومن النكت اللطيفة قيل كتب القاضي ناصر الدين البارزي تقريظا وقد استوفى الى آخر الورقة فلما فرغ قالوا له لابد من كتابة ولدك القاضي كمال الدين على هذا التقريظ فأمره بأن يكتب تحت خطه ولم يبق من الورقة الا قدر أصبعين فكتب القاضي كمال الدين تحت خط والده

مرت على فهمي وحلو لفظها * مكرر فما عسى أن أصنعا
ووالدي دام بقاء سودده * لم يبق فيها للكمال موضعا

فانظر الى حسن أدبه مع بلوغ القصد وحسن ما وقع له بالتورية مع تضمين اسمه وعدم الحشو وحسن المقابلة بين الحلو والمر وهذا في غاية الرقة انتهى ذلك ۞ ومن الحوادث في أيام الملك الظاهر جقمق أن البلاد لما شرقت رسم للقطعين بأن البلاد التي رويت من ماء النيل في تلك السنة يأخذون منها من الفلاحين القطيعة قطيعتين ففعلوا ذلك ومشى هذا الامر ۞ ومن الحوادث في أيامه أن بركات أمير مكة كان قد أظهر العصيان فتوجه اليه القاضي شرف الدين الانصاري فحضر صحبته فلما وصل نزل اليه السلطان ولاقاه من المطعم فدخل صحبته وطلع الى القلعة فخلع عليه وأكرمه وزالت تلك الوحشة التي كانت بينهما ۞ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثمانمائة فيها توعك جسد السلطان ولزم الفراش وسلسل في المرض فلما ثقل عليه الضعف أرسل خلف أمير المؤمنين القائم بالله حمزة والقضاة الاربعة فلما حضروا عهد بالملك الى ولده المقر الفخري عثمان وخلع نفسه من السلطنة واستمر عليلا ملازم الفراش الى أن توفي في ليلة الثلاثاء رابع شهر صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة فغسلوه وكفنوه وصلى عليه الخليفة حمزة بالقلعة ونزلوا به من باب المدرج وتوجهوا به الى تربة قانباي الجركسي التي عند دار الضيافة فدفن هناك وكثر عليه الحزن والاسف من الناس وقيل مات وله من العمر نحو احدى وثمانين سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية وما مع ذلك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ويوما وقيل يومين وكان ملكا عظيما جليلا دينا خيرا متواضعا كريما يحب فعل الخير وكان عنده لين جانب يحب العلماء وينقاد الى الشريعة ويقوم الى العلماء اذا دخلوا عليه وكان يحب الايتام ويكتب لهم الجوامك ولا يخرج اقطاع من له ولد الا الى ولده وكانت الدنيا في أيامه هادئة من الفتن والتجاريد وكان يحسن للامراء التراكمة ويعطيهم العطايا الجزيلة فكانوا تحت طاعته في مدة ولايته وكان الملك الظاهر طاهر الذيل عفيفا عن الزنا واللواط وكانت صفته معتدل القامة غليظ الجسد دري اللون مستدير الوجه مستدير اللحية حسن الشكل عليه وقار وسكينة مهيبا في العيون وكان فصيح اللسان بالعربية متفقها وله مسائل في الفقه وريضة

ترجع فيها العلماء لكنه كان صاحب ودينة ماشيا على قاعدة الاتراك عنده الهوى لمن سبق وكان عنده حدة زائدة وبادرة فى الامر ومن مساويه أنه كان عنده خرق فى حق العلماء منها أنه حبس قاضى القضاة ولى الدين السفطى فى المقشرة ومنها أنه عزر الشيخ شمس الدين الكاتب فى وسط الصالحية وكان يكره جماعة الاشرف برسباى ونفى منهم جماعة ونفى أبا الخير بن النحاس الذى ما كان عنده أعظم منه وحبسه بالديلم أياما وحبس جماعة كثيرة من العلماء بالمقشرة وصادر القاضى عبد الباسط وأخذ أمواله وأثبت على الاتابكى قرقماس الشعبانى كفرا وأرسل بضرب عنقه بثغر الاسكندرية وأثبت على الامير تغرى برمش (?) كفرا وضرب عنقه وكان اذا سمع بأن أحدا يسكر ينفيه ويقطع جامكيته ويخرج اقطاعه وغضب فى وقت على النصارى فهدم جانبا من كنائسهم وحجر على بيع النبيذ وكتب على اليهود والنصارى قسائم أن لا يعصروا الخمر ثم كبس البيوت والحارات بسبب ذلك وأراق من الخمور أشياء كثيرة ثم أمر بسد خوخة باب الجسر التى عند بركة الرطلى فأقام مسدودا أياما ثم رسم بفتحه وكان له أشياء كثيرة من هذا النمط بحسب الوسائط السوء وبالجملة كانت محاسنه أكثر من مساويه وكان خيار ملوك الترك من الجراكسة بالنسبة الى غيره من الملوك كما قيل فى المعنى

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء فضلا أن تعد معايبه

ولما مات الملك الظاهر خلف من الاولاد ثلاثة صبيان وبنتين وهم الملك المنصور عثمان الذى تسلطن بعده وأما البنتان فاحداهما من خوند التى هى بنت البارزى تزوجت بالاتابكى أزبك والاخرى تزوجت بالامير جانبك الظريف أولا ثم تزوجت بالاتابكى أزبك بعد موت أختها وأما نساؤه فخوند بنت البارزى أولا وخوند بنت الامير جرباش الكريمى قاشق أمير سلاح وخوند بنت ابن عثمان وخوند الجركسية وتزوج ببنت عبد الباسط ناظر الجيش وكانت دولته ثابتة القواعد وأما أمراؤه الاتابكية فالامير قرقماس الشعبانى أولا ثم الامير اقبغا التمرازى ثم الامير يشبك السودونى ثم الامير اينال العلائى وأما دوادارياته فالامير اركماس الظاهرى أولا ثم الامير تغرى بردى المؤذى ثم الامير اينال العلائى ثم قانباى الجركسى ثم الامير دولات باى المؤيدى وأما قضاته الشافعية فالقاضى شهاب الدين بن حجر أولا ثم القاضى علم الدين صالح البلقينى والقاضى شمس الدين القاياتى والقاضى ولى الدين السفطى والقاضى شرف الدين يحيى المناوى وأما قضاته الحنفية فالقاضى سعد الدين بن الديرى وأما قضاته المالكية فالقاضى شمس الدين محمد البساطى أولا ثم القاضى بدر الدين بن التونسى ثم القاضى ولى الدين الاموى وأما قضاته الحنابلة فالقاضى محب الدين العسقلانى أولا ثم القاضى بدر الدين البغدادى والقاضى عز الدين الحنبلى وأما كتاب سره فالقاضى

بدر الدين بن مزهر أولا والقاضي كمال الدين بن البارزي والقاضي محب الدين بن الاشقر من بعده وأما نظار جيوشه فالقاضي عبد الباسط أولا ثم القاضي محب الدين بن الاشقر والقاضي جمال الدين يوسف بن كاتب جكم وأما نظار الخواص الشريفة فالقاضي جمال الدين يوسف بن كاتب جكم المذكور وأما وزراؤه فالصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخات والصاحب أمين الدين بن الهيصم وأما استدارياته فالامير عبد الرحمن بن الكويز والامير زين الدين يحيى وتولى غير هؤلاء جماعة لم تطل مدتهم بها فلم نذكرهم ههنا وأما من تولى الحسبة في أيامه فالقاضي محمود العيني والشيخ علي العجمي والعلاق علي بن القيسي وعبد العزيز بن محمد الصغير أيضا وأما ولاة القاهرة في أيامه فمنصور بن الطبلاوي وجانبك وقراجا وعلي بن القيسي وغير ذلك من الاتراك وغيرهم وأما من توفي في أيامه من الاعيان فهم الخليفة داود والخليفة سليمان وقاضي القضاة شمس الدين البساطي المالكي وقاضي القضاة ولي الدين السفطي الشافعي وقاضي القضاة محب الدين العسقلاني الحنبلي وقاضي القضاة بدر الدين البغدادي الحنبلي وقاضي القضاة بدر الدين التونسي المالكي وقاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي وهو صاحب التاريخ الب[illegible]ري وكان العيني من أهل الفضل وله عدة مصنفات في علوم جليلة وكان له شعر جيد وفيه يقول بعض المواله هذه الابيات المواليا وقد جمع فيها الفنون السبعة وهو قوله

قوم الدوبيت قاضي قد زجل شيني * بكان وكان امتدح بين الورى زيني
وانقل موشح مواليا بلا ميني * فابحر الشعر مجراها من العيني

وتوفي في أيام الملك الظاهر ولده المقر الناصري محمد وتوفي القاضي الوفائي وابن الجزري شيخ القراآت وتوفي الحافظ عبد الرحيم الحموي المحدث وتوفي شيخ الزهاد محمد بن سلطان والشيخ كمال الدين المجذوب والشيخ عبادة المالكي والشيخ شمس الدين الحنفي والشيخ أبو الفتح بن أبي الوفاء والامير جوهر اللالا الزمام القنقباي الخازندار وتوفي في أيامه جماعة كثيرة من الامراء المقدمين وأعيان الناس من الاكابر وتوفي في أيامه من الشعراء الشيخ تقي الدين بن حجة صاحب شرح البديعية توفي بحماه وتوفي الشيخ شهاب الدين بن مبارك شاه وكان من أعيان الشعراء وتوفي الشيخ شمس الدين بن كميل وكان له شعر جيد وتوفي البدر البشتكي من أعيان الشعراء وتوفي الشيخ شمس الدين النواجي صاحب حلبة الكميت وكان من أعيان الشعراء وقد رثاه الشهاب المنصوري حيث قال

رحم الله النواجي فقد * [illegible]
وانطوى في شقة البين فيا * حسرة العشاق من بعد الس[illegible]

انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك الظاهر جقمق العلائي الظاهري [illegible] ذلك على سبيل الاختصار والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر سلطنة الملك المنصور أبي السعادات فخر الدين عثمان ابن الملك الظاهر جقمق العلائي

وهو الخامس والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الحادي عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم في العدد بويع بالسلطنة بعد خلع أبيه من السلطنة في يوم الخميس حادي عشرى المحرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة تسلطن وله من العمر نحو تسع عشرة سنة وكانت أمه أم ولد رومية الجنس فلبس خلعة السلطنة من الدهيشة وركب وتوجه الى القصر الكبير والاتابكي اينال العلائي حامل القبة والطير على رأسه فلما جلس على سرير الملك باس له الامراء الارض ودقت له البشائر ونودى باسمه في القاهرة وضج له الناس بالدعاء هذا كله ووالده الظاهر في قيد الحياة فأقام اثنى عشر يوما حتى توفي والده فلما تم أمره في السلطنة خلع على الامير تمربغا واستقر به دوادارا كبيرا عوضا عن الامير دولات باي المؤيدي ثم انه قبض على الامير زين الدين استادار وكان بينه وبينه حظ نفسي من أيام والده فلما قبض عليه لم يرث له وسلمه الى الامير فيروز الزمام ثم خلع على الامير جاني بك نائب جدة واستقر به استادارا عوضا عن زين الدين ثم نقل زين الدين من عند فيروز الزمام وسلمه الى الامير جاني بك نائب جدة فعاقبه وأحضر اليه المعاصير وعصره في أركابه حتى كسرها واستخرج منه نحو أربعين ألف دينار واستمر في العقوبة اياما وفيه يقول بعض الشعراء

أخبار زين الدين قد شاعت بها ❊ أعداؤه بين الورى تتعهد

لاغرو ان هم بالغوا في عصره ❊ فالكرم يعصر والجواد يقيد

ثم ان الملك المنصور أخذ في أسباب نفقته على العسكر ولم يكن في الخزائن شيء من المال قيل خلف الملك الظاهر جقمق في الخزائن من المال ثلاثين ألف دينار لا غير فشكا ذلك الى القاضي جمال الدين يوسف ناظر الخاص فقال على ذلك ثم ضرب دنانير ذهب ينقص كل دينار عن الاشرفي قيراطين وسماها المناصرة فضرب منها جملة كثيرة وأراد أن ينفق ذلك على العسكر ولما كان يوم الاثنين مستهل ربيع الاول من سنة سبع وخمسين وثمانمائة وثب المماليك الاشرفية والمؤيدية والتف عليهم جماعة من المماليك السيفية فماوشوا وتوجهوا الى بيت الاتابكي اينال العلائي فاركبوه غصبا وأتوا به الى البيت الكبير الذي عند حدرة البقر الذي استقر به أرسل خلف أمير المؤمنين حمزة فلما حضر أخذ في أسباب خلع الملك المنصور عثمان فكتبوا محضرا وشهد فيه جماعة

الناصرية بما أوجب خلعه فخلع من السلطنة وبويع الاتابكى اينال بالسلطنة واستمر
الحرب ثائرا بين الفريقين من يوم الاثنين الى يوم الاحد سابع ربيع الاول فانكسر الملك
المنصور عثمان فى ذلك اليوم وكان الملك المنصور أرسل يحضر عربانا من الشرقية وعربانا
من البحيرة فمنعهم من ذلك الامير قانباى الجركسى وما مكنهم من ذلك وقال تطمع العرب فى
الترك ولا زال اينال يحاصر الملك المنصور وهو بالقلعة وقطع عنه الماء ومنع عنه الاكل
حتى ضجروا وانكسر ففتح اينال باب القلعة وولوا الظاهرية منهزمين كأنهم لم يكونوا فلما
تسلطن اينال قبض على الملك المنصور وقيده وسجنه بالبحرة وهو مقيد فأقام بها الى يوم
الاحد ثامن عشرى ربيع الاول فانزلوه من القلعة من باب القرافة وهو مقيد الى أن وصلوا
به البحر فانزلوه فى الحراقة وتوجهوا به الى السجن بثغر الاسكندرية وكان المتسفر عليه
الامير خيربك الاشقر امير اخور ثانى فلما وصل الى الاسكندرية سجن بها ورجع الامير
خيربك فكانت مدة سلطنة الملك المنصور عثمان ثلاثة وأربعين يوما وكانت كسنة من
النوم أو يوم أو بعض يوم كما قيل فى المعنى

فلم يقم الا بمقدار ما ان • قلت له أهلا أخى مرحبا

واستمر الملك المنصور بثغر الاسكندرية الى دولة الملك الظاهر خشقدم فرسم له بالاطلاق
وأن يسكن فى بعض دور الاسكندرية وأن يركب الى صلاة الجمعة واستمر على ذلك الى دولة
الاشرف قايتباى فنقله الى ثغر دمياط وكان يركب ويتصيد ثم طلب من السلطان اذنا بان
يحج فانعم له بذلك فحضر الى القاهرة وطلع الى القلعة فاكرمه السلطان وخلع عليه ثم أقام
له بركا وسنيحا وتوجه الى الحجاز فحج وعاد الى القاهرة وأقام بها نحوا من شهرين ففى هذه المدة
كان يطلع القلعة ويضرب الاكرة مع السلطان ورسم له السلطان بان يتوشح ببند أصفر
حين يلعب الاكرة فكان فى غاية العز والعظمة وكان الملك الاشرف قايتباى مملوك أبيه
الظاهر جقمق والاتابكى مملوك أبيه وصهره زوج أخته وسائر الامراء الظاهرية مماليك
أبيه وكان الاتابكى تمراز الشمسى متزوجا بابنة الملك المنصور فساعدته الاقدار
من كل جانب ثم رسم له السلطان بالعود الى ثغر دمياط واقام فيها حتى توفى بها اثناء
دولة الملك الاشرف قايتباى ونقل بعد موته من دمياط ودفن فى تربة أبيه الملك الظاهر
ومات الملك المنصور وله من العمر أربع وخمسون سنة وكان كريما دينا لين الجانب
انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق العلائى وذلك على سبيل
الاختصار

ذكر

ذكر سلطنة الملك الاشرف ابي النصر سيف الدين اينال العلائي الظاهري

وهو السادس والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثاني عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بويع بالسلطنة بعد خلع الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق وذلك في يوم الاثنين ثامن ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وتلقب بالملك الاشرف وقد تقدم أن جماعة من الاشرفية والمؤيدية والمماليك السيفية لما وثبوا على الملك المنصور توجهوا الى بيت الاتابكي اينال وأركبوه غصبا وأتوا به الى حدرة البقر في بيت قوصون فجلس به وأرسل خلف أمير المؤمنين حمزة فلما حضر قام في سلطنة الاتابكي اينال غاية القيام وخلع الملك المنصور من السلطنة قبل أن ينكسر وبايع الاتابكي اينال ونودي باسمه في القاهرة واستمر الحرب ثائرا بينهم سبعة أيام وقتل في هذه المدة من الناس مالا يحصى وآخر الامر انكسر الملك المنصور وملك اينال باب السلسلة فلما استقر بباب السلسلة بعث جماعة من الاشرفية قبضوا على الملك المنصور وقيدوه وأدخلوه البحرة وقبضوا على جماعة من الظاهرية فبات ليلة الاثنين في باب السلسلة فلما كان يوم الاثنين أحضر اليه شعار الملك وأفيض عليه وقدمت له فرس النوبة فركب من سلم الحراقة وحملت القبة والطير على رأسه وولده الشهابي أحمد ومشت قدامه الامراء حتى طلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباس له الامراء الارض ودقت له البشائر بالقلعة ونودي باسمه في القاهرة وارتفعت الاصوات بالدعاء له من الخاص والعام (أقول) وكان أصل الملك الاشرف اينال جركسي الجنس جلبه الخواجا علاء الدين على فاشتراه منه الملك الظاهر برقوق وصار من جملة مماليكه فلما توفي الملك الظاهر برقوق وتولى بعده ابنه الناصر فرج أعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وبقي جنداريا ثم بقي أمير عشرة في دولة الملك المظفر أحمد ابن المؤيد شيخ ثم بقي أمير طبلخاناه رأس نوبة ثاني في دولة الملك الاشرف برسباي ثم بقي نائب غزة مع الاشرف برسباي ولما توجه الى آمد جعله نائب الرها وذلك في سنة ست وثلاثين وثمانمائة ثم أحضره الاشرف برسباي الى القاهرة وأنعم عليه بتقدمة ألف واستمرت نيابة الرها بيده زيادة عن التقدمة ثم نقله الاشرف الى نيابة صفد وخرج اليها في سنة أربعين وثمانمائة واستمر بصفد الى دولة الظاهر جقمق فبعث خلفه فلما أحضره قرره في تقدمة تغري بردي المؤذي فلما توفي الاتابكي يشبك السودوني قرر في الاتابكية عوضا عن يشبك السودوني وذلك في سنة تسع وأربعين وثمانمائة واستقر على

ذلك حتى توفى الظاهر جقمق وتولى ابنه الملك المنصور عثمان فوثب عليه العسكر
وتوجهوا الى بيت الاتابكي اينال فاركبوه غصبا وأقاموا الحرب ثائرا بينهم سبعة أيام فلما
انكسر المنصور وقع الاتفاق على سلطنته فسلطنوه وتلقب بالملك الاشرف فلما تم أمره
في السلطنة وجلس على سرير الملك أخذ في تدبير أمره واصلاح شأنه ثم انه عين الاتابكية
لولده المقر الشهابي أحمد فعز ذلك على الامراء فقرروا فيها تاني بك البردبكي وخلع عليه وأقره
في الاتابكية عوضا عن والده وأنعم على ولده الشهابي أحمد بتقدمة ألف ثم عمل الموكب وخلع
على الامير خشقدم وقرره أمير سلاح عوضا عن تنم بن عبد الرزاق وخلع على طوخ
بوتي بازق وقرره أمير مجلس وخلع على قرقماس الجلب وقرره رأس نوبة النوب عوضا
عن اسنبغا الطيار وخلع على يرباش كرت وقرره أميراخور كبير عوضا عن قاني باى
الجركسي وخلع على يونس الاقباى المؤيدي وقرره في الدوادارية الكبرى عوضا عن
تمربغا الظاهري وخلع على جان بك القرماني وقرره حاجب الحجاب عوضا عن خشقدم
الناصري وخلع على تمراز الاينالي الاشرفي وقرره في الدوادارية الثانية عوضا عن اسنباي
وخلع على جاني بك القيمماسي الاشرفي وقرره في شادية الشراب خاناه عوضا عن لاجين
الظاهري وخلع على خير بك الاشقر وقرره أميراخور ثاني وخلع على جانبك نائب جدة
واستمر متحدثا في الاستادارية وخلع على قاني باى الاعمش وقرره في نيابة القلعة وخلع على
يونس العلائي وقرره في نيابة الاسكندرية وخلع على يشبك الناصري وقرره رأس نوبة ثاني
وأنعم على جماعة من الامراء بتقادم ألوف منهم ازبغا اليونسي وبرسباي البجاسي وغير ذلك
من الامراء ثم أنعم بامرية طبلخانات وعشراوات على جماعة كثيرة من الامراء منهم جانبك
الظريف وقرره في الخازندارية الكبرى عوضا عن ازبك بن ططخ وأنعم على برد بك زوج
ابنته بامرية عشرة وقرر يشبك الاشقر في استادارية الصحبة عوضا عن سنقر أحد الامراء
الظاهرية ثم انه شرع في ارسال الملك المنصور الى ثغر الاسكندرية فنزل به من باب الدرفيل
وهو مقيد فتوجهوا به الى الاسكندرية فسجن بها بعد ان أنزلوه الى البحر في الحراقة وتوجهوا
به وكان المتسفر عليه خير بك الاشقر أميراخور ثاني فسجنه ورجع ثم أنزل من قبض
عليه من الامراء وهم تنم بن عبد الرزاق أمير سلاح وقاني باى الجركسي أميراخور كبير
وتمربغا الدوادار الكبير ولاجين شاد الشراب خاناه وازبك بن ططخ خازندار كبير
وسنقر العايق وجانم الساقي وجاني بك البواب وسودون الافرم فتوجهوا بالجميع الى ثغر
الاسكندرية فسجنوا بها وهم في قيود حديد وفي ربيع الاول ابتدأ السلطان بتفرقة
النفقة وهي نفقة البيعة على الجند وكانت قد ضربت قبل ذلك وهي الدنانير الناصرية
تنقص عن وزن الاشرفي قيراطين من ذهب وكان القائم في ذلك ناظر الخاص يوسف

فلما تسلطن اينال ضربت باسمه وأنفقها على الجند وجلس السلطان للتفرقة على الجند فأنفق على جماعة من الجند مائة وعلى جماعة منهم خمسين دينارا وعلى جماعة منهم خمسة وعشرين دينارا وعلى جماعة عشرة دنانير وهو أول من شح فى نفقة البيعة وميز الجند بعضا على بعض فكلمه بعض الامراء فى ذلك فأجاب بأن الامير تمربغا الدوادار رتب ذلك فى قوائم فى دولة المنصور وقد مضى ذلك على هذا الحكم فما تبقى الزيادة على ذلك والخزائن منضوة من المال وان هذا القدر ما تحصل الا من المصادرات من ناظر الخاص يوسف وزين الدين الاستادار وغير ذلك من المباشرين وهذا أول تصرفات اينال فى أحوال أمور المملكة فى الولاية والعزل وفيه توفى جقمق اليشبكى الخاصكى أحد معلمى الرمح وكان ترشح أمره الى نيابة القلعة بمصر وكان شجاعا مقداما فى الحرب بجرح فى هذه الواقعة واستمر ملازما للفراش حتى مات وتوفى الشيخ على الرفاعى شيخ المدرسة الاشرفية أشرفية برسباى التى بالصحراء وتوفى شمس الدين الابح كاتب المماليك وتوفى الامير أزبغا اليونسى الناصرى الذى تقرر فى تقدمة الالف وتوفى جانبك الوالى الزردكاش الكبير وكان من مماليك يشبك الجكمى فلما مات خلع السلطان على بردكار الحاجب الثانى وقرر فى الزردكاشية الكبرى عوضا عن جانبك الوالى وقرر فى الحجوبية الثانية سملم الحسنى وقد قرر السلطان جماعة كثيرة من الاشرفية البرسبيهية فى عدة وظائف سنية وقرر منهم جماعة كثيرة رؤس نوب حتى بلغ عدتهم فى أيام دولته فوق الخمسة والعشرين أمير رأس نوبة وقرر عدة دوادارية فوق عشرة أنفار وعدة سقاة وبوابين وفرق الاقطاعات على غالب المماليك الاشرفية وقبض على جماعة كثيرة من مماليك الظاهر ونفى منهم جماعة من أعيانهم الى بلاد الشام ونفى منهم جماعة الى الوجه القبلى نحو قوص فاستقامت أموره فى السلطنة وثبتت قواعد دولته واستمر فى السلطنة الى أن مات على فراشه كما سيأتى ذكر ذلك وفى ربيع الآخر قدم جانم الاشرفى الذى كان أمير اخور كبير ونفى الى صفد وحضر جانى بك القصير الاشرفى الذى كان نفى الى طرابلس فحضر من غير اذن فأنعم عليه السلطان بامرية عشرة وفيه حلت نفقات الامراء اليهم على جارى العادة وفيه رسم السلطان بتوسيط شخص من مماليك القاضى عبد الباسط يقال له لبان فوسطه ومعه اثنان من أصحابه وسبب ذلك أنهم كانوا يحضرون عندهم بنات الخطا فاذا بتن عندهم يقتلونهن ويأخذون ما عليهن من القماش ففعلوا ذلك غير مرة حتى غمز عليهم فاشتهر وهم فى القاهرة وقدامهم أقفاص حمالين فيها عظام الاموات التى كانوا يقتلونها من النساء وكان لهم يوم مشهود وفيه قرر فى قضاء الشافعية بحلب القاضى تاج الدين عبد الوهاب وصرف عنها الزهرى وفيه عقد السلطان لولده المقر الشهابى أحمد على بنت الامير دولات باى الدوادار الكبير وفى جمادى الاولى توفى

الشيخ سراج الدين عمر التبانى الحنفى وكان عارفا بفن علم الرمل وله فى ذلك يد طائلة وكان من
خواص المؤيد شيخ وكان رئيسا حشما وله مروءة زائدة وفيه قبض السلطان على قراجا
الخازندار وكان من المقدمين الالوف ورسم باخراجه الى القدس بطالا ولم يكن له ذنب
غير انه أخذوا منه التقدمة وقرروا فيها جانم الاشرفى وفيه قرئ تقليد السلطان بالقصر
على العادة وحضر الخليفة والقضاة الاربعة فلما انتهى المجلس خلع السلطان على الخليفة
والقضاة ونزلوا الى بيوتهم وفيه توفى قاضى القضاة الحنبلى بدر الدين عبد المنعم بن محمد بن
محمد بن عبد المنعم البغدادى وكان عالما فاضلا معظما عند الناس وأرباب الدولة وله حرمة
وافرة ومولده سنة احدى وثمانمائة وكان أعور باحدى عينيه ولكنه كان من أعيان علماء
الحنابلة من أهل الفضل وقد قال فيه بعض الشعراء يداعبه

ورب أعمى قال فى مجلس * ياقوم ما أصعب فقد البصر
أجابه الاعور من خلفه * عندى من ذلك نصف الخبر

فلما مات خلع السلطان على الشيخ عز الدين بن الكنانى ابن قاضى القضاة برهان الدين ابن قاضى
القضاة مجد الدين بن نصر الله وقرر فى قضاء الحنابلة بمصر عوضا عن قاضى القضاة بدر الدين
البغدادى بحكم وفاته وفيه جاءت الاخبار بقتل سونجبغا اليونسى وتغرى بردى القلاوى
وكان كاشف الوجه القبلى وكان قد ولى الوزارة فى أواخر دولة الظاهر جقمق أخذ الوزارة
عن أمين الدين بن الهيصم وكان فرج بن النحال ناظر الدولة يومئذ وكان أصله من مماليك
الظاهر جقمق فوجه سونجبغا القبض عليه فتضاربا وهما على الخيل فقتل كل منهما
صاحبه بالخناجر فماتا معا فى يوم واحد وكان سونجبغا من مماليك الناصر فرج بن برقوق
وكان من جملة أمراء الطبلخانات وسافر أمير الحاج غير مرة وكان لا بأس به وفيه أنعم
السلطان على برسباى المؤيدى باقطاع تغرى بردى القلاوى وقرر بلباى الاينالى فى امرية
سونجبغا وفيه توفى الشيخ محب الدين أبو القاسم محمد النويرى المالكى وكان من أعيان
علماء المالكية وكان ذكر للقضاء غير ما مرة ولم يتم له ذلك ومولده سنة احدى وثمانمائة وفيه
قرر فى تقدمة المماليك الطواشى لؤلؤ الرومى الاشرفى وصرف عنها مرجان العادلى وفيه
قرر فى كشف الوجه القبلى قراجا العمرى عوضا عن القلاوى وفيه توفى الشيخ عز الدين
التكرورى المالكى وكان عالما فاضلا أديبا بارعا وكان له خط جيد وشعر رقيق فمن ذلك قوله

لما شغفت بناسخ باديته * فيهم تغزل ينشد الاشعار
نادى غلام المحققات محققا * ريحان خدك ما عليه غبار

وكان مولده سنة احدى وستين وسبعمائة وفيه قدم القاضى محب الدين بن الشحنة الى
القاهرة من غير طلب فأراد السلطان أن يرده الى حلب فأوعد بمال فأذن له بالدخول الى

مصر فدخل على كريم الدين الهيصم بن الجمالى يوسف ناظر الخاص وفيه توفى الامير قانصوه النوروزى وكان من أعيان الرماة بالنشاب مشهورا بالفروسية بين الاتراك ❁ وفى جمادى الآخرة توفى الامير دولات باى المحمودى المؤيدى أمير دوادار كبير كان وكان أصله من مماليك المؤيد شيخ وكان حج فى تلك السنة فلما عاد قبض عليه الملك المنصور وبعث به الى السجن بثغر الاسكندرية فلما تسلطن الاشرف اينال رسم بالافراج عنه فحضر الى القاهرة وقرر فى تقدمة ألف فأقام مدة يسيرة وتوفى وكان أميرا جليلا عارفا بأحوال المملكة سيوسا فى أفعاله ومات وله من العمر نحو ستين سنة وكان متهمكا فى لذات نفسه يميل الى شرب الراح وحب الملاح وهو والد سيدى عمر وكان لا بأس به ولما مات قرر فى تقدمته خيربك المؤيدى المعروف بالاجرود وقرر قايتباى المحمودى فى تقدمة ألف بدمشق وهى تقدمة قانصوه النوروزى وفيه خرجت تجريدة الى البحيرة بسبب فساد العربان وكان باش العسكر طوخ بانى بازق أمير مجلس وفى رجب رسم السلطان بدوران المحمل وزينت القاهرة بالزينة وكان له مدة وهو بطال فساقوا الرماحة فى تلك السنة وكان جانى بك الظريف هو باش الرماحة وفيه قرر القاضى زين الدين أبو بكر بن مزهر فى نظر الاصطبل وقرر القاضى محب الدين بن الشحنة باستمراره فى قضاء حلب وتوجه الى حلب وفيه تزوج الامير جانى بك الظريف بنت الملك الظاهر جقمق وهى أخت زوجة الامير أزبك بن ططخ وفيه جاءت الاخبار بقتل قشم المحمودى الناصرى كاشف البحيرة قتله عربان البحيرة غدرا فلما قتل قرر عوضه فى كشف البحيرة حسن الدنكرى وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى ثالث عشرى مسرى فنزل لكسره المقر الشهابى أحمد ابن السلطان وكان له يوم مشهود وهو أول فتحة للسد وفى شعبان كانت وليمة عرس خوند فاطمة بنت السلطان على الامير يونس البواب أمير دوادار كبير وكان مهما حافلا بالقلعة وأقام ثلاثة أيام متوالية ثم نزلت فى محفة الى دار زوجها وكانت ليلة حافلة عند نزولها من القلعة وفيه جاءت الاخبار بوفاة نائب صفد بيغوت بن صفر خجا المؤيدى المعروف بالاعرج وكان أميرا جليلا ولى نيابة حماه ونيابة صفد ثم سجن ثم عاد الى صفد ومات بها وفيه ثارت فتنة كبيرة وركب المماليك وطلعوا الى الرميلة واضطربت الاحوال وسبب ذلك ان المماليك طلبوا من السلطان نفقة البيعة وقالوا ان التى قد أنفقها السلطان انما هى نفقة الملك المنصور ونحن نطلب منك نفقة ثانية فبعث يعتذر اليهم ويقول لهم انا الآن خالى من المال وقد سد النفقة من المصادرات لما عقمن المباشرين فسكنت الفتنة قليلا وكانت هذه تعلبة من المماليك السيفية وفى رمضان جاءت الاخبار بوفاة جقمق الناصرى نائب بيروت وفيه اختفى الصاحب أمين الدين بن الهيصم فلما

اختفى خلع السلطان على سعد الدين فرج بن النحال كاتب المماليك وقرره في الوزارة عوضا عن ابن الهيصم وكان عين للوزارة ناظر الخاص يوسف فاستعفى من ذلك فقرر به سعد الدين فرج وقرر عوضه في كتابة المماليك ابن عمه عبد الرحمن وفيه خلع السلطان على اياس الطويل وقرره في نيابة صفد عوضا عن بيغوت الناصري وكان اياس الطويل أتابك العساكر بطرابلس وكان خشداش السلطان وقرر في أتابكية طرابلس حطط الناصري وكان من العشراوات بطرابلس وقرر في امرية حطط جانى بك المحمودى المؤيدى وكان منفيا بطرابلس وفيه توجه القاضي عبد الكافي بن الذهبي كاتب السر بدمشق وكان من أعيان الدماشقة حسن الخط والعبارة وفي شوال كان العيد يوم الجمعة وخطب مرتين فلهج الكثير من الناس بزوال السلطان فلم يصح ذلك وفيه قرر جانى بك في نيابة جدة على عادته وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل جانى بك الظريف وأمير ركب الاول عبد العزيز بن محمد الصغير وكان لهما يوم مشهود وفيه اختفى زين الدين الاستادار وكان الاشرف اينال لما استعفى منها جانى بك نائب جدة خلع السلطان على زين الدين وولاه الاستادارية على كره منه فلما اختفى خلع السلطان على العلائي على بن محمد الاهناسي وكان برددار بالمفرد عند زين الدين الاستادار ثم كان استادارا عند المقر الشهابي أحمد بن الملك الاشرف اينال فلما غيب زين الدين سعى في الاستادارية الكبرى فخلع عليه السلطان وولاه الاستادارية عوضا عن زين الدين وهذه أول عظمة العلائي على بن الاهناسي وفيه وصل قاصد ملك الروم محمد بن عثمان بخبر السلطان بفتح القسطنطينية العظمى وقد صنع المكايد في فتحها وكان الفتح في يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الاولى من هذه السنة فلما بلغ ذلك دقت البشائر بالقلعة ونودي في القاهرة بالزينة ثم ان السلطان عين برسباي أمير اخور ثاني رسولا الى ابن عثمان يهنئه بهذا الفتح العظيم فخرج برسباي وتوجه الى بلاد ابن عثمان وفي ذي القعدة لبس السلطان الصوف في سادس هاتور القبطي وقد عجل السلطان بلبسه وفيه خلع السلطان على محب الدين بن الشحنة وقرره في كتابة السر بمصر وصرف عنها محب الدين بن الاشقر وهذا أول عظمة ابن الشحنة بمصر وكان قرر في قضاء الحنفية بحلب فتكاسل عن التوجه الى حلب وسعى في كتابة السر حتى قرر بها وفيه خرج المقر الشهابي أحمد ابن السلطان الى الرماية وصحبته خشقدم أمير سلاح وبرسباي البجاسي فلما عاد زينت القاهرة وكان له يوم مشهود وفيه توفي الشيخ الصالح المعتقد سيدي درويش الرومي الاقصرائي نزيل الخانكاه وكان من الصالحين وظهرت له كرامات خارقة وفيه توفي القاضي ضياء الدين بن النصيبي الشافعي الحلبي كاتب السر بحلب وكان من أعيان الناس الرؤساء بحلب وفيه قرر شمس الدين محمد بن أصيل في نظر

الجوالي

الجوالى عوضا عن شرف الدين الانصارى وفيه طلع شخص الى السلطان وأخبره بان فى زيادة جامع الحاكم صندوقا من البلور فيه أوراق تدل على خبيئة فى الجامع من أعظم الخبايا فامر السلطان القاضى ناظر الخاص يوسف أن يتوجه الى هناك فتوجه وحضر قاضى القضاة علم الدين البلقينى واجتمع الجم الغفير من الناس وحفروا ذلك المكان الى أن كادأن ينبع الماء من أرضه فلم يجدوا فيه شيأ وانفض ذلك الجمع من غير طائل ولم يظفروا بشئ مما قالوه وفيه قبض السلطان على المحتسب على العجمى وصادره وقرر عليه مالا وأقام فى الترسيم عند الزمام حتى يورد المال وقرر عوضه فى الحسبة على بن أحمد الكاشف المعروف بابن ارم وفى ذى الحجة قرر فى نيابة اسكندرية جانى بك النوروزى نائب بعلبك عوضا عن يونس العلاقى وقدم يونس العلاقى الى القاهرة وقرر فى امرية طبلخاناه وفيه توفى سطط الناصرى وكان ولى نيابة غزة وأتابكية طرابلس وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بان قد ظهر شخص يقال له ابن الفلاح المشعشع وقد حصل منه غاية الفساد وقتل من الناس مالا يحصى ونهب الركب العراقى وقد أعيا أمره نائب الشام فانزعج السلطان لهذا الخبر وفيه ظهر زين الدين الاستادار وطلع الى القلعة وقابل السلطان فامر بملازمة داره وأن لا يجتمع باحد من الناس ❁ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثمانمائة فى المحرم قرر فى كتابة السر بدمشق الحافظ قطب الدين الخضيرى عوضا عن صلاح الدين بن السابق وهذه أول ولاية الخضيرى لهذه الوظيفة ثم بعد مدة جمع بين قضاء الشافعية بدمشق وكتابة سرها وفيه قرر أقبردى الظاهرى الساقى فى أتابكية حلب عوضا عن على باى العجمى وقرر فى نيابة حلب عوضا عن أقبردى قاسم بن القشاشى وفيه وصل قاصد على باى الخزاوى نائب حلب وعلى يده تقدمة حافلة الى السلطان وكان قد أشيع عنه العصيان والمخامرة فبطل ذلك وفيه خلع السلطان على الشيخ محيى الدين الكافيجى وقرر فى مشيخة الخانقاه الشيخونية عوضا عن العلاقى كمال الدين بن الهمام الحنفى بحكم رغبته عنها ومجاورته بمكة المشرفة وفى صفر رسم السلطان بنفى زين الدين الاستادار الى القدس ويقيم به فلما خرج الى سبيل ابن قايماز بعث السلطان اليه من فتشه فلم يجد معه شيأ غير ثلثمائة دينار وبعض فضة وقد كان وشى به عند السلطان بان معه مالا ثم رسم باعادته الى القاهرة وطلع الى القلعة فادخلوه العرقانة وأحضر اليه السلطان فى يومه المعاصير وعصره فلم يقر بشئ من المال فاجاب بان يبيع أوقافه ويرضى السلطان فتكلم ناظر الخاص يوسف فى أمره وأحضره بين يدى السلطان وهو محمول بين أربعة وقيل ان السلطان لم يعصره فى هذه المرة بل ضربه فى الدهيشة نحوا من خمسمائة عصا فلما حضر بين يديه تكلم له تمراز الدوادار الثانى فخلع عليه السلطان وأعاده الى الاستادارية وصرف عنها على بن الاهناسى ثم ان السلطان

خلع على زين الدين وقرره كاشف الكشاف بالوجهين القبلي والبحري مضافا الى
الاستادارية فراج أمره قليلا وفيه رسم السلطان بالافراج عن أبي الخير بن النحاس من
السجن وأن يقيم بطرابلس بطالا ۞ وفي ربيع الاول قرر حمزة بن البشيري في نظر الدولة
عوضا عن التاج الخطيري وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه نحو الصحراء بسبب تربته
التي أنشأها هناك فلما عاد شق من القاهرة وصعد الى القلعة وهذا أول ركوبه في سلطنته وكان
له يوم مشهود وفيه عمل السلطان المولد الشريف على العادة وكان حافلا وفيه انتهت عمارة
جامع برديك صهر السلطان الذي أنشأه بخط قناطر السباع المطل على الخليج ۞ وفي ربيع
الآخر توفي الناصري محمد ابن الظاطة وكان فاضلا مالكي المذهب ولي نظر البيمارستان
وكان محمود السيرة وفيه قدم جلبان نائب الشام على السلطان وكان أشيع عنه العصيان
وفيه توفي تقي الدين الاذرعي الشافعي وكان عالما فاضلا نائبا في الحكم بدمشق وكان لا بأس
به ۞ وفي جمادى الاولى عزل تمراز عن الدوادارية الثانية وكان ذلك من تلقاء نفسه وفيه
جاءت الاخبار من ثغر دمياط بوفاة سيدي خليل ابن الملك الناصر فرج بن برقوق وكان دينا
خيرا رئيسا حشما ومولده سنة أربع عشرة وثمانمائة فلما مات رسم السلطان بنقل جثته
الى القاهرة فنقل ودفن في تربة جده الظاهر برقوق وأظهرت عليه أخته خوند شقرا غاية
الحزن وعملت له نعيا بالمغاني تعزف بالطارات نحو سبعة أيام حتى عد ذلك من النوادر وفيه
قرر في الوزارة الصاحب أمين الدين بن الهيصم على عادته وصرف عنها سعد الدين فرج ابن
النحال وفيه طلعت تقدمة جلبان نائب الشام الى السلطان وكانت تقدمة حافلة ومثلها المقر
الشهابي أحمد ثم بعد أيام أضافه السلطان وخلع عليه ورسم له بالعود الى الشام على عادته
وفيه خلع السلطان على الامير برديك صهره وكان من أعيان مماليكه وقرره في الدوادارية
الثانية عوضا عن تمراز الاشرفي ورسم الى تمراز أن يتوجه الى القدس بطالا وكان تمراز رجلا
أحمق سيء الخلق غير محبب للناس ۞ وفي جمادى الآخرة توفي قاضي ثغر الاسكندرية
شمس الدين محمد بن عامر المالكي وكان من الافاضل في مذهبه وفيه قرر قاني باي الموساوي
في نيابة ملطية وقرر في نيابة البيرة الناصري محمد والي الحجر عوضا عن قاني باي الموساوي
وفيه خلع على القاضي تاج الدين بن المقسي وقرر في كتابة المماليك عوضا عن عبد الرحمن بن
النحال ابن عم الصاحب سعد الدين فرج وفيه خرج تجريدة الى نحو البحيرة وكان باش
العسكر جانم الاشرفي ويرسباي البجاسي وجماعة من [illegible] عرب بالبحيرة
وفيه نزل محب الدين بن الشحنة عن كتابة السر [illegible] بن الاشقر وفي
رجب أدير المحمل على العادة وفيه سافر الامير برديك صهر السلطان والقاضي شرف الدين
الانصاري وتوجها الى القدس وسبب ذلك أن السلطان صنع كسوة الى ضريح سيدنا الخليل
عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وكان لتوجههما يوم مشهود وفيه توفي جاني بك مملوك

القاضي

القاضي عبد الباسط الذي كان ولي الاستادارية في أيام الاشرف برسباي وكان لا بأس به
وفيه أعيد الشيخ علي العجمي الى الحسبة وصرف عنها عبد العزيز بن محمد الصغير وفيه قدم
برسباي الذي توجه قاصدا الى محمد بن عثمان وخلع عليه وفي شعبان عرض السلطان جماعة
من العسكر وقطع جوامك أولاد الناس ممن تجدد في أيام الظاهر جقمق وقد انشحت
الديوان من كسوة العسكر وشكا الاستادار من ذلك ثم انه بعد ذلك شفع فيهم الامير يونس
الدوادار الكبير فأبقاهم على حالهم ورد اليهم جوامكهم التي قطعت عنهم ولله الحمد وفيه
سمر السلطان شخصا من العربان يقال له الفضل وقد كان مشتهرا بالشجاعة وقتل النفس
فأشهره في القاهرة هو وأولاد عمه ثم سطوهم وبعثوا بهم الى بلاد الشرقية وكانوا من المفسدين
وفيه توفي قاضي قضاة الحنفية بمكة المشرفة وهو رضي الدين أبو حامد بن الضياء وكان من
أعيان العلماء الحنفية بمكة وله نظم جيد ومولده سنة احدى وتسعين وسبعمائة وفيه في
ثالث عشر مسرى كان وفاء النيل المبارك ونزل المقر الشهابي أحمد ابن السلطان وفتح السد
على العادة وكان له يوم مشهود وفي رمضان جاءت الاخبار بوفاة صاحب الابلستين وهو
سليمان بن محمد بن قراجا بن دلغادر التركماني وكان من خيار التراكمة لم تحرك في أيامه فتنة
وكان متقللا بالشحم جدا وفيه قدم جانبك نائب جدة من الحجاز فخلع عليه السلطان خلعة
سنية وفي شوال وصل ركب من المغرب من عند صاحب تونس وصحبته هدية حافلة وخرج
صحبة الحاج الى مكة وفيه قرر في الاستادارية الناصري محمد بن أبي الفرج نقيب الجيش وقرر
سعد الدين فرج بن النحال في الوزارة عوضا عن أمين الدين ابن الهيصم بحكم استعفائه ثم أعاد
كتابة المماليك الى سعد الدين فرج وصرف عنها تاج الدين بن المقسي فصار سعد الدين فرج
بيده معه الوزارة وكتابة المماليك وفي ذي القعدة تغير خاطر السلطان على زين الدين
الاستادار وضربه ضربا مبرحا وتسلمه الجمالي يوسف ناظر الخاص على مال يورده وفيه جاءت
الاخبار بان أصلان بن سليمان بن دلغادر تملك الابلستين عوضا عن أبيه بحكم وفاته وفي
ذي الحجة استقر تقي الدين ابن نصر الله في نظر الاسطبل وكانت شاغرة مدة طويلة وفيه توفي
الناصري محمد الصغير معلم النشاب وكان استاذا في هذا الفن وقد جاوز الثمانين سنة من العمر
وهو والد عبد العزيز الذي ولي الحسبة وفيه ثارت جماعة من المماليك الجلبان ونزلوا الى
بيت ابن أبي الفرج الاستادار على حين غفلة ونهبوا ما فيه عن آخره واختفى هو ثم طلع الى
السلطان واستعفى من الاستادارية فأعفاه السلطان من ذلك وقرر فيها قاسم الكاشف وبقي
ابن أبي الفرج في نقابة الجيش على عادته وفيه قدم نجاب بشارة الحاج وأخبر بأن المبشر قد
عوقه العربان في الطريق فلم يحضر أحد من الجند بالبشارة على العادة ❁ ثم دخلت سنة تسع
وخمسين وثمانمائة فيها في المحرم قدم قاصد من عند الامير ابراهيم بن قرمان أمير التركمان

وعلى يده مكاتبة مضمونها أنه أرسل يشكو فيها من ملك الروم محمد بن عثمان فما اكترث
السلطان لذلك ثم انه أرسل اليه بجواب هين وما أكرم قاصده فمضى غير راض وكان هذا
سببا لعصيان ابن قرمان كما يأتى الكلام على ذلك وفيه تغير ماء النيل المبارك تغيرا فاحشا
وغلبت عليه الخضرة جدا حتى تعجب الناس من ذلك وفيه نودى فى القاهرة بخروج
المماليك البطالة من القاهرة وهدد من تأخر منهم بعد سماع المناداة وفيه دخل الحاج
الى القاهرة وأخبروا عما قاسوه من شدة السيول وموت الجمال وقطع الطريق من العربان وقد
أخذ ركب المغاربة وكانت سنة صعبة مهولة وقد جاء عليهم السيل فى وادى عفان فاحتمل
الجمال بأحمالها وقذفها فى البحر الملح وفيه توفى الشيخ شرف الدين أبو الفتح محمد الراعى الشافعى
المدنى العثمانى وكان من أعيان العلماء الشافعية وله سند فى الحديث وفيه وقع أمر عجيب
وهو أن جماعة من مماليك الامير بردبك صهر السلطان ماتوا بالطاعون وقد ظهر ذلك بداره
فقط ولم يظهر ذلك بغير بيت بردبك وفيه ارتفع سعر الذهب حتى بلغ الدينار الاشرفى ثلثمائة
وسبعين درهما وفى صفر جاءت الاخبار بموت جلبان نائب الشام وكان جلبان هذا دينا خيرا
وأصله من أتباع الملك المؤيد شيخ وهو جركسى الجنس وقيل غير جركسى ويقال انه مسلم
الاصل ومات وقد جاوز الثمانين سنة من العمر وولى عدة ولايات منها ولاية نيابة حماة
ونيابة طرابلس ونيابة حلب ونيابة الشام وقد طالت أيامه فى السعادة فلما توفى عين
السلطان نيابة الشام الى قانى باى الحمزاوى نائب حلب وخرج الى تقليده يونس العلائى ثم
ان السلطان خلع على جانم الاشرفى وقرره فى نيابة حلب عوضا عن قانى باى الحمزاوى وعين
الامير بردبك الدوادار الثانى صهر السلطان لتقليده ثم يعود الى دمشق لضبط موجود
جلبان نائب الشام ثم ان السلطان أنعم على يونس العلائى بتقدمة ألف وهى تقدمة جانم
الاشرفى بحكم انتقاله الى نيابة حلب وفيه توفى يشبك الناصرى رأس نوبة ثانى فلما مات
قرر فى رأس نوبة الثانية سودون قراقاش المؤيدى وقرر فى امرية سودون قراقاش مغلباى
طاز وقرر النوروزى فى امرية عشرة وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد الشريف
على العادة وكان مولدا حافلا وفيه حصلت زلزلة خفيفة بمصر واستمرت تماود الناس أياما
وفيه وصلت تقدمة من عند الملك أصلان صاحب الابلستين وكانت تقدمة حافلة ما بين
خيول وبغال وجمال بخاتى وقماش حرير وغير ذلك وفيه خلع السلطان على شمس الدين
نصر الله بن النجار الكاتب القبطى وقرره فى الوزارة عوضا عن سعد الدين فرج فلم يقم بها
ابن النجار الا قليلا واختفى وفى ربيع الآخر خلع السلطان على سعد الدين فرج وأعاده
الى الوزارة كما كان وقرر حمزة بن البشيرى فى نظر الدولة وصرف ابن كاتب الشعير عنها وفيه
توفى الصاحب أمين الدين بن الهيصم وهو ابراهيم بن عبد الغنى بن ابراهيم القبطى وقيل

كان ينتسب الى المقوقس صاحب مصر وكان حشما رئيسا يميل الى أهل العلم وله اشتغال بالفقه على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ولم يكن شافعيا وولي الوزارة غير ما مرة وكان مولده سنة ثمانمائة وكان نادرة في أبناء جنسه مسددا في أمر الوزارة في الغلوة التي وقعت في أيام الظاهر جقمق لما شرقت البلاد وكان لا بأس به في المباشرين وفيه خرج جانم الاشرفي الذي قرر في نيابة حلب وكان له يوم مشهود وتجمل عظيم وفيه نزلت خوند زينب الخاصكية زوجة السلطان الى بولاق فأقامت في القطلبنية التي ببولاق وكان قد حصل لها توعك شديد في جسدها فنزلت لترى البحر حتى يذهب عنها الوخم فنزل اليها السلطان وعادها فلما حصل لها الشفاء أحرقوا في بولاق حراقة نفط هائلة حافلة وخرجت البنت من خدرها بسبب الفرجة وكانت تلك الليلة في بولاق من الليالي المشهورة فلما عوفيت طلعت الى القلعة في محفة وحولها الخوندات والستات وأعيان نساء الامراء والمباشرين حتى طلعت الى القلعة وكان لها يوم حافل بالقلعة وفيه توفي الامير جاني بك الابرود المؤيدي أحد الامراء المقدمين بمصر فلما مات أنعم السلطان بتقدمته على الامير قانم التاجر بن صفر خجا المؤيدي وهذه أول تقدمته بمصر وفي جمادي الاولى تزايد شر المماليك الجلبان وتوجهوا الى بولاق ونهبوا شون الامراء لاجل الشعير فانه كان منحوتا وصاروا ينزلون الفقهاء والمباشرين عن خيولهم وبغالهم ويأخذونها منهم وحصل منهم في حق الناس غاية الضرر ولا سيما التجار في الاسواق فكان المماليك يخطفون القماش من الدكاكين وسائر البضائع واستمروا على ذلك حتى وقع فيهم الطاعون كما يأتي ذكر ذلك (١) وفيه توفي الاديب البارع شاعر العصر شمس الدين محمد بن حسن بن علي بن عثمان النواجي الشافعي ومولده سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وكان عالما فاضلا أديبا بارعا وله شعر جيد فمن ذلك قوله من نوع الاكتفاء

خليلي هذا ربع عزة فاسعيا * اليه وان سالت به أدمعي طوفا ن
جفني جفا طيب المنام وجفنها * جفاني فيا لله من ترك الاجفا ن

﴿ومثله﴾

يا صيرفي بيت انه نلات التي * مستند تحصنت بام القرا ن
ابجج واعتمار وقل * لله ما أسعد هذا القرا ن

﴿وله﴾

فتنت بحسن عواد بديع * مليح الشكل معشوق الشمايل
يحرك عوده فينا بلطف * فيقتلنا بأطراف الانامل

وقوله ملغزا في اسم سعيد

---

(١) تقدمت وفاة النواجي في حوادث سنة ٨٥٧ والصواب ما هنا

ما لمسم لعبد ان ترل عينه * يسود فى الحال لناسيدا
عليه فرض الصوم لكنه * اذا مضى الربيع له عيدا

ومن مصنفاته البديعة حلبة الكميت فى وصف الخمرة وما قيل فيها وتأهيل الغريب فى الادبيات المطولة ومراتع الغزلان فى وصف الحسان من الغلمان والشفاء وله غير ذلك من المصنفات الغريبة ولما مات رثاه الشهاب المنصورى بقوله

رحم الله النواجى فقد * فقد الدنيا وأبقى ما روى
وانطوى فى شقة البين فيا * حسرة العشاق من بعد النوا جى

وفى جمادى الآخرة توفى الشيخ الصالح سيدى محمد المغربى المجذوب رحمة الله عليه ولما مات أخذه السلطان اينال ودفنه بجوار تربته تبركا به وفيه خلع السلطان على عبد العزيز بن محمد الصغير وقرر فى الحسبة مضافا لما فى يده من نقابة الجيش وكان قد تغير خاطر السلطان على الشيخ على العجمى وصرفه من الحسبة وقرر بها عبد العزيز بن محمد الصغير وفيه تغير خاطر السلطان على فخر الدين بن السكر والليمون ناظر ديوان المفرد وضربه بين يديه بسبب تأخر جوامك الجند وكان الديوان فى غاية الشحتة وفيه توفى القاضى صلاح الدين خليل بن السابق وكان فاضلا رئيسا حشما ولى كتابة سر حلب وكتابة سر دمشق ونظر جيشهما وغير ذلك من الوظائف وكان حسن السيرة وفيه ثارت فتنة عظيمة وسبب ذلك أن طائفة من المماليك الظاهرية استمالوا بعض جلبان السلطان وكان السلطان عين تجريدة قبل ذلك للبحيرة وكتب غالب الجند فيها من المماليك الظاهرية وعين الباش عليهم الامير خشقدم أمير سلاح فلما جرى ذلك وقفوا فى الرميلة حتى نزل الامير يونس الدوادار الكبير فلاقوه بالدبابيس وجرح فى ذلك اليوم شخص من المماليك وقطعت أصابعه ثم ان الامير يونس الدوادار تحيل فى صعوده الى القلعة وأعلم السلطان بذلك فطلب السلطان جانى بك المرتد ومرجان مقدم المماليك وبعث بهما لكشف الاخبار وما سبب وثوب المماليك على الامير يونس الدوادار ثم ان بوكار ازدكاش أتى الى المماليك الجلبان الذين وثبوا مع طائفة من المماليك الظاهرية ليسخيلهم عن ذلك ويسترضيهم فعاد الجواب الاول بان يسلمهم الامير يونس الدوادار وقد صمموا على ذلك وكانت هذه الحركة فى سلخ جمادى الآخرة فلما استهل رجب بدأ السلطان بضرب الاكرة فلم يطلع غالب الامراء الى القلعة ثم ان المماليك أصبحوا لابسين آلة الحرب ووقفوا بسوق الخيل وقد اشتد الامر ومنعوا الامراء من الصعود الى القلعة فبعث السلطان يقول للخليفة غب من بيتك حتى تسكن هذه الفتنة فلم يغب من بيته فتوجه اليه المماليك وأركبوه من بيته وأتوا به الى البيت الكبير الذى عند حدرة البقر فأقام به واشتد القتال فلما بلغ السلطان ذلك نزل الى باب السلسلة

وجلس بالمقعد المطل على الرميلة وعلق الصنجق السلطاني على رأسه ودقت الكوسات
حربيا فوقع في ذلك اليوم قتال هين فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد انفض ذلك الجمع وفتر
المماليك شيأ بعد شئ فلما رأوا ذلك المماليك الظاهرية تسحبوا من الرميلة وقد اشتتا لحر
وتوجه كل أحد من المماليك الى داره وكان رأس الفتنة من المماليك الظاهرية يشبك بن
مهدي وكان يومئذ جنديا من جملة المماليك السلطانية فلما انفض الجمع قام السلطان من
المقعد وطلع الى القلعة وقام الخليفة أيضا وتوجها الى داره وخمدت هذه الفتنة وكان الخليفة
يظن أن هذه الحركة يحصل له فيها نفع كما حصل له في حركة الملك المنصور مع الاشرف اينال
فانه لما تسلطن أنعم على الخليفة حمزة باقطاع ثقيل ومال وخلع وخيول وغير ذلك فظن
الخليفة أن هذه الحركة مثل الاولى فجاء الامر بخلاف ذلك وكم من عجلة أعقبت ندامة فكان
كما قيل في المعنى

اذا ما أراد الله خير العبد ه ينله وما للعبد ما يتخير
وقد يهلك الانسان من باب أمنه ه وينجو بعون الله من حيث يحذر

وكان الخليفة قام في سلطنة الاشرف اينال قياما عظيما وخلع الملك المنصور قبل أن
ينكسروا مر بحرق سبيل المؤمنين حتى أخذوا الميدان فظن الخليفة أن تكون هذه
الفتنة يحصل له فيها مثل تلك المرة فلما توجه الخليفة الى بيته أرسل السلطان خلفه وقد
بقي له ذنب اذ أرسل السلطان يقول له غيب من بيتك حتى تخمد هذه الفتنة فاستمر في
بيته حتى أركبوه المماليك برضاه وجاء الى البيت الكبير كما تقدم ذكر ذلك فلما طلبه
السلطان وحضر بين يديه وبخه بالكلام فلم ينطق بالجواب وأمسك لسانه عن ذلك وكان به
بعض صمم فكان كما قيل

اذا كان وجه العذر ليس بواضح ه فان اطراح العذر خير من العذر

ثم ان السلطان أمر بادخاله الى البحرة فدخل اليها وأقام بها أياما وهو في الترسيم ثم ان
السلطان رسم باخراجه الى السجن بثغر الاسكندرية فنزل من القلعة بعد المغرب في سابع
رجب وصحبته سيباي بك القرماني حاجب الحجاب فاوصله الى البحر حتى نزل في الحراقة وسار
الى الاسكندرية فسجن بها الى أن مات في أواخر دولته ودفن بثغر الاسكندرية على شقيقه
العباس الذي ولي السلطنة بعد قتلة الناصر فرج بن برقوق فكانت مدة الخليفة حمزة في
الخلافة أربع سنين وستة أشهر وأياما وكان رئيسا حشما كفؤا للخلافة وكان له حرمة وافرة
وشهامة زائدة بايع الملك المنصور عثمان والاشرف اينال (ومن النكت الغريبة اللطيفة)
قيل لما أرادوا خلع الخليفة حمزة من الخلافة قال اشهدوا علي أني قد خلعت نفسي
من الخلافة وخلعت السلطان اينال من السلطنة فاضطرب المجلس لذلك فقال قاضي

القضاة علم الدين صالح البلقيني ان خلعه السلطان لا يصح وقد بدأ بخلع نفسه أولا ثم ثنى
بخلع السلطان وهو غير مولى الخلافة فلم يصح منه عزله للسلطان فمدت هذه من النوادر
فلما عزل الخليفة حمزة من الخلافة تكلموا فيمن يلي بعده الخلافة فوقع الاتفاق على ولاية
أخيه الجمالي يوسف بن محمد المتوكل

ذكر خلافة المستنجد بالله أبي المحاسن يوسف بن محمد المتوكل على الله

وهو الثالث عشر من خلفاء بني العباس بمصر بويع بالخلافة بعد خلع أخيه حمزة في يوم
الخميس ثالث عشر رجب سنة تسع وخمسين وثمانمائة وكانت صفة ولايته أن عمل موكب
بالقصر وطلع القضاة الاربعة وهم علم الدين صالح البلقيني الشافعي وسعد الدين الحنفي
وولي الدين السنباطي المالكي وعز الدين الحنبلي فلما تكامل المجلس سكت القضاة
ساعة لم يتكلم منهم أحد في شيء فقال قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني نقل بعض
علماء مذهبي أن السلطان له أن يعزل الخليفة ويولي غيره فهذا كان حاصل المسئلة في
خلع الخليفة حمزة وولاية أخيه الجمالي يوسف فعند ذلك قام القاضي كاتب السر محب
الدين بن الاشقر وقال في المجلس نشهد عليك يا مولانا السلطان أنك عزلت الخليفة حمزة
من الخلافة ووليت أخاه الجمالي يوسف فقال نعم فاحضروا له التشريف وأفيض عليه
ولقب بالمستنجد بالله ونزل من القلعة في موكب حافل والقضاة الاربعة قدامه وأعيان
الناس حتى أوصلوه الى بيته وهو في غاية العظمة وقد طالت أيامه في الخلافة جدا ثم ان
السلطان قبض على جماعة من المماليك الظاهرية ممن كان سببا لاقامة هذه الفتنة وحبسهم
بالبرج واختفى منهم جماعة كثيرة ونفى منهم جماعة الى البلاد الشامية وفيه قدم الامير
برديك صهر السلطان وكان قد توجه الى القدس كما تقدم فلما حضر أتى صحبته زين الدين
الاستادار وكان السلطان نفاه الى القدس فلما عاد خلع عليه السلطان وأعاده الى
الاستادارية وصرف عنها قاسم الكاشف وفيه أدير المحمل على العادة وساق الرماحة
أحسن سوق وفيه توفيت خوند زاده بنت أورخان بن محمد بن عثمان ملك الروم وهي زوجة
الظاهر جقمق وزوجت أيضا بالاشرف برسباي وماتت في عصمة برسباي البجاسي حاجب
الحجاب وفيه قبض السلطان على يشبك النوروزي نائب طرابلس وحمل الى قلعة المرقب
فسجن بها وفي شعبان جاءت الاخبار بوفاة السيد الشريف بركات سلطان مكة وهو
بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة الحسني وكان من خيار أمراء مكة ومولده سنة اثنتين وثمانمائة
وفيه في خامس عشر مسرى كان وفاء النيل المبارك ونزل المقر الشهابي أحمد ابن السلطان

وفتح السد على العادة وفيه خلع السلطان على اينال اليشبكى وقرره فى نيابة طرابلس عوضا عن يشبك النوروزى وقرر فى نيابة صفد جانى بك التاجى عوضا عن اياس الطويل وقرر فى نيابة غزة خاير بك النوروزى أحد الامراء بصفد وقرر فى نيابة ملطية أقبردى الساقى أتابك العسكر بحلب عوضا عن قايتباى الناصرى وقرر فى أتابكية حلب سودون الناصرى أتابك طرابلس وكان هذا كله بتدبير الجمالى يوسف ناظر الخاص وفيه زاد النيل زيادة مفرطة حتى قطع الجسور وغرق غالب البلدان فبعد ما جرى ذلك هبط النيل بسرعة وشرق جانب من البلاد وارتفع سعر الغلال بسبب ذلك وفى رمضان قرر ابن الوجيه فى نظر الجيش بحلب عوضا عن ابن السفاح وفيه قرر فى قضاء الشافعية بمكة محب الدين الطبرى وصرف عنها أبو السعادات بن ظهيرة وقرر فى نظر الحرم الشريف برهان الدين بن ظهيرة الذى عظم أمره فيما بعد وانتهت اليه رياسة مكة وفيه قدم جانى بك نائب جدة ومعه الى السيد الشريف محمد بن بركات المتوفى فى امريه مكة عوضا عن أبيه بخمسين ألف دينار فولاه السلطان وأقام بها حتى توفى فى صفر سنة ثلاث وتسعمائة وكان من خيار أمراء مكة وفى شوال رسم السلطان بعمل كسوة الحجرة الشريفة فلما انتهى العمل منها عرضها ناظر الخاص يوسف على السلطان فألبسه كاملية حافلة وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل بيبرس الاشرفى وفيه تغير خاطر السلطان على نقيب الجيش بن محمد الصغير وهو عبد العزيز فضربه بين يديه ضربا مبرحا وأمر بنفيه الى دمياط لامر أوجب ذلك ثم ان السلطان خلع على العلائى على بن القيسى وقرره فى نقابة الجيش عوضا عن عبد العزيز بن محمد الصغير وكان السلطان عينها الى خشكلدى الزردكاش فوقع الاختيار بعد ذلك على ابن القيسى وفى ذى القعدة قرر جمال الدين الباعونى فى قضاء الشافعية بدمشق وصرف عنها سراج الدين الحمصى وأمر أن يخرج الى حمص ويقيم بها وفيه شرع الجمالى ناظر الخاص فى بناء مدرسة بالصحراء فجاءت مدرسة حافلة لم يعمر فى الصحراء مثلها وكان مصروف ذلك من مال ناظر الخاص يوسف دون مال السلطان فقيل انه صرف عليها اثنى عشر ألف دينار وزيادة على ذلك وأنشأ زاوية تجاه المدرسة وحوش الدفن جماعة السلطان وفى ذى الحجة قرر فى الحسبة الشيخ على العجمى على عادته وكان يعرف ببار على وفيه توفى العلامة محب الدين محمد بن أحمد بن أبى يزيد الاقصرائى الحنفى وكان عالما فاضلا بارعا فى العلوم وكان امام الاشرف برسباى ومولده سنة احدى وتسعين وسبعمائة وهو أخو الشيخ أمين الدين الاقصرائى وفيه توفى أقبردى الساقى الظاهرى نائب ملطية وكان لا بأس به وفيه توفى الشهاب أحمد الناضرى الحنفى وكان عارفا بالقراآت السبع وتعبير الرؤيا وفيه توفى حليفة سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه وكان مالكى المذهب وله اشتغال بالعلم ويعرف ببستان الابودرى وفيه صلى السلطان صلاة عيد النحر

وخرج من الجامع مسرعا وتوجه الى الحوش وفعر بموشالف العادة وسبب ذلك انه
قويت الاشاعات بوقوع فتنة فى ذلك اليوم من المماليك الجلبان فبادر السلطان وتوجه
الى الحوش وغربه فسكن الاضطراب قليلا ❁ ثم دخلت سنة ستين وثمانمائة فيها فى المحرم
قرر أقباى الجكمى فى نيابة ملطية عوضا عن أقبردى الساقى وقرر فى نيابة طرسوس أقباى
السيفى جارقطلو عوضا عن أقباى الجكمى وتوفى الناصرى محمد بن الحلبى والى الجيزة وفيه
وصل الحاج وأخبر بانه لم يحج فى هذه السنة أحد من العراق خوفا من المشعشع الذى ظهر
منه الفساد وقد شاع خبره فيما تقدم وكان فى تلك السنة الامير ديك الجمقدار أمير الحاج
هو والامير بيبرس الاشرفى وكانت سنة صعبة على الحاج وفى صفر ثار المماليك الجلبان على
ناظر الخاص يوسف وضربوه وأخذوا عمامته من فوق رأسه وصار مكشوف الرأس ولولا
انه هرب لقتلوه لا محالة وكانت المماليك تزايد شرهم جدا وفيه ثارت الغلمان والعبيد على
الوزير ونزلوا من القلعة وتوجهوا الى بيت الوزير وصاروا ينهبون بعض دكاكين
القاهرة وخطفوا عمائم الناس حتى وصلوا الى دار سعد الدين فرج فاختفى من داره فنهبوا
ما وجدوه فى الدار وسبب ذلك انشحات اللحم المقرر للجند وفيه خرج يونس العلائى أحد
الامراء المقدمين الى البحيرة لحفظ الخيول التى فى الربيع وكانت عربان البحيرة قد أفسدوا فى
البحيرة وأخذوا خيول الامراء والجند من مراعيها وفى ربيع الاول أمطرت السماء
مطرا غزيرا حتى قيل أمطرت فى قليوب بردا وزن كل بردة خمسون درهما وهلك به بعض
مواش وأفسد الزرع وفيه ظهر الصاحب فرج بعدما كان مختفيا فخلع عليه بالاستمرار
وخلع على فخر الدين بن السكر والليمون وقرر فى نظر الدولة وكانت شاغرة وفى ربيع الآخر
عمر السلطان الربع والحمام وما بينهما الذى بين القصرين وفيه خرج جماعة من الامراء
والجند الى نحو البلون على العادة لاحضار الاخشاب وفى جمادى الاولى توفى المسند جمال
الدين عبد الله بن محمد بن أحمد التسترى وكان عالى السند من أهل الفضل والعلم وفيه وصل
الخواجا جمال الدين عبد الله القانونى رسولا من عند ابن عثمان ملك الروم محمد وعلى يده
مكاتبة تتضمن ما فتحه من الفتوحات السنية فأكرمه السلطان غاية الاكرام ولما أراد
التوجه الى ابن عثمان عين معه السلطان قانى باى اليوسفى المهمندار وعلى يده هدية من
عند السلطان الى ابن عثمان وأخذ قانى باى اليوسفى فى أسباب تعلق السفر الذى عين فيه
وفى أثناء هذا الشهر ظهر فى السماء نجم بذنب طويل جدا وكان يظهر من جهة المشرق
ودام يطلع نحوا من شهرين وكان من نوادر الكواكب فتكلم فيما يدل عليه من الامر وزاد
الكلام بسببه ثم اختفى ذلك النجم وأقام مدة طويلة نحوا من ثلاث سنين حتى وقع بمصر
الطاعون ووقع بمصر أيضا الحريق كما سيأتى ذلك فى موضعه قال صاحب مرآة الزمان ان

أول ما ظهر نجم الذنب عند ما قتل قابيل أخاه هابيل وظهر عند وقوع الطوفان وعند وقود
نار ابراهيم الخليل عليه السلام وظهر عند هلاك قوم عاد وثمود وظهر عند هلاك فرعون
وظهر عند قتل الامام عثمان بن عفان وظهر عند قتل الامام على كرم الله وجهه وظهر عند
قتل جماعة كثيرة من الخلفاء وفي الغالب يحدث عند ظهور نجم الذنب حادث عظيم وقد
جرى بعد ذلك وصح من فناء وقتل وفتن وخسف وزلازل وغير ذلك وفي جمادى الآخرة توفي
القاضي الذي بالاسكندرية شهاب الدين أحمد الحلي الشافعي وكان فاضلا في سعة من المال
وكان تاجرا في البهار وسعى في قضاء الاسكندرية على خلاف ما جرت به العادة من ولاية
المالكية وقد سعى بمال حتى تولى ومات وقد جاوز السبعين من العمر وفيه قبض السلطان
على زين الدين الاستادار وضربه بين يديه علقة قوية بسبب تأخير الجامكية ورسم عليه في
طبقة الزمام وهو في الحديد ثم انه خلع على سعد الدين فرج بن النحال ونقله من الوزارة
الى الاستادارية وخلع على العلائي علي بن محمد الاهناسي وقرره في الوزارة عوضا
عن سعد الدين فرج وهذه أول عظمة علاء الدين علي في الوزارة وهو علي بن الاهناسي
وفي رجب كانت نهاية عمارة مدرسة السلطان التي أنشأها في الصحراء وخطب بها
وعمل السلطان هناك وليمة حافلة وحضر بها القضاة الاربعة وسائر الامراء وأعيان
الناس ومد بها الاسمطة الحافلة وكان يوما مشهودا وفيه طلع الامير يونس الدوادار الكبير
الى القلعة وكان مريضا وشفي فخلع عليه السلطان خلعة حافلة ونزل الى داره في موكب حافل
وقدامه الامراء وأرباب الدولة من المباشرين وغيرهم وفيه أفرج السلطان عن زين الدين
الاستادار وتسلمه ناظر الخاص يوسف على مال وفيه أدير المحمل على العادة وساقوا الرماحة
بحضرة قاصد ملك الروم محمد بن عثمان وفيه ماتت ملك باي الجركسية سرية الملك
الاشرف برسباي أم ولده سيدي أحمد وكان تزوج بها قرقماس الجلب وماتت معه وهو الذي
ربى سيدي أحمد ابن الاشرف برسباي وفي شعبان رسم السلطان بنفي زين الدين الاستادار الى
المدينة المشرفة بعد ان أخذ منه عشرة آلاف دينار وتوجه من البحر الى المدينة الشريفة
وفيه سافر الخواجا ابن القابوني قاصد ابن عثمان وخرج صحبته قاني باي اليوسفي المهمندار
وكان أشيع موت ابن عثمان قبل خروج القاصد ثم جاءت الاخبار بان ابن عثمان قد شفي
وهو في قيد الحياة فرسم السلطان بدق الكوسات بالقلعة ثلاثة أيام وفيه توفي الامير اسباي
الجمالي الظاهري من مماليك الظاهر جقمق وكان ولي الدوادارية الثانية ثم نفي الى القدس
فمات به وكان لا بأس به لين الجانب متواضعا وكان معروفا وموصوفا بالشجاعة وبالفروسية
وفيه جاءت الاخبار بان الامير ابراهيم بن قرمان أمير الترك كان قد زحف على بلاد السلطان
وقد أظهر العصيان واستولى على طرسوس وأدنه وكولك فلما سمع السلطان ذلك
تشوش لهذا الخبر وعين تجريدة الى ابن قرمان وجعل باش العسكر خشقدم الناصري أمير

سلاح ومعه جماعة من الامراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات وعين من الجند نحوا
من أربعمائة مملوك وعين سنقر قرق شبق الزردكاش بان يتوجه قبل خروج العسكر لكشف
الاخبار عن ذلك وفيه كان وفاء النيل المبارك فى سادس مسرى وفيه نزل المقر الشهابى
أحمد ابن السلطان وفتح السد على العادة وفى رمضان تزايد أذى المماليك الجلبان فى حق
الناس وصاروا ينهبون حواصل البطيخ الصيفى وسائر البضائع حتى امتنعت السوقة من
البيع وارتفع سعر كل شئ من المأكول وغير ذلك وفيه قبض السلطان على عشرة أنفار من
الزغلية وجدوهم يضربون الزغل فأمر بتوسيطهم أجمعين وفى شوال خرج الحاج من
القاهرة على العادة وكان أمير ركب المحمل قانم التاجر أحد المقدمين وأمير الاول عبد العزيز بن
محمد الصغير وكان السلطان قد رضى عليه وقرره من جملة الحجاب بالقاهرة وفيه ضرب
السلطان خاير بك الوالى بين يديه ضربا مبرحا لامر أوجب ذلك وفيه حصل للقاضى ناظر
الخاص يوسف توعك فى جسده فانقطع عن طلوع القلعة أياما ثم شفى بعد ذلك وطلع الى
القلعة فخلع عليه السلطان خلعة حافلة ونزل من القلعة فى موكب حافل وقدامه أرباب
الدولة وأعيان الناس فزينت له القاهرة من داره الى القلعة وقعدت له بسوق المغانى على
الدكاكين وخلقت الناس بالزعفران وأوقدوا له الشموع على الدكاكين وكان له يوم مشهود
وفيه يقول الشهاب المنصورى

يا جوهر الفرد الذى * عن جسمه زال العرض
أجفان من أحبته * تحملت عنك المرض

وفى ذى القعدة توفى قانى باى الاعمش الناصرى نائب القلعة فلما مات قرر فى نيابة القلعة
عوضه النوروزى سودون وأنعم السلطان بامرية قانى باى الاعمش على ولده الناصر محمد وهو
أصغر أولاده وكان أمير عشرة وفيه قرر فى نظر الجوالى القاضى زين الدين أبو بكر بن
مزهر وصرف عنها ابن أصيل وفى ذى الحجة قدم قاصد جهان شاه وصحبته هدية للسلطان
وعلى يده مكاتبة تتضمن أنه يشكو الى السلطان من حسن بك الطويل بانه جار عليه
وقد زحف على بلاده فأرسل اليه السلطان الجواب عن ذلك وفيه نزل السلطان الى المخيم
الذى بالريدانية وألبس الامراء الصوف وشق من القاهرة فى موكب عظيم وكان يوما مشهودا
وفيه توفى الشيخ برهان الدين الرفاعى الشافعى وكان من أهل العلم والفضل مولده بعد الثمانين
والسبعمائة وتوفى اركماس اليشبكى أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب وفيه جاءت
الاخبار بوفاة صاحب اليمن وهو الملك أبو الفتح عمر بن على بن رسول التركمانى وكانت دولة بنى
رسول أقامت باليمن نحوا من مائتين وثلاثين سنة وكان سبب تسمية جدهم برسول أن
الخلفاء كانت تبعثه رسولا الى البلاد الشامية وغيرها من البلاد فسمى رسولا وما زال يرتقى

حتى ملك بلاد اليمن وانفرد بها ومعرفته مشهورة في التواريخ القديمة ۞ ثم دخلت سنة احدى وستين وثمانمائة فيها في المحرم قرر العلائي على بن القيسي في ولاية القاهرة عوضا عن خاير بك القصروى وقد تغير خاطر السلطان على خاير بك وضربه وسجنه بالقلعة وقرر عليه مالا له صورة وخلع على الناصري محمد بن أبي الفرج وقرر في نقابة الجيش عوضا عن على بن القيسي وفيه نودى على الدينار بثلثمائة درهم وكان قد زاد سعره حتى بلغ ثلثمائة وسبعين درهما وكان قد كثر الغش فيه وفي الفضة وفيه قرر كسباى السمين وتانى بك الصغير في كل منها رأس نوبة عصاة وفيه جاءت الاخبار بان سنقر الزردكاش لما وصل الى حلب توجه من هناك الى طرسوس فصار بسمع نائبها الذى أقامه ابن قرمان فقتله وأرسل رأسه الى السلطان فطيف بها وعلقت على باب زويلة ثلاثة أيام وقد تقدم ان السلطان أرسل لكشف أخبار ابن قرمان وفيه توفى الامير جرباش الكريمي صهر الملك الظاهر جقمق وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق وولى عدة وظائف سنية منها حاجبية الحجاب وامرية مجلس وامرية سلاح ولما كبر سنه لزم داره ورتب له ما يكفيه حتى مات وقد تجاوز التسعين سنة من العمر وفي صفر ثارت فتنة كبيرة بالقلعة من المماليك الجلبان وكان السلطان في الدهيشة فلما تزايد الامر منهم خرج اليهم السلطان وهو ماش من الدهيشة وقد هموا أن يهجموا عليه فلما عاينوه رجموه بالحجارة فولى وهو مستعجل حتى وقعت احدى نعليه من رجله فلم يلتفت اليها ومر حافيا ويقال انه أصابته طوبة من الرجم في ظهره وانعطب بعض الخاصكية من الرجم في وجهه وكانت حادثة شنيعة قل ان يقع في الحوادث أشنع منها فلما دخل السلطان الدهيشة أغلقوا عليه الباب وكان عنده بعض الامراء واستمر الحال على ذلك الى العصر والامراء والخاصكية قد تحوقوا بالقلعة فترددت الرسل بين السلطان وبين المماليك الجلبان في هذه الواقعة فآل الامر فيها بان زادهم ألف درهم في الكسوة فصارت من يومئذ ثلاثة آلاف درهم لكل مملوك وزادهم في الاضحية رأسا من الغنم في كل سنة فسكنت الفتنة قليلا وقد استطالوا بعد ذلك على الناس ووقع منهم أمور شنيعة يطول الامر في شرحها وعظم أذاهم بالناس جدا ووقع منهم أمور ما وقعت من مماليك السلاطين قبلهم قط وفيه عقد مجلس بين يدى السلطان وحضر القضاة الاربعة ومشايخ العلم فلما تكامل المجلس تكلم الجمالي يوسف مع القضاة بسبب غش الفضة في المعاملة وأحضروا نقود الدول القديمة من أيام المؤيد شيخ الى دولة الظاهر جقمق فسبكت فلم يوجد أكثر غشا وفسادا من ضرب فضة دولة الاشرف اينال فأمر السلطان باشهار المناداة في القاهرة بابطال المعاملة الحلبية والدمشقية فوقف حال الناس وأشيع بين الناس أن العامة ترجم الجمالي يوسف ناظر الخاص واضطربت الاحوال فنودى في القاهرة بأن كل شئ على حاله في المعاملة الحلبية وغيرها

ثم نقص ذلك بعد مدة وفيه جاءت الاخبار بوفاة عالم من علماء الحجاز يدعى جلال الدين
أبو السعادات بن ظهيرة الشافعى وكان علامة ولى قضاء مكة ونظر الحرم والحسبة وكان
حسن السيرة وفيه توفى الشيخ سراج الدين الحمصى الشافعى قاضى دمشق وكان عالما فاضلا
ولى عدة وظائف منها قضاء طرابلس وحلب ودمشق وغير ذلك وكان قد ترشح أمره لقضاء
مصر بل وكتابة السر ولم يتم له ذلك وفيه توفى الطواشى عبد اللطيف الرومى الخصى مقدم
المماليك وكان لا بأس به بين الخدام وفى ربيع الاول توفى القاضى شهاب الدين احمد بن
محمد الزفتاوى الشافعى نائب الحكم بالديار المصرية وكان من أهل العلم والفضل ومولده سنة
تسعين وسبعمائة وفيه عمل السلطان المولد الشريف على العادة وكان يوما حافلا وفيه خلع
السلطان على ولده المقر الشهابى احمد وقرره أمير ركب المحمل ورسم لزوجته خوند زينب
وأولاده بان يحجوا فى تلك السنة وشرع لهم فى عمل برق حافل وحجت صحبة ولدها المقر
الشهابى أحمد وفى ربيع الآخر أعيد خاير بك القصروى الى ولاية القاهرة وصرف عنها على بن
القيسى وفيه جاءت الاخبار من المدينة الشريفة بان شخصا من الاشراف يقال له الشريف
برغوث تسلق الى سطح الحجرة النبوية الشريفة واختلس عدة قناديل ذهب وفضة فاخذها
وفر الى الينبع فقبض عليه بعد أيام وأخذ ما معه من القناديل ومن وكانت هذه الفعلة من
أقبح الفعائل وفى جمادى الاولى خرجت التجريدة المعينة الى ابن قرمان وكان باش العسكر
خشقدم أمير سلاح ومعه جماعة من الامراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات ومن
المماليك نحو من أربعمائة مملوك وكان خروجهم يوما مشهودا وفيه أرسل السلطان نزردخانه
حافلة على يد تنبك الزردكاش بسبب العسكر المتوجه الى ابن قرمان وكان تنبك مريضا
فخرج غصبا على كره منه وفى جمادى الآخرة جاءت الاخبار بوفاة تنبك الزردكاش مات
بغزة وكان من مماليك الناصر فرج بن برقوق وكان لا بأس به فلما مات خلع السلطان
على سنقر الاشقر المعروف بقرقشبق وقرره فى الزردكاشية عوضا عن تنبك الناصرى
بحكم وفاته وفى رجب طفش جماعة من فرسان العربان ركاب خيول وشرعوا يعرون
الناس من الصحراء الى ان وصلوا الى رأس الحوة وكان ذلك وقت القائلة فخطفوا عمائم
الفقهاء وسلبوا قماش الناس عنهم ولم يجدوا من يردهم عن ذلك وكانت هذه اباحة
صعدت من أولئك العربان وفيه توفى قاضى قضاة المالكية ولى الدين السنباطى وهو
محمد بن عبد اللطيف بن اسحق بن احمد بن اسحق بن ابراهيم بن سليمان بن داود بن عتيق
الاموى المالكى وكان عالما فاضلا من اعيان المالكية ومولده سنة ست وثمانين
وسبعمائة فلما توفى وقع الكلام على من يلى قضاء المالكية فوقع الاختيار على ولاية السيد
الشريف حسام الدين بن حريز فسعى فى ذلك بمال جزيل وكان الساعى له فى ولاية القضاء

الجمالى يوسف ناظر الخاص وكان يومئذ فى المالكية من هو أعلم منه ولكن ساعدته الاقدار
وولى قضاء المالكية وأقام بها مدة طويلة الى ان مات وفيه ادير المحمل على عادته ولكن حصل
فيه من المماليك الجلبان غاية الضرر فى حق الناس من خطف النساء والصبيان وعظم
الفساد وخطف عمائم الناس وغير ذلك وفيه جاءت الاخبار بان حسن بيك الطويل صاحب
ديار بكر تحارب مع جهان شاه صاحب تبريز والعراقين فجرى بينهم من الحروب ما يطول
شرحه وآل الامر الى أن حسن الطويل قد انتصر على جهان شاه فلما جاءت الاخبار بذلك
سر السلطان بنصرة حسن الطويل على جهان شاه وفيه عاد قانى باى اليوسفى الذى كان
توجه الى ابن عثمان ملك الروم وأخبر بانه اكرمه غاية الاكرام وفى شعبان جاءت الاخبار
من حلب بان العسكر الذى توجه من مصر صحبة الامير جشقدم أمير سلاح دخل بلاد ابن
قرمان وشن فيها الغارات وأخرب غالب بلاده وقطع الاشجار التى بها وقتلوا جماعة كثيرة
من عسكره فلما بلغ السلطان ذلك سر به وفى رمضان أرسل السلطان جماعة من العسكر
الى البحيرة بسبب قطع الاخشاب على العادة وكان الباش على العسكر يشبك بن سليمان
المعروف بالفقيه المؤيدى أحد الامراء الطبلخانات يومئذ وهو الذى تولى الدوادارية الكبرى
فيما بعد وفيه توفى عالم الحنفية وشيخهم بالديار المصرية الاستاذ الشيخ كمال الدين محمد بن
الهمام الحنفى وهو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسى المصرى الحنفى
شيخ الشيوخ بالخانقاه الشيخونية وكان فريد عصره فى علماء الحنفية عالما عاملا فاضلا رحمة
الله عليه وكان مولده سنة تسع وثمانين وسبعمائة وكان معظما عند الملوك وأرباب الدولة
ولى مشيخة الاشرفية والشيخونية وغير ذلك من الوظائف السنية وفيه وصل سودون
القصروى أحد الدوادارية وأخبر بنصرة العسكر المتوجه الى ابن قرمان وقد استولى العسكر
على غالب بلاده وأخربها وأحرق أشجارها فلما تحقق السلطان ذلك أمر بضرب البشائر
بسبب هذه النصرة فدقت الكوسات بالقلعة ثلاثة أيام وفيه كان وفاء النيل المبارك ونزل
المقر الشهابى أحمد ولد السلطان وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا ولكن كان فى
شهر رمضان فقيل أفطر فى ذلك اليوم جماعة كثيرة من العياق الاوباش وكان يوما شديد الحر
وفيه عمل السلطان مسايرة حافلة وركب معه أرباب الدولة من المباشرين وغيرهم وفى
شوال توفى الامير جانى بك القرمانى حاجب الحجاب وكان لا بأس به وقد جاوز الثمانين سنة
من العمر وكان لين الجانب متواضعا مات فى التجريدة التى أرسلت الى ابن قرمان وفيه وصل
العسكر الذى توجه الى بلاد ابن قرمان ودخل باش العسكر الامير خشقدم أمير سلاح وكان
يوم دخولهم يوما مشهودا بالقاهرة ولكن حصل للعسكر بعد خروجهم من غزة وباء فمات منهم
ما لا يحصى ودخل الباقون وهم متوعكون حتى الامراء وأكثر الجند وفيه قرر فى تقدمة

جانى بك القرمانى أبا يزيد التمربغاوى وقرر فى امرية ابى يزيد برسباى المؤيدى وفيه خرج
المحمل من القاهرة فى تجمل زائد وخرج ابن السلطان فى موكب حافل ونوبجت والدته خوند
زينب فى محفة زركش هى وأولاد خوند زوجتا الامير برديك وزوجة الامير يونس البواب
أمير دوادار كبير وخرج ولد السلطان سيدى محمد صحبة أخيه المقر الشهابى أحمد وكان لهم
يوم مشهود وحج فى تلك السنة جماعة كثيرة من أعيان المباشرين منهم القاضى محب الدين بن
الاشقر كاتب السر والقاضى علم الدين شاكر بن الجيعان وجماعة من أولاده والقاضى أبو
بكر بن مزهر ناظر الاصطبل وغير ذلك من الاعيان وفيه حضر جانى بك نائب جدة وحضر
صحبته زين الدين الاستادار وقد تقدم ان السلطان نفاه الى المدينة الشريفة ثم رضى عليه
وأحضره الى القاهرة وفيه أنعم السلطان على جانى بك الاسماعيلى المعروف بكوهية بامرية
عشرة وفيه خلع السلطان على برسباى البجاسى وقرره فى حجوبية الحجاب عوضا عن جانى بك
القرمانى بحكم وفاته وفى ذى القعدة قدم قاصد صاحب بغداد بهدية للسلطان ومكاتبة أنه
كسر الخارجى الذى يقال له المشعشع وقتل غالب عسكره وأن الحاج العراقى تجهز فى تلك
السنة بعدما كان له مدة وهو منقطع بسبب أمر المشعشع فأكرم السلطان ذلك القاصد
وأقام أياما وسافر وفيه توفى الشيخ سراج الدين عمر الوردى الشافعى وكان من أهل العلم
وفيه خلع السلطان على القاضى صلاح الدين المكينى وقرره فى الحسبة وفى ذى الحجة ثار
المماليك الجلبان بالقلعة ومنعوا الامراء من الطلوع الى القلعة وذلك بسبب زيادة رأس غنم
فى كل سنة فتشحح السلطان فى ذلك ثم رسم لكل واحد بزيادة رأس غنم فى الاضحية وخمدت
الفتنة قليلا وفيه فى ثامن عشريه قدم مبشر الحاج وهو دمرداش الطويل وأخبر بأن
الحاج قاسى عطشة عظيمة فى أثناء الطريق ومات من الناس مالا يحصى وأخبر بسلامة
خوند وأولاد السلطان فضربت البشائر بالقلعة لهذا الخبر وفيه توفى أزبك الشعبانى
أحد الامراء بمصر وفيه أخرج السلطان تقدمة طوخ بوقى بازق بحكم عجزه عنها وكان
مريضا وقرر فى تقدمته برسباى البجاسى وقرر فى تقدمة برسباى البجاسى بيبرس خال الملك
العزيز وقرر فى امرية مجلس جرباش المعروف بكرت عوضا عن طوخ بوقى بازق وقرر
يونس العلائى أمير اخور كبير عوضا عن جرباش كرت بحكم انتقاله الى امرية مجلس
❁ ثم دخلت سنة اثنتين وستين وثمانمائة فيها فى المحرم أنعم السلطان على قايتباى المحمودى
بامرية عشرة وكان أحد الدوادارية وقايتباى هذا هو الذى تسلطن فيما بعد وكان بين تأميره
وسلطنته تسع سنين وبعض شهور وفيه قرر فى نيابة ملطية تغرى بردى وفيه توفى
القاضى شهاب الدين السيرجى أحد نواب الحكم بالديار المصرية وكان من أهل العلم
والفضل وكان مولده سنة ثمان وسبعين وثمانمائة وفيه دخل الحاج الى القاهرة ووصل ابن

السلطان ووالدته واخوته وكان لهم يوم مشهود ومو كب حافل ولاقاهم الامراء وأرباب الدولة من البويب ومشت الامراء قدام محفة خوند حتى طلعت الى القلعة والامراء مشاة قدامها من البويب ثم طلعت هي وأولادها وحل الامير فيروز الزمام على رأسها القبة والطير وفرشت لها الشقق الحرير من باب الستارة الى أن جلست على المرتبة بقاعة العواميد ونثر على رأسها خفايف الذهب والفضة ثم دخلت اليها التقادم من الامراء والمباشرين لخوند وأولادها وكان ما أهداه الجمالي يوسف ناظر الخاص قندورة لخوند الكبرى مثلث ذهب ولؤلؤ وريش فكان مصروفها ما يزيد على اثنى عشر ألف دينار وهذا خارج عن بقية التقادم لها ولاولادها لكل منهم تقدمة على انفراده ولاسيما ما أهداه للمقر الشهابي أحمد ولد السلطان وأخيه الناصري محمد حتى قيل انه صرف في هذه الحركة نحو مائة ألف دينار ما بين تقادم وأسمطة وغير ذلك وهذا من ماله دون مال غيره وأفعال ناظر الخاص يوسف في أخباره تقارب أخبار جعفر البرمكي وهذا الامر مشهور بين الناس وفيه وصلت تقدمة من عند قاني باي الحمزاوي نائب الشام ومن جملتها خيول نحو ثمانين فرسا أحدها مسروج بسرج بلور من نوادر السروج وفي صفر رسم السلطان باحضار أزبك بن ططخ الظاهري وكان مقيما بطالا فلما طلع الى السلطان بالقلعة ألبسه سلاريا من ملابسه ونزل الى بيته فأنعم عليه بامرية عشرة وفيه مات الشيخ عبد الكريم خليفة سيدي أحمد البدوي رحمة الله عليه مات قتيلا ولا يعلم من قتله وكان غير مشكور في سيرته ولى خلافة سيدي أحمد البدوي مدة طويلة فلما مات ولى بعده صبي من أقاربه اسمه عبد المجيد وفيه توفي القاضي علاء الدين على بن أقبرس التركي الاصل وكان عالما فاضلا على مذهب الشافعي وكان رئيسا حشما ولى عدة وظائف سنية منها الحسبة ونظر الاوقاف ونائب في القضاء وكان من أعيان نواب الشافعية ومولده سنة احدى وثمانمائة وفي ربيع الاول نودي في القاهرة بتسعير الذهب والفضة وضرب السلطان فضة جديدة فسعر الدينار الذهب بثلثمائة والفضة الجديدة كل أشرفي بخمسة وعشرين نصفا عددية جيدة من خالص الفضة وأبطل سائر المعاملات من تلك الفضة المغشوشة التي كان وصل الدينار منها الى أربعمائة وستين درهما فخسر الناس في هذه الحركة ثلث أموالهم ولكن انصلح أمر المعاملة بعدما كانت فسدت ففرح طائفة من الناس بذلك واغتم آخرون وكان القائم في ذلك الجمالي يوسف ناظر الخاص فاضطربت الاحوال لذلك مدة ثم مشت تلك المعاملة الجديدة وسكن الاضطراب قليلا قليلا وصار كل من قبض عليه السلطان من الزغلية يوسطه أو يقطع يده فوقع الرعب في قلوب الزغلية وكان ذلك سببا لاصلاح المعاملة وقد انصلحت بعد جهد كبير وقال الشهاب المنصوري فيمن أهدى اليه دينارا عند المناداة على الذهب

أمولاي قد آترتني متفضلا * وأهديت ديناراً قد استغرق الوصفا
ولكنه قد خاف أمر مليكه * ألم تره من خوفه نقص النصفا

وفيه توفي الشيخ الصالح المسلك المعتقد سيدي مدين وكان من الاولياء وللناس فيه اعتقاد وفيه توفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن مبارك شاه وهو أحمد بن محمد بن حسين بن ابراهيم بن سليمان القاهري الحنفي وكان عالماً فاضلا شاعراً ماهراً وله نظم جيد وألف الكتب النفيسة في الادبيات وغير ذلك منها كتاب يقال له السفينة كله محاسن وفوائد ومولده سنة ست وثمانمائة ومن شعره عشرة مقابلة بعشرة قوله

فرع جبين محيا قامة كفل * صدغ فم وجنات ناظر ثغر
ليل هلال صباح بانة نقا * آس أقاح شقيق نرجس درر

وفي ربيع الآخر توفي جانم البهلوان الاشرفي أحد الامراء العشراوات رؤس النوب وكان رئيساً حشماً شجاعاً بطلا بارعاً في فنون الفروسية وفيه حصل للسلطان توعك في جسده ثم شفي فضربت البشائر بالقلعة بسبب ذلك وبأبواب الامراء وفيه توفي الامير طوخ بن تمراز الناصري المعروف بيوني بازق وكان اصله من مماليك الناصر فرج ابن الظاهر برقوق ومات بطالا بعدما كان أمير مجلس وكان كبر سنه وعجز عن الحركة وفيه توفي القاضي شهاب الدين أحمد المعروف بقرقاس وهو أحمد بن علي بن محمد بن مكي بن محمد بن عبيد بن عبد الرحيم الانصاري الدماصي الحنفي وكان عالماً فاضلا وناب في القضاء بخط بولاق وكان مولده سنة تسعين وسبعمائة وفيه توفي سودون النوروزي نائب القلعة فلما مات قرر بعده في نيابة القلعة كسباي السمين وقرر جاني بك كوهية أحد رؤس النوب عن كسباي السمين وفيه توفي الناصري محمد بن لاجين الجندي الحنفي وكان من أعيان الحنفية وفي جمادى الاولى خلع السلطان على الطواشي مرجان العادلي وقرره في تقدمة المماليك وفيه قرر في نظر الدولة منصور بن الصيفي وهذا أول ظهوره في الرياسة وفيه توفي المغني الاستاذ في فن النشيد فريد عصره ووحيد دهره ناصر الدين محمد المازوني القاهري وكان بارعاً في فن الغناء وكان يضرب به المثل في حسن النغم ومعرفة الفن ولم يجيء بعده من هو في طبقته الى يومنا هذا وقد رثاه الشهاب المنصوري بهذه الابيات

يا نزهة السمع سكنت الثرى * فالملاهي أي تلهف
كم لطمة من قدم أو يد * في خدي الدوكة والدف

وقوله أيضا

كانت به لذاتنا موصولة * فانقطعت بموته اللذات
وكانت الاصوات تزهو بهجة * فارتفعت لموته الاصوات

وكان حصل له ماز وفى شغله فالج فأقام به مدة طويلة حتى مات فكان يقول ارحموا من سكت حسه وبطل نصفه وفيه نزل السلطان من القلعة وصحبته الامراء وأرباب الوظائف من الدولة فساروا الى نحو جزيرة اروى ثم توجه الى بولاق وكان له يوم مشهود فلما شق من بولاق أمر بهدم ما كان بها من الاخصاص وكانت تضيق الطريق على السالك فهدمت من يومها وفيه مات الشيخ شهاب الدين أحمد بن الاوجاقى الشافعى وكان عالما فاضلا ذكيا وفيه صرف القاضى صلاح الدين المكيني عن الحسبة وقرر بها قانباى اليوسفى المهمندار وكان جماعة من الجلبان ثاروا على المحتسب فكان هذا سببا لصرفه عن الحسبة وفيه قدم قاصد من عند ابن قرمان وعلى يده مكاتبة يعتذر فيها عما حصل منه من الخروج عن الطاعة وأرسل يسأل السلطان فى العفو عنه والصلح معه فاجابه السلطان الى ذلك وفيها نزلت صاعقة عظيمة ببولاق حتى كادت تحرق عن آخرها وكان ذلك يوم الجمعة من شهر رجب واستمر فى كل ليلة يحترق فى مصر والقاهرة حريق وأقام على ذلك نحو سنة حتى ضج الناس من ذلك ۞ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثمانمائة فيها توفى القاضى محب الدين بن الاشقر كاتب السر الشريف فلما توفى خلع السلطان على القاضى محب الدين بن الشحنة واستقر به كاتب السر الشريف عوضا عن ابن الاشقر وكانت وفاته فى رجب وفيها توفى الشيخ على البهى المحتسب وفيها توفى قانباى الحمزاوى نائب الشام واستقر بها جانم الاشرفى وفيها ظهر فى السماء نجم له ذنب طويل نحو سبعة أذرع فكان يطلع من جهة الشرق ثم صار يظهر من جهة الغرب فأقام على ذلك مدة ثم اختفى ۞ ومن الحوادث فى أيامه أن حضر الى الابواب الشريفة جاكم ابن ملك قبرس وطلب من السلطان نجدة فعين السلطان معه تجريدة وكان باش العسكر الامير يونس الدوادار ثم ان السلطان شرع فى عمارة مراكب أغربة بالجزيرة الوسطى وكان الشاد على عمارة هذه الاغربة الامير سنقر قرقشيق الزردكاش فحصل منه غاية الظلم لارباب الغيطان بسبب الاخشاب فلما كملت عمارة تلك الاغربة نزل السلطان بنفسه وكشف على عمارة الاغربة وكان له يوم مشهود ونزل من القلعة فى موكب عظيم وتوجه الى الجزيرة الوسطى فرموا قدامه الاغربة فى البحر والنفط والطبل عمال حتى انتهى ذلك ثم رجع الى القلعة فلما خرجت التجريدة وتوجهوا الى بلاد الافرنج لم يحصل من العسكر الذى توجه نتيجة ورجع الامير يونس الدوادار من التجريدة بغير عسكر وترك بقية العسكر فى قبرس ورجع الى القاهرة فما شكره أحد من العسكر على ذلك وبقى عسكر تاعندهم الى أن مات وفيها توفى الامير يونس العلائى الناصرى أمير آخور كبير فخلع السلطان على الامير برسباى البجاسى واستقر به أمير آخور كبير عوضا عن يونس العلائى وخلع على الامير سودون قراقاش واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن برسباى البجاسى وأنعم على الامير جانى

بك نائب جدة بتقدمة ألف ❁ ثم دخلت سنة أربع وستين وثمانمائة فيها وقع الطاعون بالديار المصرية وكان مبدؤه من الشام وكان طاعوناً عظيماً جداً مات فيه ثلث المماليك والاطفال والجوارى والعبيد والغرباء واستمر عمالاً نحو خمسة أشهر وكان الورد فى تلك السنة كثيراً فصاروا يعملون على التوابيت قواصير جريد يغرزون فيها الورد وقد انتهت الجنائز فى كل يوم الى اثنى عشر ألف جنازة وقد قال القائل

أسفى على سكان مصر اذ غدا * للطعن فيها ذات وخز سارى

الموت أرخص ما يكون بحبة * لكن هــذا صار بالقنطار

وفيها توفى العلامة الشيخ جلال الدين المحلى الشافعى وفيها توفى الزينى أبو الخير بن النحاس وفى هذه السنة كانت وفاة القاضى برهان الدين ابراهيم بن الديمان كاتب الخزائن الشريفة ومستوفى ديوان الجيش ❁ ثم دخلت سنة خمس وستين وثمانمائة فيها توجه الاتابكى أحمد ابن المقام الشريف الى السرحة فلما عاد زينت له القاهرة وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً وطلع الى القلعة فى موكب عظيم وفيها توفى الناصر محمد بن اينال الضيرى ابن أخت خوند بنت خاصبك توفى يوم دخول الاتابكى أحمد الى القاهرة فكدر عليهم ذلك اليوم واستمر الملك الاشرف اينال قائماً فى ملكه وهو فى أرغد عيش وأولاده حوله وكان غالب الامراء اصهاره والعسكر فى قبضة يده واستمر على ذلك حتى مرض بألم الماشم وسلسل فى المرض حتى مات وكانت وفاته يوم الخميس بعد العصر خامس عشر جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة ودفن من يومه فى تربته التى أنشأها له القاضى ناظر الخاص يوسف بالقرب من تربة القاضى عبد الباسط التى فى الصحراء فكثر عليه الحزن والاسف كما قيل فى المعنى

هى الدنيا اذا كملت * وتم سرورها خذلت

وتفعل بالذين بقوا * كما فى من مضى فعلت

وتوفى الملك الاشرف اينال وله من العمر احدى وثمانون سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ثمان سنين وشهرين وستة أيام وخلف من الاولاد أربعة وهم الاتابكى أحمد الذى تسلطن بعده والمقر الناصرى محمد أخوه الصغير وابنته خوند بدريه زوجة يرد بك وابنته خوند فاطمة زوجة يونس البواب الدوادار الكبير ولم يتزوج اينال غير أم أولاده خوند زينب بنت خاصبك ولما ثقل فى المرض عهد بالملك الى ولده الاتابكى أحمد فتسلطن ووالده فى قيد الحياة وكانت صفة الملك الاشرف اينال طويل القامة أسمر اللون عربى الوجه خفيف العوارض وكان يعرف باينال الاجرود وكان ملكاً هيناً لين قليل الاذى ولولا سوء بطشه لكان فى حق الناس لكان خيار ملوك الجراكسة وكان كل من يقع له من الزغلية يوسطه وكانت أيامه كلها هدوءاً وانشراحاً وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فكانوا يخطون له

على المراسيم حتى يمشى عليها بالقلم وقيل انه فى مدة سلطنته لم يسفك دما قط بغير وجه شرعى فعد ذلك من النوادر ومن الحوادث فى أيامه أنه كان يقع بالقاهرة فى كل ليلة حريق فى عدة أماكن حتى ضج الناس من ذلك ولم يعلم سبب هذه النازلة ولا من كان يفعل ذلك فاستمر الامر على ذلك مدة ثم بطل وفى أيامه تحرك ابن قرمان على بلاد السلطان فأخرج اليه تجريدة وكان باش العساكر المقر السيفى خشقدم أمير سلاح فلما توجهوا الى بلاد ابن قرمان لم يقاتلهم ولم يقع بينهم قتال فرجع العسكر الى الديار المصرية وهم سالمون ومن الحوادث فى أيامه أن خوند زوجة السلطان مرضت فنزلت الى بولاق وأقامت فى القطبية فنزل السلطان وسلم عليها فلما حصل لها الشفاء أحرقوا فى بولاق حراقة نفط فخرجت فى تلك الليلة البنت من خدرها بسبب الفرجة على ذلك وكانت من الليالى المعدودة فى القصف والفرجة وكانت دولة الملك الاشرف اينال ثابتة القواعد فأما أتابكيته فالمقر السيفى تانى بك الظاهرى ووالده المقر الشهابى أحمد وأما دواداريته فالمقر السيفى يونس البواب صهره والامير بردبك الدوادار الثانى مملوكه وصهره أيضا وأما قضاته الشافعية فالقاضى علم الدين صالح البلقينى وأما قضاته الحنفية فشيخ الاسلام سعد الدين الديرى وأما قضاته المالكية فالقاضى ولى الدين السنباطى ثم السيد الشريف حسام الدين بن حريز وأما قضاته الحنابلة فالقاضى عز الدين أحمد بن نصر الله الحنبلى وكان الجمالى يوسف ناظر الخاص مدبر مملكته كما كان القاضى عبد الباسط فى دولة الاشرف برسباى وكان ينقاد الى الشريعة ويحب العلماء قليل العزل للقضاة وأرباب الوظائف وكان معظم مساويه مماليكه الجلبان وبالجملة كان الاشرف اينال من خيار ملوك الجراكسة انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الاشرف اينال العلائى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المؤيد أبى الفتح شهاب الدين أحمد ابن الملك الاشرف اينال العلائى الناصرى

وهو السابع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثالث عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد بويع بالسلطنة فى حياة والده وكانت صفة مبايعته بالسلطنة ان أباه لما أشرف على الموت طلع الامير بردبك صهر السلطان واجتمع بخوند زوجة السلطان وذكر لها أن الاحوال فاسدة والامور فى اضطراب ومن الرأى أن السلطان يعهد الى ولده بالسلطنة فدخلت خوند على السلطان وذكرت له ذلك فأمر باحضار الخليفة والقضاة الاربعة فحضر الخليفة الجمالى يوسف والقضاة الاربعة وهم علم الدين صالح البلقينى

الشافعي وسعد الدين الديري الحنفي وحسام الدين بن حريز المالكي وعز الدين الحنبلي وحضر أرباب الدولة من أرباب الحل والعقد فلما تكامل المجلس دخل بعض الشهود على السلطان وشهدوا عليه بخلع نفسه من السلطنة وتولية ولده ثم ان الخليفة بايع الاتابكي أحمد بن اينال بالسلطنة عوضا عن أبيه وتلقب بالملك المؤيد فلما تمت له البيعة أحضر له شعار الملك وهو العمامة السوداء والجبة والسيف البداوي وأفيض عليه الشعار وقدمت اليه فرس النوبة وركب من باب الدهيشة وحمل الامير خشقدم أمير سلاح على رأسه القبة والطير وقد ترشح أمره لان يلي الاتابكية فلما ركب من الدهيشة مشت قدامه الامراء قاطبة والخليفة عن يمينه حتى دخل القصر الكبير ونزل عن فرسه وجلس على سرير الملك وباس له الامراء الارض من كبير وصغير ودقت له البشائر بالقلعة ثم نزل الوالي ونادى في القاهرة بالامان والاطمئنان والدعاء للملك المؤيد فارتفعت الاصوات بالدعاء وكان محببا للناس قليل الاذى ثم خلع على الخليفة والامير خشقدم ونزلا الى دورهما وكان له من العمر لما ولي السلطنة نحو من ثمان وثلاثين سنة أو زيادة على ذلك وكانت أمه خوند زينب بنت خاصبك وكان كامل الهيبة حسن الشكل أبيض اللون مستدير اللحية أسود الشعر طويل القامة غليظ الجسد وكان كفؤا للسلطنة ولكن لم يساعده الزمان وبغى عليه وخان كما قيل

اذا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك في اعتدال

فلما تم أمره في السلطنة عمل الموكب وجلس على سرير الملك وقال فيه القائل

بمهجتي أفدي مليكا غدا * مؤيدا بالنصر كالشمس
فلو تراه فوق كرسيه * لقلت هذا آية الكرسي

ثم أخذ في تدبير ملكه وخلع على من يذكر من الامراء وهم المقر السيفي خشقدم الناصري أمير سلاح فقرره في الاتابكية عوضا عن نفسه وأخرج له مكتوبا بالاقطاع الذي كان بيده وخلع على جرباش المحمدي المعروف بكرت وقرره في امرية سلاح وخلع على قرقماس الجلب وقرره في أمرية مجلس عوضا عن جرباش كرت وخلع على قانم التاجر وقرره رأس نوبة النوب عوضا عن قرقماس الجلب وقرر في تقدمة جرباش كرت بيبرس خال الملك العزيز ثم شغرت تقدمة فاراد أن ينعم بها على صهره الامير برديك الدوادار الثاني فوقف اليه جاني بك الظريف وباس الارض وطلب التقدمة التي شغرت فابى السلطان من ذلك وحصل بين جاني بك الظريف وبين الامير يونس الدوادار الكبير في ذلك اليوم تشاجر بسبب ذلك ونزل جاني بك الظريف من عند السلطان غير راض وكان ذلك سببا في سرعة زوال الملك المؤيد أحمد عن قريب ثم ان السلطان نادى في الحوش للعسكر بان نفقة البيعة في يوم الثلاثاء عشري هذا الشهر لكل مملوك عشرون دينارا فسر الجند بذلك وارتفعت له

الاصوات بالدعاء هذا كله يجرى والاشرف فى قيد الحياة الى أن مات فى يوم الخميس بعد
العصر وذلك فى خامس عشر جمادى الاولى من تلك السنة فلما مات شرعوا فى تجهيزه
وأخرجوه عند باب الستارة وصلى عليه الخليفة وولده الملك المؤيد أحمد ثم نزلت جنازته من
سلم المدرج وتوجهوا به الى تربته التى أنشأها بالصحراء كما تقدم ثم ان السلطان بعث نفقات
الامراء فحمل للاتابكى خشقدم أربعة آلاف دينار ولارباب الوظائف من الامراء
والمقدمين لكل واحد منهم ألفان وخمسمائة دينار ولبقية المقدمين لكل منهم ألف دينار
وحمل للامراء الطبلخانات لكل واحد منهم خمسمائة دينار وحمل للامراء العشراوات
لكل واحد منهم مائتا دينار ثم أنفق على الجند على العادة القديمة من مائة دينار الى
مادون ذلك الى عشرة دنانير ثم أنعم السلطان على يشبك البجاسى الاشرفى ويشبك هذا
كان من مماليك الاشرف اينال وكان فى أيام أستاذه مقدم ألف بحلب ثم حضر الى القاهرة
فبقى مقدم ألف بمصر وفى جمادى الآخرة عين السلطان جماعة من خواصه من الامراء
والخاصكية بالتوجه الى البلاد الشامية وغيرها ببشارة السلطنة الى النواب وغيرهم وفيه
جاءت الاخبار من قبرس بان جانى بك الابلق الذى كان مقيما بقبرس مع جماعة من المماليك
السلطانية أرسل يخبر بان أخت جاكم صاحب قبرس فرت الى رودس لتستنجد بصاحبها
ليمدها بعسكر حتى تحارب أخاها وتأخذ منه مدينة شيرينه فارسل جانى بك الابلق يستحث
السلطان فى ارسال تجريدة تجده سريعا وكان يظن ان الاشرف اينال فى قيد الحياة وفيه
خلع السلطان على مجد الدين بن البقرى وقرره فى الاستادارية عوضا عن منصور بن الصفى
بحكم صرفه عنها وهذه أول ولاية مجد الدين للوظائف السنية وفيه توفى الطواشى مرجان
العادلى مقدم المماليك وكان حبشى الجنس وكان عنده شدة بأس وعسوفة زائدة فلما مات
قرر فى تقدمته جوهر النوروزى وفيه توفى جميل بن أحمد بن عميرة شيخ العرب بالكفور
بالغربية وكان ظالما عسوفا وكان فى سعة من المال وهو بخيل جدا وفيه توفى الصاحب
سعد الدين فرج بن ماجد النحال وكان أصله من الاقباط ولى عدة وظائف سنية منها الوزارة
والاستادارية غير مامرة وولى أيضا كتابة المماليك وغير ذلك من الوظائف وكان رئيسا
حشما ديناخيرا مشكورا فى مباشرته وكان عنده حدة مزاج فى ذاته ومولده فى سنة احدى
وثمانمائة وفيه كان قراءة تقليد السلطان بالقصر الكبير وحضر الخليفة والقضاة
الاربعة وأرباب الدولة وجلس القاضى كاتب السر محب الدين بن الشحنة على كرسى وقرأ
التقليد على العادة ثم ان السلطان خلع على الخليفة والقضاة الاربعة ونزلوا من القلعة فى
موكب حافل وفيه ثارت عربان لبيد ووصلوا الى البحيرة وشنوا بها الغارات ونهبوا الغلال
فلما بلغ السلطان ذلك بادر وأرسل خلفهم تجريدة ولم يرسل من المماليك الجلبان أحدا

فعز ذلك على المماليك القرانصة وأضمروا له السوء وفي رجب ظهر في القاهرة وضواحيها الامن والعدل والرخاء وأحب الرعية السلطان حبا شديدا ومالت اليه النفوس قاطبة كما قيل

دولته للأنام عيد * باق وأيامه مواسم
قد أظهر العدل في الرعايا * وأبطل الجور والمظالم
وصير الشاة في حماه * تمشي مع الذئب والضياغم
لو نطقت مصرنا لقالت * يا ملك العصر والأقالم
ملأت قلب الملوك رعبا * أغنى عن السمر والصوارم

وفيه هجم المنسر على المتفرجين بجزيرة بولاق وكان في الظلمة نصف الليل فنهبوا من الناس شيئا كثيرا وكان الناس قد خرجوا عن الحد في الفتك والقصف بسبب الفرجة ونصبوا هناك الخيام حتى سدوا رؤية البحر وصاروا يقيمون في الرمل ليلا ونهارا من نساء ورجال وهم في غاية الزخرف فهجم عليهم المنسر على حين غفلة ونهب ما قدر عليه ولم ينتطح في ذلك شاتان وفيه قدم الاشرفي الذي كان دوادارا ثانيا بمصر ونفي في دولة الاشرف اينال فلما مات اينال قدم الى القاهرة من غير اذن السلطان فلما حضر نزل عند الاتابكي خشقدم فلما بلغ السلطان ذلك شق عليه وأمر باخراجه من حيث جاء فخرج من يومه وأمر بسجنه فشفع فيه بعض الامراء فانعم عليه السلطان بتقدمة ألف بدمشق وألبسه كاملية سمور وخرج من مصر سريعا فشق ذلك على جماعة الاشرفية وكثر القيل والقال بين الناس ولهجوا بوقوع فتنة عن قريب وفيه وصل الطواشي شاهين غزالي الذي توجه الى دمشق لضبط تركة زوجة قاني بك الحمزاوي نائب الشام واشتملت تركتها على أشياء غريبة من تحف ومعادن نفيسة وأقمشة مثمنة وأواني فضة وبلور مما لا يسمع عنه فكان هذا الموجود أعظم من موجودات الخوندات فأمر السلطان ببيعه في كل يوم ثلاثاء فأقاموا نحوا من شهر وهم يبيعون في ذلك الموجود وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه نحو القرافة وعاد سريعا وهذا أول ركوبه في السلطنة وكان آخر ركوبه وفيه أمطرت السماء بردا كبارا كل حصوة قدر بيضة الحمامة وكان غالب ذلك ببلاد الشرقية وتلف بها أكثر الزرع وهلك بها بعض بهائم وفيه توفي الامير فيروز الزمام الخازندار الكبير وكان أصله من خدام فيروز الحافظي وكان رئيسا حشما ولي عدة وظائف منها الزمامية والخازندارية الكبرى وغير ذلك من الوظائف وكان سيء الاخلاق حاد المزاج وكان في سعة من المال ووجد له من الاصناف والمال ما يزيد على مائة ألف دينار وقيل ابتيع له حاصل فيه نحو ألف دينار ومات

وله من العمر ما يزيد على ثمانين سنة ولم يجئ بعده مثله من الندام وفي رمضان أشيع بين الناس أن السلطان عول على امساك جماعة من الامراء الاشرفية ثم انه أمر نقيب الجيش بأن يدور على الامراء ويأمرهم بالصعود الى القلعة وما عرف السبب لذلك فأخذوا حذرهم وباتوا على وجل ولم يطلع اليه أحد فلما كان ليلة السبت سابع عشر رمضان وثب جماعة من المماليك الاشرفية والظاهرية واستمالوا معهم غالب المماليك الاينالية ولعبوا بهم وأفسدوا عقولهم وضحكوا عليهم فلبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرميلة فلما علم الامر نزل السلطان الى باب السلسلة وجلس بالمقعد المطل على الرميلة فاشتد الحرب في ذلك اليوم واستمروا على ذلك حتى حال بينهما الليل فلما أصبح يوم الاحد ثامن عشر رمضان نزل السلطان الى المقعد المطل على الرميلة وثبت للقتال فلما رأى مماليك أبيه قد وثبوا عليه تحقق انه مكسور لامحالة فكان كما قيل

كنت من كربتي أفر اليهم * فهمو كربتي فأين المفر

ثم كانت الكسرة على أحمد فطلع من باب السلسلة وتوجه الى قاعة البحرة ثم طلب أخاه الناصري محمدا وأمرهم أن يغلقوا عليهم الباب فلما بلغ العسكر ان الملك المؤيد قد اختفى توجهوا الى بيت الاتابكي خشقدم فأركبوه غصبا حتى طلعوا الى باب السلسلة وحضر الخليفة والقضاة الاربعة فخلعوا الملك المؤيد أحمد من السلطنة وبايعوا الاتابكي خشقدم فكانت مدة الملك المؤيد في السلطنة أربعة أشهر وثلاثة أيام وكان المماليك كاتبوا جانم نائب الشام أن يحضر الى مصر ليلي السلطنة وأرسلوا اليه صورة حلف وكتب فيه الامراء الاشرفية خطوط أيديهم بأنهم ارتضوا بجانم أن يكون هو السلطان عليهم وأرسلوا يستحثونه في الحضور فأبطأ عليهم فما صبروا الى أن يحضر فوثبوا على المؤيد في رمضان وحاربوه ثلاثة أيام فلما انكسر اتفقوا على الاتابكي خشقدم وولوه السلطنة عارية الى أن يحضر جانم نائب الشام فصار الهزل جدا وكان كما قيل في المعنى

وان صبابتي كانت مزاحا * فصيرها الهوى حقا يقينا

وكان الملك المؤيد أحمد كفؤا للسلطنة ذا عقل ورأى كامل الهيبة ساس الناس في أيامه أحسن سياسة وقمع مماليك أبيه عما كانوا يفعلونه من تلك الافعال الشنيعة وكان بصيرا بمصالح الرعية ولو أقام في السلطنة لحصل للناس به غاية النفع ولكن خانه الزمان وأخذ من حيث كان يرجو الامان كما قيل

واذا جفاك الدهر وهو أبو الورى * طرا فلا تعتب على أولاده

انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المؤيد أحمد وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد سيف الدين

خشقدم الناصري المؤيدي وهو الثامن والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو أول ملوك الروم بمصر ان لم يكن ايبك التركماني من الروم ولاجين من الروم فخشقدم أول ملوك الروم بمصر (أقول) وكان الظاهر خشقدم أصله رومي الجنس جلبه الخواجا ناصر الدين وبه يعرف بالناصري فاشتراه منه الملك المؤيد شيخ ثم أعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار جمدارا ثم بقي خاصكيا في دولة الملك المظفر أحمد ابن الملك المؤيد شيخ ودام على ذلك دهرا طويلا الى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق فأنعم عليه بامرية عشرة وذلك في سنة ست وأربعين وثمانمائة وصار رأس نوبة واستمر على ذلك الى سنة خمسين وثمانمائة فأنعم عليه السلطان بتقدمة ألف بدمشق فتوجه اليها ودام بدمشق الى أن تغير خاطر السلطان على الامير قانى بك الظاهري حاجب الحجاب بسبب عبد قاسم الكاشف الذي كان قد اشتهر بالصلاح فعند ذلك نفى السلطان الامير قانى بك الى ثغر دمياط فلما جرى ذلك سعى القاضي أبو الخير بن النحاس وكيل بيت المال هو والامير تغرى بغا الدوادار الثاني للامير خشقدم فأحضره السلطان من دمشق وأنعم عليه باقطاع الامير قانى بك حاجب الحجاب وذلك في صفر سنة أربع وخمسين وثمانمائة فأقام على ذلك الى أن مات الملك الظاهر جقمق وتسلطن الملك الاشرف اينال فبقي الامير خشقدم أمير سلاح في دولة الاشرف اينال وسافر في أيامه باش العسكر في التجريدة التي توجهت الى حلب بسبب ابن قرمان فلما رجع من التجريدة أقام أمير سلاح الى أن توفي الملك الاشرف اينال وتسلطن ولده الملك المؤيد أحمد فاستقر بالامير خشقدم أتابك العساكر عوضا عن نفسه وذلك في سنة خمس وستين وثمانمائة فلما وثب المماليك على الملك المؤيد في شهر رمضان كما تقدم ذكر ذلك اتفق رأى الأمراء على سلطنة الأتابكي خشقدم الى أن يحضر المقر السيفي جانم نائب الشام فيسلطنوه فلما أبطأ عليهم الامير جانم سلطنوا الاتابكي خشقدم نيابة عن جانم فكانت سلطنة خشقدم فلتة كما قيل في المعنى

وان صبابتي كانت مزاحا . فصيرها الهوى حقا يقينا

وكانت سلطنة الأتابكي خشقدم في يوم السبت سابع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة فصلى الظهر وجلس في المقعد الذي في باب السلسلة وحضر الخليفة والقضاة الاربعة وهم على الوصف المتقدم ذكره فخلعوا الملك المؤيد أحمد من السلطنة وبايعوا الاتابكي خشقدم فأحضر واله خلعة السلطنة فلبسها من المقعد الذي في باب السلسلة وركب من

هناك

هنالك فرس النوبة وطلع الى باب القصر الكبير وحمل على رأسه القبة والطير المقر السيفي
جرباش كرت أمير سلاح فلما جلس على سرير الملك باس له الامراء الارض وتلقب بالملك
الظاهر ودقت له البشائر ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالادعية الفاخرة ثم انه أرسل
قيد الملك المؤيد وأخاه فى الحجرة ثم نزل بهما وقت الظهر من القلعة وخلفهما أوباقية
بجنايز وأرسلهما الى السجن بثغر مدينة الاسكندرية وأرسل معهما الامير قراجا الطويل
الاينالى وكان المسفر عليهما الامير خير بك المصارع فتوجه بهما الى ثغر الاسكندرية
وسجنهما بها ثم ان السلطان رسم على خوند الخاصبكية ام الملك المؤيد وجعل عليها عشرة
من الخدام منهم خشقدم اللالا فصار يقسو عليها ثم انه أخذ السلطان من خوند المذكورة
جملة كبيرة من المال نحو مائة ألف دينار ثم انه فى أواخر شهر رمضان توفى الامير يونس البواب
الدوادار الكبير وكان صهر الملك الاشرف اينال فكثر عليه الحزن والاسف ثم ان السلطان
عمل الموكب فى القصر الكبير وخلع على من يذكر من الامراء وهم المقر السيفي جرباش
المحمدى المعروف بكرت خلع عليه واستقر به أتابك العساكر عوضا عن نفسه وخلع
على المقر السيفي قرقماس الجلب واستقر به أمير سلاح عوضا عن جرباش وخلع على المقر
السيفي قانم التاجر المؤيدى واستقر به أمير مجلس وخلع على المقر السيفي ملباى المؤيدى
واستقر به حاجب الحجاب وخلع على المقر السيفي جانى بك نائب جدة واستقر به دوادارا
كبيرا عوضا عن الامير يونس البواب بحكم وفاته كما تقدم ثم انه نقل المقر السيفي بردبك
الجقدار واستقر به حاجب الحجاب وخلع على المقر السيفي بيبرس خال العزيز واستقر به
رأس نوبة النوب ثم خلفه تمربغا الماجى من مكة حين أمسك الامير بيبرس ونفى كما سيأتى
ذكر ذلك فى موضعه وكان تمربغا بمكة فلما حضر لمصر استقر به رأس نوبة النوب وخلع على
المقر السيفي جانى بك الظريف واستقر به دوادارا ثانيا وأنعم عليه بتقدمة ألف مع
الدوادارية وخلع على المقر السيفي جانى بك الاشرف واستقر به شاد الشربخاناه وأنعم عليه
بتقدمة ألف مع الشادية وخلع على الامير اينال الاشقر واستقر به والى القاهرة وخلع
على الامير تنم رصاص واستقر به محتسب القاهرة وأنعم على جماعة كثيرة من الامراء
الاشرفية بامريات عشرة ولم تكن ولاية هؤلاء الامراء فى موكب واحد بل كانت فى
مواكب متعددة حسبما يأتى ذكر ذلك فى موضعه ثم ان الامير جانى بك نائب جدة قرب
جماعة من الاينالية ولم يمكن السلطان من التشويش عليهم منهم أزدمر الطويل ونانى
بك قرا وجانى بك المشد وشاد بك أبا طلة وقانصوه المؤيدى وغير ذلك من الاينالية جماعة
كثيرة فصار هؤلاء من عصبة جانى بك نائب جدة وكان مخيلا من جماعة الاشرفية
والمؤيدية فقويت شوكته وتعصبت له الاينالية واجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل

والعقد في تلك الايام والسلطان خشقدم في قبضة يده يدوره كيف شاء وكان السلطان خشقدم متخيلا أيضا باطنا وظاهرا فلم يزل الملك الظاهر خشقدم يتسبل الى جانى بك نائب جدة ويداريه حتى انتهز الفرصة في قتله وقتله كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه فكان لسان حال جانى بك نائب جدة يقول

لا تأمنن عدوا * ولو دنا التيه حية السم تدعى * في حالة الموت حيه

ثم ان الملك الظاهر خشقدم أنفق على العسكر نفقة كاملة وفرق الاقطاعات الثقال على المماليك وأرضى جميع الجند بكل ما يمكن فاستقامت أحواله في السلطنة وزال عنه الشك فلما كان يوم التاسع والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة جاءت الاخبار بان المقر السيفي جانم نائب الشام قد وصل الى خانقاه سرياقوس وقد تقدم أن الامراء الاشرفية أرسلوا كاتبوه بان يحضر الى القاهرة بسرعة حتى يسلطنوه عوضا عن الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال فلما أبطأ عليهم وثبوا على الملك المؤيد وخلعوه من السلطنة وولوا الاتابكي خشقدم سلطانا واستقر المقر السيفي جرباش كرت أتابك العسكر بمصر فلما حضر جانم من الشام وجد القاعدة قد انخرمت والوظائف قد انقسمت وفاته الشنب وعز الطلب فكان كما قيل في المعنى

وثب الثعلب يوما وثبة * شغفا منه بعنقود العنب
لم ينله قال هذا حامض * حصرم ليس لنا فيه أرب

فلما بلغ الظاهر خشقدم حضور جانم نائب الشام اضطربت أحواله وتزايدت أوجاله فاجتمع بالأمراء وضربوا في ذلك مشورة فوقع الاتفاق بان جانم يرجع الى الشام ولا يدخل الى مصر وأن يكون نائب الشام على عادته فتوجه اليه الصاحب علاء الدين بن الاهناسي وصحبته خلعة الى الامير جانم بان يكون نائبا على عادته فتوجه اليه في ليلة عيد الفطر ومدّ له في الخانقاه يوم العيد مدة عظيمة ولم يمكن السلطان أحدا من الامراء المقدمين بان يتوجه اليه فتوجه اليه بعض أمراء عشراوات من الاشرفية منهم قراز الشمسي وغير ذلك ثم ان السلطان أرسل الى الامير جانم عشرة آلاف دينار وأنعم عليه بيرلك الامير يونس الدوادار بجميعه وصار يرضيه بكل ما يمكن فرجع الامير جانم الى الشام وهو يخفي حنين وكان ذلك ترتيبا من الامير جانى بك نائب جدة فانه كان كثير الحيل والخداع فلما رجع الامير جانم الى الشام أرسل السلطان الى نائب قلعة الشام مراسيم في الدس بان يقبض على جانم نائب الشام فرمى عليه بالمدافع وهو جالس في دار السعادة فهرب وقام من وقته وأخذ عياله وأولاده وخرج من الشام هاربا فلما خرج نهبوا دار السعادة وأخذوا جميع بركه وقماشه فلما خرج من الشام توجه الى نحو مدينة الرها واستقر في هياج وعصيان فلما

جاءت الاخبار الى القاهرة بذلك عين له السلطان تجريدة وعين الامير جانى بك نائب جدة
أمير العسكر فأخذ فى أسباب ذلك ثم ان السلطان خلع على خشداشيه المقر السيفى
تنم المؤيدى واستقر به نائب الشام عوضا عن جانم الاشرفى لما تسحب من الشام فأقام
الامير تنم فى نيابة الشام الى أن مات هناك ودفن بالشام والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ثم دخلت سنة ست وستين وثمانمائة﴾ فيها عمل السلطان الموكب فى القصر الكبير فلما
طلع الامراء واجتمعوا بالقصر عول فى تلك الليلة على مسك جماعة من الامراء الاشرفية
فلما كان بعد العشاء غلقوا أبواب القلعة ودخل على الامراء وهم فى القصر جماعة من
المماليك الظاهرية وهم لابسون الزرديات والخود وبأيديهم سيوف مسلولة ومع بعضهم قسى
ونشاب فقبضوا على الامير جانى بك الظريف والامير جانى بك المشد والامير بيبرس خال
العزيز وغيرهم من الامراء الاشرفية نحو من اثنى عشر انسانا فلما قبضوا عليهم قيدوا
الامراء المقدمين ونزلوا بهم من القلعة وهم الامير جانى بك الظريف والامير بيبرس خال
العزيز والامير جانى بك المشد وغير ذلك من الامراء العشراوات فلما نزلوا بهم توجهوا بهم
الى السجن بثغر الاسكندرية فلما جرى ذلك وثب جماعة الاشرفية على الملك الظاهر
خشقدم ولبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرميلة فنزل اليهم جماعة من المماليك الظاهرية
فوقعوا معهم ثم ان المماليك الاشرفية توجهوا الى الاتابكى جرباش كرت وكان فى تربة
الظاهر برقوق بسبب موت ابنته التى ماتت نفساء وهى زوجة الامير اقبردى اليوسفى فلما
توجهوا اليه اختفى الامير جرباش منهم فى فسقية الموتى ولم يقابلهم فلم يزالوا عليه حتى
طلعوا به من فسقية الموتى وسلوا عليه السيوف وأركبوه غصبا وشالوا على رأسه صنجقا
ودخلوا به من باب النصر وشقوا به من القاهرة ولقبوه بالملك الناصر فصار العوام يضجون
له بالدعاء حتى وصل الى البيت الكبير الذى عند حدرة البقر فأقام هناك ثم ان الاشرفية
تقاتلوا قتالا هينا وكان رأس هذه الفتنة الامير سنقر قرق شبق الزردكاش وكان من شرار
جماعة الاشرفية فلم يطيبوا طيبة وصارت أحوالهم سبة ثم ان الملك الظاهر خشقدم
أرسل الى الاتابكى جرباش بعض الخاصكية فتلطف به وأخذه وطلع به الى القلعة فلما طلع
تخيل عليه الامير جانى بك نائب جدة وقال له خشكلدى ملك ناصر فلم يرد عليه جوابا فلما
طلع الاتابكى جرباش الى القلعة نزل المماليك الظاهرية وأوقعوا مع المماليك الاشرفية
واقعة قوية فلم تكن الا ساعة غير بطيئة حتى انكسر المماليك الاشرفية كسرة قوية
وأحاطت بهم كل رزية فولوا مدبرين ورجعوا خائبين فعند ذلك توجه جماعة من المماليك
الظاهرية الى بيت الامير سنقر الزردكاش ونهبوا ما فيه وأحرقوه ثم قبضوا على الامير
سنقر الزردكاش وعلى جماعة كثيرة من الاشرفية ونفوهم فى أماكن شتى وخمدت هذه

الفتنة فكأنها لم تكن ثم ان السلطان قبض على جماعة من الاينالية ونفاهم ثم نفى الامير بردبك صهر الملك الاشرف اينال الى مكة وفيها خلع السلطان على خشداشيه الامير جانى بك كوهيه واستقر به دوادارا ثانيا عوضا عن الامير جانى بك الظريف وفيها خلع السلطان على الامير اينال الاشقر والى القاهرة ثم استقر به نائب ملطية وخلع على الامير قرا الظاهرى واستقر به والى القاهرة عوضا عن اينال الاشقر وفيها عزل السلطان ناظر الخاص عبد الرحمن بن الكويز واستقر بالقاضى شرف الدين الانصارى ناظر الخواص الشريفة عوضا عن عبد الرحمن بن الكويز وفيها فصل السلطان قاضى القضاة علم الدين صالح من القضاء وأعاد القاضى شرف الدين يحيى المناوى وقيل بل عزل القاضى علم الدين وولى المناوى فى دولة المؤيد أحمد بن اينال وهذه ثالث ولاية للمناوى وكذلك فصل القاضى سعد الدين الديرى من القضاء وولى ابن الصواف عوضا عنه وفيها عزل السلطان الصاحب علاء الدين بن الاهناسى وخلع على الصاحب بن الصنيعة واستقر به وزيرا وفيها عزل السلطان الامير زين الدين يحيى الاستادار وولى مجد الدين بن البقرى استادارا عوضا عنه ومن الحوادث فى هذه السنة أن النيل المبارك توقف فى أبيب عند مبتدا الزيادة وأقام فى ذلك التوقف نحو خمسة عشر يوما ولم يزد شيأ فضج الناس من ذلك وتشحطت الغلال وشطح سعر القمح الى ألف درهم كل اردب وحصل للناس الضرر الشامل لقلة الزيادة وقد خلت مسرى وقد قيل فى المعنى

ولقد عهدت النيل سنيارى * عمرا ويتبع أمره تسديدا
والآن أضحى فى الورى متشبعا * متسوقفا مالى يحب يزيدا

فلما استقر الامر على ذلك رسم السلطان للقضاة الاربعة والمشايخ والعلماء بان يتوجهوا الى المقياس ويبيتوا به ويتلوا هناك القرآن والحديث الشريف ويدعوا الله تعالى بزيادة النيل فتوجه القاضى يحيى المناوى والسيد الشريف ابن حريز المالكى وجماعة من العلماء فأقاموا فى المقياس أياما ورجعوا ولم يزد النيل شيأ فأرسل السلطان الى الشيخ أمين الدين يحيى الاقصرائى يستفتيه فى ذلك فقال الشيخ أمين الدين اجمعوا بنى العباس من الرجال والنساء من صغارهم أكبارهم ثم يضعون فى أفواههم شيأ من الماء ويمجونه فى اناء ثم يصبونه فى فسقية المقياس ففعلوا ذلك فكان فيه البركة ثم ان القاضى علم الدين صالحا البلقينى توجه الى المقياس وأقام هناك ثلاثة أيام ففى اليوم الرابع زاد ثلاثة أصابع ففرح الناس بذلك ورجع القاضى علم الدين وشق من القاهرة وقدامه رايات زعفران وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ثم وفى النيل فى تلك السنة وثبت ثباتا عظيما الى أواخر توت وتوجه المقر السيفى قائم التاجر وكسر السد وقد قال القائل

سد الخليج بكسر وجبر الورى * طرا فكل قد غدا مسرورا
البحر سلطان فكيف تواترت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا

ثم في عقيب ذلك عزل السلطان القاضي يحيى المناوى وأعاد القاضي علم الدين صالحا البلقيني

❁ ثم دخلت سنة سبع وستين وثمانمائه فيها جاءت الاخبار من حلب بان جانم نائب الشام قد قتل وقيل ان مماليكه قد قتلوه وهو في قلعة الرها فلما صح هذا الخبر دقت الكوسات ثلاثة أيام وبطلت التجريدة التي كانت تعينت اليه ثم ان السلطان أرسل قبض على الامير تمراز الاشرفي وسجنه بالمرقب وأشيع عنه انه قتل قتيلا فاثبت عليه السلطان كفرا وأرسل اليه شخصا من المالكية يقال له الشارعي فضرب عنقه على باب السجن الذي بالمرقب وكان تمراز هذا سيء الخلق مر اللسان مستحقا لكل سوء وكان منفيا في البلاد الشامية من أول دولة الملك الاشرف اينال وآخر الامر قتل هنالك ومضى أمره وفيها أرسل السلطان تجريدة الى نحو بلاد الافرنج برودس وكان باش العسكر الامير برديك الجمقدار وفيها كسفت الشمس كسوفا فاحشا من بعد الضحى الى قرب العصر حتى أظلمت الدنيا في أعين الناس وفيها خلع السلطان على القاضي برهان الدين ابراهيم بن الديرى واستقر به كاتب السر الشريف عوضا عن القاضي محب الدين بن الشحنة واستقر القاضي محب الدين بن الشحنة قاضي قضاة الحنفية عوضا عن ابن الصواف وفيها توفيت والدة المقر الشهابي أحمد بن العيني وكانت وفاتها في يوم السبت فتوجه معها الى التربة الامير جاني بك نائب جدة والقاضي كاتب السر ابراهيم بن الديرى فلما رجعوا من التربة غلط ابن الديرى مع الامير جاني بك في الكلام فقال يا جاني بك ان هذه الميتة نزلت من القلعة في يوم السبت ولا بد أن يعقبها أحد كبير وأظنه السلطان فأخذ جاني بك منه الكلام ونقله للسلطان فتغير خاطر السلطان على ابن الديرى فلما طلع الى الموكب قال له يا قاضي في أي حديث ورد ان الميت اذا خرج في يوم السبت لا بد أن يتبعه أحد كبير ثم قال له الزم بيتك فكان كما قيل

العقل زين والسكوت سلامة * فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
فلئن ندمت على سكوتي مرة * فلقد ندمت على الكلام مرارا

ثم ان السلطان عزل ابراهيم بن الديرى من كتابة السر بسبب ذلك وخلع على القاضي زين الدين أبي بكر بن مزهر واستقر به كاتب السر الشريف عوضا عن ابن الديرى فكانت مدة ولاية القاضي برهان الدين بن الديرى دون الشهرين وقد سعى فيها بخمسة آلاف دينار وفيها أخرج السلطان تقدمة الامير جاني بك المرتد الناصري وجعله طرخانا ورتب له ما يكفيه واستمر على ذلك الى أن مات في أثناء دولته وفيها قبض السلطان على المهتار على فطيس

مهتار الاشرف اينال وسلمه الى الامير جانبك نائب جدة فضربه علقة قوية وأخذ منه خمسة آلاف دينار فباع أملاكه وجميع ما يملكه حتى سدد ذلك وفيها استعفى القاضى شرف الدين الانصارى من نظارة الخاص فخلع عليه السلطان واستقر به وكيل بيت المال وخلع على عبد الرحمن بن الكويز وأعاده الى نظارة الخاص وفيها استقر مثقال البرهانى مقدم المماليك عوضا عن صندل الهندى وفيها استقر القاضى تاج الدين بن المقدسى فى نظارة الجيش عوضا عن الزين بن مزهر وفيها توفى شيخ الاسلام قاضى القضاة الحنفى سعد الدين ابن الديرى ودفن بتربة الظاهر خشقدم وقد تولى القضاء نحو ثلاثين سنة وكان من علماء الحنفية وكانت وفاته فى شهر ربيع الاول من سنة سبع وستين ومات وهو منفصل عن القضاء

ثم دخلت سنة ثمان وستين وثمانمائة فيها عزل عبد الرحمن بن الكويز من نظارة الخاص واستقر بها الصاحب علاء الدين بن الاهناسى واستقر ناظر الخاص ووزيرا فأقام على ذلك مدة ثم اختفى وغيب فخلع السلطان على مجد الدين بن البقرى واستقر به وزيرا عوضا عن ابن الاهناسى وخلع على القاضى تاج الدين بن المقدسى واستقر به ناظر الخاص ثم ان مجد الدين بن البقرى قبض على الصاحب علاء الدين بن الاهناسى فسجنه السلطان فى البرج الذى فى القلعة واحتاط على موجوده فأخذ منه مائة ألف دينار ورسم بنفيه الى مكة فخرج وسافر من البحر الملح وفى هذه السنة عظم أمر الامير جانى بك نائب جدة والتفت عليه جماعة الظاهرية من خشداشينه فكان ينزل من القلعة وعسكر مصر قدامه أولهم عند قناطر السباع وآخرهم فى الرميلة وسائر المباشرين قدامه مستمر اذلك فى كل يوم وهو أول من اتخذ السعاة يمشون قدامه كلما ركب ونزل زيادة فى العظمة فثقل أمره على الملك الظاهر خشقدم وكان الظاهر خشقدم أنشأ له مماليك كثيرة وثبتت قواعده فى السلطنة وصارت خشداشينه المؤيدية مماليكه أمراء فعوّل على قتل جانى بك نائب جدة فى الباطن وأضمر له السوء ثم ان الامير جانى بك لما كملت عمارة القبة التى أنشأها فى منشية المهرانى عمل هناك وقدة عظيمة وأحضر سوارى طوالا على البر وعلق فيها قناديل وعزم على جماعة من الامراء ومد مدة عظيمة وكانت ليلة لم يسمع بمثلها وحضر هناك ابن رباب المغنى وابراهيم بن الهندى وجمع بين قراء البلد والوعاظ وكان ذلك فى ليلة الجمعة فلما كان يوم الثلاثاء ثامن ذى الحجة سنة سبع وستين وثمانمائة طلع الامير جانبك نائب جدة الى القلعة على جارى العادة وكان معه الامير تنم رصاص المحتسب وكان السلطان قد رسم جانبك انه فى ذلك اليوم يمسك الامير قانم التاجر والامير قايتباى المحمودى المؤيدى فطلع فى ذلك اليوم بدرى وكانت المحولية والطبخة له كما قيل فى المعنى

وكم من طالب يسعى لشئ * وفيه هلاكه لو كان يدرى

فلما طلع الى القلعة ودخل من بابها ووصل الى الجامع خرج اليه كمين من المماليك الاجلاب من مماليك الظاهر خشقدم فقتلوه هناك هو والامير تنم رصاص ورموا على رؤسهما قفص جبر بعد أن طعنوهما بالرماح حتى وقعا الى الارض موتى فلما أصبح الصباح غسلوهما وكفنوهما وصلوا عليهما بالقلعة ونزلوا بهما فدفن الامير جانى بك فى تربته التى أنشأها خارجا من باب القرافة فلما سمع مماليكه لبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرميلة فرموا عليهم بالنشاب من باب السلسلة فولوا مدبرين وراحت على من راحت ولم تنتطح فى ذلك شاتان وكان الامير جانى بك نائب جدة أميرا عظيما صاحب حرمة وافرة وكلمة نافذة وكان صاحب حيل وخداع وهو الذى رتب للملك الظاهر خشقدم فى مسك الامراء الاشرفية ورجوع جانب نائب الشام الى الشام بعدما ترشح أمره الى السلطنة فكان حال جانى بك مع الظاهر خشقدم كما قيل فى المعنى

أعلمه الرماية كل يوم * فلما استد ساعده رمانى

وكان الامير جانى بك مولعا بغرس الاشجار وأنشأ عدة غيطان بالمنشية وهى منشية المهرانى وكان كثير التنزه وكانت صفته أخضر اللون قصير القامة جدا مستدير اللحية شائب الذقن عارفا بأحوال المملكة فصيح اللسان بالعربى أصله من مماليك أسنبغا الطيارى وقدمه الى الملك الظاهر جقمق فهو معتوق الملك الظاهر جقمق من جملة مماليكه انتهى ذلك

❁ ثم دخلت سنة تسع وستين وثمانمائة فيها خلع السلطان على خشداشيه الامير يشبك الفقيه واستقر به دوادارا كبيرا عوضا عن الامير جانى بك نائب جدة وفيها أنعم السلطان على خشداشيه الامير جانى بك كوهيه بتقدمة ألف وخلع على مملوكه الامير خير بك واستقر به دوادارا ثانيا عوضا عن جانى بك كوهيه وفيها أنعم السلطان على سبطه المقر الشهابى أحمد ابن العينى بتقدمة ألف وقرره فى امرية الحاج وقرر فى امرية الركب الشرفى يحيى ابن الامير يشبك الفقيه وفيها اختفى زين الدين الاستادار فصرف السلطان مجد الدين بن البقرى من الوزاره وقرره فى الاستدارية واستمرت الوزارة شاغرة أياما حتى خلع السلطان على الشمس محمد البباوى ناظر الدولة وقرره فى الوزارة عوضا عن ابن البقرى فلما قرر البباوى فى الوزارة عد ذلك من مساوى خشقدم وقالت الناس الزفر تولى الوزارة بمصر ومن يومئذ انحط قدر الوزارة جدا وتبهدل هذا المنصب الى الغاية قال الامام أبو شامه المؤرخ كانت الوزارة على عهد الخلفاء وظيفة عظيمة جليلة وكان الوزير يجلس بحضرة الخلفاء على مقدار خمسة أذرع وكان هو المتصرف فى أمر المملكة بما يختار فلما جاءت دولة الاتراك قدموا نيابة السلطنة على الوزارة فلا شئ أمر الوزارة من يومئذ وصارت الوزارة تنقسم الى أربع

جهات منها كتابة السر والاستادارية ونظر الخاص وشاد الدواوين وكانت خلعة الوزارة في قديم الزمان عمامة بيضا برقمات ذهب شغل تنيس وطيلسان أبيض برقمات ذهب وجبة صوف بيضا بطرز ذهب وفي عنقه عقد جوهر بعشرة آلاف دينار وسيف مقلد به مسقط بالذهب ويركب حجرة بخمسمائة دينار وفي قوائمها أربع جوهرات وفي عنقها جوهرة كبيرة بألف دينار وترفع على رأسه أعلام بيض ويحمل على رأسه منشور الولاية وهو مكتوب في حرير أبيض فبطل ذلك كله فلما ولي البباوي شق ذلك على الناس لكونه لم يكن من أهل ذلك وكان البباوي طباخا وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب وفي كلامه غرتلة وكان أسود اللحية عنده عترسة ويبس وكان أصله معاملا في اللحم من جملة المعاملين ولكن وعده الله بذلك من القدم وفيه يقول بعض الشعراء

قالوا البباوي قد وزر * فقلت كلا لا وزر
الدهر كالدولاب لا * يدور الا بالبقر

وقال آخر

تجنب العلم والفضائل * وميل الى الجهل ميل هائم
وكن حمارا مثل البباوي * فالسعد في طالع البهائم

فلما ولي الوزارة جاء فيها على الوضع وسكن في بيت الوزارة التي في بركة الرطلي ودقت على بابه الكؤسات ولبس الخف والمهاميز وكان الظاهر خشقدم قاغا معه فهابه جميع المباشرين وخافوا منه وكان يكبس البيوت على من يجده يسكر ويغرمه جملة مال تحت الليل حتى ضجت منه الناس وكانت له حرمة وافرة وكلمة نافذة وجاء على الناس مجيء موحش فكان لا يقبل رسائل أحد من الامراء وصادر في مدة ولايته جماعة من أعيان الناس والتجار وكان يكره من يسكر ثم ان السلطان سلمه الامير زين الدين الاستادار فأحضر له المعاصير وقصد عصره فترامى عليه الامير زين الدين وصار يقبل رجليه حتى عفا عنه من العصير وكذلك جماعة كثيرة غير زين الدين صاروا تحت أمره وأخذ أموالهم وكان كما قيل

ومن أعظم البلاوي كريم أصابه * قضاء وأضحى تحت ذل لئيم

وفيها أوقف قاضي القضاة الشافعي علم الدين صالح البلقيني فلما وقف خلع السلطان على القاضي يحيي المناوي وأعاده الى القضاء فأقام مدة يسيرة ونم عليه القاضي صلاح الدين أحمد بن بركوت المكيني الشافعي فعزل السلطان القاضي يحيي المناوي وولى صلاح الدين المكيني وفي ذلك اليوم عزل السلطان القاضي محب الدين بن الشحنة الحنفي وولى القاضي برهان الدين ابراهيم بن الديري قاضي قضاة الحنفية فتولى القاضيان في يوم واحد

ونزلا من القلعة في موكب واحد وعليهما التشاريف وفيها خلع السلطان على القاضي كمال الدين ابن القاضي جمال الدين ناظر الخاص واستقر به ناظر الجيش وكان الساعي له الامير خيربك الدوادار فانه كان صهره زوج أخته وفيها أرسل السلطان تجريدة الى البحيرة وكان فيها خمسة أمراء مقدمين منهم الامير قرقماس الجلب أمير سلاح والامير جانى بك قلقسيز وغير ذلك من الامراء وفيها حجت خوند الاحمدية زوجة السلطان خشقدم وكان المقر الشهابي أحمد بن العيني أمير المحمل وكان الشرفي يحيى ابن الامير يشبك الفقيه أمير أول وحج الامير يشبك الفقيه مع ولده في تلك السنة (أقول) وقد أظهر المقر الشهابي أحمد بن العيني في هذه الحجة من الكبرياء والعظمة ما لم يظهره غيره من ابناء الملوك فصنع أكوارا من الذهب مرصعة بفصوص ياقوت وبلخش وفيروز وصنع كنابيش مثلث بذهب ولؤلؤ وريش وخرج من القاهرة في موكب عظيم وسائر الامراء والمباشرين قدامه وخوند الاحمدية في محفة زركش فكان له يوم مشهود وفيها توفي الامير جانبك المرتد الناصري ومات وهو طرخان وكان السلطان أخرج عنه التقدمة وفيها أمطرت السماء وجاء رعد وبرق وهبت رياح باردة وذلك في أواخر بشنس بعد أن قلع السلطان الصوف فلبس الصوف بعد ذلك أياما

❁ ثم دخلت سنة سبعين وثمانمائة فيها عاد المقر الشهابي أحمد بن العيني من الحجاز الشريف وخوند الاحمدية فكان لهم يوم مشهود وفيها كانت وفاة المقر الصاحبي العلائي على بن الاهناسي توفي بمكة المشرفة ودفن هناك وكذلك الامير بردبك صهر الملك الاشرف اينال توفي بمكة ودفن هناك قيل مات قتيلا من العرب في رابغ ثم نقل من رابغ الى مكة ودفن بها وفيها كانت وفاة الشيخ شهاب الدين بن أبي السعود أحد شعراء العصر وهو من السبعة الشهب وفيها عزل السلطان قاضي القضاة صلاح الدين المكيني وولى القاضي أبا السعادات البلقيني فاقام في قضاء القضاة أربعة أشهر ثم سعى عليه القاضي ولي الدين الاسيوطي وكان الساعي له الامير خيربك الدوادار الثاني فتولى الاسيوطي وعزل القاضي أبو السعادات وفيها أعاد السلطان القاضي محب الدين بن الشحنة الى قضاء الحنفية وفيها أخرج السلطان تجريدة الى بر الجيزة بسبب فساد العربان وكان باش العسكر الامير بلباي المؤيدي أمير اخور كبير والامير بردبك هجين فطردوا من هناك العربان وأقاموا مدة ورجعوا وقتل من المماليك السلطانية هناك ستة لما وقعوا مع العربان وفيها نزل السلطان الى الرماية وشق من المدينة وزينت له وكان له موكب عظيم وفيها عزم المقر الاتابكي قائم على السلطان في الربيع فنزل اليه هو وسائر الامراء والعسكر فتلقاه الاتابكي قائم هناك سماطا عظيما قيل كان مصروفه ألف دينار ففرق الاكل على جميع العسكر وأحضر للسلطان هناك أرباب الملاعيب من المشعبذين وغير ذلك فانشرح السلطان في ذلك اليوم الى الغاية هو والامراء

ولما رجع السلطان دخل الى بيت منصور الاستادار ثم توجه الى بيت الصاحب شمس الدين البباوى فاقام السلطان عنده قائم الى ما بعد العصر ثم طلع الى القلعة فى موكب عظيم وفيها نزل السلطان وخلق المقياس وكسر السد وهذا لم يرمن بعد الملك المؤيد شيخ بان سلطانا نزل وكسر السد بنفسه وفيها خلع السلطان على منصور القبطى واستقر به استادارا فاقام بها مدة ثم قبض عليه وسجنه بالمقشرة ثم خلع على شرف الدين ابن كاتب غريب واستقر به استادارا ثم أثبتوا على منصور القبطى كفرا وضربوا عنقه تحت شباك المدرسة الصالحية وفيها توفيت خوند الاحمدية زوجة الظاهر خشقدم وهى جدة المقر الشهابى أحمد بن العينى فلما ماتت تزوج السلطان بسريته خوند سوار باى أم ولديه وفيها فى أواخر هذه السنة فى يوم الاربعاء ثامن عشرى ذى الحجة نزل الصاحب شمس الدين البباوى من بيته الذى سكن فيه على بركة الرطلى فنزل فى مركب وتوجه الى نحو قناطر بنى منجا فلما رجع ووصل الى فم خليج الزربية انقلبت به المركب هنالك فغرق قريب السبر فأطلعوا جميع ما غرق معه حتى حق الدقاق وهو لم يظهر له خبر ولا وقف له على أثر حتى ولاف شطنوف التى هى محط رجال الغرقى فكان من بقية قوم نوح أغرقوا فادخلوا نارا وقد قال القائل

لا تكرهوا الموت ان فيه * حصاد من طاب مع خبيث
فمستريح ومستراح * منه كما جا فى الحديث

فلما غرق البباوى خلع السلطان على يحيى بن صنيعة ثم قاسم وهو قاسم المعروف بشنيعة وعبد القادر واشتركا فى التكلم فى الوزارة ثم انفرد بها الزينى قاسم واستمر على ذلك مدة طويلة ۞ ثم دخلت سنة احدى وسبعين وثمانمائة فيها توفى الاتابكى قائم بن صفر خجا المؤيدى التاجر وقد مات فجأة فى ليلة واحدة فلما مات خلع السلطان على المقر السيفى بلباى المؤيدى واستقر به أتابك العساكر عوضا عن قائم التاجر ثم خلع على المقر الشهابى أحمد بن العينى واستقر به أمير اخور كبير عوضا عن بلباى المؤيدى فتزايدت عظمة المقر الشهابى أحمد ابن العينى فى تلك الايام وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية وصار له حرمة وافرة وكلمة نافذة وهو الذى أنشأ القصر العظيم المطل على البحر تجاه جزيرة الفيل وهى فى ناحية المهراني ولما كملت عمارة هذا القصر نزل السلطان اليه وأقام هنالك الى ما بعد العصر وتفرج فى ذلك اليوم على البحر وانشرح وكان يوما سلطانيا وفيها توفى قاضى القضاة شرف الدين يحيى المناوى وكان من أعيان خيار علماء الشافعية وتوفى وهو منفصل عن منصب القضاء وفيها تغير خاطر السلطان على الرئيس علاء الدين بن رحاب فمسكه فى الحديد ورسم بنفيه الى الشام فخرج وتوجه الى قطيا وأقام بها أياما ثم شفع فيه كاتب المماليك بن جلود فرسم السلطان بعوده وكان سبب نفى ابن

رساب أنه كان اذا عمل سماعا فى مكان يقوم فى ذلك المكان عربدة فعمل سماعا فى باب الوزير فقتل فى تلك الليلة قتيل ففنى السلطان ابن رساب بسبب ذلك وفيها نزل السلطان الى الرماية وشق من القاهرة وزينت له وفيها نزل السلطان وكسر السد بنفسه وفيها غرق السلطان خازندار الامير جانى بك نائب جدة المسمى برش وكان شابا صغيرا فتأسف عليه الناس وفيها توفيت بنت السلطان التى من خوندسورباى وكانت مستحقة للزواج وفيها حضر الى الابواب الشريفة قاصد ابن عثمان ملك الروم فاكرمه السلطان الى أن عاد الى بلاده وفيها نزل السلطان الى المطعم بالمطرية ولبس الصوف هناك وشق من المدينة وزينت له وكان له موكب عظيم

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فيها تزايدت عظمة السلطان خشقدم وبلغت عدة مماليكه نحو أربعة آلاف مملوك وصار غالب خشداشينه مقدمى ألوف منهم الامير يشبك الفقيه والامير مغلباى طاز والامير قنبك المحمودى والامير جانى بك كوهية وغير ذلك جماعة كثيرة أمراء طبلخانات وعشراوات ثم أمر جماعة كثيرة من مماليكه منهم الامير خيربك الدوادار الثانى ومنهم الامير خشكلدى اليسق ومنهم الامير كتباى والامير مغلباى المحتسب والمقر الشهابى أحمد بن العينى وغير ذلك جماعة كثيرة من مماليكه وفيها جاءت الاخبار من حلب بان خارجيا تحرك على البلاد يقال له شاه سوار فرسم السلطان للامير برديك البجقدار نائب حلب بان يخرج اليه فخرج اليه ثم جاءت الاخبار من بعد ذلك بان برديك نائب حلب لما خرج الى سوار انتمى عليه وأظهر العصيان على السلطان وقصدوا التوجه الى الشام فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت أحواله وعين الى سوار تجريدة وبها من الامراء خمسة مقدمو ألوف ثم ان السلطان دور المحمل الرجبى فى تلك السنة على جارى العادة فلما كان ليلة حراقة النفط فى الرملة احترق بالنفط فى تلك الليلة سقف الاسطبل السلطانى فكان ذلك فالا على السلطان ولم يصح أمره من بعد ذلك ثم ان النيل المبارك وفى فى أثناء تلك السنة فنزل لكسر السد السلطان بنفسه على جارى العادة فكان له موكب عظيم وكان ذلك آخر مواكبه فلما كسر السد وطلع الى القلعة حم من يومه ولزم الفراش ثم ثقل فى المرض وسلسل وكان القائم بتدبير أمور المملكة الامير خيربك والمقر الشهابى أحمد بن العينى فعينوا الامير أزبك بن ططخ رأس نوبة النوب بان يخرج الى العقبة بسبب فساد العربان فخرج وتوجه الى العقبة ووصل الى الازلم ثم عينوا الامير قرقماس الجلب أمير سلاح والامير يشبك الفقيه أمير دوادار كبير بان يتوجهوا الى نحو الصعيد بسبب فساد العربان وكل ذلك عن لسان السلطان وهو ملازم الفراش على غير استواء فخرج هؤلاء مسرعين من غير تأخير وكان الامير خيربك متخيلا من هؤلاء الامراء فأخرجهم بسرعة حتى يصفو له الوقت ويبلغ

قصده فكان كما قيل

وسالمتك الليالى فاغتررت بها • وعند صفو الليالى يحدث الكدر

ولما ثقل السلطان خشقدم فى المرض نزل بفرس من الاسطبل من الخيول الخاص وعرضه
على الامراء للبيع فاشتراه ابن العينى بخمسمائة دينار وقيل بألف دينار فلما أرسل ثمنه
للسلطان تصدق بثمنه كله على الفقراء وكانت هذه عادة قديمة عند الملوك اذا حصل لهم
توعك يفعلون ذلك انتهى وفى مدة توعك السلطان اضطربت أحوال الديار المصرية وصار
الامير تمر الوالى يطوف فى كل ليلة فى المدينة ومعه مماليك ملبسة والمشاعلية تنادى كل من
يمشى فى الليل يقطع أنفه وآذانه واستمر السلطان مريضا نحو أربعين يوما فلما كان يوم
السبت بعد الظهر عاشر ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة توفى السلطان الملك
الظاهر خشقدم ودفن فى تربته التى أنشأها فى الصحراء ومات وله من العمر نحو خمس وسبعين
سنة ومات بحمى كبدية وخلف من الاولاد صبيين وهما سيدى منصور وأخوه فكانت
مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ست سنين وخمسة أشهر وعشرين يوما بما فيها
من مدة توعكه وانقطاعه وكان ملكا جليلا مهيبا كفؤا للسلطنة عارفا بأحوال المملكة
وكان حسن الشكل معتدل القامة مترك الوجه أحمر اللون مستدير اللحية ضخم الجسم شائب
الذقن فصيح اللسان بالعربى وكان ماشيا على النظام القديم تابعا الطريقة الملوك السالفة فى عمل
المواكب فى القصر الكبير والمبيت به فى كل ليلة اثنين وخميس وكان ماشيا على طريقة استاذه
الملك المؤيد شيخ فى كسر السد بنفسه ولبس الصوف فى المطعم وكان كثير الرمايات فى كل سنة
ويشق من القاهرة فى المواكب الجليلة وكان يدور فى كل سنة المحمل فى رجب وتسوق
الرماحة على جارى العادة أربعين يوما ثم يلبسوا الاحمر وتزين القاهرة ثلاثة أيام ويخرج
الناس فى ذلك عن الحد فى القصف والفرجة وكانت أيامه كلها لهو وانشراح ولم يجىء
فى أيامه الطاعون بمصر ولا جرد تجريدة الى البلاد الشامية وكان ترفا فى ملبسه فصنع
له ركابا من ذهب ومهاميز من ذهب وكان يلبس السمور الاسود الذى على لونه الحبر
لا يوجد الآن وكان يلبس القباء الصوف القلندر وبطنه بالمخمل الاحمر الكفوى
وكان اذا ركب وساق لا ينفرد بسله من تحت فخذه ولو ساق سوقا قويا وكان
كريما على من يستحق الكرم بخيلا على من يستحق البخل لكن كان من مساويه
جور مماليكه فى حق الناس ومن مساويه أنه كان غير عفيف عن الزنا واللواط ومن
مساويه أنه كان سريع العزل للقضاة والمباشرين ويأخذ أموالهم ويعزلهم بسرعة
ومن مساويه قتل جانى بك نائب جدة من غير ذنب وأخذ أموال ابن الاهناسى حتى رخام
بيته بغير حق ولم يترك لاولاده شيأ وقتل جماعة من الامراء بغير ذنب وبالجملة انه كان

قليل

قليل الاذى بالنسبة الى من جاء بعده من الملوك وكان يحب العلماء والصلحاء وينقاد الى الشريعة وكانت البلاد على أيامه هادية من الفتن وهو آخر من مشى من الملوك على النظام القديم فأما أتابكيته فالمقر السيفي جرباش كرت أولا ثم قانم التاجر ثم يلباى وأما دواداريته فالامير جانى بك نائب جدة والامير يشبك الفقيه وأما قضاته الشافعية فالقاضي يحيى المناوى تولى فى أيامه مرتين والقاضي علم الدين صالح البلقينى والقاضي صلاح الدين المكينى وأبو السعادات البلقينى والقاضي ولى الدين الاسيوطى وأما قضاته الحنفية فالقاضي سعد الدين الديرى أولا ثم ابن الصواف ومحب الدين بن الشحنة تولى فى أيامه مرتين والقاضي برهان الدين الديرى وأما قضاته المالكية فالسيد الشريف القاضي حسام الدين بن حريز وأما قضاته الحنابلة فالقاضي عز الدين الحنبلى وأما كتاب السر فالقاضي محب الدين بن الشحنة أولا ثم ابراهيم بن الديرى ثم أبو بكر بن مزهر وأما نظار جيوشه فتاج الدين بن المقسى والقاضي كمال الدين بن ناظر الخاص يوسف وأما نظار خواصه فعبد الرحمن بن الكويز أولا ثم شرف الدين الانصارى والعلاء بن الاهناسى وتاج الدين بن المقسى وأما وزراؤه فعلاء الدين بن الاهناسى أولا وقد تولى الوزارة فى أيامه ثلاث مرات ثم ابن صنيعة ثم مجد الدين بن البقرى ثم الشرفى يوسف ثم البباوى ثم قاسم وشريكه عبد القادر وأما استاداريته فزين الدين أولا ثم مجد الدين بن البقرى ثم منصور ثم قاسم الكاشف ثم ابن كاتب غريب فهذه جملة من تولى فى أيامه من أرباب الوظائف من القضاة والمباشرين ﴿ذكر من توفى فى أيامه﴾ وهم قاضى القضاة سعد الدين الديرى الحنفى وصالح البلقينى ويحيى المناوى وشمس الدين القرافى من أعيان نواب المالكية والاتابكى قانم التاجر وسيدى محمد بن الاشرف اينال توفى بثغر الاسكندرية وتوفى الامير تنم نائب الشام بدمشق وتوفى قرباى ناظر أحد المقدمين وتوفى الامير جانى بك الظريف بسجن المرقب ونقل بعد موته الى مصر ودفن بالصحراء فى القبة التى عمرت له بعد موته وتوفى الامير خشكلدى القوامى أحد الامراء الطبلخانات وكان من أعيان المؤيدية وقيل من الناصرية وتوفى من العلماء أيضا الشيخ جلال الدين المحلى وكان من أعيان علماء الشافعية والاصح انه توفى فى دولة الاشرف اينال كما تقدم وتوفى من المشايخ الشيخ عمر الكردى والشيخ محمد الشريف الشاذلى والشيخ على الطيبى وتوفى فى أيامه من الشعراء شهاب الدين بن ابى السعود توفى بمكة وسيدى على بن برديك والشيخ شهاب الدين ابن صالح وكان من فحول الشعراء ومن شعره فيمن أهدى اليه بطيخا وقطرا وقاله ارتجالا

بعثت الى بطيخا وقطرا ❊ يشابه ذاك هذا فى الصفات
هما نوعان عند الذوق كل ❊ تولد فى الحقيقة من نبات

انتهى ما أوردنا من أخبار الملك الظاهر خشقدم وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي النصر سيف الدين بلباى المؤيدى

وهو التاسع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الرابع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم في العدد بمصر بويع بالسلطنة بعد موت الملك الظاهر خشقدم تسلطن في يوم السبت بعد العصر وهو اليوم العاشر من ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة (أقول) وكان أصله جركسي الجنس جلبه الامير اينال منضج من بلاد الجراكسة فاشتراه منه الملك المؤيد شيخ في سنة عشرين وثمانمائة فأقام في الطبقة مدة ثم أعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار جمدارا ثم بقى خاصكيا ثم بقى ساقيا في دولة الملك الظاهر جقمق ثم بقى أمير عشرة ثم بقى أمير أربعين ثم بقى مقدم ألف في دولة الملك الاشرف اينال ثم بقى حاجب الحجاب في دولة الملك الظاهر خشقدم ثم بقى أمير اخور كبير ثم بقى أتابك العساكر بمصر بعد موت قانم التاجر في سنة سبعين وثمانمائة فلما توفى الظاهر خشقدم وقع الاتفاق على سلطنته دون الامراء فحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف والقضاة الاربعة فاجتمعوا في المقعد الذى في باب السلسلة فبايعوه بالسلطنة ثم أحضروا له خلعة السلطنة فلبسها وركب من المقعد وطلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباس له الامراء الارض وتلقب بالملك الظاهر ودقت له البشائر ونودى باسمه في القاهرة وضج الناس له بالادعية الفاخرة فلما تم أمره في السلطنة عمل الموكب بالقصر الكبير وخلع على من يذكر من الامراء وهم المقر السيفى تمربغا أمير مجلس خلع عليه واستقر به أتابك العساكر عوضا عن نفسه وخلع على المقر الشهابى أحمد بن العينى واستقر به أمير مجلس عوضا عن تمربغا فنزل ابن العينى من باب السلسلة وسكن في بيت جانى بك نائب جدة المطل على الخليج ثم خلع السلطان على المقر السيفى قنبك المحمودى واستقر به أمير سلاح عوضا عن الامير قرقماس الجلب وخلع على المقر السيفى بردبك هجين واستقر به أمير اخور كبير عوضا عن ابن العينى فلما فعل ذلك لم يتم أمره في السلطنة وبان عليه العجز وكان خشنا قليل المعرفة لانه كان يدعى بلباى المجنون فصار منقادا مع الامير خيربك الدوادار بشعرة ولا يتصرف في شئ من أمور المملكة الا برأيه وصار مع المماليك الخشقدمية في غاية البلية ثم ان الامير خيربك أشار على السلطان بلباى بأن يمسك الامير قرقماس الجلب والامير أرغون شاه استادار الصحبة والامير قلطاى الاسحاقى فأرسل بالقبض عليهم وكان الملك الظاهر خشقدم

ارسلهم

أرسلهم الى نحو الصعيد مع الامير يشبك الفقيه كما تقدم فأرسل للقبض عليهم من هنالك وأرسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية فلما وقع ذلك نفرت منه قلوب الرعية وكان تدميره في تدبيره ثم لما أنفق على العسكر قطع نفقة أولاد الناس والخدام فكثر عليه الدعاء ثم ان النفقة تشحطت فشكا ذلك الى الامير خيربك فقال له يامولانا السلطان ان كان في حاصلك شيء من المال فأنفقه على العسكر وقد صارت الخزائن بيدك خذ منها ماشئت فسمع له وطلع عاسجيه جله واحدة فأنفقه على العسكر وقد تقدم منه ما كان حصله من حين كان جنديا ثم بعد أيام حضر الامير أزبك بن ططخ رأس نوبة النوب والامير جانى بك والامير قلقسير حاجب الحجاب وكان السلطان حتى تقدم أرسلهم الى العقبة بسبب فساد العربان فلما حضروا كان صحبتهم جماعة كثيرة من العربان نحو ستين انسانا وكان الامير أزبك انتهى في هذا السفر الى الازلم فلما عرض العربان على السلطان بلباى أمر بتوسيطهم أجمعين ولم يعرف الظالم من المظلوم فصاروا في ذمته وكان فيهم صغار دون البلوغ ثم لما رجع الامير أزبك من العقبة أشار خيربك على السلطان بلباى بأن يستقر به نائب الشام فلما طلع أزبك في يوم الجمعة الى القلعة خلع عليه السلطان بعد صلاة الجمعة وهو في باب الستارة خلعة واستقر به نائب الشام ورسم له بأن يتوجه الى الشام بعد ثلاثة أيام فخرج الى الشام في يوم الاثنين في أواخر ربيع الاول من سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فلما توجه الامير أزبك الى الشام عمل السلطان الموكب وخلع على الامير قايتباى المحمودى واستقر به رأس نوبة النوب عوضا عن الامير أزبك لما بقى نائب الشام ثم ان الامير يشبك الفقيه حضر من الصعيد فأقره على حاله دوادارا كبيرا كما كان وكل ذلك ترتيب الامير خيربك الدوادار ثم ان الامير يشبك الفقيه قصد الوثوب على الامراء الخشقدمية وان يقبض على جماعة منهم بجمع خشداشينه وهم قنبك المحمودى أمير سلاح والامير جانى بك كوهيه والامير مغلباى طاز والامير طوخ الزردكاش وجماعة المؤيدية كلهم فلبسوا آلة الحرب وركبوا في يوم الخميس فلما تحقق العسكر ذلك التف عليهم جماعة من الاينالية وجماعة من الاشرفية والمماليك السيفية فتوجهوا الى بيت الامير يشبك الفقيه فعند ذلك طلع الامير يشبك الفقيه الى المدرسة التى تسمى الجاولية فقعد هنالك وحفر خندقا عند المدرسة الصرغتمشية وواحدا عند رأس الكبش وواحدا عند قناطر السباع ثم ركبوا مكحلة في شباك المدرسة الجاولية واستمروا في ذلك اليوم كله يقعون مع المماليك الخشقدمية فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة نزل الامير قايتباى رأس نوبة النوب من القلعة ومعه جماعة من المماليك الاينالية والظاهرية فتوجهوا الى الامير يشبك الفقيه وأوقعوا معه فكان بينهم واقعة عظيمة وقتل في ذلك اليوم ثلاثة

من المماليك السلطانية فلما كانت ليلة السبت هرب الامير يشبك الفقيه وهرب
بقية الامراء المؤيدية وانكسروا كسرة قوية فنهب العوام بيوتهم وولى سعدهم وأتت
عكوسهم نخابت آمالهم ولم ينفع اجتهادهم كما قيل في المعنى

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فلما كان يوم السبت سابع جمادى الاولى من سنة اثنتين وسبعين اجتمع الامراء بالقلعة
وأحضروا الخليفة والقضاة الاربعة وخلعوا الظاهر بلباى من السلطنة ووقع الاتفاق من
الامراء على سلطنة الاتابكي تمربغا كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه ثم دخلوا بالظاهر بلباى
الى البحرة وقيدوه ثم قبضوا على الامير قنبك المحمودي أمير سلاح وقيدوه وأدخلوه الى
البحرة ثم ان الامير يشبك الفقيه توجه الى الامير قايتباى ثم قبضوا على الامير
جانبك كوهية ومغلباى طاز وطوخ الزردكاش وبقية المؤيدية من كبير وصغير ولم
يتركوا منهم أحدا فأما الملك الظاهر بلباى فانه أقام في البحرة يومين ثم نزلوا به هو والامير
قنبك المحمودي فتوجهوا بهما الى السجن بثغر الاسكندرية وأما الامير يشبك الفقيه
وطوخ الزردكاش فتوجهوا بهما الى ثغر دمياط وأما جانبك كوهية ومغلباى طاز فلا
أدري في أي مكان توجهوا بهم أفي ثغر دمياط مع الامير يشبك الفقيه أو لا فكانت مدة
سلطنة الظاهر بلباى بالديار المصرية شهرين الا أربعة أيام وكانت كأنها سنة من النوم
أو يوم أو بعض يوم كما قيل في المعنى

ركب الاهوال في دورته * ثم ما سلم حتى ودعا

وبه زالت الدولة المؤيدية كأنها لم تكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير وكان الظاهر
بلباى من عمره أرذل قليل المعرفة وكان يعرف ببلباى المجنون وكان عمره كله في غلاسة هو
ومماليكه وكان ملبسه مغلسا من عمره وشكله سمج وتدبيره سيء يجمع بين قبح الفعل
والشكل وسوء الطباع ومقت اللسان كما قيل

وفظ غليظ الطبع لا ود عنده * وليس لديه للاخلاء تأنيس
تواضعه كبر وتقريبه جفا * وترحيبه مقت وبشراه تعبيس

وقد زال سعده جملة واحدة فكانت أيامه أنحس أيام [illegible] على أنحس وجه
وكان مع خيربك الدوادار في غاية الضنك ليس له في السلطنة الا مجرد الاسم فقط ولا يتصرف
في شيء من أمور المملكة الا بمشورة الامير خيربك فكان اذا سئل في شيء يقول [illegible]
أنا فقل له يعني قل لخيربك [illegible] العوام فيه وكان خيربك يجعل السلطان بلباى آلة وهو
يمهد لنفسه في الباطن وقد طمحت آماله في السلطنة وحدثته نفسه بذلك والله غالب
على أمره انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك الظاهر بلباى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبى سعيد تمربغا الظاهرى

وهو الاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثانى من ملوك الروم بمصر فى العدد (أقول) وكان أصله رومى الجنس من مشتروات الملك الظاهر جقمق ورباه صغيرا فلما تسلطن جقمق جعله خاصكيا ثم بقى من جملة السلحدارية ثم بقى خازندارا ثم بقى أمير أربعين ثم دوادارا ثانيا فى أثناء دولة الملك الظاهر جقمق وسافر الى الحجاز أميرا فى سنة تسع وأربعين وثمانمائة ثم بقى مقدم ألف فى دولة الملك المنصور عثمان بن جقمق ثم نفى الى ثغر الاسكندرية وسجن بها نحو ست سنين ثم نقله الملك الاشرف اينال الى مكة فأقام بها نحو ثلاث سنين فلما تسلطن الظاهر خشقدم رسم باحضاره من مكة فلما حضر خلع عليه واستقر به رأس نوبة النوب عوضا عن قرقماس الجلب فأقام على ذلك مدة ثم نفاه الظاهر خشقدم الى ثغر الاسكندرية فأقام فى السجن ثلاثة أيام هو والامير ازبك ططخ فشفع فيهم الاتابكى قائم التاجر فرسم السلطان باحضارهم فلما حضروا أقام على ذلك مدة ثم بقى أمير مجلس لما نفى الاتابكى جرباش كرت الى ثغر دمياط عندما بقى قائم التاجر أتابك العساكر ثم بقى أتابك العساكر فى دولة الملك الظاهر بلباى عندما تسلطن فلما ركب المؤيدية وانكسر الامير يشبك الفقيه خلعوا الظاهر بلباى من السلطنة ثم وقع الاتفاق من الامراء على سلطنة الاتابكى تمربغا فأحضروا الخليفة والقضاة الاربعة وبايعوا الاتابكى تمربغا بالسلطنة وذلك فى يوم السبت سابع جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ولبس خلعة السلطنة من الحراقة التى فى باب السلسلة وركب من سلم المقعد وطلع من باب سر القصر الكبير وحمل القبة والطير على رأسه المقر السيفى قايتباى رأس نوبة النوب فلما جلس على سرير الملك باس له الامراء الارض وتلقب بالملك الظاهر أيضا ودقت له الكؤسات بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالادعية الفاخرة وفرح غالب الناس بولايته لانه كان رجلا عاقلا عارفا باحوال المملكة وكان كفؤا للسلطنة وقد اشتمل على جملة من المحاسن فى علم الفروسية وغير ذلك من سائر الفنون حتى كان يرتب بيده فى القبان وكان يعقد البركاوات الحرير بيده وله غير ذلك محاسن كثيرة فى فنون لعب الرمح والنشاب ولكن لم يساعده الزمان وجنى عليه وخان فلم تكن حركاته سعيدة ولم تكن أيامه مديدة فكان كما قيل فى المعنى

انى تأملت الزمان وصرفه فى خفض ذى شرف ورفع الارذل

كطبائع الميزان فى أفعاله تضع الرواجح والنواقص تعتلى

فلما تم أمره فى السلطنة عمل الموكب بالقصر الكبير وخلع على من [illegible] من الامراء [illegible]

المقر السيفي قايتباي المحمودي واستقر به أتابك العساكر عوضا عن نفسه وخلع على المقر السيفي جانبك قلقسيز واستقر به أمير سلاح عوضا عن قنبك المحمودي وخلع على المقر السيفي خيربك واستقر به دوادارا كبيرا عوضا عن يشبك الفقيه وخلع على المقر السيفي خشكلدى البيسقي واستقر به رأس نوبة النوب عوضا عن قايتباي المحمودي وخلع على المقر السيفي تمر الوالي واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن بردبك هجين لسابق أميرا خور كبير وخلع على الامير كسباي الخشقدمي واستقر به دوادارا ثانيا عوضا عن الامير خيربك وفي تلك الايام كتب الامير كسباي كتابه على خوند بنت الملك الاشرف اينال ولكنه لم يدخل عليها ثم ان السلطان تمربغا رسم بالافراج عن الامير قرقماس الجلب فاحضره من ثغر الاسكندرية ثم رسم بالافراج عن الامير قراز الشمسي فاحضره من ثغر دمياط وكذلك الامير دولات باي النجمي وهؤلاء من مماليك الاشرف برسباي ثم أنعم على الامير مغلباي الخشقدمي بتقدمة ألف وأنعم على جماعة كثيرة من الخشقدمية بامريات عشرة وامريات أربعين ثم انه رسم بتدوير المحمل الرجبي في تلك السنة فسافروا الرماحة على العادة في القرافة ومن الحوادث في أيامه أنه قبض على الشرفي يحيي بن الامير يشبك الفقيه وصادره وأخذ منه نحو عشرة آلاف دينار وكان قصده يصادر أعيان الناس بسبب النفقة وقد صار مع المماليك الخشقدمية تحت الضنك والقهر في كل يوم فلما كان ليلة الاثنين سادس رجب عمل السلطان الموكب في القصر الكبير وطلع الامراء على جاري العادة الى القلعة فطلع الامير خيربك ودخل الى القصر فلما كان وقت المغرب غلقت أبواب القلعة ودخل جماعة من المماليك الخشقدمية ومعهم سيوف مسلولة فقبضوا على السلطان تمربغا وهو جالس في الدرجاة المطلة على الرميلة وقبضوا على جماعة من الامراء وحبسوهم تحت الدرجاة التي يجلس فيها السلطان وكان الامير خيربك اتفق مع المماليك الاينالية في الباطن بأنه يمسك السلطان والامراء الظاهرية وتصير الاينالية والخشقدمية شيأ واحدا وأنه اذا امسك السلطان من فوق تركب الاينالية من أسفل فيمسكوا بقية الامراء وان خيربك يتسلطن فانخرم معهم الحساب وضلوا عن الصواب كما قيل

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا

فلما مسك السلطان تمربغا ومعه جماعة من الامراء الذين طلعوا الى القلعة في تلك الليلة ظن خيربك أنه قد تسلطن ووصل الى ذلك فجلس على سرير الملك وتلقب بالملك الظاهر مثل استاذه خشقدم وباس له الارض المماليك الخشقدمية وأنعم على جماعة منهم بوظائف سنية وتصرف في تلك الليلة بما تقتضيه له الاختيار ولسان الحال يناديه كلام الليل يمحوه النهار وكان الاتابكي قايتباي غائبا في الربيع لم يطلع في تلك الليلة الى القلعة مع الامراء فلما بلغه خبر مسك السلطان والامراء ركب تحت الليل ودار على جماعة الظاهرية من

خشداشينه ثم داروا على الاينالية واستمالوهم على خيربك وقالوا لهم نحن نرضيكم فوقع الاتفاق فى تلك الليلة على خلع السلطان تمربغا وأن الاتابكى قايتباى هو السلطان وأن يقبضوا على الخشقدمية كلهم فلما وقع القرار على ذلك باس الارض تحت الليل للاتابكى قايتباى أعيان الاينالية وأركبوه وطلعوا به الى الرميلة فلما بلغ خيربك ما جرى اضطربت أحواله وضاق به الامر وأدركه طلوع النهار فأخرج السلطان تمربغا من تحت الطرحة والامراء الذين سجنوا معه وأجلس السلطان على مرتبته وباس له الارض ثم انسطح بين يديه وقال له وسطنى فانى كنت باغيا عليك فقال له السلطان يا أسير دوادار لا أنت ولا أتابك لنا بقا فلما طلع النهار ملك الظاهرية والاينالية باب السلسلة وانكسر الخشقدمية فطلع الاتابكى قايتباى الى باب السلسلة وجلس فى المقعد الذى يطل على الرميلة وحضر الخليفة والقضاة الاربعة ثم خلعوا الظاهر تمربغا من السلطنة وولوا الاتابكى قايتباى كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه فلما طلع السلطان قايتباى الى القلعة قبض على المقر السيفى خيربك وعلى المقر السيفى الشهابى أحمد بن العينى وعلى الامير كسباى الدوادار وعلى الامير خشكلدى المعروف بالبيسق وعلى الامير مغلباى وعلى جماعة كثيرة من الامراء الخشقدمية فقيدوا الامير خيربك وابن العينى وسجنوا فى مكان بالقلعة ومعهم المهتار عبد الكريم وأما الملك الظاهر تمربغا فادخلوه الى البحرة من غير قيد وهو فى غاية العز والعظمة وأكرمه السلطان قايتباى غاية الاكرام فانه كان أغاته بجميع ظاهر بتحقق فالكل جاؤا من بعده ثم ان السلطان رسم للملك الظاهر تمربغا بان يتوجه الى ثغر دمياط من غير قيد ولا سجن ورسم له بان يركب الى صلاة الجمعة ويتنزه فى غيطان دمياط فنزلوا به تحت الليل وتوجهوا به فى مركب الى ثغر دمياط فاقام بها فكانت مدة سلطنته بمصر شهرين الا يومين فكان كما قيل فى المعنى

لم أستتم عناقه لقدومه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه

ولم يعلم باحد من ملوك الترك أنه خلع من السلطنة فى أقل من هذه المدة ولم تفد معرفة الملك الظاهر تمربغا شيأ وعارضه الزمان كما قيل فى المعنى

واذا جفاك الدهر وهو أبو الورى * طرا فلا تعتب على ابنائه

وكيف كان تمربغا يمكث فى السلطنة والقسمة كانت من القدم لقايتباى وقد قال القائل فى المعنى

الرزق فى الوجوه * للمرء ملتزم

ماهو لمن سعى * الا لمن قسم

واستمر الملك الظاهر تمربغا فى أرغد عيش بثغر دمياط حتى حسن له الشيطان أن يتسحب

من ثغر دمياط فتعصب من هناك كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الظاهر تمربغا وذلك على سبيل الاختصار والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

ذكر سلطنة الملك الاشرف أبي النصر سيف الدين قايتباي المحمودي الظاهري

وهو الحادي والاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الخامس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر (أقول) كان أصله جركسي الجنس جلبه الى مصر الخواجا محمود في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة فاشتراه منه الملك الاشرف برسباي هو وعدة مماليك صغار ضريبة كل مملوك خمسون دينارا فلما اشتراه أنزله بالطبقة وصار من جملة المماليك الكتابية واستقر على ذلك حتى توفي الاشرف برسباي وتسلطن الظاهر جقمق فاشتراه من بيت المال على يد مملوك وصي الملك الاشرف برسباي هو وعدة مماليك كتابية واستمر في رق الظاهر جقمق حتى أعتقه ثم أخرج له خيلا وقماشا وصار جمدارا ثم بقي خاصكيا ثم بقي دوادارا كبيرا فلما توفي الظاهر جقمق وتسلطن الظاهر بلباي جعله رأس نوبة النوب عوضا عن أزبك بن ططخ لما بقي نائب الشام ثم لما تولى الظاهر تمربغا جعله أتابك العساكر عوضا عن نفسه فلما وثب خيربك على الظاهر تمربغا ووقع له ما تقدم ذكره وقع الاتفاق من العسكر على سلطنته وخلع الظاهر تمربغا وكان القائم في ذلك طائفة الاينالية والظاهرية فلما انكسر خاير بك وطائفة الخشقدمية حطم الامير يشبك بن مهدي كاشف الوجه القبلي مع جماعة من العسكر فملكوا باب السلسلة وقبضوا على خاير بك فتغلب العسكر على الظاهر تمربغا وأشرف على الخلع فعند ذلك طلع الاتابكي قايتباي الى باب السلسلة وجلس بالمقعد الذي بمواشتوروا فيما يكون من الامر في الظاهر تمربغا فلم يوافق العسكر على ابقاء الظاهر تمربغا في السلطنة فأرسلوا خلف أمير المؤمنين المستنجد بالله يوسف فحضر وحضر القضاة الاربعة وهم ولي الدين الاسيوطي الشافعي ومحب الدين بن الشحنة الحنفي وحسام الدين بن حريز المالكي وعز الدين الحنبلي وحضر جماعة من الامراء فلما تكامل المجلس عملت صورة شرعية في خلع الظاهر تمربغا من السلطنة فخلعه الخليفة في الحال وبايع الاتابكي قايتباي وتلقب بالملك الاشرف ثم أحضروا له شعار الملك وهي العمامة السوداء والجبة السوداء التي بالطراز المذهب والسيف البداوي فلما أرادوا أن يفيضوا عليه شعار الملك تمنع من ذلك وبكى فالبسوه ذلك الشعار غصبا وهو يمتنع غاية الامتناع ثم قدمت اليه فرس النوبة فركب من سلم الحراقة وأخذ للامير جاني بك قلقسيز أمير سلاح بأن يرد الصنجق السلطاني

على رأسه لعدم حضور القبة والطير من الزردخاناه فرفع الصنجق على رأسه وقد ترشح أمره للأتابكية فلما ركب سار ومشت قدامه الامراء بالشاش والقماش وركب الخليفة عن يمينه وسار حتى طلع من باب سر القصر الكبير فلما طلع جلس على سرير الملك وقبلت له الامراء الارض وذلك يوم الاثنين سادس رجب من السنة المذكورة فلما انفض المجلس وراح أمره خلع على الخليفة ونزل الى داره ثم خلع على المقر السيفي جانى بك قلقسيز الاشرفي برسباى وقرره فى الاتابكية عوضا عن نفسه ونزل الى داره فى موكب حافل وقيل تولى الملك الاشرف قايتباى الملك وله من العمر نحو من خمس وخمسين سنة وقد وكزه الشيب قليلا ثم دخل يشبك بن مهدى وقراز الشمسى على الظاهر تمربغا وأقاموه من فوق مرتبته وأدخلوه الى قاعة البحرة وهو فى غاية الاكرام ثم أخذوا منه النمجاه والترس والدواة وأحضروها بين يدى الاشرف قايتباى ثم ان الاشرف قايتباى رسم بتقييد خاير بك فقيد هو وابن العينى وأدخلوهما الى مكان بالقرب من القصر الكبير وأدخلوا معهما عبد الكريم مهتار الملك الظاهر خشقدم وهو أول حكم وقع للاشرف قايتباى ثم ضربت له البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء من الخاص والعام وفيه يقول الشهاب المنصورى

سلطاننا الاشرف فى بذله . وعدله قد جمع الفضلا

تقبل الله الذى عزه . بالنصر منه الصرف والعدلا

وكان لما أراد أن يلبس شعار الملك شرط على العسكر أنه لا ينفق عليهم نفقة البيعة فرضوا بذلك فلما تسلطن لم ينفق على العسكر شيأ ثم أخذ السلطان فى أسباب القبض على أعيان الخشقدمية فقبض على كسباى الدوادار الثانى وقد ظهر من بيت يشبك بن مهدى وقبض على مغلباى ورسم باخراجه الى القدس يقيم به بطالا ورسم باخراج كسباى الى حلب واختفى خشكلدى البيسقى ثم صار فى كل يوم يقبض على جماعة من الخشقدمية ويشتت شملهم ويسجنهم بالقلعة ما بين أمراء وخاصكية ثم ان السلطان رسم باحضار قرقماس الجلب من دمياط واحضار جماعة من الاشرفية منهم بيبرس خال العزيز ومنهم جانى بك المشد وبيبرس الطويل وكانوا بالقدس ثم أشار بعض الظاهرية على السلطان بعود هذه الجماعة الاشرفية الى القدس على عادتهم فخرج الامر من السلطان بأن يعادوا بعد ما كانوا قد وصلوا الى قطيا فعادوا الى القدس وفى ثامن هذا الشهر رسم السلطان باخراج الظاهر تمربغا الى ثغر دمياط فخرج وهو فى غاية العز والاكرام من غير تقييد وقد رفق به وكان السلطان يرسل اليه فى كل يوم أسمطة حافلة وهو بالبحرة وعندما خرج للسفر اجتمع به السلطان واعتذر اليه فى أمر السلطنة وأن ذلك لم يكن باختياره وكان على كرمنه وكان

بين قريغاوين قايتباي أيمان عظيمة بأنه لايغدر ولا يتسلطن فلم تتم هذه الايمان ثم ان السلطان ودع الظاهر قريغا ونزل من القلعة وهو راكب على فرس من مركب السلطان ونزل من باب القرافة بعد العشاء وتوجه الى ساحل البحر ونزل في الحراقة وتوجه الى ثغر دمياط فلما وصل الى دمياط نزل في أحسن دورها وكان يركب الى صلاة الجمعة واستمر بدمياط الى ان كان من أمره ماسنذكره وفيه اشار بعض الظاهرية على السلطان بان يطلق من كان حبسه من الخشقدمية ثم ان السلطان أخذ في أسباب مصادرة خاير بك الذى تسلطن هو وابن العيني فطلب السلطان من خاير بك نحوا من ستين ألف دينار خارجا عن بركه وخيوله وسلاحه وغير ذلك وعلى ابن العيني نحوا من مائتي ألف دينار وذلك خارج عن بركه وسلاحه وغير ذلك وفيه عمل السلطان الموكب وخلع على من يذكر من الامراء وهم بردبك هجين وقرره في أمير سلاح عوضا عن قاني بك المحمودى وخلع على يشبك بن مهدى وقرره في الدوادارية الكبرى عوضا عن خاير بك ولما حضر قرقماس الجلب من دمياط خلع عليه وقرره في امرية مجلس عوضا عن ابن العيني وكان قرقماس الجلب لما نفي الى الاسكندرية أمير سلاح فنزل درجة الى أسفل وقرر في الدوادارية الثانية قانبردى الابراهيمي الاينالي عوضا عن كسباى الخشقدمى وقرر في ولاية القاهرة قانى باى الحسنى الاينالي عوضا عن اسباى البواب الخشقدمى وأنعم على قراجا الطويل الاينالي بتقدمة ألف ثم ان بعض الامراء اشفع في الناصرى محمد ابن الاتابكى جرباش كرت وكان مقيما بدمياط من حين نفاه الظاهر خشقدم في واقعة برش بغا ولد جانى بك نائب جدة وقد تقدم ذكر ذلك فلما حضر خلع عليه كاملية بسمور ونزل الى داره وفيه أخذ السلطان في أسباب تعيين تجريدة الى شاه سوار بن دلغادر وقد تقدم ماوقع منه في أيام الظاهر خشقدم وقد قويت شوكته والتف عليه عسكر ثقيل من التركمان وغيرهم وقد أظهر العصيان والمخامرة نخشى السلطان من أمره وأراد ان يأخذ أموره بالقوة وكان يمكنه أن يرسل الى سوار بخلعة وهدية وتخمد هذه الفتنة فلم يوافق على ذلك وأخذ الاشياء بالمترسة فعين له تجريدة ثقيلة وعين بها الامير قلقسيز الاتابكى وبردبك هجين أمير سلاح ونانق رأس نوبة النوب وقرطباى حاجب الحجاب وعدة أمراء طبلخانات وعشراوات وعدة وافرة من الجند والغالب فيهم من المماليك الخشقدمية وجعل السلطان ذلك عوضا عن نفيهم وفيه عمل السلطان الموكب وخلع على من يذكر من الامراء وهم جانى بك الفقيه الظاهرى وقرره في الامير اخورية الكبرى عوضا عن بردبك هجين وقرر في الامير اخورية الثانية يشبك حسن عوضا عن جانى بك الفقيه بحكم انتقاله وقرر في حسبة القاهرة قانصوه الخفيف تاجر المماليك وأنعم عليه بامرية عشرة وفيه رسم السلطان باخراج خاير بك الذى تسلطن وقد سمته العوام سلطان ليلة فخرج تحت الليل وهو مقيد

راكب فرساً والاوجاقي يردفه على جاري العادة فلما وصل الى شاطئ البحر نزل في الحراقة وانحدر حتى وصل الى ثغر اسكندرية فسجن بها ورجع من كان معه من الاينالية وبه زالت دولة الخشقدمية كأنها لم تكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير وفيه نودي من قبل السلطان بابطال المشاهرة التي تتعلق بالمحتسب وهي نحو ألف دينار في كل شهر فبطل ذلك مدة يسيرة ثم عاد بعد ذلك كل شئ على عادته وفيه ابتدأ السلطان بتفرقة الاقاطيع على الجند وكان أكثرهم اينالية وأمر منهم جماعة كثيرة حتى رضوا وكان قصدهم اثارة فتنة واتفقوا مع الخشقدمية على ذلك ثم غلب سعد الاشرف قايتباى على ما قصدوه وخمدت تلك الفتنة وفيه قرر في أتابكية دمشق شادى بك الجلبانى عوضاً عن سرامرد العثمانى بحكم القبض عليه وفيه وصل مودون البرقي من دمشق من غير اذن السلطان وكان عين من جملة المقدمين بمصر فلما حضر أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف وعين للتجريدة وكان مريضاً فأعفى من السفر وأقام بمصر مدة ومات وفيه أحضر أزدمر الابراهيمي الطويل وكان مسجوناً بقلعة دمشق فلما حضر أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف وقد صار يدارى الاينالية مداراة وفيه عرض السلطان العسكر بسبب التجريدة اسوار واستمر جالساً على الدكة وهو يعرض ويكتب الى ما بعد العصر ثم ضيق على أولاد الناس والزمهم بالسفر الى سوار أو يقيموا لهم بدلا فصار يأخذ من كل واحد كان لا يسافر مائة دينار عوضاً عن البدل الى السفر وقرر على جماعة من المباشرين جملة مال وأمرهم باحضاره بسرعة ليستعين به على نفقة العسكر فهذه أول شدة وقعت منه في حق الناس واستمر الامر منه يتزايد في كل يوم حتى جاوز الحد في ذلك وكان ما سنذكره في موضعه فلما تكامل حضور المال حملت النفقات للامراء المعينين للسفر فحمل للاتابكي جانى بك قلقسيز أربعة آلاف دينار ثم حمل لبقية الامراء المقدمين لكل واحد ثلاثة آلاف دينار وللامراء الطبلخانات لكل واحد خمسمائة دينار وللامراء العشراوات لكل واحد مائتا دينار وأنفق على الجند لكل واحد من المماليك مائة دينار وهذا على العادة القديمة الجارية بها العوائد فلما تزايد أمر التجاريد تضاعفت النفقات جداً حتى بلغت نفقة الاتابكي ازبك بن ططخ نحواً من ثلاثين ألف دينار في كل سفرة على ما سيأتي ذكر ذلك في محله وفي شعبان خلع السلطان على يشبك السيفي على باى وقرره في نيابة قلعة دمشق وقرر في حجوبية الحجاب بدمشق ابراهيم بن بيغوت وقرر في نيابة قلعة حلب تمرباى أخو الناس وفيه أحضر السلطان الشهابي أحمد بن العيني بين يديه في الدهيشة ووبخه بالكلام بسبب ما قرر عليه من المال الذي لم يورده منه شيئاً فسطحه على الارض بالدهيشة وقام وضربه بيده نحواً من عشرين عصا حتى شق كعبه وأدماه وأغمى عليه فشفع فيه بعض الامراء

وتوجهوا به الى طبقة الزمام فأقام بها أياما ثم تسلمه يشبك بن مهدى أمير دوادار كبير فنزل به الى داره ليورد ما قرر عليه من المال وكان ابن العينى لما قرر فى إمرية مجلس ونزل من باب السلسلة سكن فى بيت جانى بك نائب جدة المشهور فلما انكسر تمربغا وزال أمر الخشقدمية نهبوا بيت ابن العينى عن آخره حتى قيل نهب له من البرك والقماش نحو من خمسين ألف دينار وكان ابن العينى ماشيا على طريقة أولاد السلاطين حتى أطلق عليه عزيز مصر ورعا تعصب له بعض جماعة من الخشقدمية بأنه يتسلطن بعد خلع الظاهر بلباى من السلطنة ولم يتم له ذلك وقد لطف الله تعالى به حيث لم يتسلطن فكان يقضى عمره كله فى القيد والسجن الى أن يموت وفيه فى يوم الاثنين ثانى عشره خرج الامراء والعسكر المعينون للتجريدة وكان لهم يوم مشهود وهذه أول تجريدة خرجت من مصر الى شاه سوار فكانوا نحو عشرين أميرا ما بين مقدمى ألوف وطبلخانات وعشراوات ومن الجند فوق ألف مملوك ثم فى ليالى السفر أنفق السلطان جامكية أربعة أشهر معجلا وصرف لهم الكسوة وأعطى لكل واحد منهم جملا وأرضى العسكر بكل ما يمكن وفيه ركب السلطان ودار على الميدان حول القلعة فلما عاد طلع من باب السلسلة وكان نزل الى الميدان وهو أول ركوبه ونزوله من القلعة وهو سلطان ثم تكرر ركوبه من بعد ذلك ليلا ونهارا حتى خرج ذلك عن الحد فتركت بعض المؤرخين ضبط ركوبه ونزوله من القلعة اذ لم يحص ذلك بعدان كان ركوب السلطان نادرة مما يؤرخ فى التواريخ القديمة وفيه اختفى الوزير قاسم شغيته فلما اختفى خلع السلطان على عبد القادر ناظر الدولة بالتحدث فى الوزارة حتى يقرر بها من يختار وفيه قرر دمرداش العثمانى فى نيابة القدس عوضا عن محمد بن حسن بن أيوب وقرر فى نظر القدس بردبك التاجى عوضا عن حسن القيمى وفيه خلع السلطان على شاهين الجمالى وقرره فى نيابة جدة وقرر أبو الفتح المنوفى موقع السلطان وهو أمير فى نظر جدة مستوفيا على شاهين وفيه أخرج السلطان عن الشهابى أحمد بن العينى وخلع عليه كاملية بسمور ونزل الى داره وقد تحفظ أمره بواسطة الامير يشبك الدوادار والتزم ابن العينى بأن يورد فى كل شهر عشرين ألف دينار من الذهب النقد فكان جملة ما أورده للخزائن الشريفة مائة ألف دينار وتسعة وثلاثين ألف دينار وذلك خارج عن تعلقاته وجهاته وهذه من النوادر الغريبة حيث جمع ابن العينى هذه الاموال الجزيلة فى دون الاربع سنين منذ قرر فى التقدمة الى أن قبض عليه فعد ذلك من النوادر وفيه ركب السلطان ونزل الى القرافة وزار الاولياء وعاد من طريق قناطر السباع ودخل الى دار سودون البرق وعاده فى مرضه وأقام عنده ساعة ثم ركب وطلع الى القلعة وفيه أخرج السلطان جماعة من الخشقدمية الى جهة الوجه القبلى مع

الكشاف وغيرهم كما كانت عادة المماليك الاينالية وفيه قرر بيبرس الاشرفي أتابكية
صفد وفيه توفي سودون البرقي وكان يعرف بالقشي وكان أصله من مماليك الظاهر
جقمق وقاسى محنا وشدائد ونفي واختفى وكان انسانا حسنا وعندما بقي مقدم ألف مات
في سنته وفيه خلع السلطان على الصاحب شمس الدين محمد والد الصاحب علاء الدين
الاهناسي وقرره في الوزارة عوضا عن قاسم شغيتة وقرر ولده محمدا في نظر الدولة عوضا عن
عبد القادر وفيه أشيع انه فقد من الخزينة السلطانية نحو عشرين ألف دينار فظهر
ان خوند سورباي وسراري الظاهر خشقدم قد سرقوا ذلك فرسم السلطان على خوند
سورباي وأقامت في الترسيم مدة حتى أرضت السلطان وفيه وصل الى الابواب
الشريفة السيد علي بن بركات الحسني وقد غضب من أخيه محمد سلطان مكة فلما طلع
الى القلعة أكرمه السلطان وخلع عليه واستمر مقيما بمصر ورتب له ما يكفيه الى ان مات
بعد مدة طويلة وكان السيد محمد سلطان مكة أرسل للسلطان ستين ألف دينار على انه
يعوقه عنده بمصر حتى لا يقيم فتنة بمكة شرفها الله وعظمها وفيه ركب السلطان ونزل الى
القرافة وزار الامام الشافعي والامام الليث رضي الله عنهما ورحمهما ثم سار الى بركة
الحبش ولعب بالكرة ثم عاد الى القلعة وخلع على تاني بك المعلم كاملية بسمور وقد أعجبه
ضربه الكرة وفيه كان ختم البخاري بالقلعة وهو أول بخاري ختم للسلطان وكان يوما
مشهودا وحضر القضاة الاربعة وأعيان العلماء وفرقت الصرر على من له عادة وكذلك
الخلع فرقت على أعيان العلماء وكان ختما حافلا وفي شوال وقعت غلوة خفيفة بالقاهرة
وتشحطت الغلال وارتفع سعرها فاشتكت الناس للسلطان وصار اذا شق من القاهرة
يسمعوه الكلام المنكي وفيه توعك السلطان وانقطع من الموكب أياما ثم شفي فأقيمت
الخدمة بالقصر لاجل خروج الحاج وفيه قدم جاني بك حبيب من بلاد الروم وكان هاربا
من أيام الظاهر خشقدم فتوجه الى بلاد ابن عثمان فلما حضر أكرمه السلطان وخلع
عليه وبعث اليه الامير يشبك الدوادار بألف دينار ليرقع أحواله وفيه جاءت الاخبار
بوفاة نظام الدين بن مفلح قاضي القضاة الحنبلي بدمشق وكان من أهل العلم وفيه صعدت
الى القلعة خوند فاطمة بنت العلائي علي بن خاصبك فكان لها يوم مشهود وكانت
مقيمة بدار السلطان التي بسوق الغنم الى ان طلعت القلعة في ذلك اليوم وفي ذي القعدة
جاءت الاخبار بأن العسكر الذي توجه الى شاه سوار قد انكسر كسرة شنيعة وأسر الاتابكي
قلقسيز وقتل جماعة من الامراء والجند وقتل منهم ما لا يحصى وكان غالب العسكر من
المشقدمية وقتل من الامراء المقدمين الامير برديك هجين المحمودي الظاهري أمير سلاح
وأصله من مماليك الظاهر جقمق وكان لا بأس به وجرح الامير قرجا حاجب الحجاب في

وجهه وأما من قتل من الامراء العشراوات فمنهم أينبك الاشرفى واسنبغا بن صسفر بغا المؤيدى نائب باب القلعة وتمرباى الساقى الاشرفى وقانصوه النوروزى وتمرباى قزل الظاهرى وتانى بك السيفى وجانى بك النور وجانى بك البواب المؤيدى وقطلوباى المحمودى الاشرفى العزيزى ومغلباى الخليلى الاشرفى ويشبك العزى الظاهرى ويشبك الاشقر قيل انه قوبض على سوار فضرب عنقه بين يديه وأما من قتل من الخاصكية والمماليك السلطانية فما انضبطوا وقد نهب برك الامراء والعسكر قاطبة والذى سلم دخل الى حلب فى أسوء حال من العرى والمشى وقد قوى أمر سوار وتوجه الى عينتاب وحاصر قلعتها وملك البلد وأشيع بين الناس أن ابن عثمان ملك الروم أرسل نجدة من عسكره الى سوار وفيه جاءت الاخبار من البحيرة بأن العربان قد تخالفوا على الخروج عن طاعة السلطان فوثبوا هناك وأحرقوا الجرون ونهبوا بلاد المقطعين فلما بلغ السلطان ذلك عين تجريدة بها عدة من الامراء وعين تجريدة الى الشرقية وتجريدة الى الوجه القبلى بسبب أولاد ابن عمر ثم خلع على شيخ العرب بن صقر وقرره فى مشيخة عربان البحيرة ثم عزل خشقدم كاشف البحيرة وولاها لمحمد الصغير فلما وردت أخبار كسرة العسكر على يد سوار اشتغل السلطان بذلك عن كل شئ ودهمته هذه الامور الشنيعة عن التجاريد التى عينها وفيه ابتدأ السلطان بوقوع المساوى منه فأخرج قرية انبابة عن الخليفة المستنجد بالله يوسف وكانت بيده من حين تسلطن المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال وكان أقطعه اياها فلما تسلطن الظاهر أخرجها السلطان عنه باسم جانى بك حبيب ثم بعد مدة يسيرة أخرج عنه جزيرة ابن الصابونى وأقطعها لبعض مماليكه فعد ذلك من مساويه وفيه وصل قانصوه الجيلانى الحاجب بدمشق وعلى يده مكاتيب أزبك نائب الشام يخبر فيها بكسر العسكر ودخولهم الى حلب وهم فى أسوء حال وان أزبك نائب الشام دخل الى حلب وهو مجروح فى وجهه وليس له برك ولا قماش ولا مماليك ودخل نائب حلب ونائب طرابلس على هذا الوجه ودخل غالب العسكر عرايا مشاة وكانت هذه الواقعة فى يوم الاثنين سابع ذى القعدة من السنة المذكورة فلما وردت هذه الاخبار ماجت القاهرة وحار السلطان فى أمره وما يظن ان سوارا يقوى على العسكر لكثرته وقد جاءت الاخبار عقيب ذلك بأن سوارا سجن الاتابكى جانى بك قلقسيز فى جب وان عسكر سوار قد قوى بما نهبه من العسكر من خيول وسلاح وبرك وقد عزم سوار بأن يزحف على حلب فلما تحقق السلطان ذلك أمر بعقد مجلس بالقلعة بحضرة الخليفة المستنجد بالله يوسف والقضاة الاربعة وهم ولى الدين الاسيوطى الشافعى ومحب الدين بن الشحنة الحنفى وحسام الدين بن حريز المالكى وعز الدين الحنبلى وحضر شيخ الاسلام أمين الدين يحيى الاقصرائى ومشايخ من العلماء وحضر سائر الامراء وكان هذا المجلس بالحوش السلطانى فلما تكامل المجلس قام القاضى

كاتب السر أبو بكر بن مزهر وتكلم عن لسان السلطان ووجه الخطاب الى الخليفة
والقضاة ومشايخ العلم علما بمعناه من كلام طويل بأن بيت المال مشحوت من المال وان
سوار الباغى قد استطال على البلاد وقتل العباد ولا بد من خروج تجريدة عسكر لتحمى
بلاد السلطان وأن العسكر يحتاج الى نفقة وليس فى بيت المال شئ وان كثيرا من
الناس معهم زيادة فى أرزاقهم ووظائفهم وأن الاوقاف قد كثرت على الجوامع
والمساجد وان قصد السلطان يبقى لهم ما يقوم بالشعائر فقط ويدخل الفائض الى
الذخيرة فقال الخليفة والقضاة ما لنا الى شئ من معنى الاجابة الى ذلك فبينما هم على ذلك اذ
حضر شيخ الاسلام أمين الدين الاقصرائى الحنفى وكان قد تأخر عن الحضور فأرسل خلفه
السلطان فلما حضر أعاد اليه كاتب السر الكلام الذى وقع فى أول المجلس فلما سمع
هذا الكلام أنكره غاية الانكار وقال فى الملا العام من ذلك المجلس لا يحل للسلطان
أن يأخذ أموال الناس الا بوجه شرعى واذا نفد جميع ما فى بيت المال ينظر الى ما فى أيدى
الامراء والجند وحلى النساء فيأخذ منه ما يحتاج اليه واذا لم يوف بالحاجة ففى ذلك ينظر
فى المهمات كان ضروريا فى المنع عن المسلمين حل ذلك بشرائط متعددة وهذا هو دين الله
تعالى ان سمعت أبرك الله على ذلك وان لم تسمع فافعل ما شئت فانا نخشى من الله تعالى
أن يسألنا يوم القيامة ويقول لنا لم لا نهيتموه عن ذلك وأوضحتم له الحق ولكن السلطان
ان أراد أن يفعل شيئا يخالف الشرع فلا يجمعنا ولكن بدعوة فقير صالح يكفيكم الله
مؤنة هذا الامر كله ثم قام فاعجب منه السلطان وانفض المجلس من غير طائل وكثر
القال والقيل وشكر الامراء الشيخ أمين الدين على ذلك وغالب الناس وكثر الدعاء فى ذلك
اليوم للشيخ أمين الدين رحمه الله وعد هذا المجلس من النوادر ثم ان السلطان نادى للجند
بالعرض وأخذ فى أسباب خروج تجريدة فلما ان دخل الدهيشة وهو فى غاية الحدة من
الشيخ أمين الدين الاقصرائى واذا بالاخبار جاءت اليه من ثغر دمياط بفرار الظاهر تمربغا
من دمياط وان شيخ العرب محمد بن عجلان وعيسى بن سيف الدين أنزلوه فى مركب وطلعوا به
من الطينة وقصدوا به نواحى حلب فلما تحقق السلطان ذلك اضطربت أحواله وضاق
الامر عليه من كل جانب ونسى ما كان فيه من أمر سوار وعرض العسكر ثم زاد القال
والقيل فى هروب الظاهر تمربغا من دمياط فعند ذلك عين السلطان يشبك الدوادار بأن
يخرج ويلاقى الظاهر تمربغا من غزة فخرج على جرائد الخيل مسرعا ثم ان السلطان نادى
فى القاهرة بأن لا يخرج أحد من بيته بعد صلاة العشاء ولا يحمل سلاحا ولا يحصل كلام
وحصل للناس فى تلك الايام غاية القلق وفيه قرر فى قضاء الشافعية بدمشق قطب الدين
الخيضرى عوضا عن ابن الصابونى مضافا لما بيده من كتابة السر ثم قرر فى نظر الجيش

البدر ابن المزلق عوضا عن ابن الصابونى أيضا بحكم القبض عليه وفيه جاءت الاخبار بأن سبع وسباع ولدى هبار وثبا على الينابعة وكان قد خرج اليهما على بن بركات أخو صاحب مكة المشرفة فكسره وهذه أول فتنة الينبع وفيه عين السلطان تجريدة الى سوار وهى التجريدة الثانية فعين بها من الامراء قرقماس ابن الجلب أمير مجلس باش العسكر وسودون القصروى وقراجا الطويل الاينالى وازدمر الطويل الاينالى وعدة أمراء طبلخانات وعشراوات وعين من الجند فوق الالف مملوك وفيه جاءت الاخبار بأن سوار قد أطلق الاتابكى جانى بك قلقسيز وقد وصل الى قرب حلب وفيه جاءت الاخبار بقتل سبع وسباع ولدى هبار أمير الينبع وقد وقعت فتنة عظيمة بالينبع بين خنافر وبينهما حتى قتلهما وكان سبع وسباع حصل منهما غاية الضرر الشامل ۞ وفى ذى الحجة توفى شخص يسمى عصام الدين البخارى الحنفى وكان من أهل العلم وكان أكثر اقامته بدمشق واشتغل بدمشق على جماعة على مذهب أبى حنيفة وكان من الافاضل وفيه جاءت الاخبار من غزة بأن أرغون شاه الاشرفى قد قبض على الظاهر تمربغا فلما وصل الامير يشبك الى بلبيس تلقاه وحمله فى محفة وتوجه به من هناك الى ثغر الاسكندرية من غير تقييد ثم ان السلطان رفق به ولم يسجنه وقد رسم له بان يسكن بدار الملك العزيز التى بالاسكندرية وأن يركب الى صلاة الجمعة والعيدين ثم ان الظاهر تمربغا كتب للسلطان كتابا بخط يده وقال فيه المملوك تمربغا يقبل الارض وأرسل يعتذر اليه مما وقع منه بسبب تسحبه من دمياط واعتذر بأنه قصد التوجه الى شاه سوار ليصلح بينه وبين السلطان وتخمد هذه الفتنة كما قيل

اذا كان وجه العذر ليس بواضح * فان اطراح العذر خير من العذر

وكان الظاهر تمربغا أرشل قليل الحظ معكوس الحركات فى أفعاله ليس له سعد ولا قسم له كما قيل

دع التعرض ان الامر مقدور * وليس للسعى فى الادراك تأثير
والمرء يعجز عن تحصيل خردلة * بالسعى ان لم تساعده المقادير

وفيه أيضا وصل أرغون شاه وعلى يده محضر بأنه سلم الظاهر تمربغا الى الامير يشبك الدوادار الكبير وتوجه من بلبيس الى الاسكندرية وكان أرغون شاه قبض على تمربغا لما خرج من الطينة فلما حضر أرغون شاه بين يدى السلطان شكره على ذلك وخلع عليه خلعة حافلة وأركبه على فرس بسرج ذهب وكنبوش فعز ذلك على جميع الظاهرية لكونه قبض على تمربغا ولم يكن هذا قصدهم وفيه تزايد سعر القمح وانتهى الى سبعمائة درهم كل اردب ففتح

السلطان شونه وباع منها بأقل من سبعمائة فحصل للناس بذلك بعض رفق وفيه ثارت المماليك بالقلعة ومنعوا الامراء من الطلوع اليها وكادت أن تكون فتنة كبيرة وسبب ذلك تأخر الوزير عن حمل اللحم المرتب والخبز وفيه قبض السلطان على الصاحب شمس الدين محمد والد الصاحب علاء الدين الاهناسى ووكل به في طبقة الزمام وفيه توقف النيل عن الزيادة ثلاثة أيام فقلق الناس لذلك وزاد سعر القمح ثم بعث الله تعالى بالزيادة حتى حصل الوفاء ۞ وفيه توفى الشيخ تقى الدين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن على الشمنى القسطينى ثم السكندرى الحنفى وكان اماما عالما فاضلا خيرا دينا عارفا بالفقه والاصول وله تصانيف وتآليف في فنون العلم أجازه البلقينى وابن الملقن والعراقى وغير ذلك من العلماء وكان عين للقضاء الاكبر غير ما مرة وهو يمتنع من ذلك وفيه قبض على شخص سرق ستر الامام الليث بن سعد رضى الله عنه فرسم السلطان بقطع يده فتشهر وقطعت يده وفيه توفى الشيخ شهاب الدين أحمد بن أسد بن عبد الواحد السيوطى ثم السكندرى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا في العلم عارفا بالقراآت بالروايات السبع ومولده سنة ثمانمائة وفيه أفرج عن الصاحب شمس الدين الاهناسى وخلع عليه باعادة الوزارة وصرف ولده محمد عن نظر الدولة وفيه جاءت الاخبار بوفاة أبى القاسم بن جهان شاه صاحب كرمان وكان لا بأس به ولى على كرمان بعد أبيه وجرى عليه أمور شتى وآخر الامر قتل وتوفى الشيخ أبو عبد الله محمد التونسى الموصلى المالكى رحمه الله تعالى وكان عالما فاضلا من أكابر علماء تونس وعاش نحوا من سبعين سنة وتوفى قانصوه خوق الاشرفى أحد مقدمى الالوف بدمشق رحمه الله تعالى وتوفى قراكز العثمانى المعروف بجمازا الخاصكى وكان لا بأس به رحمه الله تعالى وتوفى طوغان ميق العمرى المؤيدى أحد الامراء العشراوات وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب طرابلس الغرب وفيه توفى القاضى علم الدين أبو الفضل بن جلود كاتب المماليك وكان أصله من الاقباط سمى ابن اسحق وكان من أعيان المباشرين ورأى من العز والعظمة غاية وخرجت هذه السنة وقد وقع فيها من الفتن والشرور والانكاد ما لا يكاد أن ينضبط وقتل فيها من العسكر والامراء ما لا يحصى وتولى فيها ثلاثة سلاطين بل أربعة بجاير بك سلطان ليلة وتوفى فيها الظاهر خشقدم وتبدد شمل جماعة الخشقدمية وزالت دولتهم ووقع فيها غاية الفساد في البلاد الحلبية بسبب عصيان شاه سوار وقد تقدم ما جرى من الضرر في حق العسكر

۞ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة فيها في المحرم صعد القضاة الى القلعة للتهنئة بالعام الجديد فأمر السلطان بعقد مجلس بسبب مشترى مماليك الظاهر خشقدم فاشترى

من المماليك الكتابية نحوا من خمسمائة مملوك ضربية كل مملوك عشرة آلاف درهم وقد طمع في حق أولاد الظاهر خشقدم وفيه خلع السلطان على عبد الكريم بن علم الدين بن جاود وقرره في كتابة المماليك عوضا عن أبيه بحكم وفاته وكان شابا لم يلتح بعد وفيه عينت الاتابكية لازبك بن ططخ نائب الشام عوضا عن الاتابكى جانى بك قلقسيز بحكم أسره عند سوار فبعث اليه البشارة بذلك وطلب الى مصر سريعا الى الاتابكية وفيه أرسل السلطان بالقبض على تانى بك المعلم الذى توجه أمير ركب المحمل فقبض عليه من العقبة وحمل للقدس بطالا وفيه جاءت الاخبار بوفاة الخواجا شهاب الدين بن المزلق الدمشقى وكان من أعيان التجار بدمشق ولم يكن بلى شيأ من الوظائف كأخيه وفيه توفى جانى بك قجا التمشى المؤيدى مات بطالا وكان بيده امرية عشرة وفيه فى ليلة خامس عشره خسف جميع جرم القمر حتى أظلمت الدنيا ودام على ذلك الى قرب آخر الليل حتى انجلى وفيه توفى شاد بك شبق الاشرفى نائب ملطية أولا ثم بقى مقدم ألف بدمشق وفيه كان وفاء النيل المبارك فلم يوف بتوجه الامير قرقماس ابلب أمير مجلس وفتح السد على العادة وفيه توفى أصيل المصرى وهو ابن محمد بن ابراهيم بن على بن عثمان بن يوسف بن عبد الرزاق بن عبد الله المغربى كان مالكى المذهب وكان عشير الناس كثير المداعبات والنوادر لطيف الذات محببا الارباب الدولة وعاش مدة من العمر طويلة وكان مولده سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وفيه حضر الزينى عبد الرحمن بن الكويز الذى كان ناظر الخاص وقرر فى دولة الظاهر خشقدم فوجه الى ابن عثمان ملك الروم فأقام عنده حتى توفى الظاهر خشقدم فحضر الى القاهرة فلما مثل بين يدى السلطان خلع عليه ونزل الى داره وفيه حضر قاصد حسن الطويل وعلى يده مكاتبة بالتهنئة للسلطان بالملك وصحبته هدية حافلة وفى مستهل صفر توفى العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم الشروانى الشافعى وكان اماما عالما فاضلا نادرة عصره بارعا فى فنون العلم خضعت له الناس من أهل زمانه وشهرته تغنى عن من يذكره ومولده سنة ثمانين وسبعمائة وفيه ركب السلطان ونزل من القلعة وتوجه الى نحو طرا والعدوية على سبيل التنزه فأقام هنالك الى آخر النهار ومد هنالك أسمطة حافلة ثم عاد الى القلعة وفيه توقف النيل عن الزيادة وقلق الناس لذلك وارتفع سعر الغلال وتكالب الناس على مشترى القمح ثم بعث الله بالزيادة وفيه خلع السلطان على يلباى الظاهرى أحد العشراوات وقرر فى نيابة الاسكندرية عوضا عن قانصوه اليحياوى وقرر قانصوه اليحياوى نائب طرابلس عوضا عن اينال الاشقر وقرر اينال الاشقر فى نيابة حلب عوضا عن برد بك الجمقدار بحكم انتقاله الى نيابة الشام عوضا عن أزبك بن ططخ بحكم انتقاله الى الاتابكية عوضا عن

جانى بك

جانى بك قلقسيز بحكم أسره عند شاه سوار وفيه نودى على الفلوس الجدد باربعة وعشرين الرطل وكانت بستة وثلاثين فحصل للناس بسبب ذلك الضرر الشامل وفيه جاءت الاخبار من ثغر دمياط بوفاة الامير مغلباى طاز الابوبكرى المؤيدى أحد مقدمى الألوف بمصر مات بدمياط بطالا وكان خيرا دينا موصوفا بالشجاعة وهو صاحب الجامع الذى أنشأه بدرب الخازن ومات وقد ناف على الثمانين سنة من العمر رحمه الله تعالى ونقل بعد موته الى القاهرة ودفن بتربته التى أنشأها وفيه وصل المقر السيفى أزبك نائب الشام فلما صعد الى القلعة أكرمه السلطان وخلع عليه وقرره فى الاتابكية عوضا عن جانى بك قلقسيز بحكم أسره عند سوار فنزل الى داره فى موكب حافل وكان له يوم مشهود وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بوفاة خوند فاطمة بنت الاشرف اينال وكانت توجهت الى الاسكندرية بسبب ختان أولاد أخيها الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال فطعنت هنالك وماتت وكان الطعن عمالا بالاسكندرية فحملت الى القاهرة ودفنت بتربة أبيها الاشرف اينال وكان تزوج بها كسباى الدوادار الثانى الخشقدمى ولم يدخل عليها وكانت قبل ذلك تزوجت بالامير يونس البواب الدوادار الكبير ومات وهى فى عصمته كسباى وكانت شابة جميلة لها من العمر نحو من سبع وعشرين سنة فكثر عليها من الناس الاسف والحزن والبكاء وكانت من الاخيار وفيه توقف السلطان عن صرف جوامك أولاد الناس وجماعة من الفقهاء والمتعممين وأحضر قوسا ثقيلا وبه سهم نشاب طومار وصار يدفعه لاولاد الناس فكل من لا يقدر على سحبه يقطع جامكيته فحصل لاولاد الناس فى ذلك اليوم كسر خاطر وافتضح منهم جماعة ووبخهم بالكلام ونزلوا من القلعة وهم فى غاية الفكر وقطع فى ذلك اليوم عدة جوامك فكثر الدعاء عليه بسبب ذلك وفيه توفى الطواشى سرور الطلايبى شيخ الخدام بالحرم النبوى وكان قد طعن فى السن جدا وتوفى القاضى شرف الدين عيسى المطوفى الشافعى أحد نواب الشافعية وكان لا بأس به وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة وكان يوما حافلا مشهودا وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بوفاة السلطان الملك الظاهر يلباى المؤيدى مات وهو بالسجن بالطاعون وقد قاسى شدائد ومحنا وآخر الامر مات قهرا وقد تقدم ذكره وفيه هبط النيل مريعا فى أثناء توت فتزايد أمر الغلال وشطح سعر القمح وابتدأ وقوع الطاعون بالقاهرة وفيه عين السلطان الامير ازدمر الطويل الاينالى بان يخرج ومعه خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية الى حفظ البلاد الحلبية ويقيم بحلب الى أن تحضر التجريدة ويخرج عقيب ذلك وكان بلغ السلطان بان عسكر سوار نزل على قلعة دربه

وحاصرها قبادر الامير ازدمر وخرج في قلب الشتاء لحفظ حلب وكان ذلك عين الصواب
وفيه جاءت الاخبار بوفاة قانم طاز الاشرفي أحد مقدمي الالوف بحلب مات وهو في أسر
سوار وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية ومات وقد جاوز الستين من العمر وفيه نزل
السلطان من القلعة وتوجه الى ناتقاسر ياقوس ونصب هناك الخيام وأقام بها يومين
وعمل هناك أسمطة حافلة وحضر هناك مع السلطان قاصد حسن الطويل وقاصد ملك
الهند فكانت اقامتهم هناك شهورة وحصل للسلطان بذلك انشراح ثم عاد الى القلعة وفيه
قبض السلطان على الصاحب شمس الدين الاهناسي والد الصاحب علاء الدين وسلمه الى
الامير يشبك الدوادار فعاقبه وحبسه عنده أياما ثم قرر عليه ألفي دينار وأطلقه وفيه
جلس السلطان على الدكة بالحوش لتفرقة الجامكية فقطع عدة جوامك لاولاد الناس
والمتعممين وأحضر عنده ثلاثة أقواس بعضها أقوى من بعض وصار كلما دعا باسم شخص من
أولاد الناس يدفع اليه من الاقواس قوسا ويأمره بجبذه فان أوفى بجذبه كتبه للتجريدة أو
يحمل مائة دينار عن بدل السفر وان لم يجذبه قطع جامكيته وصار بعض الامراء يشفع فيمن
له ألف جامكية بان يبقى على حاله ومنهم من ألزمه بخمسين دينارا لمن له ألف جامكية فحصل
لاولاد الناس الضرر الشامل بسبب هذه المصادرة وهان عليهم ترك الجامكية من كثرة
توبيخ السلطان لهم وفيه أنعم السلطان على برقوق شاد الشراب خاناه بتقدمة ألف وعلى
قنبردى الدوادار الثانى بتقدمة ألف ثم في آخر الجوامك قطع عدة جوامك للفقهاء والمتعممين
وفعل بهم كما فعل باولاد الناس في مصادراتهم وفيه أمر السلطان باحضار علاء الدين
ابن الصابونى في الدهيشة فلما حضر أمر بضربه بين يديه فضرب ضربا مبرحا على رجليه
وألزمه بحمل مائة ألف دينار فأذعن الى ذلك ثم حمل الى طبقة الزمام في الترسيم ووكل به
جماعة من الخاصكية الى أن يورد ما قرر عليه من المال وفيه خلع السلطان على يشبك
الدوادار خلعة حافلة كخلعة الاتابكى وقرره في الوزارة مضافا للدوادارية الكبرى فأخذ
الوزارة عن الصاحب شمس الدين والد الصاحب علاء الدين الاهناسى وقرر قاسم شغيته في
نظر الدولة عوضا عن محمد بن شمس الدين الاهناسى فلما تم أمر يشبك في الوزارة أخذ في
قطع مرتبات اللحم التى كانت للفقهاء والمتعممين قاطبة وكان ذلك باذن السلطان فتك
يشبك الدوادار غاية الفتك ورسم على جماعة من المتعممين وقصد أن يأخذ منهم ما أكلوه في
الماضى وكان منهم من له أربع زبادى لحم والخمسة زبادى بل وأكثر من ذلك ثم رسم على
بدر الدين الدميرى كتكوت حتى شفع فيه بعض الامراء وهرب واختفى حمزة بن البشرى
واستمر مختفيا حتى مات بعد مدة وحصل للمتعممين في هذه الحركة غاية الضرر

والبهدلة

والبهدلة وما أبقى مكاتى ذلك وقطع جوامك جماعة كثيرة من أولاد الناس والفقهاء والمتعممين والنساء وكان القائم فى ذلك قاسم شغيته وحسن للسلطان ذلك وهذا أول فتح باب المظالم وصار الامر يتزايد من بعد ذلك وكان فى الزمن القديم تباع الزيادى اللحم وتشترى النساء والفقهاء وغير ذلك من الناس فامتنع هذا الامر فى تلك الدولة وصار اللحم يصرف للمماليك فقط وكان الوزراء المتقدمون يستون هذا المسد للديوان أحسن السداد مع كثرة الرسوم المرتبة للناس على ذلك الديوان وآخر من كان قائما بسداد هذا الديوان الصاحب علاء الدين ابن الاهناسى ثم ابن البباوى ثم ابن الصنيعة وغيره من الوزراء حتى ولى قاسم شغيته فمن ليشبك الدوادار ذلك حتى فعل بالناس ما فعل وفيه خرج الاتابكى أزبك بن ططخ الى جهات البحيرة بسبب فساد العربان فأقام هناك مدة ثم عاد وفيه قرر سودون القصروى رأس نوبة النوب عوضا عن تانى الظاهرى بحكم وفاته وفيه قرر تانى بك الاينالى فى الدوادارية الثانية عوضا عن قنبردى الاينالى وقرر قانصوه الخفيف الاينالى فى شادية الشراب خاناه وقرر جانى باى الخفيف الاينالى فى تجارة المماليك وقرر مثقال الحبشى الساقى فى مشيخة الحرم الشريف النبوى عوضا عن سرور الطلايهى بحكم وفاته وكان مثقال هذا عشير الناس كثير الانهماك على شرب الراح فقته السلطان وألبسه مشيخة الحرم الشريف لعله يتوب وفيه يقول المنصورى

عجبت كف مثقال فراحته * فيها لمن أمه جود وافضال
وانجبله فرعاه الله من رجل * فيه قناطير خير وهو مثقال

وفيه أنفق السلطان على العسكر المعين للتجريدة الى سوار فأعطى لكل مملوك مائة دينار وفيه خلع السلطان على يشبك جن وقرره فى الحاج بركب المحمل وكان قد قرر قبل ذلك فى امرية الاخورية الثانية وخلع على يشبك الجمالى وقرره فى امرية الحاج فى الركب الاول وفيه جاءت الاخبار بأن حسن الطويل قد استولى على ممالك العراق وطرد من كان بها من الملوك وقد تزايدت عظمته جدا فخشى السلطان منه فى الباطن وأخذ حذره ولكن شغله عنه أمر سوار وفيه أرسل السلطان نفقات الامراء المعينين الى التجريدة فحمل لازدمر الطويل ستة آلاف دينار وحمل لقجماس الطويل أحد الامراء الطبلخانات خمسمائة دينار وحمل للامراء العشراوات لكل واحد منهم مائتى دينار فكان الذى صرف على هذه التجريدة التى خرج فيها أزدمر الطويل ومن عين معه من الامراء ومن الجند وهم نحو من خمسمائة مملوك ما يزيد على مائتى ألف دينار فخرج ازدمر الطويل ومن عين معه من الامراء ومن الجند فى أوائل الشتاء ليقيم فى حلب وفيه خرج علاء الدين بن الصابونى الى

دمشق وخرج معه خاصكي يقال له جانى بك الاشقر ليحضر ما بقى عليه من المال الذى التزم به فخرج الى دمشق فى الترسيم وفى ربيع الآخر طلع القضاة الى التهنئة بالشهر فتكلم السلطان معهم فى المجلس فى قطع جوامك العواجز من الجند والنساء وأخذ يشكو للقضاة من انشحات الديوان وخراب البلاد وصار يدعو على نفسه بالموت حتى يستريح مما هو فيه من التعب فطال الكلام فى ذلك المجلس بسبب ذلك ثم انفض الامر من غير طائل وقام القضاة ونزلوا من القلعة فلما فرق الجامكية فى الشهر الاول المذكور جلس على عادته واستدعى بالجامكية وصار يقطع عدة جوامك العواجز من الجند والايتام والنساء وصار فى كل شهر على عادته تفرق الجامكية بحضرته ويقطع فى كل شهر للناس بحسب ما يختار منها وهو أول من جلس على تفرقة الجامكية بنفسه من الملوك واستمر ذلك من بعده تفعله الملوك الى يومنا هذا فى كل يوم تفرق فيه الجامكية ولم يعهد هذا من ملك قبله أنه حضر تفرقة الجامكية بنفسه وفيه قرر يشبك البجاسى الذى كان نائب حلب وعزل قرره السلطان فى نيابة حماه عوضا عن محمد بن مبارك فعد هذا من النوادر لكونه قرر فى نيابة حماه بعد نيابة حلب وفيه خلع السلطان على يشبك الجمالى وقرره فى الحسبة عوضا عن قانصوه الخفيف بحكم انتقاله الى شادية الشراب خاناه فاستمر يشبك الجمالى فى الحسبة على الاوضاع وصار له حرمة وافرة وفى جمادى الاولى توفى الامير جوهر التركمانى اليشبكى الخازندار الكبير والزمام وكان هندى الجنس سيئ الخلق غير محمود السيرة وفيه خرج تمراز الشمسى قريب السلطان وتوجه الى الغربية للكشف على الجسور وصار يتوجه اليها فى كل سنة ويقيم بها أشهرا وفيه توفى الغرس خليل والد شيخنا الشيخ عبد الباسط الحنفى وهو خليل بن شاهين الصفوى الاشرفى وكان ذكيا لبيبا عارفا ولى عدة وظائف سنية من الوزارة ونيابة الكرك ونيابة القدس ونيابة ملطية وأتابكية حلب ونيابة الاسكندرية وتقدمة ألف بدمشق وحج بالناس أمير المحمل وكان من أعيان الرؤساء وكان نادرة فى أولاد الناس وكان مولده سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وكان حنفى المذهب اشتغل على جماعة من العلماء وأجازه فى الحديث الحافظ ابن حجر وفيه خلع على الطواشى جوهر النوروزى الحبشى وقرره فى الزمامية والخازندارية الكبرى عوضا عن جوهر التركمانى وفيه توفى الشيخ المسلك العارف بالله تعالى حسام الدين حسين بن محمود الاصفهانى الرفاعى الشافعى وكان دينا خيرا لا بأس به وفيه عاد الامير يشبك الدوادار من الوجه القبلى وقد نهب البلاد وأسر نساء العربان وأولادهم حتى قيل أحضر معه نحوا من أربعمائة امرأة وقد مات منهن من الجوع عدة كثيرة فلما عاد يشبك حصل من العربان

بسبب ذلك ما الاشتر فيه من البلاد وسلب المسافرين ووقع منهم غاية الفساد وفيه جاءت الاخبار بوفاة شيخ العرب حسن بن بغداد أحد مشايخ الغربية وكان في سعة من المال فأحاط السلطان على موجوده قاطبة وفي جمادى الآخرة ارتفع سعر الغلال عما كان واشتد الغلاء على الناس وجاءت الاخبار بافشاء الطاعون باقليم البحيرة وفيه توفي الطواشي شاهين غزالي الظاهري الرومي وكان بارعا في الجمال وافتتن به كثير من النساء والرجال وكان حسن الشكل وافر العقل كثير الأدب حشما في نفسه وكان في سعة من المال غاويا مصرا وكان متهمكا في ملاذ نفسه فلما مات نزل السلطان وصلى عليه ثم توجه من الصلاة الى بركة الحبش وأقام بها الى آخر النهار ثم عاد الى القلعة وفي شاهين غزالي يقول الشهاب المنصوري

قد صاغك الله من لطف ومن كرم * وزاد حسنك بالاحسان تزيينا
فاخفض جناح الرضا واصطد طيورد غى * من جو خلاصنا ان كنت شاهينا

وقال آخر

أيها العشاق اصغوا * واسمعوا حسن مقالي
كل عاشق لو غزال * وأنا شاهين غزالي

وفيه ذكرت أعجوبة نقل شيخنا الشيخ عبد الباسط بن خليل الحنفي في تاريخه أن شخصا من الجند يقال له يوسف السيفي يشبك الصوفي خرج ليسير نحو الجبل المقطم فرأى حصاة مرمية في الارض فأخذها فاذا عليها مكتوب بخط جيد قديم قد قرب الوقت فاعتبروا واتقوا الله وهي كتابة بغير نقط ولا شكل فأحضرها بين يدي الشيخ أمين الدين الاقصرائي حتى رآها وتعجب من ذلك ولكن طعن فيها بعض الناس وقال انها مصنوعة والله أعلم بحقيقة ذلك وفيه عرض السلطان العسكر وأخذ في أسباب خروج العسكر الى سوار وهي التجريدة الثانية فعين باش العسكر الاتابكي أزبك بن ططخ وقرقماس الجلب أمير مجلس وسودون القصروي رأس نوبة النوب وتمر حاجب الحجاب وقراجا الطويل الاينالي ومن الامراء الطبلخانات خاير بك بن حديد وجاني بك الزيني ومن الامراء العشراوات زيادة على العشرين أميرا ثم رسم لاولاد الناس من أراد السفر فليسافر ومن لم يسافر يحمل الى بيت المال مائة دينار ويقدمها بدلا عنه وهذا لمن يكون له جامكية وأقطاع ومن لم يكن له أقطاع وله ألف دينار أوله جامكية القدر هم يحمل خمسة وعشرين دينارا وفيه قبض السلطان على الشهابي أحمد بن العيني وحبس بالقلعة ليورد بقية المال الذي كان قرر عليه فأقام بالقلعة أياما حتى حمل ما عليه من المال المقرر فعند ذلك خلع عليه السلطان ونزل الى داره وفيه أنفق السلطان على العسكر لكل مملوك مائة دينار ولكل أمير مقدم ألف ألف دينار وحمل للامراء الطبلخانات لكل واحد خمسمائة دينار وللامراء العشراوات لكل واحد مائتا دينار فكان

بجملة ما صرف على هذه التجريدة نحو من أربعمائة ألف دينار فلما كان يوم الموكب طلع
قرقماس الجلب إلى القلعة وطلب من السلطان الإعفاء من السفر وأظهر العجز وأن يكون
طرخانا في أي مكان يختار السلطان فلم يجب إلى ذلك وشاششه السلطان في اللفظ وألزمه
بالسفر وأكد عليه فلما نزل إلى داره كثر القيل والقال بأن ستكون فتنة فلما بلغ السلطان ذلك
لم يؤثر عنده ونزل إلى خليج الزعفران وأقام به إلى آخر النهار ثم عاد إلى القلعة وبطلت تلك
الإشاعة وفي رجب حضر من البصرة الاتابكي أزبك فلما نزلت له النفقة تمنع من السفر وزعم
أنه لا يطيق عمالك السلطان إذا عمل باش العسكر فلا زال يتلطف به حتى أجاب إلى السفر
وقبل منه النفقة وفيه وصل قاصد حسن الطويل وعلى يده هدية للسلطان ومكاتبة
تتضمن ما ملكه من القلاع من ملك العراقين وعلى يده عدة مفاتيح لعدة قلاع وحصون
وأرسل يتملق للسلطان بأن كل ما ملكه من البلاد هو زيادة في ممالك السلطان وأنه النائب
عنه فيها فأكرم السلطان قاصده وأضافه وخلع عليه كاملية حافلة وأرسل إلى حسن
الطويل هدية حسنة سنية وأذن للقاصد بالسفر وكان هذا من حسن الطويل عين الخداع
لما يأتي منه بعد ذلك ۞ وفيه توفي القاضي معين الدين ابن الطرابلسي الحنفي وهو محمد بن
عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الطرابلسي وكان عالما فاضلا ناب في القضاء مدة
ثم نزل عن ذلك ولزم العبادة والتصوف حتى مات وفيه أكمل السلطان تفرقة النفقة على
العسكر المعين إلى تجريدة سوار ثم ابتدأ بتفرقة الجمال ثم عجل لهم جامكية أربعة أشهر
وأعطاهم الكسوة أيضا وأرضاهم بكل ما يمكن ووقع في يوم تفرقة الجمال نادرة غريبة
وهي أن الهجانة لما أحضروا الجمال وساقوها إلى الميدان راحت عند باب الميدان وقت
دخولها فقلت منها في ساعة واحدة نحو من ثلثمائة بعير فتشاءم الناس لذلك وصرحوا
بعدم نصرة العسكر وكذا جرى وفيه كان ابتداء وقوع الطاعون بالقاهرة وهو أول
طاعون وقع في دولة الأشرف قايتباي وفي شعبان توفي قاضي القضاة المالكي حسام
الدين بن حريز بن أبي القاسم الهاشمي القرشي العلوي الحسني وكان أصله مغربيا من
طرابلس ثم نشأ بمنفلوط وولي القضاء بها مدة طويلة وكان عالما فاضلا جوادا سمحا
في سعة من المال سمع على ولي الدين العراقي وغيره من العلماء وآل أمره إلى أن ولي
القضاء الأكبر بمصر وصفا له الوقت وطالت أيامه بها وعظم أمره في القضاء وكان مولده
سنة أربع وثمانمائة وكان يعاب بكثرة القيام في أغراض نفسه ولما توفي ولي من
بعده أخوه عمر سراج الدين وقرر في قضاء المالكية عوضا عن أخيه وتوفي المسند شمس
الدين محمد بن النقاش الرقاقي الصوفي الشافعي سمع الحديث من والده الشيخ سراج الدين
عمر بن حسن وفيه تزايد أمر الطاعون جدا وعمل في الأطفال والمماليك والعبيد

والجوارى والغرباء عملا للغاذر يعا حتى عظم الامر فى ذلك وفيه يقول الشهاب المنصورى

يا أم عيشة مصر * وبئس ما قد دهاها
لما فشا الطعن فيها * حاكى السهام وباها

وفيه خلع السلطان على المقر السيفى يشبك الدوادار وقرره فى الاستدارية مضافا لما بيده من الدوادارية والوزارة وكشوفية الكشاف فعظم أمره جدا وما أظن أن هذه الوظائف قد جمعت لاحد من الامراء قبله فكان الانسان اذا قرب من بابه يستعيذ بالله من هول ما يرى من الظلمة التى ببابه فلما ولى يشبك الاستادارية قبض على مجد الدين بن البقرى وشرف الدين ابن كاتب غريب وطلب منهما مالا فحصل من ابن البقرى خمسة آلاف دينار وأما ابن كاتب غريب فانه أظهر العجز وحلف أنه لا يملك شيأ وكان متمرضا فرسم السلطان بحمله الى البرج الذى بالقلعة فسجن به وفيه خرج العسكر المعين الى سوار فخرجوا من القاهرة فى تجمل زائد وطلبوا طلبا حافلة فخرج الاتابكى ازبك ومعه من العسكر والامراء ما تقدم ذكره وخرج قبل ذلك الامير ازدمر الطويل ومعه خمسمائة مملوك فصار الطاعون عمالا والتجريدة خارجة والعسكر فى غاية الضرر على أولادهم وعيالهم ومات فى أثناء الطريق جماعة كثيرة بعد خروجهم من الريدانية وقيل ان السلطان نزل تحت الليل الى الاتابكى أزبك وأقام عنده ساعة وودعه وعاد الى القلعة كل ذلك تحت الليل ولم يشعر به أحد من الناس وفيه توفى الاديب البارع الفاضل الشهاب بن صالح وهو أحمد بن محمد بن صالح بن عثمان بن محمد بن محمد الشافعى وكان عالما فاضلا شاعرا ماهرا من فحول الشعراء وله نظم حسن السبك ومولده سنة عشرين وثمانمائة ومن شعره الرقيق فيمن أهدى اليه بطيخا وقطرا قوله

بعثت الى بطيخا وقطرا * يشابه ذا الذ هنا فى الصفات
هما نوعان عند الذوق كل * ولد فى الحقيقة من نبات

وله فى اسم فرج

شكى فؤادى هم الصد يا فرج * وفيك أصبح صدرى ضيقا حرجا
واستيأس القلب حتى رحت أنشده * يا مشتكى الهم دعه وانتظر فرجا

والنورة فيه ثلاثية وفيه عظم أمر الطاعون بالقاهرة وصارت الغرباء يموتون فى الطرقات بعضهم على بعض فشرع الامير يشبك الدوادار فى بناء مغسل بالقرب من مدرسة السلطان حسن وصارت تحمل اليه أصرحاء من الموتى فيكفنهم ويجهزهم ويدفنهم ويصرف عليهم من ماله فحصل للناس بذلك غاية الرفق فى تلك الايام وفى رمضان اشتد الغلاء والفناء بمصر والشام وحلب حتى قيل بيعت الغرارة القمح بدمشق بنحو من أربعين دينارا

وزيادة وفيه مات للسلطان ولدا اسمه سيدي أحمد وهو أول أولاده من خوند الخاصكية وكان
عمر ابن السلطان نحوا من أربع سنين ثم ماتت له ابنة اسمها ست الجراكسة عمرها نحو من
ست سنين من خوند أيضا وفيه توفي الطواشي لؤلؤ الزمام الاشرفي وكان خازندار كبير زمام
وتوفي يشبك خازندار الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال وكان أمير عشرة ومات مغلباي
الخشقدمي وكان من الامراء العشراوات ومات ابن أخت السلطان وكان شابا حسنا صغير
السن ومات جان بلاط الاينالي أحد الامراء العشراوات ومات جكم المحمدي الخشقدمي
أحد الامراء الطبلخانات وكان حاجب ثاني ومات اينال باي ميق الاشرفي أحد الامراء
العشراوات ومات اقبردي الهواري الاينالي أحد الامراء العشراوات ومات قاني باي
الحسني الاينالي رأس النوب ومات آنص باي الاعور الاينالي أمير اخور التبن والدريس
ومات اركماس قرا أحد الامراء العشراوات ومات قاني باي الحسيني الاينالي أحد
العشراوات وكان والي القاهرة وكان غير عسوف في ولايته وفيه جاءت الاخبار بوفاة بيبرس
خال الملك العزيز مات بالقدس بطالا وكان في عشر الثمانين وولي عدة وظائف سنية وجرى
عليه شدائد ومحن وكان الخشقدمي لا بأس به في جماعة الاشرفية وفيه توفي الشيخ جمال
الدين أبو الفضل خطيب مكة وهو محمد بن محمد بن أحمد العقيلي النويري الشافعي وكان عالما
فاضلا سمع على جماعة من العلماء وولي خطابة مكة ثم قدم الى مصر وأقام بها الى أن مات
وكان معظما عند أرباب الدولة وقد ترشح أمره لان يلي القضاء بمصر فما تم له ذلك وفيه حصل
للامير يشبك الدوادار توعك في جسده فنزل اليه السلطان وعاده وفي شوال تناقص أمر
الطاعون وأخذ في الارتفاع بعدما فتك في الناس فتكا ذريعا وفيه خلع السلطان على
قاني باي آنص الساقي وقرره في الجوبية الثانية عوضا عن جكم ابن أخت السلطان بحكم
وفاته وفيه كان وصول الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق وكان بثغر الاسكندرية
فاستأذن السلطان في الحضور ليحج فأذن له في ذلك فحضر فلما صعد الى القلعة وقف بين
يدي السلطان وأراد أن يقبل الارض ثم امتنع السلطان عن ذلك وبالغ في اكرامه ثم أحضر
اليه كاملية بسمور وفوقاني أخضر بطرز ذهب وقدم اليه فرس بسرج ذهب وكنبوش
فركب من الحوش ونزل من القلعة في موكب حافل وقدامه الامراء فتوجه الى دار الاتابكي
ازبك عند أخته زوجة ازبك وكان غائبا في التجريدة فأقام عندها ثم بعد أيام أضافه
السلطان بالحرة ثم بعد ذلك ألبسه كاملية بسمور وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش
ونزل في موكب حافل فعد مجيئه الى مصر وطلوعه الى القلعة من النوادر ثم ان السلطان
أخذ في أسباب عمل برق للملك المنصور لاجل الحج وفيه خلع السلطان على خشقدم

الاحمدى الطواشى وقرر رأس نوبة السقاة عوضا عن شاهين غزالى وخلع السلطان على مرجان التقوى الحبشى وقرره فى مشيخة الخدام بالمدينة الشريفة وفيه توفى اقباى الصياوى الاينالى أحد الامراء العشراوات وكان شابا شجاعا بطلا وفيه أرسل السلطان الى الظاهر تمربغا وهو بالاسكندرية فرسا بسرج ذهب وكنبوش وكاملية بسمور وأذن له فى الركوب الى الصلاة فى الجمعة والعيدين والى حيث شاء من أماكن الاسكندرية وفيه توفى الامير قانبردى الابراهيمى الاينالى أحد المقدمى الالوف بمصر وفيه جاءت الاخبار بقتل السلطان أبى سعيد بن أحمد بن سعيد بن سعدات شاه بن تمرلنك وكان متملكا على سمرقند وبخارى وقتل على يد حسن الطويل وكان من أجل ملوك الشرق قدرا فلما قتل تولى من بعده أحمد وهو باق على ملكه الى يومنا هذا وفيه خلع السلطان على يشبك بن حيدر الاينالى وقرره فى ولاية القاهرة فسنت أوقاته بها ودام فى الولاية نحوا من عشرين سنة وفيه استقر فى مشيخة المدرسة الصلاحية المجاورة لقبة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه الشيخ كمال الدين ابن امام المدرسة الكاملية عوضا عن زين العابدين ابن قاضى القضاة يحيى المناوى بحكم وفاته وفيه خرج الحاج على العادة وخرج صحبتهم الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق فانعم عليه السلطان باشياء كثيرة من برك وسنيح وغير ذلك وفيه لبس السلطان البياض فى يوم الاثنين سادس عشريه الموافق لثالث عشر بشنس تفرج من الدهيشة لابس البياض وقد خالف العادة فى ذلك بعدم لبسه له يوم الجمعة وهى العادة القديمة فعيب ذلك عليه وفيه عاد القاضى شرف الدين الانصارى من جبل نابلس وكان خرج بسبب جمع العشير المتوجه مع التجريدة فقيل انه صرف على جمع العشير من النفقة نحوا من مائتى ألف دينار وفيه نزل السلطان نحو قليوب ثم عرج على جسر أبى المنجا ثم عاد الى تربة يشبك الدوادار فأقام بها الى ما بعد العصر ثم عاد الى القلعة وفى ذى القعدة جاءت الاخبار من حلب بان العسكر لما وصل أخذ باب الملك وانهم فى استظهار على العدو سوار ثم جاءت الاخبار من نائب حلب بقتل مالباى الاقطع أخو سوار وجماعة كثيرة من عسكره وبعث برأس مالباى الاقطع ومعها رأسان من أمرائه فلما حضرت تلك الرؤس طيف بها فى القاهرة ثم علقت بباب زويلة وباب النصر وفيه جاءت الاخبار بموت خاير بك البهلوان وكان أحد الامراء بدمشق قتل هو وجماعة من العسكر فى واقعة مالباى أخى سوار وفيه نزل السلطان وتوجه الى نحو طرا فاضاف هناك محمد بن البلاح فأقام الى آخر النهار وعاد وفيه سافر السلطان الى جهة بحيرة تنيس وكان معه من الامراء المقدمين برقوق الناصرى واستمر فى هذه السفرة أياما وانقطع خبره عن الناس مدة وقد قرب بعيدا النصر فبعث مرسوما بطلب قاضى القضاة الشافعى ولى الدين

الاسيوطى ليصلى به صلاة عيد النحر بفارسكور فخرج القاضى بسرعة وأخذ معه أشياء من نوع المأكل هدية للسلطان فتوجه الى نحو فارسكور فعيد السلطان هناك وقطع أضحية جماعة من أولاد الناس والفقهاء والنساء حتى الخوندات وجماعة كثيرة من الجند فحصل للناس كسر خاطر بسبب ذلك وكان العسكر فى هذا العيد غائبا فى التجريدة والسلطان مسافر وكان عقيب الفصل وقد فقدت الناس أولادهم وعيالهم وقطعت ضحاياهم المرتبة لهم بالديوان السلطانى من قديم الزمان وفى يوم عيد النحر كانت بشارة النيل المبارك بما جاءت به القاعدة ثم نودى عليه من غد واستمر السلطان فى هذه السرحة غائبا نحوا من أربعين يوما وطاف عدة بلاد من الشرقية والغربية فدخل عليه جملة تقادم من مشايخ العربان والمدركين من خيول ومال وغير ذلك وكان خروجه الى السفر على حين غفلة ولم يكن معه من الامراء المقدمين سوى برقوق وبعض أمراء عشراوات وبعض عسكر ثم جاءت الاخبار بان السلطان قصد العود الى الديار المصرية وقد وصل الى بلبيس فلما وصل الى الخانقاه خرج اليه أرباب الدولة قاطبة ثم نودى فى القاهرة بالزينة فزينت زينة حافلة فلما كان يوم الخميس تاسع عشر الشهر المذكور دخل القاهرة من باب النصر فى موكب حافل وقد حمل القبة والطير على رأسه المقر السيفى برقوق أحد المقدمين وموجب ذلك غياب الاتابكى أزبك بالتجريدة وكان له يوم مشهود ومشت قدامه الجنائب بالارقاب الزركش ولاقاه الاوزان والشعراء والشبابة السلطانية وفرشت تحت حافر فرسه الشقق الحرير من عند مدرسة أم السلطان التى بالتبانة الى القلعة ونثر على رأسه خفايف الذهب والفضة ومشت قدامه الامراء الرؤس النوب بالشاش والقماش من بين القصرين الى القلعة واصطفت له المغانى من النساء فى الدكاكين واستمر فى ذلك اليوم موكب حافل حتى طلع الى القلعة وهذا أول موا كبه الحافلة وصادف أن قاصد حسن الطويل كان حاضرا وصار متعجبا من حسن هذا الموكب وكان قد حضر وعلى يده رأس أبى سعيد ملك سمرقند وقد تقدم انه قتل على يد حسن الطويل فلما طلع السلطان الى القلعة وجلس على الدكة بالحوش حضر قاصد حسن الطويل ورأس أبى سعيد معه فى علبة وكان العسكر بالشاش والقماش وكان الموكب حافلا فلما انفض الموكب أقام السلطان بعد ذلك أياما ثم حضر تانى بك الظاهرى أحد رؤس النوب وكان من جملة من خرج فى التجريدة فأخبر بكسر العسكر ورجوعه من حلب وهذا ثانى كسرة وقعت لعسكر مصر مع سوار فلما تحقق السلطان ذلك اضطربت أحواله وماجت القاهرة عن فيها وكان سبب انكسار العسكر أن سوار تحيل عليهم حتى دخلوا فى مواضع ضيقة بين أشجار فخرج عليهم السوار الاعلام من التركمان بالقسى والنشاب والسيوف والاطبار فقتلوا من العسكر ما لا يحصى عددهم وأسر تانى بك فقتل

الامير قرقماس الجلب وكان يعرف بقرقماس بن يشبك خجا الاشرفى وكان أميرا جليلا
حشمارئيسا يقرب للاشرف برسباى وولى عدة وظائف سنية منها رأس نوبة النوب
وامرية مجلس وامرية السلاح ثم جرى عليه فى دولة الظاهر بلباى ماتقدم ذكره وسجن
ثم أطلق وتوجه الى دمياط ثم عاد الى مصر فى دولة الاشرف قايتباى وأعيد الى امرية
مجلس وخرج الى التجريدة وقتل فى المعركة وأشيع بموت جماعة من الامراء وغيرهم منهم
سودون القصروى رأس نوبة النوب مات بحلب وكان مجروحا فحمل الى حلب ومات بها
وكان قد طعن فى السن وناف على الثمانين سنة فى العمر وكان انسانا حسنا ديناخيرا وهو
صاحب المدرسة التى بخط الباطلية بجوار داره وولى عدة وظائف سنية منها نيابة قلعة
مصر ثم بقى مقدم ألف ثم بقى راس نوبة النوب ومات بحلب وكان أصله من مماليك قصروه
نائب الشام وكان دواداره وتوفى برسباى أميراخور ثانى وكان يعرف ببرسباى الابوبكرى
وكان أمير عشرة وراس نوبة وتوفى اينال باى بن ميق الاينالى وكان أمير عشرة وتوفى
تغرى بردى الارمنى المنصورى وتوفى طقطمش المحمدى الاشرفى برسباى قيل رماسوار
من أعلى السوريغات لوقته وكان شجاعا بطلا ونوروز الدوادار وفارس البكترى أحد
العشراوات وقجماس الطويل الحسنى الظاهرى أحد الامراء الطبلخانات ونوروز شكال
ابن تغرى بردى الارمنى المنصورى أحد العشراوات ونوروز تغرالعلائى الاشرفى برسباى
قيل رماسوار من أعلى السوريغات لوقته وكان شجاعا بطلا ونوروز الدوادار بن عيق
الاشرفى أحد العشراوات وكان أميرخازندار وقانم بيضا اليوسفى الظاهرى أحد
العشراوات وقتل أيضا من أمراء دمشق الشرفى يحيى بن جانم نائب الشام أحد مقدمى
الالوف بدمشق وكان يوصف بالشجاعة وقتل محمد بن تمر بن عبد الرزاق نائب الشام
أحد الامراء الطبلخانات بدمشق وحاجب ثانى بدمشق وفارس الشهمى أحد الامراء
بدمشق وشاديك آمير الاينالى أتابك دمشق وتمرباى الجلبانى أحد الامراء بدمشق وابراهيم
بيغوت نائب حماه وكان حاجب الحجاب بدمشق وجانى بك السيفى تغرى برمش دوادار
السلطان بدمشق وشاديك الحسنى الشعبانى أحد أمراء دمشق وعبد الرحمن الهزاوى
أحد الامراء الطبلخانات بدمشق وأما من قتل من الجند والمماليك السلطانية ومشايخ
عربان جبل نابلس والعشير والتركمان والغلمان فلا أمكن ضبطه وكانت هذه من الواقعات
المشهورة التى لم يسمع بمثلها فلما شاع بين الناس ذكر من قتل من الامراء والعسكر صار
بالقاهرة فى كل حارة نعى ليلا ونهارا مثل أيام الوباء فزاد قلق الناس من سوار ودخل الوهم فى
قلوب العسكر مثل أيام تمرلنك وصار وا يرعدون من ذكره وفى هذه الواقعة يقول بعض
الشعراء

يارب ان سوارا قد بغى وبغى * قد أصبح الناس في ضيق وفي قلق
فاكسر سوارا وادعه في السلاسل في * خواتم الامر يستعطي من الخلق

﴿وقال آخر﴾

ان سوارا قد غدا غافلا * عسكره قد حل في دار البوار
يارب شتت شمله حتى نرى * خواتم الامر له كسر سوار

وصار العسكر بعد ذلك يدخلون الى القاهرة في أفحش حال من العرى والجوع وبعضهم مجروح وبعضهم ضعيف وكان يدخل بعضهم وهو راكب على حمار أو جمل أو يدخل ماشيا وهو عريان ولم يلاقوا في هذه التجريدة خيرا فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وفي ذي الحجة خلع السلطان على الامير برقوق الناصري وقرره كاشف التراب بالشرقية وحصل به نفع لقمع العربان المفسدين وعمارة الجسور وفيه توفي القاضي فتح الدين ابن وجيه الدين ابن سويد المالكي المصري وهو محمد بن عبد الرحمن بن حسن وكان عالما فاضلا في مذهبه وناب في القضاء هو والجلال الدين وكان لا بأس به وفيه توفي من الاتراك جانم المجنون الخشقدمي وكان أحد الامراء العشراوات وتوفي جقمق المؤيدي وكان أحد الامراء العشراوات وتوفي اياس البجاسي نائب القدس وكان لا بأس به وتوفي العلائي علي ابن القيسي وهو علي ابن اسكندر بن غنام تمرض مع السلطان لما أن خرج الى السرحة فمرض في أثناء الطريق ومات ثم نقل الى القاهرة على جمل ودفن في تربته التي بباب الوزير وكان رئيسا حشما ولي عدة وظائف منها الحسبة وولاية القاهرة وحاجب الحجاب بمصر وكان عنده بعض خفة وهوج مع عسوفة وبطش وكان مولده سنة ثلاثين وثمانمائة وفيه توفي الواعظ البارع الشيخ عبد القادر بن محمد الوفائي وكان ممن له ذكر وشهرة في فنه وكان لا بأس به وقد خرجت هذه السنة عن الناس وهم في أمر مريج وقد وقع فيها أمور شتى الغلاء والفناء والفتن ببلاد الشرق وقتل أمراء وعسكر ممن تقدم ذكرهم ووقع فيها مصادرات بسبب التجاريد وقطع أرزاق الناس من جوامك وغيرها وفقدت الناس فيها أولادهم وعيالهم وما لاقى أحد فيها خيرا

* ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثمانمائة فيها في المحرم خلع السلطان على الزيني أبي بكر ابن القاضي عبد الباسط وقرره في نظر الجوالي عوضا عن الشهابي أحمد بن ناظر الخاص يوسف وفيه أخرج السلطان خرجا من جلبانه نحو المائتي مملوك وهذا أول خرج أخرجه في سلطنته وسماهم الاشرفية وفيه خرج الامير يشبك الدوادار الى الوجه القبلي بسبب جمع المغل من البلاد القبلية وفيه جاءت الاخبار بوفاة تمرباي السيفي اخو ألماس نائب قلعة حلب وكان شابا حسنا جميل الصورة وأصله من الاينالية وفيه دخل الحاج الى القاهرة ودخل صحبتهم الملك المنصور عثمان ابن الظاهر جقمق حج وعاد فلما طلع الى القلعة أجلسه

السلطان وأكرمه وخلع عليه كاملية بسمور وفوقها فوقانية أخضر بطرز زركش عريض حافل ونزل فى موكب حافل الى ان أتى دار الاتابكى أزبك وفيه عقد الامير يشبك الدوادار على خوند فاطمة بنت الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال وكان العقد بالجامع الذى بالقلعة بين يدى السلطان والقضاة الاربعة حاضرون وسائر الامراء وفى صفر كان وفاء النيل المبارك ووافق ذلك الرابع والعشرين من مسرى فلما وفى نزل الامير لاجين الظاهرى أحد مقدمى الالوف وفتح السد على العادة وفيه أضاف السلطان الملك المنصور عثمان بالبحرة وخلع عليه وأذن له بالتوجه الى ثغر دمياط فخرج وانحدر من يومه وقد وقع له أمور لم تقع لاحد من أبناء السلاطين قبله وكان لما حضر أذن له السلطان بان يلعب معه الاكرة فكان يلعب مع السلطان والامراء المقدمين وهو بيند أصفر مثل السلطان وقد بالغ السلطان فى تعظيمه جدا وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن قرقماس الصغير نائب ملطية تقاتل مع عسكر سوار فكان بينهما واقعة عظيمة وقتل فيها من عسكر سوار فوق خمسمائة انسان وأسر جماعة كثيرة من أمرائه وأقاربه وكان ذلك بمكيدة صعدت بيد قرقماس حتى بلغ فيها ذلك وفيه توفى طومان باى المحمدى المعروف بدش منز الظاهرى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفيه توفيت خوند فاطمة ابنة الظاهر ططر وأخت الملك الصالح محمد بن ططر وزوجة الملك الاشرف برسباى وماتت وعليها جملة ديون وفى ربيع الاول أنعم السلطان على يشبك جن بتقدمة ألف وأنعم على قانصوه الاحمدى المعروف بالخفيف بتقدمة ألف وقرر فى شادية الشربخاناه دولات باى حمام الاشرفى عوضا عن قانصوه الخفيف وقرر فى رأس النوبة الثانية برديك المشطوب اليشبكى عوضا عن دولات باى حمام وفيه عمل السلطان المولد النبوى على العادة وكان حافلا وفيه توفى خشقدم العثمانى الظاهرى أحد العشراوات وكان حاجبا ثانيا وفيه خلع السلطان على جانى بك حبيب العلائى الاينالى وقرره فى الامير آخورية الثانية عوضا عن يشبك جن ودام فى هذه الوظيفة عدة سنين وفيه توفى الشيخ نور الدين على البطيحى الضرير وكان من أعيان أهل العلم والفضل وكف بصره فى سابع سنة من عمره بجدرى أصابه فى عينه وكان يعرف بابن شاور البرلسى ومولده سنة ست أو سبع وثمانمائة وكان له نظم جيد وفيه خلع السلطان على يشبك الجمالى الله تسبب وقرره فى امرية سلاح بركب المحمل وقرر فى امرية أول أقبردى بن أصباى الاشرفى برسباى وفيه توفى مغلباى ازن سقل الظاهرى الخشقدمى وكان من أحد المقدمى الالوف بمصر ثم أخرج الى القدس بطالا فمات به وكان أميرا دينا خيرا ولى عدة وظائف سنية منها شادية الشون وحسبة القاهرة ثم بقى مقدم ألف بمصر ثم نفى الى القدس ومات به وفيه أرسل السلطان وقبض على زين الدين الاستادار وكان بطالا

مقيما فى داره فلما قبض عليه أحضره بين يديه ووبخه بالكلام ثم أمر بضربه بين يديه
فضرب ضربا مبرحا حتى كاد أن يهلك ثم سجنه بالبرج الذى بالقلعة وصار يحضره بين يديه كل
يوم بعد يوم ويضربه أشد الضرب فمات وهو فى البرج فلما أعلموا السلطان بذلك لم يصدق
بموته وأمر باحضاره بين يديه وهو ميت فكشف عن وجهه ورفسه برجله ثم أمر بحمله
الى داره ليغسلوه ويدفنوه فحمل من القلعة الى داره وكان بين السلطان وبين زين الدين
الاستادار عداوة قديمة من حين كان السلطان جنديا الى أن تسلطن فأخذ بثأره منه وقتله
وكان يظن أن مع زين الدين الاستادار مالا فعاقبه وطلب منه من المال ما لا يقدر عليه فمات
تحت العقوبة وكان أصل زين الدين من الارمن وكان اسمه يحيى بن عبد الرزاق الارمنى
وكان يعرف بالاشقر ابن كاتب علوان وكان يقرب لابن أبى الفرج وقد رأى فى دولة الظاهر
جقمق من العز والعظمة ما لم يره أحد بعده من الاستادارية وعظم أمره جدا وأنشأ بالقاهرة
وغيرها عدة جوامع يخطب فيها وعدة مدارس وولى الاستادارية غير ما مرة وغيرها من
الوظائف وباشر الاستادارية أحسن مباشرة وأنشأ فيها من المظالم ما لم يسمع بمثله وجرى
عليه من الشدائد والمحن والانكاد ما لا يعبر عنه وصودر غير ما مرة وغرم الاموال الجزيلة
وعصر فى أكعابه وضرب غير ما مرة وغرم الاموال فى دول غير أيام قايتباى ونفى الى المدينة
المنورة الشريفة والى القدس الشريف وغير ذلك من الاماكن وكان مولده قبيل
قرن الثمانمائة ولم يلق فى آخر عمره خيرا وله أخبار يطول شرحها رحمه الله تعالى وعفا عنه
بمنه وكرمه وفيه توفى شمس الدين محمد بن عبد الرزاق بن عبد القادر بن نفيس الاذرعى
الشافعى وكان من أهل العلم والفضل سمع على جماعة من العلماء رضى الله عنهم وكان
لا بأس به وفى ربيع الآخر توفى القاضى شهاب الدين احمد بن سعيد بن السوسى المالكى
المغربى قاضى قضاة المالكية بدمشق وولى قضاء الاسكندرية وكان من أهل العلم والفضل
وجرت عليه أمور شتى وأذهب أموالا جمة على وظيفة القضاء وتوفى السيد الشريف أبو
هاشم حمزة بن أحمد بن على الحسنى الدمشقى الشافعى وكان من أهل العلم والفضل
وفيه أرسل السلطان خلعة الى قانصوه اليحياوى باستقراره فى نيابة حلب عوضا عن
اينال الاشقر وكتب الى اينال الاشقر بالحضور الى القاهرة على تقدمة ألف بها
وفيه أرسل السلطان الى يشبك الجمالى نائب حماه باستقراره فى نيابة طرابلس وقرر
عوضه فى نيابة حماه بلاط الشبكى أحد مقدمى الالوف بدمشق وقرر فى تقدمة بلاط
بدمشق قراز أتابك حلب وقرر فى أتابكية حلب تغرى بردى بن يونس وقرر فى حجوبية
الحجاب بدمشق محمد بن مبارك عوضا عن بيغوت الماضى خبر موته فى واقعة سوار وفيه

قرر

قرر لاجين الظاهري في كشف الجسور بالبهنساوية وفيه قرر يشبك جن في كشف
الجسور بالبحيرة وفيه توفي قانصوه الساقي الثقبي الاشرفي أحد الامراء العشراوات وكان
متمرضا من حين عاد من التجريدة وفيه جاءت الاخبار بان ابن رمضان أمير التركمان أخذ
جماعة من التركمان وكبس على أعوان سوار وأخذ منهم قلعة سيس فسر السلطان بهذا
الخبر وأرسل الى ابن رمضان خلعة سنية وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بوفاة قاني
بك المحمودي المؤيدي الذي كان أمير سلاح بمصر ونفي الى الاسكندرية في دولة الظاهر تمربغا
فأقام بالسبرج الى ان مات وكان قد جاوز الثمانين سنة من العمر وكان في أوائل عمره شجاعا
بطلا وولي عدة وظائف سنية منها أمير مجلس وامرية سلاح وقاسى شدائد ومحنا في آخر
عمره الى ان مات وفي جمادى الاولى حضر الى القاهرة قراجا السيفي جاني بك نائب جدة
أحد الامراء العشراوات وأخبر بان شاه سوار أطلق الاتابكي جاني بك قلقسيز وبعث به الى
حلب وقد أكرمه غاية الاكرام وقصد بذلك أن يرضي خاطر السلطان وقرر مع الاتابكي
جاني بك قلقسيز بأن يكون سفيرا بينه وبين السلطان في أمر الصلح وفيه نزل السلطان الى
الرماية ببركة الحاج وعاد من يومه وطلع من بين الترب وفيه ارتفع سعر الغلال حتى بلغ
كل اردب قمح أربعة أشرفية وبلغ سعر كل اردب فول أو شعير ستمائة درهم وبلغ ثمن الحمل
التبن نحو أشرفي ذهب وعمت هذه الغلوة سائر البلاد حتى البلاد الشامية وغيرها وفي جمادى
الآخرة نزل السلطان وتوجه الى خليج الزعفران على سبيل التنزه وأقام هناك ثلاثة أيام ثم
عاد الى القلعة وفيه وصل اينال الاشقر الذي تقدم ذكره فأكرمه السلطان وخلع عليه
ونزل الى دار اعدت له ثم انه بعد أيام خلع السلطان عليه وأقره في رأس نوبة النوب
الكبرى عوضا عن سودون القصروي بحكم وفاته بسبب تجريدة سوار كما تقدم وكانت
هذه الوظيفة شاغرة من يومئذ وفيه توفي خشكلدي القوامي الناصري وكان أحد الامراء
الطبلخانات وكان جركسي الجنس من مشتروات الناصر فرج بن برقوق وكان دينا خيرا
متواضعا وكان قد جاوز الثمانين سنة من العمر وفيه توفي قاضي قضاة المالكية بدمشق
محيي الدين عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد الوارث البكري المصري المالكي وكان من
أعيان علماء المالكية وناب في الحكم بمصر مدة ثم ولي قضاء دمشق وتوفي تمرباي
التمرازي أحد أمراء العشراوات وكان ولي المهمندارية وأقام بها مدة وفيه قرر أبو الفتح
المنوفي كاتب السلطان وهو أمير في نظر الاوقاف والبيمارستان بالقاهرة وأشيع بين
الناس أن سبب ذلك تحكر الامير يشبك الدوادار الكبير على الغلال بالوجه القبلي ومنع
المراكب من حمله وفيه يقول الشهاب المنصوري

وظالم منه أتانا الغلا * يا ويله في الحشر من ربه

فادعوا وقولوا ربنا اطمس على * أمواله واشدد على قلبه

وفيه خلع السلطان على لاجين وقرره أمير مجلس عوضا عن قرقماس الجلب وكانت هذه الوظيفة شاغرة من حين قتل قرقماس الجلب في واقعة سوار ثم بعد أيام وصل الاتابكى قلقسيز وصعد الى القلعة فقام له السلطان واعتنقه ثم خلع عليه كاملية بسمور وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش وركب من باب الجسرة ونزل من القلعة في موكب حافل ثم بعد أيام خلع عليه السلطان وقرره في امرية سلاح عوضا عن بردبك هجين بحكم وفاته في واقعة سوار وكانت الوظيفة شاغرة ومن العجائب ان السلطان بعث مرسوما بمنع جانى بك قلقسيز من الدخول الى مصر وان يقيم بحلب فقدم جانى بك قبل وصول المرسوم الى حلب بسبعة أيام فلما حضر قرره في امرية سلاح بعدما كان أميرا كبيرا وفيه قرر جقمق الظاهرى في نيابة دمياط وفي شعبان كانت نهاية بناء السبيل الذى أنشأه السلطان بخط القشاشين من تحت الربع تجاه السبيل والمكتب فوقه نهاية في الحسن ولا سيما في ذلك المكان وفيه عاد الامير يشبك الدوادار من الوجه القبلى وكانت مدة غيبته نحوا من سبعة أشهر ففعل ببلاد الصعيد من المظالم مالا يسمع بمثله حتى انه شوى بالنار محمودا شيخ بنى عدى وخوزق من العربان جماعة وسلخ جلد جماعة ودفن جماعة في التراب وهم أحياء وفعل بالعربان من أنواع هذا العذاب مالم يفعله أحد قبله فدخل الرعب في قلوبهم فلما صعد الامير يشبك الى القلعة خلع عليه السلطان خلعة سنية ونزل الى داره في موكب حافل ثم بعد ذلك قدم للسلطان تقدمة سنية مما ينيف على مائة ألف دينار ما بين ذهب عين وخيول وقماش ورقيق وغلال وسكر وعسل وغير ذلك وفيه توفى سنطباى بن قصروه الاشقر الاشرفى أحد الامراء العشراوات وكان مريضا من حين عاد من التجريدة وفي رمضان أمر السلطان بفتح شونتين وبيع القمح منهما بسعر ألف درهم الاردب وكان وصل سعره الى أربعة أشرفية كل اردب فحصل للناس بعض رفق وكثر الخبز على الدكاكين وفيه نودى من قبل السلطان بان من أخذ منه شئ من أولاد الناس وغيرهم بسبب بعث البدل الى التجريدة فليصعد الى القلعة في ثامن هذا الشهر ليرد اليه ما أخذ منه من المبالغ فلما صعد أولاد الناس الى القلعة رد اليهم ما أخذ منهم بحكم النصف فتعجب الناس لذلك وما السبب فيه فعد ذلك من النوادر وفيه توفى القاضى حسام الدين بن بريطع الحنفى الدمشقى قاضى قضاة الحنفية بدمشق وكان من أعيان الحنفية ولى قضاء غزة وصفد وطرابلس ودمشق غير ما مرة وكان رئيسا حشما وله نظم ونثر جيد وخط جيد وألف الكتب الجليلة وفيه حضر الاتابكى أزبك وكان مقيما بحلب من حين كسر العسكر فدخل القاهرة هو ومن بقى معه من الامراء والعسكر وصحبته شاه بضاع أخو سوار الذى أخذ منه سوار البلاد فلما

صعد الاتابكى أزبك الى القلعة خلع عليه السلطان وعلى من معه من الامراء وعلى شاه بضاع وكان معه يحيى كاور أخو سوار أيضا وكان مسك قبل ذلك فلما مثل بين يدى السلطان أمر بسجنه فى البرج الذى بالقلعة وفيه اختفى القاضى تاج الدين بن المقسى ناظر الجيش فلما اختفى خلع السلطان على الزينى عبد الرحمن بن الكويز واعاده الى نظر الخاص وفيه صعد قاصد سوار الى القلعة وصحبته هدية للسلطان فلم يؤذن له فى صعود ما معه وحضر بمكاتبة سوار فكان مضمونها انه يطلب الصلح من السلطان لكن على شروط منه لم يقبلها السلطان منها ان يكتب له السلطان تقليدا بامرية الابلستين وان ينعم عليه بتقدمة ألف بحلب وان فعل ذلك يسلم عينتاب للسلطان فطال الكلام من القاصد والسلطان ولم ينتظم الامر بينهما فى شىء من الصلح ونزل القاصد بغير خلعة وفيه خلع السلطان على الجمالى يوسف بن قطيس وقرره فى نيابة القدس عوضا عن دمرطاش العثمانى بحكم انتقاله الى نيابة سيس وفيه جاءت الاخبار بوفاة عالم دمشق الشيخ بدر الدين ابن قاضى شهبة وهو محمد بن أبى بكر بن أحمد الاسدى الشهبى الدمشقى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا فى الفقه عارفا بمذهب الشافعية عالم الشام على الاطلاق وترشح أمره لقضاء دمشق غير ما مرة ومولده فى سنة ست وثمانمائة وفى شوال خلع السلطان على البدرى بدر الدين محمد بن الكويز وقرره فى معلمة المعلمين عوضا عن البدرى حسن بن الطولونى وفيه خرج الحاج من مصر فى تجمل زائد عن العادة وخرج صحبتهم الشيخ كمال الدين ابن امام المدرسة الكاملية وكان متوعكا فى جسده فلما وصل الى ثغرة حامد مات هنالك وكان عالما فاضلا بارعا سمع على جماعة من العلماء منهم ولى الدين العراقى وابن الجزرى والحافظ بن حجر وغيرهم من العلماء وولى عدة تداريس جليلة وكان من أعيان علماء الشافعية ومولده سنة ثمان وثمانمائة وفيه وقعت كائنة عظيمة لجلال الدين عبد الرحمن بن سويد المالكى وطلب الى بيت اينال الاشقر رأس نوبة النوب بسبب أوقاف باعها كانت موقوفة على مدرسة جده فغرم بسبب ذلك مالا له صورة وحصل له غاية البهدلة من اينال الاشقر وما خلص الا بعد جهد كبير وافتقر حاله عقيب هذه الكائنة وباع جميع ما يملكه حتى سد ما جاء عليه من المال وفيه تزايد ظلم اينال الاشقر حتى صار غالب الناس ما تشتكى الا عنده واشتكى بعض الناس من شخص شاهد فضربه وقطع اكمامه وركبه على ثور واشهره بالقاهرة وفيه ابتدأ السلطان بعمارة تربته التى انشأها بالصحراء وجعل بها جامعا بخطبة وقرر به صوفية وحوضا وصهريجا واشياء كثيرة من وجوه البر والمعروف وفى ذى القعدة قلع السلطان الصوف ولبس البياض وابتدأ بضرب الكرة مع الامراء وفيه جاءت أخبار بقتل تراباى الظاهرى الخشقدمى وكان أميرا بحلب قتله بعض العربان بالبلاد الحلبية وكان شجاعا

وولى حسبة القاهرة وكان من أعيان المتقدمية وفى ذى الحجة طلب السلطان الشيخ تقى
الدين الحصنى وقرره فى مشيخة تدريس قبة الامام الشافعى رضى الله عنه عوضا عن الشيخ
كمال الدين الامام بالمدرسة الكاملية الماضى ذكر وفاته بطريق الحجاز وفيه انتهى
ضرب الكرة وأضاف السلطان الامراء ثم اشتغل بتفرقة الضحايا على العسكر وفيه
كانت وفاة الجمالى يوسف ابن الاتابكى تغرى بردى اليشبغاوى الرومى نائب الشام وكان
الجمالى يوسف رئيسا حشما فاضلا حنفى المذهب وله اشتغال بالعلم وكان مشغوفا بكتابة
التاريخ وألف فى ذلك عدة تواريخ منها تاريخه الكبير الموسوم بالنجوم الزاهرة والمنهل
الصافى ومورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة وله تاريخ آخر فى وقائع الاحوال على
حروف الهجاء وله غير ذلك عدة مصنفات وكان نادرة فى أولاد الناس ومولده سنة ثلاث عشرة
وثمانمائة وفيه توفى حذيفة بن أحمد بن الدكارى المنوفى الحنفى وكان فاضلا خيرا دينا له
شهرة وذكر وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بوفاة عالم سمرقند وهو الشيخ عبد الله بن عبد
الواحد وكان من ذرية أبى الليث السمرقندى فضل الله وكان عالما فاضلا بارعا فى العلوم
والزهد وله شهرة زائدة ببلاد سمرقند ومولده سنة ست وثمانين وسبعمائة وفيه جاءت
الاخبار بوفاة أمير المدينة المشرفة وهو السيد الشريف زهير بن سليمان بن هبة الحسنى
وكان ولى امرية المدينة بعد ضيغم والى امرية مكة الى أن مات قتيلا وتوفى من الاتراك
بيبرس بن ططخ الاشرفى وكان ولى تقدمة ألف بدمشق وتوفى جانى بك الحسنى الاينالى
أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب وتوفى دولات باى الاينالى أحد العشراوات
وكان متمرضا حين عاد من التجريدة ومات بغزة وفيه من الحوادث أن السلطان طلب مالا
من الست سارة والدة القاضى ناظر الخاص يوسف بن كاتب جكم ليتساعد على خروج
التجريدة الى سوار فتشكت من ذلك وأظهرت العجز فحلف بحياة رأسه لم يأخذ منها أقل من
مائة وخمسين ألف دينار وصمم على ذلك وقرر معها انها لا تبيع ملكا ولا ضيعة ولا بستانا
ولم يقدر أحد من الامراء ولا غيرهم يخفض عنها شيأ من ذلك فاستمرت تورد ذلك المال على
حكم ما قرر عليها عدة شهور حتى غلقت ذلك القدر بالتمام والكمال ولم تبع لا ضيعة
ولا ملكا فلما غلقت المال جميعه أرسل خلفها فلما حضرت قام اليها وعظمها وخلع عليها
كاملية بمخمل بسمور وأكرمها غاية الاكرام ونزلت الى دارها مكرمة معظمه

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم كانت الاسعار غالية فى جميع أصناف
المأكولات من الحبوب وغيرها وعز وجود الارز والدجاج من مصر بعد ما وتنشف من
الاسواق وصار الناس يستعملون خبز الذرة والدخن وهذا قط ما وقع ولا فى الغلاء الذى جاء
فى دولة الملك الظاهر جقمق وتناهى سعر القمح الى سبعة أشرفية الاردب ولم يأكل الناس

الدرة ولا المحن في تلك الايام ﴿ وفيه كثر القال والقيل بين العلماء القاهرة في أمر الشيخ العارف بالله تعالى سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله تعالى به والمسلمين ببركته وقد تعصب عليه جماعة من العلماء بسبب أبيات قالها في قصيدته التائية واعترضوا عليه في ذلك وصرحوا بفسقه بل وتكفيره ونسبوه الى من يقول بالحلول والاتحاد وحاشاه أن ينسب اليه هذا المعنى ولكن قصرت افهام جماعة من علماء هذا العصر ولم يفهموا معنى قول الشيخ عمر رضى الله عنه في هذه الابيات فاخذوا بظاهرها ولم يوجهوا لها معنى فكان كما قال المتنبي

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الاذهان منه * على قدر القرائح والفهوم

وكان رأس من تعصب على الشيخ عمر بن الفارض برهان الدين البقاعى وقاضى القضاة محب الدين بن الشحنة وولده عبد البر ونور الدين المحلى وقاضى القضاة عز الدين الحنبلى وتبعهم جماعة كثيرة من العلماء يقولون بفسقه وأما من تعصب من العلماء للشيخ فهم الشيخ محيى الدين الكافيجى الحنفى والشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفى والشيخ بدر الدين بن الغرس ونجم الدين يحيى بن حجى وشيخنا الجلال بن الكمال الاسيوطى والشيخ زكريا الانصارى وتاج الدين بن شرف فلما زاد الهرج في هذه المسئلة كتبت الفتاوى في أمر ابن الفارض التى ظاهرها الخروج عن قواعد الشريعة فكتب الشيخ محيى الدين الكافيجى على هذا السؤال ما هو أحسن عبارة وأقرب الى الانصاف وألف الجلال السيوطى في ذلك كتابا سماه قمع المعارض في الرد عن ابن الفارض وألف البدر بن الغرس في ذلك كتابا شافيا في هذا المعنى وانصاف الرد على من تعرض لابن الفارض وصنف بعض العلماء كتابا سماه درياق الافاعى في الرد على البقاعى ووقع في هذه المسئلة مشاحنات بين العلماء يطول شرحها في هذا المعنى ثم هجوا البقاعى وابن الشحنة وغيرهما من العلماء ممن تعصب على ابن الفارض وصاروا يكتبونها ويلصقونها في مزاره فمن ذلك قول الشهاب المنصورى في البقاعى وأجاد

ان البقاعى بما * قد قاله مطالب
لا تحسبوه سالما * فقلبه يعاقب

وقوله من قصيدة طويلة مضمنة لابيات سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه

بين البقاعى وبين التاج من شرف * ما بين معترك الاحداق والمهج
يقول من صح فيه سهم صاحبه * أنا القتيل بلا اثم ولا حرج
كلاهما مبدع خوضا بفكرته * في كل معنى لطيف رائق بهج

يقول هذا الهنا غير مكترث * والقوم عنك لوى وصد عن نصحك السمج

ماذا تقول ولى فى الشرع أبحرة * عنى تقوم بها عند الهوى حججى

دع التعارض لا تشهر بواتره * فكم أماتت وأحيت فيه من مهج

فلو سلكت سبيلى كنت متبعا * أوفق محب بما يرضيك مبتهج

لو سلم المعتدى للمهتدى لربا * قول المبشر بعد اليأس بالفرج

فمن يكن منهم ما ناج فصبته * هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وهى مطولة وهذا القدر منها كاف ومن نظم الاقدمين فى سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه

جز بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض

أبرزت فى نظم السلوك عجائبا * وكشفت عن سر مصون غامض

وشربت من بحر المحبة والولا * فرويت من بحر محيط فائض

وقال الناصرى محمد بن قانصوه بن صادق

عمر بن الفارض الحبر الذى * قصرت عن فهم ما رام الفكر

لم يكن يؤذيه الا جاهل * فارفضوه وترضوا عن عمر

ولبعضهم يهجو ابن الشحنة

أصبحت يا ابن الشحنة الحنفى فى * كل القبائح أوحد الازمان

فى مصر عسلم أبى حنيفة تدعى * جهلا وأنت معرة النعمان

وقال أبو الصبا القمى

أفتيت يا حلبى * بالصفع فى قفاكا

لما دعيت فسقا * للفارضى يا كا فر

وما خلصت حتى * أقتشاهدا كا

ثم ان بعض الامراء تعصب لسيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه وتعصب له السلطان أيضا ورسم لكاتب السر ابن مزهر بان يكتب صفة سؤال الى الشيخ أبى يحيى زكريا الشافعى فكتب السؤال وهو هذا ما يقول الشيخ الامام العالم العلامة الحبر الفهامة زكريا الانصارى الشافعى نفع الله المسلمين به عمن قال بكفر سيدنا ومولانا الشيخ العارف بالله سيدى عمر بن الفارض تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه فمن زعم أن عقيدته فاسدة بناء على ما فهمه من كلامه فى مواضع مرجعها الى اطلاقات معلومة عند السادة الصوفية باصطلاح تخاطبهم لا محذور فيها شرعا فهل يحمل كلام هذا العارف على اصطلاح أهل طريقته أم على اصطلاح أهل ملة غير الاسلام فالجواب عن ذلك أفتونا مأجورين ثم قدم هذا

السؤال الى الشيخ زكريا فامتنع عن الكتابة ... الامتناع فالح عليه أياما حتى كتب فأجاب بقوله يحمل كلام هذا العارف رحمة الله عليه ونفع ببركاته على اصطلاح أهل طريقته بل هو ظاهر فيه عندهم ان اللفظ المصطلح عليه حقيقة فى معناه الاصطلاحى مجاز فى غيره كما هو مقرر فى محله ولا ينظر الى ما يوهمه تعبيره فى أبيات فى التائية من القول بالحلول والاتحاد فانه ليس من ذلك فى شئ بقرينة حاله ومقاله المنظوم فى تائيته بقوله من أبيات القصيدة

ولى من أتم الرؤيتين اشارة * تنزه عن رأى الحلول عقيدتى

وهذا يصدر عن العارف بالله اذا استغرق فى بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته فى ذاته وصفاته فى صفاته ويغيب عن كل ما سواه بعبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان حالته التى يرقى اليها كما قاله جماعة من علماء الكلام رضى الله تعالى عنهم ولكن ينبغى كتم تلك العبارات عمن لم يدرك كهنها كل قلب يصلح للسر ولا كل صدف ينطبق على الدر ولكل قوم مقال وما كل مايعلم يقال وحق لمن لم يدركها عدم الطعن فيها كما قيل

واذا كنت بالمدارك غرا * ثم أبصرت حاذقا لا تمارى

واذا لم تر الهلال فسلم * لاناس رأوه بالأبصار

ولو ذاق المنكر ما ذاق هذا العارف لما أنكر عليه كما قال القائل

ولو يذوق عاذلى صبابتى * صبا معى لكنه ماذاقها

والحالة هذه والله يمنع بفضله ويمنع من يشاء بعدله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وكتبه زكريا بن محمد الانصارى الشافعى فلما كتب الشيخ زكريا على هذا السؤال سكن الاضطراب الذى كان بين الناس بسبب ابن الفارض رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وببركاته المسلمين أجمعين آمين وفيه عقيب ذلك عزل ابن الشحنة عن قضاء الحنفية وحصل له عقيب ذلك فالج وذهل وسلب من العلم وحصل لولده عبد البر مع القلقيلى ما سنذكره فى موضعه وأما البقاعى فكادت العوام أن تقتله وحصل له من الامراء ما لا خير فيه فهرب واختفى حتى توجه الى مكة فمات هناك وأما امام المدرسة الكاملية فخرج وهو مريض الى الحجاز فمات فى أثناء الطريق بعد خروجه من القاهرة بستة أيام وقد جرى على من تعصب على ابن الفارض ما لا خير فيه وظهرت بركته فى المتعصبين عليه شيأ فشيأ الى الآن وقد روى فى بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب أى أعلمته بأنى محارب له أورده النووى فى الاربعين حديثا وفيه جاءت الاخبار بأن شاه سوار تقاتل مع ابن رمضان أمير التركمان فأسر ابن رمضان وما سوار قلعة ... فارعج السلطان لهذا الخبر وأخذ فى أسباب

تجريدة الى سوار وفيه بعث الامير يشبك خبرا من البحيرة يطلب نجدة بسبب عربان ليدفعهن السلطان الاتابكى أزبك ومعه عدة من الامراء والجند فخرج الى البحيرة وفيه وقعت أعجوبة غريبة وهى أن امرأة ولدت مولودا وهو جسد بلا رأس ولا له يدان ولا رجلان فسبحان القادر الصانع يخلق ما يشاء فعاش ساعة ومات وفيه جاءت الاخبار بوفاة برديك الجمقدار نائب الشام وكان يعرف ببرديك الفارسى الظاهرى ويعرف أيضا بالاقرع وكان من أعيان الناس و جماعة الظاهرية وكان أمير عشرة فى دولة استاذه الظاهر جقمق ثم بقى أمير طبلخانات رأس نوبة ثانى فى دولة الاشرف اينال ثم بقى مقدم ألف وحج أمير محمل غير مامرة ثم ولى حاجب الحجاب ثم بقى نائب حلب فى دولة الظاهر خشقدم ثم قبض عليه وسجن الى القدس بطالا ثم اعيد الى نيابة حلب ثم بقى نائب الشام فوليها مرتين ومات بها وكان أسيرا عند سوار وهو نائب حلب وأطلق بعد موت الظاهر خشقدم وقاسى شدائد ومحنا وفيه دخل الحاج الى القاهرة وكان الركب الاول والمحمل ركبا واحدا وكان الحاج قاسى فى السنة المذكورة مشقة زائدة من العطش وموت الجمال فارسل يشبك الدوادار شقادف وزادا وماء الى المنقطعين من الحاج فلاقوهم من قريب الينبع وحصل بذلك لهم غاية النفع وفيه توفى أبو بكر بن على دوادار برديك الجمقدار نائب الشام ويقال انه سم استاذه برديك فمات أبو بكر قبل استاذه بأيام وكان أبو بكر رقى فى أيام استاذه حتى صار له ذكر وشهرة طائلة بحلب والشام وفيه حضر قاصد حسن بك الطويل وعلى يده مكاتبة يذكر فيها انه قتل جماعة من أولاد قرلنك وملك بلادهم وفيه حضر قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم يخبر انه افتتح عدة بلاد من بلاد الافرنج البنادقة وفيه عين السلطان الامير اينال الاشقر رأس نوبة النوب ومعه عدة من الامراء الطبلخانات والعشراوات وعدة من الجند بسبب قتال سوار وقد خشى السلطان من سوار ان يكبس حلب على حين غفلة فارسل هذه التجريدة يموت بحلب الى ان يرسل تجريدة ثقيلة بعد ذلك فلما عينه بعث اليه النفقة من يومه وقد حمل اليه اثنى عشر ألف دينار ثم أنفق على بقية الامراء والجند وألزمهم الخروج بسرعة فخرجوا عقيب ذلك من غير اطلاب ولا أثقال وقد عز ذلك على اينال الاشقر لكونه خرج فى قلب الشتاء وفى صفر توفى الامير برديك المشطوب اليشبكى أحد الامراء الطبلخانات ورأس نوبة ثانى وكان لا بأس به وأصله من مماليك يشبك نائب حلب وفيه كان وفاء النيل المبارك وكان وفاؤه ثانى عشرى مسرى فلما أوفى توجه فلقم الاتابكى [illegible] وهو على امرية سلاح ففتح السد على العادة وكان الاتابكى ازبك غائبا فى البحيرة وفيه عمل السلطان الموكب وخلع على الامير برقوق الناصرى وقرره فى نيابة الشام عوضا عن برديك الجمقدار بحكم

وفاته وكان برقوق يومئذ أحد مقدمى الألوف بمصر فانتقل الى مدينة الشام فى مدة
يسيرة فعد ذلك من النوادر وفيه ظهر القاضى تاج الدين بن المقسى وكان مختفيا فخلع
عليه السلطان وأعاده الى نظر الخاص وعزل عنها عبد الرحمن بن الكويز وكان القائم
فى عودة ابن المقسى الى نظارة الخاص الامير يشبك الدوادار فنزل من القلعة فى موكب
حافل ومعه الامير يشبك الدوادار وأعيان الدولة حتى قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة
الحنفى وفى ربيع الاول فى مستهله ركب السلطان وتوجه الى طرا فصعد القضاة
للتهنئة بالشهر فلم يجدوا السلطان بالقلعة فأخبرهم نقيب الجيش عن لسان السلطان بأن
يصعدوا للسلطان اذا حضر بعد العصر وفيه دخل خير بك الظاهرى الخشقدمى الذى كان
تسلطن ليلة واحدة فنزل فى بولاق فى بيت صهره ناظر الخاص يوسف وكان السلطان
رسم له بأن يتوجه الى مكة ويقيم بها وكان الساعى له فى ذلك الامير يشبك الجمالى فأقام
ببولاق أياما حتى عمل له برك وخرج الى مكة وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا
وجلس برقوق الذى قرر فى نيابة الشام رأس الميمنة وفيه نزل السلطان الى جهة المطرية
ونصب هناك الخيام ورسم للامراء بالتوجه معه وأقام هناك أياما على سبيل التنزه وصنع
هناك الاسمطة الحافلة حتى قيل كان مصروف الاسمطة ألف دينار وفيه خلع السلطان
على قاصد حسن الطويل وفيه توفى الامير تانى بك المعلم المحمدى الاشرفى مات بالقدس
بطالا وكان عارفا بفنون لعب الرمح وفى ربيع الآخر صعد القضاة الى القلعة للتهنئة
بالشهر فلما أرادوا الانصراف أخذ السلطان فى الكلام معهم بسبب محراب جامع ابن طولون
بأنه فى أصل وضعه الانحراف عن جهة القبلة فقال كاتب السر هذا الجامع تحت نظر
قاضى القضاة الشافعى فقال القاضى ينبغى أن يتغير هذا المحراب ويجدد غيره الى جهة
القبلة وانفض المجلس على ذلك ولم يتغير فيه شئ الى الآن وفيه خرج برقوق الى محل نيابة
الشام وطلب طلبا حافلا وكان له يوم مشهود وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن حسن
الطويل تحرك على أخذ البلاد الحلبية وأنه أظهر العداوة للسلطان وقد طمع فى عسكر
مصر بموجب ما فعله معهم سوار فثار السلطان لهذا الخبر وقصد أن يخرج الى حلب
بنفسه وفيه نادى السلطان فى القاهرة بأنه قد أبطل عدة مكوس منها مكس قطيا ومكس
الخشب والاطرون بالبحيرة وغير ذلك عدة مكوس أبطلها بمصر وجدة فدعا له الناس
بسبب ذلك وفيه عين السلطان القاضى شرف الدين الانصارى وكيل بيت المال بأن
يخرج الى جبل نابلس لجمع العشير بسبب التجريدة الى سوار فخرج هو ودولات باى
الخازندار وفيه عين فى امرية الحاج بالمحمل يشبك الجمالى وفى امرية الاول اقبردى
الاشرفى على عادته ما فى العام الماضى وفيه قرر السلطان فى الزردكاشية الكبرى جانم

السيفى تمرباى عوضا عن فارس الذى توجه الى دمشق وفى جمادى الاولى أرسل السلطان
بعزل يلاط اليشبكى عن نيابة حماه وقد أرسل يستعفى من ذلك وفيه عين السلطان
تجريدة ثقيلة الى سوار وعين بها من الامراء المقدمين يشبك دوادار كبير باش العسكر
وقراز التمشى ابن أخت السلطان أحد المقدمين وخاير بك حديد الاشرفى وازدمر الطويل
الابراهيمى ولم يتم السفر ثم عين قانصوه الخفيف ولم يتم له السفر وعين تمر حاجب الحجاب
ولم يتم له السفر وعين عدة أمراء طبلخانات وعشراوات وعرض الجند وكتب منهم عدة
امراء وأعلمهم بان السفر يكون بعد أن يربع الخيل وفيه أرسل السلطان خلعة الى
خاير بك القصروى بان يستقر نائب حماه عوضا عن يلاط اليشبكى فلما وصلت اليه الخلعة
باستقراره فى نيابة حماه مات فجأة قبل دخوله الى حماه وكان أميرا جليلا تولى عدة وظائف
سنية منها نيابة القلعة بمصر ونيابة غزة ثم نيابة صفد ثم قرر فى تقدمة ألف بدمشق ثم
قرر فى أتابكية طرابلس ثم فى نيابة حماه فمات ولم يدخلها وفيه توفى قاضى القضاة
الشافعى بحلب وهو السيد الشريف تاج الدين عبد الوهاب بن عمر بن حسن بن على بن حمزة
الحسينى الحلبى الشافعى وكان من أهل العلم والفضل وفيه توفى الامير يشبك بن
الاسحاقى الاشرفى أحد مقدمى الالوف بمصر وكان يعرف بالبهلوان ومات وله من
العمر نحو من سبعين سنة وكان حاد المزاج سيئ الخلق وفيه جاءت الاخبار بوفاة قرقشبق
الاشرفى الذى كان زردكاش بمصر ثم نفى ومات وهو مقدم ألف بدمشق وكان علامة فى لعب
الرمح وفى جمادى الآخرة أنعم السلطان على برسباى قرا المحمدى بتقدمة ألف وهى تقدمة
يشبك بن وقرر فى الخازندارية قيماز الاسحاقى الظاهرى عوضا عن برسباى قرا بحكم
انتقاله الى التقدمة وكان قيماز هذا آغا السلطان قديما وفيه نزل السلطان من القلعة
وتوجه الى الخانقاه ثم سار الى العكرشا وهو راكب الهجين ثم عاد الى القلعة بعد أيام وفيه
توفى يشبك الاجرود الاشرفى نائب صفد وفى رجب نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو
قناطر العشرة وأقام هناك سبعة أيام وتوجه الى الاهرام وهو وماش وحوله الامراء وكانت
تلك الايام مشهودة فى القصف والفرجة ونصب له أشاير على رؤس الاهرام وعملت له هناك
أسمطة فاخرة حافلة وصار ابن رحاب المغنى عمال فى كل ليلة وبقية مغانى البلد وابتيع
الجمع الحلوى هناك بنصفين والصحن الطعام الخاص بنصف فضة ثم ان السلطان رحل
من هناك بعد مضى سبعة أيام وتوجه الى الفيوم فلما دخلها زينت له وكان يوم دخوله الى
الفيوم يوما مشهودا ودخل عليه جملة تقادم من الكاشف ومشايخ العربان فكانت مدة
غيبته فى هذه السفرة نحوا من عشرين يوما وكان ذلك فى قلب الشتاء فى زمن الربيع ثم
عاد السلطان الى القلعة وفيه وقع الغلاء والعطا بالديار المصرية حتى أبيعت البطة

الدقيق بستة أنصاف والرطل الخبز بدرهم نقرة وبيع الفدان البرسيم الخضر بدينار وكثرت اللحوم والاجبان وانحط سعر سائر البضائع وفيه جاءت الاخبار بأن قانصوه اليحياوى نائب حلب قد وقع بينه وبين نائب قلعة حلب فبعث يشكوه للسلطان فأنصف السلطان نائب حلب على نائب القلعة وفيه خلع السلطان على قيماز الاسحاقى وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن بلباى الملاقى بحكم استقراره فى نيابة صفد عوضا عن بحكم الاشرفى المعروف بالابرود وفيه جاءت الاخبار من حلب بان سوار اقد استولى على سيس وقلعتها فانزعج السلطان لهذا الخبر وفى شعبان عزل قاسم شغيته عن نظر الدولة ورسم عليه الامير يشبك الدوادار وطلب منه مالا وعين السلطان الامير برسباى قرا أحد المقدمين بان يخرج جاليش العسكر الى سوار قبل خروج الامير يشبك فخرج ومعه عدة من الجند وبعث اليه السلطان أربعة الاف دينار وفيه وقعت نادرة غريبة وهى أن السلطان أعاد الى جماعة ما كان أخذه منهم من المال لما صادرهم بسبب التجريدة الاولى فأعاد الى فارس الركنى ألفا وخمسمائة دينار وأعاد الى الشهابى أحمد بن اسنبغا الطيار ألف دينار وأعاد الى فارس السيفى دولات باى ألف دينار وبعث لابن العينى خمسة عشر ألف دينار من بعض ما أخذه منه وأعاد الى جماعة كثيرة ما كان أخذه منهم فى المصادرة فتعجب الناس من ذلك لكونه فعل ذلك من تلقاء نفسه وأشيع بين الناس أنه رأى فى المنام ما أوجب هذا من رد المال على أربابه فكان حال الناس معه كما قال القائل فى هذا المعنى

كنا نؤمل ان تنال بجاهكم * خيرا يكون على الزمان معينا
والآن نقنع بالسلامة منكم * لا تأخذوا منا ولا تعطونا

ولكن فعل بعد ذلك بالناس من المصادرات وأخذ الاموال ما يعجز عنه الواصفون وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بان العين التى أجراها السلطان الى عرفات قد انتهى العمل منها ووصل ماؤها الى عرفات وحصل به غاية النفع لاهل مكة المشرفة وكان لهذه العين نحو من مائة سنة وكسور وهى معطلة عن الجريان وكان جوبان أجرى ماءها فتعطلت من بعده حتى أجراها السلطان وفى رمضان أنفق على الجند الكسوة وأنفق على المماليك المعينين للتجريدة نفقة السفر لكل مملوك عشرون دينارا وكسوة عشرة دنانير واستمر ينفق عليهم ثلاثة أيام متتابعة ، وفيه كانت وفاة الاديب البارع الفاضل الشهاب الحجازى أحمد بن محمد بن على بن حسن بن ابراهيم الانصارى الخزرجى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا فى الادب وله عدة مصنفات فى الآداب منها كتاب روض الآداب والقواعد فى المقامات وشرح المعلقات وقلائد النحور فى جواهر البحور والتذكرة وغير ذلك من الكتب النفيسة وكان ظريفا لطيف الذات كثير النوادر عشير الناس حسن المحاضرة وله

شعر جيد عن ذلك قوله

في حندس الليل أتانا فتى * ونادم القوم فبئس النديم
قلت لاصحابي لما أتى * قد جاءنا في جنح ليل بهيم

﴿ومن قصائده﴾

قصدت رؤية شخص مذ سمعت به * فقال لي بلسان الحال ينشدني
انظر الى الردف تستغني به وأنا * مثل المعيدي فاسمع بي ولا ترني

وكان مولده في أوائل قرن الثمانمائة فلما مرض الشهاب الحجازي بعث اليه الشهاب المنصوري بهذين البيتين

قيل الشهاب سقيم قلت وا أسفا * ما بال أحد لا يخلو من العلل
وزن الرقائق من أضحى يحوزها * ووصفه بفنون العلم والعمل

ولما توفي الشهاب الحجازي رثاه الشهاب المنصوري بهذه الابيات

زادني فقد الحجازي شجى * هل تطيب العيش فقدان الحجا
لو رى القمري أبدى نوحه * أو غراب البين أضحى مسحجا
صار في زورق نعش قاطعا * منه لما بحر المنايا لجبا
وامتطى طرف الردى مستوقرا * طالبا من هم دنياه النجا
ان يكن في الترب أمسى هابطا * فسيرقى في الجنان الدرجا
أو يكن ليل الضريح عاكرا * فسيلقاه شهابا أبلجا
فلتطب أرجاء قبر زارها * انها كنه في حسن الربا
فالحجازي مكة تبصره * والشهاب اشتاقه بدر الدجا

قلت كان بالقاهرة سبعة من الشعراء اجتمعوا في عصر واحد وكل واحد يدعي بشهاب فكان يقال السبعة الشهب وهم الشهاب بن حجر رحمة الله عليه والشهاب ابن الشاب التائب والشهاب بن أبي السعود والشهاب بن مبارك شاه الدمشقي والشهاب بن صالح والشهاب الحجازي والشهاب المنصوري فلما مات الستة رثاهم الشهاب المنصوري بهذه الابيات

خلت سماء المعاني من سنا الشهب * فالآن أظلم أفق الشعر والادب
تقضب بعيش وجها به مرحلة من * تجانبوا بالمعاني مركز القطب
تعطلت مرد ذيام من درر * كانت تحلى بها منهم ومن ذهب
وتعلم الارض ماذا ضمنت طربت * بهم كما يطرب الانسان بالنسب
وتدري المسك أن الارض قبرهم * لو تنشقه عرف من شذى الترب

وهذا

وهذا اختصار من القصيدة التي لهم رحمة الله عليهم أجمعين وفيه توفي كسباي الرزقي المؤيدي الذي كان نائب الاسكندرية وعزل عنها وفي شوال كان خروج العسكر المعين الى سوار فخرج الامير يشبك الدوادار الكبير وازدمر الاستادار وكاشف الكشاف وباش العسكر فكان في غاية العز والعظمة وقد فوض اليه السلطان أمور البلاد الشامية والحلبية وغير ذلك من البلاد وجعل له الولاية والعزل في جميع أحوال المملكة وكتب معه خمسمائة علامة ويكتب على البياض وجعل له التصرف في جميع النواب والامراء ما خلا نائب حلب ونائب الشام فقط فكان له لما خرج يوم مشهود وطلب طلبا حافلا بحيث لم يعمل مثله قط وجر في طلبه عدة خيول ملبسة بركستونات فولاذ مكفتة بالذهب وبركستونات مخمل ملون وصنع في زنكه صفة سبع وقد اقترح أشياء عجيبة غريبة لم يسبق اليها ورسم لمماليكه بان تخرج في الطلب باللبس الكامل وخرج صحبته الامراء الذين تقدم ذكرهم ومن الجند نحو من ألفي مملوك فرجت لهم القاهرة واستمرت الاطلاب تنسحب الى قريب الظهر فلما كانت ليلة الرحيل نزل السلطان عند يشبك وتكلم معه طويلا ثم أضافه الامير يشبك وركب من عنده وتوجه الى الخانقاه ثم عاد الى القلعة ثم في ثاني ليلة نزل الامير يشبك بعد العشاء ورحل من الريدانية قاصدا الشام ثم خرج العسكر أفواجا أفواجا حتى سد الفضاء وكانوا من أعيان الشجعان فتفاءل الناس بان هذا العسكر ينتصرون على سوار ما خوذلا محالة وكذا جرى وقد عيب على السلطان نزوله الى الامير يشبك في الوطاق مرتين وهذا بخلاف عادة الملوك وقواعدهم القديمة وفيه خرج الحاج من القاهرة في تجمل زائد وكان لهم يوم مشهود ولكن تأخر الى يوم عشرينه بسبب فرار غلمان أمير حاج وفي ذي القعدة ولد للامير يشبك ولد من زوجته خوند ابنة الملك المؤيد أحمد بن الملك الاشرف اينال فسموه منصورا وكان له مهم حافل وفيه خلع السلطان على السيد الشريف سبع بن طافر وقرره في امرية الينبوع عوضا عن طاهر وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو صقيل وقد أضافه القاضي كريم الدين بن جلود كاتب المماليك فأقام هناك الى آخر النهار وعاد الى القلعة وفي ذي الحجة خلع السلطان على شيخ عربان الشرقية صقر ابن بقر وقرره في مشيخة الشرقية عوضا عن قريبه عيسى بن بقر وسجن ابن بقر بالمقشرة بعد ما ضرب بين يدي السلطان ضربا مبرحا وفيه عين السلطان الامير تمر حاجب الحجاب والامير قانصوه الخفيف الاينالي بان يخرجا الى الشرقية بسبب فساد العربان ورسم السلطان لهما بان من وجدوه من بني سعد وبني وائل يقبضون عليه وفيه كان ابتداء عمارة الايوان الكبير الذي بالقلعة فأمر السلطان بتجديده واصلاح ما فسد من شأنه وكان الشاد على عمارته القاضي كاتب السر ابن مزهر والبدري بدر الدين بن الكويز

ومعلم المعلمين فصرف عليه نحو من عشرين ألف دينار وكان قصد السلطان أن تقام الخدمة على العادة القديمة ويركب منه فلم يتم له ذلك واستمر الامر على حاله الى الآن وفيه توفي الاستاذ المغنى المؤيسيق محمد المعروف ببرقوق التونسي وكان بارعا في الغناء والانشاد وكان له شهرة طائلة قدم من الغرب يوم الحج فتوفي بالقاهرة

❁ ثم دخلت سنة ست وسبعين وثمانمائة فيها في المحرم في أول يوم كانت بشارة النيل فتفاءل الناس بأنها سنة مباركة وفيه توفي قاضي القضاة برهان الدين بن الديري الحنفي وهو ابراهيم ابن محمد بن عبد الله بن سعد بن مصلح العبسي القدسي الحنفي مات وهو منفصل عن القضاء وكان عالما فاضلا رئيسا حشما وولى عدة وظائف سنية منها نظر الاسطبل ونظر الجيش وكتابة السر وقضاء الحنفية ومشيخة الجامع المؤيدي وغير ذلك من الوظائف وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه نحو شبين القناطر وكان معه الاتابكي ازبك وجماعة من الامراء فبينما هو سائر في أثناء الطريق اذ شب فرس الاتابكي أزبك على فرس السلطان ورفسه جاءت الرفسة في قصبة ساق السلطان فانكسرت فنزل بشبين وهو في غاية الالم من ساقه وأرسل يطلب محفة حتى يعود فيها الى القاهرة فلما وصل هذا الخبر الى القاهرة كثر بها القال والقيل بسبب عود السلطان في المحفة فلما عاد طلع الى القلعة وهو في المحفة حتى نزل على باب الجسرة وكانت القاهرة قد زينت لقدومه فلما طلع تحت الليل هدمت الزينة وأشيع أن السلطان على غير استواء حتى نزل المنادي ونادى للناس بالامان والاطمئنان وسلامة السلطان وان تعادوا الزينة كما كانت فزينت القاهرة أياما ثم ان السلطان خرج وجلس على الدكة وعلم المراسيم وجهز مراسيم الى البلاد الحلبية بسلامته من هذا العارض حتى سكن ذلك الاضطراب وخمدت هذه الاشاعات من البلاد الشامية والحلبية وفيه توفي تغري بردى بن يونس أتابك حلب وكان لا بأس به وفيه حضر صحبة الحاج القاضي كمال الدين ابن ظهيرة قاضي جدة أخو القاضي برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة قاضي مكة المشرفة ليسعى لأخيه في عوده الى القضاء وكان قد صرف عنه وفيه جاءت الاخبار بان شاه سوار قتل قرقماس الصغير نائب ملطية وقد تقدم ان أمره قرقماس بجماعة سوار فلما ظفر سوار بقرقماس قتله أشر قتلة قيل انه أوقفه في مكان ورمى عليه حائطا وقيل بل علقه في شجرة واستمر يرمي عليه بالنشاب حتى مات وكان قرقماس الصغير هذا أصله من مماليك الاشرف اينال وكان شجاعا بطلا مقداما في الحرب وكان لا بأس به وفيه عين السلطان نيابة ملطية لاينال الحكيم عوضا عن قرقماس الصغير بعد قتله وفيه خلع السلطان على الشيخ سيف الدين الحنفي وقرره في مشيخة الجامع المؤيدي عوضا عن برهان الدين الديري بحكم وفاته وكانت هذه الوظيفة مع أولاد الديري بحكم شرط الواقف الملك المؤيد شيخ وأخرجها السلطان عنهم

للشيخ سيف الدين ولم يلتفت الى شرط الواقف وفى صفر جاءت الاخبار من حلب بان الامير يشبك الدوادار أخذ قلعة عينتاب من جماعة سوار وأن سوارا أخذ أولاده وعياله وماله وأودعهم بقلعة زمنوطو وصار عنده التر من العسكر بخلاف العادة وفيه عاد الامير حاجب الحجاب من الشرقية وقد قبض على جماعة من العربان المفسدين وفيهم موسى بن عمران وآخر يقال له طاجن وكان من أعيان العربان المفسدين فرسم السلطان بتوسيط موسى ومعه جماعة من بنى سعد وبنى حرام وبنى وائل فلما بلغ العربان قتل هؤلاء أظهروا العصيان وأفسدوا فى البلاد فرسم السلطان للامير قرباى بعوده الى الشرقية فعاد عن قريب وفيه ركب السلطان وصلى صلاة الجمعة بالقلعة وكان له مدة لم يركب بسبب كسر قصبة ساقه فلما ركب كان له يوم مشهود بالقلعة وفيه رسم السلطان لابن الطولونى بان يجدد عمارة الميضأة التى بجامع القلعة فوسعها ورسم بعمارة الجامع فصرف على ذلك ألف دينار وفيه جاءت الاخبار بان الأمير يشبك أخذ من سوار ما كان استولى عليه من أدنه وطرسوس وتحارب مع جماعة سوار أشد المحاربة حتى طردهم من تلك البلاد وملكها وفيه كان وفاء النيل المبارك فى سادس عشرى مسرى فتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وفيه توفى أسنبغا التترى اليشبكى الناصرى أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب وكان لا بأس به وفيه ركب السلطان ونزل من القلعة وتوجه الى جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه وكشف عما تهدم من حيطانه وسقوفه وأمر ببنائه من ماله وشرع فى ذلك وفى ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه نودى من قبل السلطان بان لا يشكو احد أحدا للسلطان الا بعد أن يرفع أمره لاحد من الحكام فاذا لم ينصفه يقف بعد ذلك للسلطان وكان قد كثرت شكاوى الناس بين يدى السلطان حتى ان امرأة شكت زوجها الاجل انه وطئ جارية فى ملكه فأطلقت زوجته الغيرة وشكته للسلطان بقصة وفيه خلع السلطان على الامير يشبك الجمالى وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل على عادته وكان السلطان عين برسباى الشرفى فاستعفى من ذلك فاعفاه وفى ربيع الآخر نزل السلطان الى غيط خليج الزعفران على سبيل التنزه وكان معه الاتابكى أزبك وجماعة من الامراء فاقام هناك الى آخر النهار فلما عاد ووصل الى الحسينية وجد فى طريقه جنازة وهى امرأة غريبة ليس معها أحد من الناس سوى الحمالين فنزل عن فرسه ومن معه من الامراء فصلى عليها فى قارعة الطريق وقدم الجماعة الذين حضروا الصلاة فعد ذلك من النوادر وقد وقع مثل هذه الواقعة للامير أحمد بن طولون واستمر ماشيا قدام الميت حتى واراه التراب وفيه بعث السلطان الى الامير أزبك اليوسفى أحد الامراء المقدمين فخلع عليه وقرره فى نيابة عينتاب فنزل الى داره وهو مهموم

وأقام على ذلك أياما حتى شفع فيه الاتابكي أزبك وأعفى من ذلك وفي جمادى الاولى حضر
محمد بن نائب بهسنا بمكاتبة يذكر فيها انحلال أمر سوار من الأمير يشبك وان عسكر سوار
قد فل عنه وهو خائف من العسكر ثم أرسل الأمير يشبك يطلب من السلطان نفقة للعسكر
يتوسع بها فان العليق كان هناك مشحوتا فبعث السلطان مائة ألف دينار تفرق على
العسكر هناك وفي هذا الشهر كانت وفاة قاضي القضاة عز الدين أحمد الحنبلي وهو أحمد
ابن ابراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن هاشم بن اسماعيل بن نصر الله بن أحمد العسقلاني
الحنبلي وكان عالما فاضلا متواضعا فكها محاضرة بقية الناس سمع على جماعة من العلماء
وأجاز وهو ناب في الحكم مدة ثم ولي القضاء الاكبر بعد وفاة قاضي القضاة بدر الدين
البغدادي في سنة سبع وخمسين وثمانمائة واستمر في هذه الولاية مدة طويلة نحوا من
عشرين سنة وباشر منصب القضاء بعفة ونزاهة وحمدت عند الناس سيرته وانتهت اليه
رياسة مذهبه وولي عدة تداريس جليلة وعاش من العمر مدة طويلة وقد قارب الثمانين
سنة ومولده سنة ثمانمائة فلما مات استمر منصب القضاء شاغرا لم يتول به أحد فأقام
نحوا من أربعة أشهر وكان السلطان أرسل خلف برهان الدين بن مفلح من الشام ليلي القضاء
وكان السلطان رسم لبدر الدين السعدي تلميذ قاضي القضاة عز الدين الحنبلي بان يتكلم
في الاحكام المتعلقة بمذهبه الى أن يحضر البرهان بن مفلح من الشام فلما عاد القاصد الذي
توجه الى ابن مفلح أخبر بان ابن مفلح مريض وأرسل يعتذر للسلطان في عدم الحضور الى
القاهرة وتعلل بأشياء تدل على عدم قبوله للولاية فلما عاد هذا الجواب على السلطان
أخذ القاضي كاتب السر ابن مزهر يسعى للسعدي في أن يلي القضاء وكان يومئذ في الحنابلة
من هو أفضل من السعدي ولكن الحظوظ تختلف فلما كان ختم البخاري في رمضان
أحضر السلطان خلعة وخلع على بدر الدين السعدي واستقر به قاضي القضاة الحنبلية
بمصر عوضا عن القاضي عز الدين بحكم وفاته فنزل من القلعة في موكب حافل جدا وقد
استكثر الناس غالبهم على السعدي ذلك وكان شابا لم يظهر البياض بلحيته وقد داعبه بعض
الشعراء بهذه المداعبة وهي

قاضيكم ما مثله في حكمه * عفيف ذيل ليس يدعى زانيا
قد ساس أمر الناس في أحكامه * فلم ترى أسوس منه قاضيا

﴿وفيه أيضا﴾

حضرت في الدرس على قاضي * نص على التقليد في درسه
فيحسن البحث على وجهه * ويوجب الدخل على نفسه

وفيه خرج السلطان الى الرماية ببركة الحبش وكان معه الاتابكي أزبك وبقية الامراء

هناك

هنالك ثم عاد الى القلعة وشق من القاهرة في موكب حافل وكان له يوم مشهود واصطادق ذلك اليوم ثلاث كراكي وبلشون وفي جمادى الآخرة قدم قاصد من عند صاحب بلاد الهند الملك غياث الدين وأحضر على يده هدية الى السلطان والى الخليفة المستنجد بالله يوسف وأرسل يطلب منه تقليدا بولايته على اقليم الهند عوضا عمن كان قبله من ملوك الهند فاكرمه السلطان وخلع عليه وكتب له الخليفة تقليدا بما سأل وفيه وصل قاصد من عند الامير يشبك الدوادار وعلى يده مكاتبة من يشبك يذكر فيها أنه وقع بينه وبين عسكر سوار واقعة مهولة على نهر جيحون وجرح فيها الامير تمراز التمشي في يده بسهم نشاب وكان أول من ألقى نفسه في النهر هو فلما بلغ العسكر رموا أنفسهم في النهر خلفه فجرح تمراز وأغمى عليه فحملوه ورجعوا به الى الوطاق ثم ان الامير يشبك ثبت وقت الحرب بوزحف بالعسكر على عسكر شاه سوار وكان بين الفريقين ساعة تشيب منها النواصي فانكسر عسكر سوار كسرة بليغة وقتل منهم ما لا يحصى عدده وكان النصر لعسكر مصر على عسكر سوار كما قيل

جيوشنا كالاسود أضحت * تقتحم الحرب بالعزائم
وسيف سلطاننا طويل * له بقوس العدا غنائم
فالنصر بالفتح مذ أتاه * صير قلب الحسود وارم
فيا له في الورى مليك * لقمع أهل الفساد صارم

فلما رأى سوار الكسرة عليه هرب في نفر قليل من عسكره وطلع الى قلعة زمنوطو واختفى فلما بلغ الامير يشبك أن سوارا في قلعة زمنوطو حاصرها أشد المحاصرة ورمى عليها بالمدافع واستمر محاصرها حتى كان من أمره ما سنذكره فخلع السلطان على القاصد الذي جاء بهذه الاخبار والبشارة وكذلك الامراء خلعوا عليه وانشرح السلطان بهذا الخبر وفيه نزل الى الرماية وغاب يوما وليلة فلما عاد طلع من الصليبة في موكب حافل وفيه خسف جرم القمر جميعا وكان خسوفا مهولا فاحشا وفي رجب صار السلطان ينزل الى الاصطبل ويحكم فيه بين الناس يوم السبت والثلاثاء فتكاثرت عليه المحاكمات وتزايدت شكاوى الناس اليه فوقف شخص يقال له محمد القليبي واشتكى من ناظر الخاص تاج الدين أحمد بن المقسي وكان السلطان متحاملا عليه فأمر بضربه بالمقارع بين يديه فضرب نحو عشرين شيبا حتى أدمى وكان يوما شديد البرد جدا وأمر بسجنه في البرج الذي في القلعة فطلع وهو ماش من باب السلسلة الى البرج عريانا مكشوف الرأس والدم يسيل من أجنابه فعد ذلك من مساوى قايتباي وفيه ضرب انسان من أولاد الناس امرأة بسكين في جنبها وهي ماشية بين الناس في الطريق فماتت في الحال فلما تحقق موتها هرب ولم يعلم ما سبب ذلك وفيه

نزل السلطان الى نحو المطرية ثم عاد من جهة قنطرة الحاجب فأذن عليه المغرب عندما وصل الى المدرسة الجيعانية التى بالقرب من بركة الرطلى فنزل وصلى المغرب هناك خلف من صلى من العوام وكان الامام فى ثانى ركعة فصلى مع الجماعة فلما فرغت الصلاة وجد الامام صبيا أمرد فأعاد الصلاة ثانيا ثم ركب من هناك وطلع الى القلعة وفيه رسم السلطان ليشبك الجمالى المحتسب بأن ينادى فى القاهرة بأن امرأة لا تلبس عصابة مقنزعة ولا سراقوص حرير وأن تكون العصابة طولها ثلث ذراع وهى بختم السلطان من الجانبين وكتب بذلك قسائم على من يبيع عصائب النسا وصمم السلطان على يشبك المحتسب فى تكرير المناداة فى ذلك وصارت رسل المحتسب يطوفون فى الاسواق فان وجدوا امرأة بعصابة مقنزعة أو سراقوص يضربونها أو يجرسونها والعصابة معلقة فى رقبتها فقلق النساء من ذلك وصارت المرأة اذا خرجت لضرورة حاجة تخرج من غير عصابة مكببة رأسها أو تلبس عصابة طويلة فلما طال عليهن الامر لبسن العصائب الطوال التى رسم بها السلطان وكن يلبسنها اذا خرجن الى الاسواق فقط على كرههن ويلبسن العصائب المقنزعة فى بيوتهن وفى هذه الواقعة يقول الاديب زين الدين بن النحاس الشاعر

أمر الامام مليكنا بعصائب ٭ فى لبسها عسر على النسوان

فقلقن ثم أطعنه ولبسنها ٭ ودخلن تحت عصائب السلطان

واستمر الحال على ذلك مدة يسيرة ثم رجعن الى ما كن عليه من لبس العصائب المقنزعة والسراقوص ولم يلتفتن الى تحجير السلطان فى ذلك وفيه خلع السلطان على برسباى الشرفى وقرره فى امرية الحاج بالمحمل وكان قد أعفى من ذلك وقرر يشبك الجمالى فى امرية الحاج ثم بطل وقرر فيها برسباى الشرفى وفيه خلع السلطان على البدرى بدر الدين بن مزهر القاضى كاتب السر وقرره فى نظر الخاص عوضا عن تاج الدين بن المقسى بحكم صرفه عنها وكان بدر الدين بن مزهر صغير السن لم يلتح حين قرره فى نظارة الخاص وفى شعبان نزل السلطان الى خليج الزعفران وقد أضافه الزينى أبو بكر بن عبد الباسط فأقام عنده الى آخر النهار وعاد الى القلعة وفيه انتهت مواكب الاسطبل وضبط ما فرقه السلطان على الفقراء وأرباب البيوت فى هذه المدة فكان نحوا من ثمانمائة دينار وفيه ظهر بالسما نجم له ذنب مستطيل وكان يظهر من جهة الغرب ثم صار يظهر من الشرق وفيه خرج الامير قانى باى صلق وتوجه الى جهة حلب وعلى يده كوامل الشتا للنواب وعدة خلع للامير يشبك الدوادار ويرسم من يرد عليه من التركمان وأرسل على يده نحوا من أربعين ألف دينار برسم توسعة للعسكر وفيه عرض السلطان محابيس المقشرة وأطلق منهم جماعة وكان بها شخص له نحو من ثلاثين سنة فعمل مصلحته ووزن عنه للمديني مبلغ له صورة وأطلقه وفيه نزل

السلطان

السلطان وعدى الى بر الجيزة فاضافه شخص من عرب البسار يقال له محمد بن برقع فدله
أسمطة حافلة وبات عنده ثم عدى وتوجه الى شبرى وطلع من هناك وتوجه الى العباسة
فاضافه هناك الشيخ بيبرس بن شعبان شيخ العرب وأقام بالعباسة أياما ثم عاد الى القلعة
وفيه توفى الامير طوغان الابو بكرى المؤيدى الذى كان زردكاش ونفى الى ثغر دمياط ثم شفع
فيه وعاد الى القاهرة ثم مات وهو بطال وكان لا بأس به وفى رمضان رسم السلطان للقاضى
عبد الغنى بن الجيعان بان يفرق على الفقهاء والعلماء توسعة فى رمضان لعيالهم واستمر ذلك
عملا فى كل شهر رمضان مدة أيام الاشرف قايتباى الى أن مات ثم تناقص ذلك من بعده
وفيه رسم السلطان باحضار الاتابكى جوباش كرت وكان مقيما بثغر دمياط وكذلك
الامير يشبك المؤيدى الذى كان دوادارا كبيرا فتكلم لهما بعض الامراء بأن يحضرا الى
القاهرة ويكونا فى دورهما بطالين الى أن تنقضى أعمارهما فأجاب السلطان الى ذلك وأمر
باحضارهما وكان الشرفى يحيى بن يشبك الفقيه متمرضا فلما حضر أبوه أقام مدة يسيرة
ومات وكان شابا حسنا حشما رئيسا شجاعا بطلا حوى أنواع الفروسية وساق من جملة
الرماحة بالمحمل وكان الظاهر خشقدم أنعم عليه بامرية عشرة وكانت أمه خوند بنت
المؤيد شيخ وكان نادرة فى أبناء جنسه ومولده سنة ثمان وفيه حضر قاصد من عند ابن عثمان
ملك الروم وعلى يده هدية للسلطان وقد حضر بروم الحج وفيه ختم البخارى وخلع
فى ذلك اليوم على بدر الدين السعدى وقرره فى قضاء الحنابلة عوضا عن عز الدين الحنبلى
وفيه صعد فى يوم عيد الفطر سيدى منصور بن الظاهر خشقدم الى القلعة ليهنئ السلطان
بالعيد وكان السلطان جالسا على الكرسى بالقصر الكبير فلما وقف سيدى منصور بين يديه
خلع عليه متمر ثم طلبه وأجلسه معه على الكرسى وكان صغير السن دون البلوغ فعد جلوسه
مع السلطان على الكرسى من النوادر التى ما وقعت قط وفيه جاءت الاخبار من عند يشبك
الدوادار بان شاه سوار قد تلاشى أمره وقل عنه غالب عسكره وأرسل يطلب الصلح من
الامير يشبك وأن يكون نائبا عن السلطان فى قلعة درندة وأنه يرسل ولده بمفاتيح القلعة
فما وافق السلطان على ذلك الا أن يحضر سوار بنفسه ويقابل السلطان وفيه توفى
القاضى نجم الدين العجلونى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الزرعى الدمشقى الشافعى مذهبا
وكان عالما فاضلا قدم الى القاهرة بطلب من السلطان ليلى القضاء فتوعك فى جسده فمات
ودفن بالقاهرة وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل برسباى الشرفى وأمير
ركب الاول الشهابى أحمد بن الاتابكى تانى بك البردبكى الظاهرى برقوق وفيه وقعت حادثة
غريبة وهو أن نجارا كان عمالا بالقلعة فى بعض طباق المماليك فسقط من مكان عال فمات لوقته
وكان له أولاد وعيال وهو فقير فوقف أولاده وعياله بقصة للسلطان يلتمسون منه شيأ من

الصدقة فأمر لهم بمائة دينار وأمر للميت بثوب بعلبكي وثلاثة أشرفية يجهزونه بها فعد ذلك
من محاسن الاشرف قايتباي وفيه رسم السلطان بشنق جارية بيضاء ومعها غلام
فشهروهما في القاهرة على جملين وكان سبب ذلك أن الجارية اتفقت مع الغلام على قتل
سيدها وأخذ ماله ويهربا فقتلاه ودفناه في الاصطبل فلما ظهر أمرهما رسم السلطان
بشنقهما فشنقا وفيه توفيت خوند مغل بنت البارزي زوجة الملك الظاهر جقمق وكانت
دينة خيرة ولها بر ومعروف وهي التي عمرت جامع الشيخ مدين بالمقس ووقفت عليه
أوقافا كثيرة وكانت ناظرة الى فعل الخير وفيه كانت نهاية عمارة الجامع الذي قد أنشأه قراز
أحد الامراء الخورية بجوار قنطرة عمر شاه وفي ذي القعدة غرقت مركب ببحر النيل وكان
فيها بضائع كثيرة لتجار من الاروام ولم ينج منها سوى ثلاثة أنفار فعين السلطان شرف
الدين بن كاتب غريب ومعه القاضي جلال الدين بن الامانة أحد نواب الشافعية
الى المكان الذي غرقت فيه المركب لضبط ما يظهر من تلك البضائع التي غرقت هناك فلم
يظهر من ذلك الا اليسير وغرق الاكثر وفيه قدم قاصد من عند حسن الطويل وعلى يده
هدية للسلطان ومكاتبة فيها أشياء سرا فلم ينشرح السلطان لقدوم هذا القاصد ولم يعلم
ما في المكاتبة وفيه توفي يوسف بن مغلطاي نائب ثغر دمياط وكان لا بأس به وفيه وقعت
فتنة كبيرة بين بني حرام وبني وائل وكثر الفساد من العربان بالشرقية حتى امتنع مرور
الناس من الاسفار الى الشرقية من كثرة القتل وقطع الطريق وسلب أثواب المسافرين
وفي ذي الحجة وصل قاصد من عند يشبك الدوادار ومعه مكاتبة يخبر فيها أن سوارا
أرسل يطلب الامان لنفسه وأنه يقيم بقلعة زمنوطوه وعياله فقال له الامير يشبك حتى
نكاتب السلطان بذلك وفيه قدم اياس الطويل المحمدي الذي كان نائب طرابلس فأكرمه
السلطان وخلع عليه وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ورسم له بأن يعود الى طرابلس
وأنعم عليه بامرية بطرابلس يأكلها وهو طرخان وكان قد شاخ وكبر سنه وعجز عن الحركة
وفيه وصل الاتابكي جرباش كرت من ثغر دمياط هو ويشبك الفقيه الذي كان دوادارا كبيرا
وشفع فيه بعض الامراء بأن يكون بداره بطالا حتى ينتهي أجله فرسم السلطان باحضاره
هو ويشبك الفقيه فلما طلع الاتابكي جرباش الى السلطان عظمه وقام اليه وأجلسه الى
جانبه ثم ان الاتابكي جرباش قام وقبل يد السلطان فكان يشفع في جاني بك كوهية بأن يحضر
هو أيضا الى القاهرة وكان بثغر دمياط فأجابه السلطان الى ذلك ورسم باحضاره ثم خلع على
الاتابكي جرباش ويشبك الفقيه ونزلا الى دارهما وفيه أمر السلطان بانشاء البرج العظيم
قريب ثغر رشيد فجاء غاية في الحسن من البناء والاتقان وفيه تزايد فساد بني حرام وبني
وائل وفسدت أحوال الشرقية فعين لهم السلطان تجريدة وكان بها من الامراء الاتابكي
أزبك وجاني بك قلقسيز أمير سلاح وازدمر الطويل أحد المقدمين الالوف وعين معهم

جماعة كثيرة من الجند وأمرهم بالخروج الى الشرقية سريعا وسبب ذلك أن العربان من بنى
وائل وبنى حرام هجموا على القاهرة حتى وصلوا الى رأس خط الحسينية ونهبوا الدكاكين
وسلبوا أثواب الناس واستمر الحال على ذلك من بعد العصر الى ما بعد المغرب فرجعوا حيث
جاؤا فلما بلغ السلطان ذلك عين لهم هؤلاء الامراء فخرجوا من يومهم سريعا ثم ان الاتابكى
أزبك عاد الى القاهرة بعد أيام ومعه بعض عربان فأودعوهم فى المقشرة وأما بقية الامراء
فرسم لهم السلطان بالاقامة فى الشرقية لرد العربان المفسدين وفيه ولدت امرأة أربعة
أولاد فى بطن واحد وهم صبيان وبنتان وكان أبوهم فقيرا فحملهم الى السلطان فلما وضعوا
بين يديه تعجب منهم ورسم لابيهم بعشرة دنانير وخمسة أرادب قمح وفيه جاءت الاخبار بوفاة
ازدمر الصغير الابراهيمى الظاهرى أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب مات قتيلا
على حصار قلعة زمنوطو وكان شجاعا بطلا عارفا بأنواع الفروسية وتوفى حسن التميمى
ابن بيرم بن ططر نائب القدس والخليل وكان لا بأس به وفى هذه السنة كانت الفتن المهولة
ببلاد فارس واستمرت الفتن عمالة حتى ملكها بنو أوطاس وكانت الفتن ببلاد الشرق بين
حسن الطويل وبين ملوك هراة وسمرقند وكانت الفتن عمالة بسبب سوار وخرجت السنة
المذكورة عن شرور وفتن فى بلاد الشرق وغيرها

❁ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم وقع بين الاتابكى أزبك وتغرى بردى
ططر بسبب ضرب الكرة وقد زاحم فرس تغرى بردى ططر فرس الاتابكى أزبك فحنق منه
فزاحمه عدة مرار وهو صابر له ثم حنق منه فضربه بالصولجان حتى تكسر على ظهره وتغرى
بردى يسب الاتابكى أزبك ويشتمه شتما فاحشا حتى وقف بينهما الامير جانى بك قلقسيز
فثنى الاتابكى عنان فرسه ونزل الى داره كالغضبان فتنكد السلطان غاية النكد بسبب ذلك
وفيه توفى قانطاى الاشرفى الاحصاقى أحد الامراء العشراوات وكان مشهورا بالشجاعة
والفروسية وفيه حضر قانى باى صلق وعلى يده مكاتبة الامير يشبك الدوادار تتضمن
القبض على شاه سوار ونزوله من قلعة زمنوطو وقد وصل قانى باى صلق من حلب الى مصر فى
ثلاثة عشر يوما فلما صحت الاخبار عند السلطان سر بذلك وخلع على قانى صلق خلعة حافلة
وكذلك سائر الامراء خلعوا عليه حتى المباشرون فحصل له جملة خلع سنية ❁ وكان من ملخص
أخبار القبض على شاه سوار أنه لما طلع الى قلعة زمنوطو واختفى بها حاصره الامير يشبك
الدوادار أشد المحاصرة وقد قل عن سوار عسكره وأراد الله خذلانه فأرسل يطلب الامير تمراز
الشمسى قريب السلطان فتلطف الامير يشبك بالامير تمراز حتى وافقه الى طلوعه الى سوار
فطلع الى قلعة زمنوطو وصحبته القاضى شمس الدين بن أجا الحلبى قاضى العسكر وهو والد
القاضى كاتب السر الآن فلما طلع الامير تمراز الى سوار واجتمع به تعلل سوار بأنه يلبس خلعة

السلطان ويبوس الارض ولا يقابل الامير يشبك فلم يوافقه الامير تمراز على ذلك فقال له
سوار أنا قتلت من العسكر جماعة كثيرة وأخشى اذا نزلت اليهم يقتلونى فقال الامير تمراز
ضمانك على فما يصيبك شئ فلم يوافق سوار على نزوله من القلعة فقام الامير تمراز والقاضى
شمس الدين بن أجا من عنده والمجلس مانع فلما عاد الامير تمراز بالجواب على الامير يشبك لم
يوافق على ذلك وحاصر سوارا وضيق عليه ورمى عليه بالمدافع فما أطاق سوار ذلك فأرسل
يطلب الامير تمراز والقاضى شمس الدين بن أجا ثانيا على أنه ينزل صحبتهما فطلع اليه الامير
تمراز وابن أجا ثانيا فطال بينهما المجلس وقيل ان سوارا أضاف الامير تمراز وابن أجا بقلعة
زمنوطو فلما طال جلوس الامير تمراز وابن أجا بقلعة زمنوطو عند سوار ماج العسكر على
بعضه وأشيع بأن سوارا قد قبض على الامير تمراز وابن أجا بقلعة زمنوطو فلما مضى من
النهار النصف نزل الامير تمراز هو والقاضى بن أجا وصحبتهما شاه سوار وهو فى نفر قليل من
عسكره فتوجه الى وطاق الامير يشبك الدوادار ونزل عن فرسه ودخل على الامير يشبك فى
الخيمة فقام اليه ورحب به وأحضر اليه خلعة وألبسه اياها فلما أراد الانصراف من عنده قال
الامير يشبك امض الى نائب الشام وسلم عليه وكان يومئذ برقوق نائب الشام فلما توجه اليه
سوار نزل عن فرسه ودخل الى برقوق نائب الشام وصحبته الامير تمراز فلما وقف بين يدى
برقوق قال له برقوق من أنت قال له أنا سوار قال أنت سوار قال نعم أنا سوار فجعل يكرر عليه
هذا الكلام فيقول له نعم أنا سوار ثم قال له برقوق أنت الذى قتلت الامراء والعسكر فسكت
سوار ثم قال برقوق أحضروا الخلعة فأتوا اليه بخلعة وفى ضمنها جنزير فلما ألبسوه اياها وضعوا
الجنزير فى عنقه فلما رأى جماعة سوار أنه وضع فى جنزير ثاروا على جماعة برقوق وسلوا سيوفهم
وكان برقوق أكمن كمينا حول الخيمة وهم لابسون آلة الحرب فهجموا على جماعة سوار
وقطعوهم ثم قبضوا على سوار وأدخلوه فى بعض الخيام فلما رأى الامير تمراز ذلك شق عليه وقال
لبرقوق أنا نزلت بسوار من القلعة وحلفت له انكم لا تشوشوا عليه فكيف يبقى أحد يأمن
لكم فانحرف برقوق بالامير تمراز انحرافا فاحشا وبهدله فخرج تمراز من عند برقوق وهو
غضبان وكان الامير يشبك حلف للامير تمراز أنه اذا قابله سوار لا يقبض عليه ولا يشوش
عليه فلما نزل اليه سوار ندب برقوق الى ما فعله بسوار وكان هذا عين الصواب ودع الامير تمراز
يغضب فلما تحقق العسكر القبض على سوار قاموا على حمية وقصدوا التوجه الى الديار
المصرية وهذا ملخص ما وقع فى أمر القبض على سوار واستمر الامير تمراز غضبان من الامراء
حتى دخل الى القاهرة فلما قبض على سوار خلع الامير يشبك على شاه بضاع أخى سوار وقرره
عوضا عن أخيه فى امرية الابلستين وفى صفر جاءت الاخبار بأن تانى بك السيفى المعلم
الاشرفى نائب البيرة وفيه توجه الاتابكى أزبك الى نحو البحيرة فغاب أياما ثم

عاد من هناك ومعه جماعة من العربان المفسدين وهم في الحديد فرسم السلطان بسجنهم في المقشرة وفيه عرض السلطان أولاد الناس وأمرهم بأن يلعبوا بالرمح بين يديه حتى يمتحنهم في ذلك ويعلم من يلعب بالرمح ومن لا يلعب فحصل لهم غاية المشقة لاجل ذلك ووبخهم بالكلام وربما قصد الاخراق بهم وفيه عزل السلطان قاضي القضاة سراج الدين ابن حريز المالكي ووكل به بالطبقة ثم خلع على برهان الدين اللقاني أحد نواب الحكم وقرره في قضاء المالكية عوضا عن ابن حريز واستمر ابن حريز في الترسيم وفيه كتب السلطان عدة فتاوى وأخذ عليها خطوط مشايخ العلم والقضاة في أمر سوار فافتوه بانه خارجي وانه لا يبقى في قيد الحياة وفيه ضرب السلطان ثلاثة من مماليكه الجلبان ومعهم آخر من المماليك الخشقدمية فضربهم ضربا مبرحا وقد بلغه بانهم سكروا وعربدوا على الناس ثم نفى المماليك الخشقدمي الى البلاد الشامية وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه نحو دمياط ورشيد وغير ذلك من البلاد فسار في البحر في عدة مراكب وكان صحبته الاتابكي أزبك والامير أزبك اليوسفي وغير ذلك من الامراء واستمر السلطان غائبا في هذه السفرة نحوا من ثلاثة عشر يوما وقد تنزه في هذه السفرة وطاف عدة بلاد ثم عاد الى القلعة وفيه أحضر الى القاهرة جماعة من الافرنج قبض عليهم نائب ثغر الاسكندرية وكانوا يعبثون بسواحل البحر الملح فلما عرضوا على السلطان رسم بسجنهم في المقشرة فأسلم منهم جماعة وجماعة سجنوا بالمقشرة وفيه حضر الشيخ علاء الدين الحصني وكان خرج بصحبة الامير يشبك الدوادار فغضب عليه وحصلت له كائنة عظيمة مع يشبك فهرب منه وأتى الى القاهرة واختفى بها وفي ربيع الاول جاءت الاخبار بان الامير يشبك دخل الى الشام وصحبته سوار فزينت له الشام زينة حافلة وكان له يوم مشهود فأقام بالشام ثلاثة أيام ورحل عنها الى غزة فلما سمع السلطان بهذا الخبر أمر بتبييض باب النصر وباب زويلة وضرب عليها الرنوك الذهب ثم أخذ في أسباب ملاقاة الامراء فكسا الامراء المقدمين كل واحد أربعة بدلات وجهز لهم ملاقاة الى الصالحية وفيه كان وفاء النيل المبارك حادي عشرى مسرى فنزل الاتابكي أزبك وفتح السد على العادة وكان له يوم مشهود وفيه دخل الامير يشبك وبقية الامراء والعسكر الى الخانقاه السرياقوسية وصحبتهم سوار واخوته وهم في زناجير فلما وصل الامير يشبك الى الخانقاه خرج الامراء وأرباب الدولة الى ملاقاته ثم رحل من الخانقاه ونزل الى الريدانية فخرج القضاة الاربعة وأعيان مشايخ العلماء ثم ان السلطان نادى في القاهرة بالزينة فزينت زينة حافلة وربحت القاهرة لدخول سوار حتى بلغ أجرة كل بيت على الشارع أربعة أشرفية وأجرة كل دكان أشرفي ذهب بسبب الفرجة على سوار فخرجت الناس قاطبة حتى ينظروا الى سوار الذى قتل العباد ويتم الاطفال ونهب الاموال فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر

ربيع الاول سنة سبع وسبعين وثمانمائة دخل الامير يشبك الدوادار الى القاهرة وصحبته
شاه سوار وكان الامير تمراز التمشى دخل الى القاهرة وهو منفرد عن الامراء لم يرافقهم
واستمر غضبانا بسبب ما حصل له مع برقوق نائب الشام لاجل قبضه على سوار وقد تقدم ذكر
ذلك ثم ان سوارا ادخل قدام الامير يشبك وهو راكب على فرس وعليه خلعة تماسيح على
أسود وعلى رأسه عمامة كبيرة وهو فى زنجير كبير طويل وراكب الى جانبه شخص من
الامراء العشراوات يقال له تنم الضبع من الظاهرية الجقمقية وهو مشكوك مع سوار فى
الزنجير وكان قدام سوار اخوته وأقاربه وأعيان من قبض عليه من أمرائه ممن نزل معه من
قلعة زمنطوطو فكانوا نحوا من عشرين انسانا وهم راكبون على اكاديش وعليهم ملاليط
بيض وعلى رؤسهم عمائم وهم فى زناجير ومشكوك معهم جماعة من أعوان الوالى فشق
الامير يشبك من القاهرة وهو فى موكب حافل وقدامه الامراء ممن كان معه فى التجريدة وممن
كان مقيما بمصر وسارت الاطلاب أمامه شيأ بعد شىء واصطفت الناس على الدكاكين وكان
له يوم مشهود بالقاهرة لم يقع نظيره فى الفرجة وكان من نوادر الزمان واستمر الامير يشبك فى
ذلك الموكب حتى طلع الى القلعة فعمل السلطان الموكب فى القصر الكبير وقبل الامراء
الارض ثم انتقل الى الايوان فجلس به وكان من حين جدد معالمه لم يجلس به سوى ذلك اليوم
قصدا أن يعرض سوارا هناك فتزاحمت عليه الناس فانتقل السلطان الى الحوش وجلس على
الدكة وطلب سوارا هناك فلما مثل بين يديه وبخه بالكلام وعاتبه عتابا لطيفا وسوار ساكت
لم يتكلم ثم ان السلطان رسم بتسليم سوار الى الوالى يشبك بن حيدر فتسلمه هو واخوته ثم
أخرجوا أغا يحيى كاور الذى كان فى البرج وقد قبض عليه قبل ذلك وكان مسجونا فى
القلعة وسلمه للوالى فلما تسلمهم والى القاهرة نزع الخلعة عنه فى الحال وأحضروا لهم
جمالا فاركبوا سوارا على جمل وألبسوه ملوطة بيضاء وجعل فى عنقه طوق حديد وفيه
عامود من حديد طويل وفى رأس العامود جرس حسبما قد رسم السلطان له بذلك ثم سمروا
اخوته وأقاربه على جمال وهم عرايا ورؤسهم مكشوفة واخوة سوار الاربعة هم أردوانه
الاحدب وحداد ويحيى كاور وسلمان وجماعة من أمرائه فلما سمروهم واركبوهم على
جمال [illegible] [illegible] بهم من الصليبة والمشاعلية تنادى عليهم هذا جزاء من يخامر على
السلطان واستمروا على ذلك حتى وصلوا الى باب زويلة فشنكلوا سوارا وعلقوه فى وسط باب
زويلة وأخوه يحيى كاور من يمينه فى الدخول من باب زويلة لصوب باب النصر وأردوانه
عن شماله كذلك [illegible] [illegible] وحداد داخل الباب وأما سلمان فكان أمرد مليح الشكل
فرق الناس له فشفع فيه الامير يشبك وخلصه من الشنكلة ثم توجهوا بالباقى الى باب
النصر ووسطوهم بأجمعهم واستمر سوار معلقا حتى مات هو واخوته فأقاموا معلقين يوما

وليلة والناس ينظرون اليهم ثم أنزلوهم وغسلوهم وكفنوهم وصلوا عليهم وتوجهوا بهم الى تل عال بالقرب من زاوية كهنبوش فدفنوهم هنالك ثم قلعوا الزينة وخمدت فتنة سوار كأنها لم تكن بعد ماذهب عليها أموال وأرواح وقتل جماعة كثيرة من الامراء وكسر الامراء ثلاث مرات ونهب بركهم وقد انتهكت حرمة سلطان مصر عند ملوك الشرق وغيرهم حتى ان الفلاحين طمعوا فى الترك وتبهدلوا عندهم بسبب ماجرى عليهم من سوار وكادت أن تخرج المملكة عن الجراكسة وقد أشرف سوار على أخذ حلب وقد خطب له فى الابلستين وضربت هنالك السكة باسمه ولولا لطف الله تعالى بالناس واخذال سوار لفسدت أحوال المملكة جدا وكانت صفة سوار أنه جميل الصورة حسن الشكل مستدير الوجه أبيض اللون مشرب بحمرة أشهل العينين أسود اللحية معتدل القامة ضخم الجسد وكان فى عشر الاربعين من العمر وكانت مخايل الحشمة والرآسة محصورة فيه يقرب فى الشكل من القاضى ناظر الخاص تاج الدين بن المقسى وكان شجاعا بطلا وكان له سعد خارق فيما وقع له من النصرة على عسكر مصر غير ما مرة وكان من أعظم أولاد دلغادر وقد وقع له مالم يقع لاحد من أجداده قبله وقد شق على الامير غراز قتل سوار على هذا الوجه واستمر غضبانا مدة وفى واقعة سوار قال المنصورى

يا أيها الملك الذى سطواته * تغنى عن العسال والبتار
علق سوارا فوق باب زويلة * ان كنت منه آخذا بالثار
فلانت تعلم أن ذلك معصم * ما كنت تتركه بغير سوار

وقوله أيضا فى الامير يشبك لما حضر الى القاهرة وصحبته سوار

منذ وافى الامير يشبك مصرا * حبذا مصر موطن الأوطار
لبست حلى نيلها وتحلى * زندها فى زويلة بسوار

انتهى ما أوردناه من واقعة سوار على سبيل الاختصار وفيه حضر الى القاهرة كسباى الظاهرى الخشقدمى الذى كان دوادارا ثانيا ونفى الى الشام فارسل الامير يشبك يشفع فيه فاجيب الى ذلك فاحضر كسباى صحبته واستمر فى داره بطالا حتى مات كما سيأتى الكلام عليه وفى ربيع الآخر خلع السلطان على برسباى الشرفى وقرره فى امرية الحاج بالمحمل وقرر الشهابى أحمد بن الاتابكى تانى بك البرديكى بامرية الركب الاول وكان متوعكا فى جسده فاخذ يستعفى من السفر فأعفى من ذلك وفيه توفى جانى بك الابيض أحد الحجاب وكان قد جوز السبعين سنة وكان لابأس به وفيه توجه القاضى شرف الدين الانصارى الى جهة الطينة وكان معه مائة مملوك من جماليك الامير يشبك الدوادار فلما وصل الى هنالك وجد فى البحر الملح مراكب فيها أفرنج يعبثون بالمسافرين المسافرين قبرص على مركب

وأسر من فيها من القرنج وأحضرهم صحبته لما عاد وفيه عزل قاضي القضاة الحنفي بن الشحنة وأمر بالتوكيل به بطبقة الزمام وذلك بسبب ما وقع في عقد المجلس الذي كان بين خوند شقرا وبين أختها خوند آسية بسبب وقف الظاهر برقوق فتعصب ابن الشحنة لخوند شقرا فحنق السلطان منه وعزله وكان في نفسه منه شيء بسبب ولده عبد البر وكانت هذه آخر ولايته القضاء ولم يل بعدها القضاء واستمر في الترسيم بطبقة الزمام بسبب تعلقات أوقاف الحنفية ثم ان السلطان خلع على الشمسي شمس الدين محمد الامشاطي وقرره في قضاء الحنفية عوضا عن محب الدين بن الشحنة بحكم انفصاله عن القضاء فافيض عليه شعار القضاء ونزل من القلعة في موكب حافل وكان قد تمنع من الولاية غاية التمنع فالزمه بذلك السلطان وفيه شفع الاتابكي في قاضي القضاة محب الدين بن الشحنة فنقل الى بيت كاتب السر حتى يقيم حساب أوقاف الحنفية وفي جمادى الاولى توفي دقماق الاشرفي الاينالي نائب القدس وكان شابا حسن الشكل موصوفا بالشجاعة وفيه جاءت الاخبار من عند نائب حلب بأن حسن بك الطويل ملك العراقين قد جمع من العساكر ما لا يحصى وهو زاحف على بلاد السلطان وقد بعث ولده محمد امع عسكر ثقيل وقد وصلوا الى الرها فكثر القال والقيل بين الناس بسبب ذلك فاصدق العسكران حدث عنهم فتنة سوار فانتشى لهم فتنة حسن الطويل وزاد الكلام بين الناس بأن هذا ما هو مثل شاه سوار وان هذا لا يطاق فقلق السلطان والعسكر لهذا الخبر فكان كما قيل في المعنى

شكوت جلوس انسان ثقيل * فجاءنا آخر من ذاك أثقل

فكنت كمن شكا الطاعون يوما * فجاءله على الطاعون دمل

وفي جمادى الآخرة عين السلطان تجريدة الى حسن الطويل وعين بها من الامراء المقدمين ثلاثة وهم جاني بك قلقسيز أمير سلاح وسودون الاقرم وقراجا الطويل الاينالي وعدة من الامراء الطبلخانات والعشراوات ومن الجند نحوا من خمسمائة مملوك فلما عينهم انفق عليهم وأمرهم بالمسير الى حلب بسرعة من غير تأخير وفيه وقع تشاجر عظيم بين الامير يشبك المزادر وبين الامير خاير بك بن حديد وذلك بحضرة السلطان وكان سبب ذلك محصل الكاشف فانه وقع بينه وبين الامير خاير بك بسبب بلاد هما التي في الفيوم فتعصب الامير يشبك فصاح فوقع بينهم ما لا خير فيه وفيه أخرج السلطان تقدمة سودون الاقرم وقد ... عن سفره في حسن الطويل فلما أخرج عنه التقدمة أنعم بها على ... ورتب لسودون الاقرم ما يكفيه وبقي طرخانا بمصر وفيه شفع في جاني بك ... الاشرفي ... بالقدس بطلا لحضر الى القاهرة ورتب له ما يكفيه واستمر مقيما بداره بمصر حتى مات وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن عسكر حسن الطويل

قد استولى على كختاو كركر وبعث مكاتبة مكتوبة بماء الذهب الى شاه بضاع صاحب الابلستين
بان يسلم اليه القلاع التي حوله ولا يخرج عن طاعته وأرسل له في المكاتبة ألفاظا مزعجة
بامعناه وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ثم هدده في مكاتبته بأنه متى خالفه
يحصل له منه ماهو كيت وكيت فارسل بضاع المكاتبة للسلطان فلما قرأها السلطان وعلم
مافيها انزعج لذلك وتأثر ثم عين الامير يشبك الدوادار باش العسكر وعين تجريدة أعظم من
الاولى التي عينها قبل ذلك فعين بها من الامراء المقدمين يشبك الدوادار وأينال الاشقر
وبرسباى قرا ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات عدة وافرة وكتب من الجند فوق الفى
مملوك ثم أنفق عليهم وأخذوا في أسباب الخروج الى السفر فخرجت التجريدة الاولى قبل ذلك
وكان باش العسكر جانى بك قلقسيز أمير سلاح ومن معه من الامراء فلما رحل من الريدانية
خرج الامير يشبك ومن معه من الامراء فرجت لهم القاهرة وكان لهم يوم مشهود وفى
رجب لما صعد القضاة للتهنئة بالشهر صعد معهم الشيخ أمين الدين الاقصرائى فأخذ
السلطان يتكلم معه بسبب حسن الطويل فتكلم الشيخ أمين الدين بكلام انزعج منه
السلطان وقد تقدم له معه في واقعة سوار بما تكلم به في ذلك المجلس وقد تأثر منه السلطان في
الباطن وفيه أرسل نائب الشام مكاتبة حسن الطويل الى السلطان وكان أرسل يهدده في
هذه المكاتبة ويأمره بأشياء لا يمكن شرحها وكتب في صدر المكاتبة يا أيها الذين آمنوا ان
تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم فانزعج السلطان لهذا الخبر وفيه جاءت الاخبار من
حلب بان ورديش نائب البيرة قد قبض على جماعة من عسكر حسن الطويل وكسر جاليشه
فسر السلطان بهذا الخبر وفيه وصل الى القاهرة من بلاد جركس اخت السلطان واسمها
جان كين ومعها اولادها فصعدت الى القلعة في محفة وحولها الخدام وحضر معها عدة نساء
جراكسة وفيه رحل الامير يشبك هو وعسكره من الريدانية وكان مصروف السلطان على
هذه التجريدة فيما أنفقه مبلغ أربعمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار خارجا عن أشياء كثيرة
بعثها للامراء فلما وصل الامير يشبك الى الخانقاه نزل اليه السلطان وودعه هناك واجتمع
به في خلوة وعرض عليه مكاتبة حسن الطويل التي بعثها الى نائب الشام وفى شعبان
ثارت جماعة من المماليك الجلبان على شرف الدين ابن كاتب غريب وكان متكلما في
الوزارة والاستادارية عن الامير يشبك فتوجهوا الى داره وكسروا أبوابه فهرب واختفى
وكانت هذه أول حوادث الجلبان في الفتك واستمرت الحوادث منهم تتزايد حتى كان منهم
ما سنذكره في موضعه وفيه حضر قاصد نائب حلب وأخبر أن نائب حلب قبض على عثمان
ابن أغلبك وشخص آخر كان استادارا على تقدمة حسن الطويل التى كانت بحلب
وقبض على جماعة آخرين نحوا من أربعين نفرا وقد نسبوا الجميع الى المواطأة مع حسن

الطويل وكانوا يكاتبونه بأخبار المملكة فأمر نائب حلب بشنقهم وفيه هلك بترك النصارى
الملكية وهو نفر بن الصيق وكان في النصارى لا بأس به وفيه كانت وفاة الشيخ فخر الدين
المقسمي وهو عثمان بن عبد الله بن عثمان بن عضان الشافعي وكان من أعيان علماء الشافعية
وكان عالما فاضلا بارعا في الفقه دينا خيرا وافر العقل وذكر بأن يلي القضاء الاكبر غير
ما مرة وولي عدة تداريس جليلة منها مشيخة الحديث بالشيخونية وكان قد جاوز الستين
سنة من العمر فلما مات قرر في مشيخة الحديث بالشيخونية الشيخ جلال الدين السيوطي
عوضا عن الفخر المقسمي وفي رمضان نزل السلطان الى دار عسر يعوده وكان منقطعا عن
الركوب فسلم عليه وعاد الى القلعة وفيه وصل ركب من المغاربة من تونس وكان صحبتهم
الحرة زوجة صاحب تونس وحضر صحبتها قاضي الجماعة الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله
ابن عمر القلشاني وكان من فضلاء علماء المالكية فأكرمه السلطان والامراء ورأى من العز
والعظمة حظا وافرا وفيه صلب على باب زويلة جارية سوداء قد قتلت ستها فأمر القاضي
الثاني المالكي بصلبها حتى تموت وفيه توفي جاني بك قرا الصلاقي الاشرفي أحد الامراء
العشراوات وشاد الشون وكان لا بأس به وفيه توفي أيضا أرغون شاه استادار الصحبة
ونائب غزة كان وهو الذي قبض على الظاهر تمربغا لما تسحب من دمياط وكان أصله من
مماليك الاشرف برسباي وكان محمود السيرة وفيه ختم البخاري بالقلعة وكان ختما
حافلا وخلع فيه السلطان على القضاة ومشايخ العلم وفرقت الصرر على الفقهاء وفي
شوال جاءت الاخبار بوفاة برقوق الناصري الظاهري نائب الشام وكان أصله من مماليك
الظاهر جقمق وكان شجاعا بطلا مقداما في الحرب عارفا بأنواع الفروسية في فنون لعب
الرمح والرماية بالنشاب وولي عدة وظائف سنية منها شادية الشراب خاناه ثم تقدمة ألف
ثم نيابة الشام ومات بها وكان قد جاوز الستين سنة من العمر فلما حضر سيفه أظهر السلطان
الحزن والبكاء وتأسف عليه وكان عنده بمنزلة الاخ ثم أمر باحضار أولاده وعياله الى
القاهرة ثم رسم بنقل جثته الى القاهرة ليدفن في تربته التي بباب القرافة وكان لبرقوق بر
ومعروف وهو الذي أنشأ القبة على ضريح العارف بالله الشيخ عمر بن الفارض رحمه الله
تعالى ورضي عنه وفيه توفي الاتابكي جرباش كرت المحمدي الناصري وكان طرخانا الى أن
مات بمصر وكان قد قارب التسعين سنة من العمر وأصله من مماليك الناصر فرج وكان
أمير جيد لا [illegible] به وولي عدة وظائف سنية منها الاميراخورية الكبرى وامرية
مجلس وصار أمير سلاح ثم أتابك العساكر بمصر وترشح أمره الى أن يلي السلطنة فلم
تثبت جماعة الاشرفية على الظاهر خشقدم كما تقدم وكان متزوج بابنته شقراء ابنة

استادار الناصر فرج ثم نفى بعد ما وقع له ما ذكر الى دمياط ثم أحضر الى القاهرة ومات بها وجرى عليه شدائد ومحن كما قيل

اذا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك في اعتدال

وفيه جاءت الاخبار من حلب بان الامير يشبك الدوادار دخل الى حلب وكان له يوم مشهود فلما استقر بحلب قدم عليه قاصد من عند حسن الطويل وعلى يده مكاتبة شرحها انه أرسل يطلب جماعته الذين أسروا وسجنوا بحلب وانهم اذا أطلقوهم يطلق من عنده من الاسرى وكان عنده دولات باى النجمى الذى كان نائب ملطية وجماعة آخرون فلم يلتفت اليه يشبك ولا أجابه عن ذلك بشئ وفيه توفى الزينى عبد الرحمن بن الكويز الذى كان ناظر الخاص وهو عبد الرحمن بن داود بن عبد الرحمن بن خليل وكان أصلهم نصارى من الشوبك وحضر جدهم داود صحبة المؤيد شيخ لما قدم الى مصر وكان عبد الرحمن رئيسا حشما في سعة من المال وولى عدة وظائف سنية منها نيابة الاسكندرية ثم ولى الاستادارية ونظر الخاص ثم جرى عليه شدائد ومحن وفر الى بلاد ابن عثمان ملك الروم وأقام هناك مدة ثم عاد الى مصر وكان يدعى أنه يعرف علم الحرف وكان له نظم سافل ومولده في سنة ثمانمائة وفيه توفى نوروز الاشرفى كاشف الوجه القبلى وكان لا بأس به وفيه خرج الحاج على العادة وكان الشهابى أحمد ابن الاتابكى تانى بك أمير ركب الاول مريضا على غير استواء فلم يرق له السلطان وخرج على غير استواء وهو في صفة في النزع فلما وصل الى بركة الحاج مات ليلة الرحيل وكان حشمة أتيا رئيسا وكان من الامراء العشراوات وتوجه الى الحجاز أمير ركب الاول غير ما مرة وكان مولده بعد العشر والثمانمائة فلما بلغ السلطان موته طلب جانى بك الاشقر أحد مماليكه وخواصه ورسم له بان يتوجه أمير ركب الاول عوضا عن الشهابى أحمد بن تانى بك فتسلم جميع بركه وجماله وسافر على الركب الاول ثم حمل الشهابى أحمد الى القاهرة وغسل وكفن وصلى عليه ودفن فعد ذلك من النوادر الغريبة ولم يكن يمر الحج على بال جانى بك في هذه السنة فكان كما قيل

الا انما الاقسام تحرم ساهرا * وآخر يأتى رزقه وهو نائم

وفيه أرسل السلطان خلعتين احداهما الى جانى بك قلقسيز أمير سلاح بان يستقر في نيابة الشام عوضا عن برقوق بحكم وفاته وكان المشار اليه بالتجريدة فتوجه الى الشام واستقر بها وأما الخلعة الثانية فبعث بها الى اينال الاشقر بان يستقر في امرية سلاح عوضا عن المذكور المتقدم وفي ذى القعدة طلع الخليفة المستنجد بالله يوسف ومعه القضاة الاربعة ليهنوا السلطان بالشهر على العادة فتكلم الخليفة مع السلطان في أمر بتمة مت الخلفاء التى كان عقد عليها خشكلدى البيسقى فطال الكلام في ذلك وانفض المجلس على غير طائل ثم فسخ

عقدها عن خشكلدى كما بعد وفى هذا المجلس تكلم السلطان مع قاضى القضاة الحنفى شمس الدين الامشاطى فى اقامة قاض برسم حل الاوقاف والاستبدالات فقال انت السلطان له ولاية التفويض الى من شاء من النواب وأما أنا فلا أتقى الله تعالى بحل وقف ولا بحل استبدال وقام من المجلس كالغضبان فتأثر السلطان منه فى الباطن رحمه الله تعالى ورضى عنه وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن الامير يشبك بعث جماعة من العسكر الى البيرة لقتال عسكر حسن الطويل وقد بلغه أن حالهم تلاشى الى الفرار وأن حسن الطويل أرسل يكاتب الافرنج ليعينوه على قتال عسكر مصر وهذا أول ابتداء عكسه لكونه أرسل يستعين بالافرنج على قتال المسلمين وفيه جاءت الاخبار بأن ابن عثمان ملك الروم أرسل قاصده الى الامير يشبك بان يكون عونا للسلطان على قتال حسن الطويل فأكرم لقاصده وأرسل صحبته القاضى شمس الدين بن أجا قاضى العسكر بأن يتوجه الى ابن عثمان وعلى يده هدية حافلة ومكاتبة بأن ينشئ بينه وبين السلطان مودة بسبب أمر حسن الطويل وفيه وصل الى السلطان مكاتبة من عند ابن الصوا من حلب يخبر فيها بأن الامير يشبك قد انتصر على عسكر حسن الطويل ورحلهم عن البيرة وأن ولد حسن الطويل قد جرح جراحات بالغة وآخر من أولاده أصيب فى عينه ووقع بين الفريقين مقتلة شديدة وقتل فى المعركة شخص من الامراء العشراوات يقال له قرقماس المصارع المعروف بالعلائى أمير آخور رابع وكان صهر مؤلف هذا التاريخ زوج أخته وكان انسانا حسنا دينا خيرا موصوفا بالشجاعة والفروسية علامة فى رمى النشاب والصراع أصيب بسهم فى صدغه فمات لوقته ولم يقتل فى هذه المعركة أحد من العسكر سواه ثم رحل عسكر حسن الطويل من البيرة وقد خذلهم الله تعالى بعد ما عدوا من الفرات وطرقوا البلاد الحلبية من أطرافها فاردهم الله تعالى عن المسلمين وقد قالت الشعراء فى هذه النصرة عدة مقاطيع فمن ذلك قول شمس الدين القادرى

أيا حسن الطويل بعثت جيشا ... كأغنام وهن لنا غنائم
ثمار الحرب قد رقنات سوارا ... وأنت لسبكها لاشك خاتم

وقال المنصورى

هل دار ب بالطويل المعتدى ... يخبر البنا باسمه وصفاته
قد رام حسن وقد حل هلاكه ... قالوا الطويل فقلت ليل شتاته

وقوله أيضا

أيها العسكر الذى سار قصدا ... لقتال الطويل لا تنظروه
لا تطيلوا مع العدو كلاما ... فى وغى الحرب والطويل اقصروه

وقال محمد بن شاديك

عروس الحرب تقطعها المواضي * بارواح الاعارب والاعاجم
وقد جليت وفي يدها سوار * وها حسن لكف الحرب خاتم

وقوله أيضا

أيا حسن الطويل قصرت عمرا * وفاتتك المعالى والمغانم
سوار قد سبكناه ابتداء * وأنت بناره للسبك خاتم

وفي هذا الشهر كسفت الشمس كسوفا عاما وأظلمت الدنيا واستمر الكسوف نحوا من ثلاثين درجة وفيه قدم قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم وقد أتى من جهة البحر المالح فأكرمه السلطان وأحضر صحبته مكاتبة حسن الطويل الى ملوك الافرنج بان يمشوا على ابن عثمان وسلطان مصر من البحر وهو يمشي عليهم من البر وقد ظفر هذا القاصد بقاصد حسن الطويل وهو قاصد نحو بلاد الافرنج فقبض عليه في أثناء الطريق وهو في مركب وأسره ثم ان القاصد أقام بمصر أياما وأضافه السلطان وأذن له في السفر وخلع عليه ثم ان السلطان عين دولات باى حسام الاشرفي بان يتوجه قاصدا الى ابن عثمان وفي ذى الحجة تغير خاطر السلطان على الامير خاير بك بن حديد الاشرفي وأمره بلزوم داره وهذه أول كائنة وقعت له ثم جرى عليه بعد ذلك ماهو أعظم من ذلك فأقام بداره أياما لا يركب ثم بعث السلطان خاطما الى ضرب الكرة فلما طلع الى القلعة وضرب الكرة اتفق أن السلطان قد سقط من يده الصولجان فترجل خاير بك عن فرسه وناوله للسلطان فخلع عليه وأركبه فرسا من خيوله ونزل الى داره وهو مكرم وفيه توفي بيسام الثقاف المؤيدى وكان أمير عشرة ولكن مات طرخانا وتوفي طوخ النوروزى وكان أمير عشرة ومات طرخانا وفيه حضر مبشر الحاج وأخبر بأنه لما وصل المحمل العراقي ودخل المدينة الشريفة كان أميرهم تخصر بقال له رستم وصحبته قاضى يقال له أحمد بن وجيه فضيقوا على قضاة المدينة وأمروهم بان يخطبوا في المدينة باسم الملك العادل حسن الطويل خادم الحرمين الشريفين فلما خرجوا من المدينة وقصدوا التوجه الى مكة كاتب أهل المدينة أمير مكة بما وقع منهم فخرج اليهم الشريف محمد ابن الشريف بركات ولاقاهم من بطن مر قبل ان يدخلوا الى مكة وقبض على رستم أمير ركب المحمل العراقي وقبض على القاضى الذى صحبته وعلى جماعة من أعيانهم وأودعهم في الحديد ليبعثهم الى السلطان ثم أطلق بقية من كان في ركبهم من الحجاج ولم يتعرض لهم وفيه جاءت الاخبار بوفاة الشيخ السالك العارف بالله تعالى سيدى ابراهيم بن على بن عمر المتبولى رحمه الله تعالى توفي باسدود بالمنوفية ودفن بها وكان خرج الى زيارة بيت المقدس فأدركته المنية هناك بالسقات وكان غير ان دينا مباركا والناس فيه اعتقاد حسن وكانت شفاعته عند

السلطان والامراء الاتراك وكان له بر ومعروف وأنشأ ببركة الحاج حوضا وسبيلا وبستانا
وكان يأوى الفقراء والمنقطعين وكان نادرة فى عصره صوفى وقته وفيه جاءت الاخبار بوفاة
عالم سمرقند العلامة الشيخ علاء الدين على بن محمد الطوسى البارنكارى الحنفى وكان له شهرة
ببلاد سمرقند وأتقن العلوم الجليلة وكان من أعيان علماء الحنفية وفيه توفى اياس
الطويل المحمدى الناصرى الذى كان نائب طرابلس الذى تقدم ذكره وفيه من الوقائع
ان البرهان البقاعى وقاضى الجماعة أبو عبد الله القلجانى المغربى المالكى وقع بينهما بحث فى
بعض المسائل فوقع من البرهان البقاعى فى ذلك المجلس جواب ضبطه عليه قاضى الجماعة
وصرح بكفره وأشهد عليه وأراد أن تقام عليه الدعوى عند قاضى القضاة المالكى فلما علم
كاتب السر ابن مزهر بذلك طلب البقاعى عنده وحكم بعض القضاة بحقن دمه ولولا كاتب
السر ما حصل للبقاعى خير والذى جرى على البقاعى بسبب سيدى عمر بن الفارض رحمه الله
ورضى عنه فانه كان رأس المتعصبين عليه واستمر البقاعى فى عكس حتى مات

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم وقع الرخاء بالديار المصرية حتى ابتيع
الرطل اللحم الضانى بثمانية نقرة والبطة الدقيق بأربعة أنصاف ووقع الرخاء فى سائر الحبوب
وابتيع القنطار البطيخ العبدلاوى بثلاثة أنصاف ووقع الرخاء فى سائر المأكولات قاطبة
وفيه جاءت الاخبار من الاسكندرية بأن الافرنج قد عبثوا ببعض سواحلها وأسروا من
المسلمين تسعة أنفار وعملوا مثل ذلك بثغر دمياط فلما جرى ذلك عين لهم السلطان فى الحال
الامير محمد بن قيماس الاسحاقى أحد مقدمى الالوف وأمره بالخروج من يومه فخرج بعد
العصر وسافر من البحر فى عدة مراكب وأمره السلطان أن يتبع الافرنج حيث ساروا
وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى بولاق وقد أضافه هناك ابن ظفيش ضيافة حافلة
وأقام عنده الى آخر النهار وعاد الى القلعة وفيه رسم السلطان بعزل القاضى القمنى المالكى
أحد نواب الحكم بسبب حكم حكمه فشكاه الخصم الى السلطان بأنه جار عليه فنفى منه
السلطان وأمر بعزله وفيه وصل الحاج وصحبتهم ابن أمير مكة والقاضى برهان الدين بن
ظهيرة الشافعى وولده أبو السعود وأخوه وأحضروا صحبتهم رسم أمير الحاج العراقى
وقاضى [illegible] بعث بهم حسن الطويل وصحبتهما كسوة الكعبة المشرفة وأمر أهل
المدينة ومكة بأن يخطبوا فيهما باسم العادل حسن الطويل فسجن السلطان رسم
[illegible] فى برج [illegible] وأمر [illegible] فى [illegible] عن ميعاده ثلاثة أيام
بسبب [illegible] ثم أرسل خاير بك الخشقدمى الذى سمى سلطان ليلة يسأل
[illegible] القدس [illegible] حتى [illegible] فشفع فيه الامير
[illegible] القدس وحضر صحبة الحاج الشيخ

سا الاذربيصانى الحنفى وهو شيخ تربة الامير يشبك الدوادار وفى صفر خلع السلطان على القاضى ابراهيم بن ظهيرة وأعاده الى قضاء الشافعية بمكة ونزل من القلعة فى موكب حافل ومعه القضاة الاربعة وأعيان الدولة وفيه خلع السلطان على تمراز القشى وقرره فى رأس النوبة الكبرى عوضا عن اينال الاشقر بحكم انتقاله الى امرية سلاح وفيه عين السلطان برسباى الاشرفى استادارا الصحبة بأن يتوجه قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم وصحبته هدية سنية وفى ربيع الاول كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى خامس مسرى الموافق لخامس ربيع الاول فلما أوفى توجه الامير لاجين الظاهرى أمير مجلس وفتح السد على العادة وفى ذلك اليوم نودى على النيل بزيادة اثنى عشر اصبعا بعد سبعة عشر ذراعا فكان زيادته ثلاثة أذرع فى ستة أيام وفيه عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة فلم يحضر فيه من الامراء المقدمين سوى ثلاثة أنفار وكان أكثر الامراء غائبا فى التجريدة وفيه توفى القاضى زين الدين عبد القادر بن عبد الرحيم بن الجيعان وكان رئيسا حشما كثير العشرة للناس ومات وهو فى عشر الخمسين وفيه جاءت الاخبار بهلاك صاحب قبرس وهو جاكم بن جوان بن جينوس الكيتلانى وكان من أعيان ملوك الافرنج وهو الذى حضر الى الديار المصرية فى دولة الاشرف اينال وكان شابا حسنا فى شكله فلما هلك تولى من بعده أخوه وفيه جاءت الاخبار بأن ابن عثمان بعث عسكرا لمحاربة حسن الطويل فسر السلطان لذلك وفيه توفى الامير يشبك الفقيه بن سلطان شاه المؤيدى الذى كان دوادارا كبيرا فى دولة الظاهر خشقدم ثم نفى الى دمياط ثم شفع فيه وعاد الى القاهرة وأقام بها بطالا حتى مات وكان دينا خيرا وله اشتغال بالعلم وكان قد شاخ سنه وقاسى شدائد ومحنا ومات ولده قبله بمدة يسيرة وغص عليه وكان ولده شابا حسنا مليح الشكل مشهورا بالفروسية وقد تقدم ذكر ذلك وفى ربيع الآخر أطلق السلطان رستم أمير الحاج العراقى وأطلق القاضى الذى صحبته وخلع عليهما وبعثهما الى بلادهما ترضيا لخاطر حسن الطويل وقد أشار بذلك الامير يشبك الدوادار وفى جمادى الاولى جاءت الاخبار بوفاة الاشرفى استادار الصحبة الذى توجه قاصدا الى بلاد ابن عثمان وكانت وفاته بحلب وكان لا بأس به فى ذاته وفيه خلع السلطان على المس الاشرفى أحد خواصه وقرره فى استادارية الصحبة عوضا عن برسباى الشرفى بحكم وفاته وعين قاصدا الى ابن عثمان وفيه خلع السلطان على جانبك الاشقر الدوادار وقرره فى حسبة [illegible] ركب المحمل وخلع على قانصوه [illegible] أحد [illegible] السلطان وقرره فى [illegible] الركب الاول وقانصوه هو الذى [illegible] [illegible] [illegible]
وسيط [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

جمادى الآخرة ثار جماعة من المماليك الجلبان على السلطان بالقلعة ومنعوا الامراء من الصعود واستمر الحال على ذلك عدة ذلك اليوم حتى سكن الامر قليلا بعد ما قصدوا جماعة من خواص السلطان وفيه من الوقائع الغريبة ان شخصا حلبيا كان عنده مسن من الرخام الاخضر له عنده نحو من ثلاثين سنة فاتفق أن ذلك المسن سقط من يد صاحبه فانكسر نصفين فخرجت منه دودة غريبة الشكل فدا الحلبي يده اليها وأخذها يقلبها فلدغته في اصبعه فاضطرب ساعة ووقع لوقته ميتا وهذا من غريب الاتفاق وفيه أرسل يشبك يسأل في الحضور فان العسكر قد قلق من قلة العليق فلما بلغ السلطان حنق واغتاظ ثم أذن لهم بالحضور بعد ذلك وفي رجب نزل السلطان وتوجه الى الرماية ببركة الحبش فاصطاد ثلاثة كراكي وعاد من يومه وشق من القاهرة في موكب حافل وفيه ثار جماعة من الجلبان بالقلعة ومنعوا الامراء والمباشرين من الصعود الى القلعة وكان رأس الفتنة شخص من مماليك السلطان يقال له علي باي الخشن فلما خمدت هذه الفتنة ضربه السلطان نحوا من ألف عصا ونفاه الى الشام فجاءت الاخبار بعد مدة بأنه سقط عليه حائط ومات تحت الردم ففرح فيه غالب الناس وفيه جاءت الاخبار باستقرار قراجا الطويل الاينالي في نيابة حماه عوضا عن بلاط اليشبكي بحكم صرفه عنها وحمل بلاط عقيب ذلك الى السجن بقلعة دمشق ومات في السجن بعد مدة يسيرة وكان قد شاخ وجاوز السبعين سنة من العمر وفي شعبان عاد الاتابكي أزبك من الصيرة وخلع عليه السلطان ونزل الى داره في موكب حافل وفيه حضر من الجند جماعة كثيرة ممن كان في التجريدة صحبة الامير يشبك الدوادار فلما حضروا اختفوا بالقاهرة ولم يظهروا وفيه وقعت نادرة غريبة وهي أن أبابكر بن مزهر كاتب السر عطس بحضرة السلطان فشمته السلطان مرتين فعد ذلك من النوادر وفي رمضان أنعم السلطان على تغرى بردى ططر بتقدمة ألف وهي تقدمة قجماس الاسحاقي مضافا الى تقدمة قراجا الطويل الاينالي وقد انتقل الى نيابة حماه وفيه قرر ملاج اليوسفي الظاهري في نيابة القلعة وفيه كان دخول الامير يشبك الدوادار الى القاهرة وقد عاد من التجريدة فكان يوم دخوله يوما مشهودا فخلع عليه السلطان ونزل الى داره في موكب حافل وفيه كان ختم البخاري بالقلعة وخلع في ذلك اليوم على قضاة القضاة ومشايخ العلم وفرقت الصرر على الفقهاء وفيه جاءت الاخبار بوفاة عالم دمشق الشيخ زين الدين خطاب بن عمر بن مهنا بن يوسف بن يحيى العجلوني وكان عالما فاضلا مفتيا من أعيان الشافعية ومولده سنة تسع وثمانمائة وفي شوال كان موكب العيد حافلا فحضر في ذلك اليوم بالقلعة قاضي مكة برهان بن ظهيرة وولده أبو السعود وأخو البرهان بن ظهيرة وكان الشريف بركات أمير مكة حاضرا وجماعة من أعيان مكة فخلع السلطان

على

على الجميع فى ذلك اليوم وفيه خرج الحاج على العادة وكان أمير ركب المحمل جانى بك الاشقر وأمير ركب الاول قانصوه خمسمائة فالتزم الامير يشبك بعمل بركه من ماله وكان الامير يشبك قد عقد على أخت قانصوه وصاهره وخرج صحبة الحاج شاهين نائب جدة وخرج القاضى ابراهيم بن ظهيرة وجماعته وابن أمير مكة قاصدين التوجه الى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وعظمها وقد أوردوا السلطان فى هذه الخطرة نحوا من مائة ألف دينار فأكرمهم السلطان وأجلهم ورتب لهم ما يكفيهم من الاسمطة وغير ذلك وأنزلهم فى بيت أم ناظر الخاص يوسف الذى ببركة الرطلى ورأوا فيها بهجة أيام النيل ثم بعد ذلك سافروا وفيه وقف الامير يشبك الدوادار الى السلطان واستعفى من الوزارة ومن الاستادارية فأجابه السلطان الى ذلك ولكن حتى يغلق سنته وكان من أمره ما سنذكره وفى ذى القعدة رسم السلطان ليشبك الجمالى بان يخرج قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم وأبطل المناس الذى كان قد تعين قبل ذلك وفيه تزوج ازدمر الطويل الاينالى بنت الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق وكان له مهم حافل وفيه ثار جماعة من المماليك الجلبان ونزلوا الى جهة بولاق فنهبوا ما فيها ثم قصدوا شونة الامير يشبك الدوادار فنهبوا ما فيها وصاروا يأخذون جمال السقايين ويحملونها مانهبوه من الشعير فلما تزايد الامر منهم نزل السلطان وهو سائق ومعه مقدم المماليك ولكن ما نزل الا بعد فوات الامر وحصل منهم فى ذلك اليوم غاية الضرر للناس من نهب وخطف بضائع الناس وغير ذلك فبات السلطان ثلاث ليال فى جامع زين الدين الاستادار الذى ببولاق فأضافه ثلاث ليال بعض قضاة بولاق وهو القاضى تقى الدين البرماوى امام الجامع المذكور وخطيبه ضيافة حافلة فشكر له السلطان ذلك وفى ذى الحجة قصد جماعة من المماليك الجلبان الاحراق بالامير يشبك الدوادار وقصدوا قتله ففر منهم وتوجه الى نواحى الجيزة حتى تخمد الفتنة قليلا فاستمر غائبا بالجيزة نحوا من خمسة عشر يوما فى هذه المدة كثر القال والقيل بين الناس وامتنع الامراء من الصعود الى القلعة والسلطان مقيم بالدهيشة كالغضبان من مماليكه والابواب مغلقة عليه فطلع الاتابكى أزبك وأزبك اليوسفى وتمر حاجب الحجاب وكاتب السر وشرف الدين الانصارى وآخرون من الامراء على أنهم يتلطفون بالسلطان ويمشوا بينه وبين مماليكه بالصلح فامتنع السلطان من ذلك وصمم على عدم الصلح مع المماليك ثم خرج الى الحوش وجلس على الدكة وطلب من كان رأس الفتنة فى هذه الحركة وهو شخص من المماليك يعرف بالاقطش فأمر بتوسيطه فجردوه من ثيابه فى الحال فشفع فيه الامراء فما أجاب الا بعد جهد كبير ثم ضربه ذلك المماوك فوق ألف عصاة بحضرته بالبرج وهذا كله يجرى والامير يشبك غائب فى الجيزة لم يحضر الا بعد أيام حتى سكنت هذه الفتنة وفيه حضر الملك المنصور عثمان بن

الظاهر جقمق بطلب من السلطان وهذه ثانى مرة حضرها الى القاهرة فلما حضر أكرمه السلطان وخلع عليه ونزل فى دار الاتابكى أزبك عند أخته ثم أمره بالصعود الى القلعة لضرب الكرة مع الامراء وعومل معاملة السلاطين فى ارخاء البند الاصفر وتغيير الفرس فى مكان يغير فيه السلطان فرسه حتى عد ذلك من النوادر التى ما وقعت قط وأقام الملك المنصور بالقاهرة نحو شهرين حتى عاد الى دمياط وكان فى غاية العز والاكرام ووقع له أمور ما وقعت لاحد من أبناء الملوك قبله وكان حضوره الاول بسبب الحج وهذه المرة بسبب زيارة السلطان وفيه جاءت الاخبار بوفاة البدرى حسن بن المزلق ناظر جيش دمشق وكان رئيسا حشما ولى عدة وظائف سنية وفيه توفى الامير سودون الافرم المحمدى الظاهرى وكان أحد مقدمى الالوف ولكن مات وهو طرخان وكان بيده امرية عشرة بأ كلها حتى مات وفيه توفى الشيخ الصالح المعتقد سيدى محمد الاسلامبولى رحمة الله تعالى عليه وكان يعرف بالاقباعى وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ومكاشفات خارقة وفيه جاءت الاخبار بوفاة ملك التكرور رحمه الله تعالى وكان من أجل ملوك التكرور قدرا وفيه توفى عبد القادر بن جانم نائب الشام وكان شابا حسنا لا بأس به وتوفى فى هذه السنة جماعة كثيرة من الاعيان لم نذكرهم خوف الاطالة

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم قدم قاصد حسن الطويل وعلى يده مكاتبة تتضمن الاعتذار عما كان منه وأن ذلك لم يكن باختياره فأكرم السلطان ذلك القاصد وأظهر العفو عما جرى منه وكان أشيع عن حسن الطويل أنه قتل وأظهر بعض التركمان قميصه وهو ملطخ بالدم ثم ظهر كذب هذه الاشاعة وقد ذكروه غير ما مرة ثم يظهر أنه كذب وفى صفر أمر السلطان بقطع خصيتى شخص من الاتراك يقال له شاهين وهو خازندار ينال الاشقر وكان نقل عنه للسلطان انه فعل الفاحشة ببعض مماليكه الاحداث وأنه كثير العشرة لهم فخصاه السلطان بحضرة العسقة وبرئ من ذلك بعد مدة وعاش مدة طويلة ومات [illegible] أيام [illegible] شخص يهودى بحضرة العسقة عارف بالاخصاء وفعل ذلك مع جماعة كثيرة من [illegible] من ذلك وفى ربيع الاول تغير خاطر السلطان على الامير قانصوه خفيف الا [illegible] أحد مقدمى الالوف فرسم لنقيب الجيش بأن يتوجه الى داره ويخرجه [illegible] فتوجه [illegible] وحصل لقانصوه الخفيف منه غاية البهدلة [illegible] بسبب ذلك وفيه فى ليلة الخميس عاشره ثارت [illegible] الامير [illegible] فلما بلغ السلطان ذلك [illegible] المماليك [illegible] الفتنة فأرسل

بعض الامراء على السلطان بخموده هذه الفتنة وخشوا من أمر طائفة الاينالية لانهم تأثروا لنفي قانصوه الخفيف فبعث السلطان الماس استادار الصحبة ومعه عدة وافرة من المماليك الجلبان الى دار الامير يشبك الدوادار فقبلوا يده واعتذروا له عما وقع منهم فأكرمهم وخلع على الماس كاملية بسمور وأرضى الجلبان بالكلام وسكنت الفتنة قليلا وفيه أنعم السلطان على ورديش نائب البيرة بتقدمة ألف وهي تقدمة قانصوه الخفيف بحكم نفيه الى دمياط وفيه توفي تنم الحسيني بن ططخ الظاهري أحد الامراء العشراوات وكان خشداش الاتابكي أزبك وكان لا بأس به وفيه رسم السلطان بنفي سودون المؤيدي فنفاه الى مكة وكان قد نسب الى شيء من أمر الفتنة الماضية مع المماليك الجلبان وقد وشي به بعض المماليك عند السلطان فنفاه وفيه في ليلة عيد ميكائيل نزلت النقطة وأمطرت السماء في تلك الليلة مطرا غزيرا حتى عد ذلك من النوادر وفيه بعث الامير يشبك الدوادار الى القاضي علم الدين شاكر بن الجيعان يسأله في استبدال قاعات البراجية التي ببولاق ودفع لهم الثمن من ذلك خمسة آلاف دينار وكان قاضي القضاة الحنفي شمس الدين صمم على عدم الاستبدالات قاطبة فضيق عليه الامير يشبك حتى استبدل له البراجية فقامت عليه الالسنة بسبب ذلك وفيه جاءت الاخبار من القدس بوفاة خاير بك الظاهري الخشقدمي الذي تسلطن ليلة وكان رئيسا حشما وجرى عليه شدائد ومحن ونفي في عدة أماكن من البلاد وآخر الامر توفي بالقدس الشريف وفيه وفي النيل المبارك وقد توقف أياما وحصل للناس غاية القلق حتى بعث الله تعالى بالوفاء وكان لعشرين من مسرى فلما وفى نزل الاتابكي أزبك وفتح السد على العادة وسر الناس بذلك وفيه كان المولد النبوي وكان له يوم مشهود وفي ربيع الآخر ظهر بالسماء نجم له ذنب طويل وكان يظهر بعد العشاء واستمر على ذلك مدة ثم اختفى وفيه كانت وفاة العلامة الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودوني الحنفي وكان عالما فاضلا فقيها حاذقا كثير النوادر مفتيا من أعيان الحنفية وكان مولده في سنة احدى وثمانمائة وكان نادرة عصره وفيه خلع السلطان على جاني بك الاشقر وقرره في امرية الحاج بركب المحمل وقرر جاني بك الحبشي الاينالي في امرية الركب الاول وفيه نفى السلطان جماعة كثيرة من مماليكه منهم اينال الخفيف الذي ولي حجوبية الحجاب فيما بعد وغيره ممن انمانيت نسبتهم الى اثارة الفتن الماضية وفيه قدم الى السلطان قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم وعلى يده مكاتبة تتضمن الشفاعة في ابن الحكيم وكان قد جرى عليه كائنة وفر الى ابن عثمان فقبل السلطان شفاعته وأكرم ذلك القاصد وخلع عليه وأنعم بعد مدة ثم عاد الى بلاده وفي جمادى الاولى في ليلة الجمعة سادسه [illegible] دلامة

محي الدين الكافيجي وهو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي وكان اماما عالما فاضلا بارعا في العلوم ماهرا في الفقه والحديث والعلوم العقلية وغير ذلك وانتهت اليه رياسة مذهبه بمصر وصار مفتيها على الاطلاق وألف في العلوم الجليلة وكان مهيبا معظما عند السلطان والامراء ولي عدة وظائف منها مشيخة الخانقاه الشيخونية ومشيخة تربة الاشرف برسباي وغير ذلك وشهرته تغني عن مزيد التعريف به ومولده سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وكان من أفاضل الحنفية رحمه الله تعالى وفيه يقول المنصوري وقد أضافه في خلوة بحلاوة قرع فقال فيه

يا عين أعيان الزمان ويا * محيي بمصر سنة الشرع
لم يقرع الباب امرؤ نحوكم * الا وذاق حلاوة القرع

ولما مات رثاه المنصوري بهذه الابيات

بكت على الشيخ محيي الدين كافيجي * عيوننا بدموع من دم المهج
كانت أساريره هذا الدهر من درر * تزهى فبدل ذاك الدر بالسبج
فكم ترى من سماح من مكارمه * فقري وقوم بالاعطا من عوج
يا نور علم أراه اليوم منطفئا * وكانت الناس تمشي منه في سرج
فلو رأيت الفتاوى وهي باكية * رأيتها من نجيع الدمع في لجج
ولو سرت بثناء عنه ريح صبا * لاستنشقوا من شذاها أطيب الارج
يا وحشة العلم من فيه اذا اعتركت * أبطاله فتوارت في دجى الرهج
لم يلقوا شأو علم من خصائصه * أني ورتبته في أرفع الدرج
قد طال ما كان يقرينا ويقرئنا * في حالتيه بوجه منه مبتهج
سقياه وكساه الله نور سنا * من سندس بسدا الغفران منتسج

وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى تحوطرا وأقام بها الى آخر النهار وعاد وفي عقيب ذلك رسم السلطان بنفي اثنين من الاينالية وهذا أول الفتك بهم وفيه توفي سودون المنصوري مات قتيلا سقط من سطح وكان مشغول الرأس فمات لوقته وكان شابا حسن الشكل كثير الاسراف على نفسه فقصد السلطان أن يصلي عليه فلما علم كيفية موته لم يصل عليه نعوذ بالله من ذلك وفيه خلع السلطان على خشقدم الاحمدي الطواشي وقرره في الوزارة عوضا عن الامير يشبك الدوادار بحكم استعفائه عن الوزارة لقيام شغبه في تطر الدولة فلما أحضر والمتقدم الخلعة شرع يلطم بيديه على وجهه ويبكي وصار يدعي الفقر والعجز ويكرر الاستعفاء والسلطان لم يلتفت لكلامه فلبس الخلعة ونزل الى داره وفيه حضر قاصد من عند ملك الهند وعلى يده هدية للسلطان

ومن جملتها سبع عظيم الخلقة وخيمة كبيرة وغير ذلك فأكرمه السلطان وخلع عليه وفيه نزل
السلطان وتوجه الى خليج الزعفران ونصب هناك تلك الخيمة التى أهداها له ملك الهند
وكانت غريبة فأقام هناك ثلاثة أيام فصادف دخول الامير يشبك الجمالى الذى كان
توجه الى ابن عثمان ملك الروم فعاد من سفره وقابل السلطان فى خليج الزعفران وعليه
خلعة ابن عثمان ومكاتبة تتضمن التودد بينهما فانسر السلطان بذلك وفيه أمر السلطان
بناء ما تهدم من جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه فقيل انه صرف عليه خمسة آلاف
دينار وفى جمادى الآخرة خلع السلطان على الشيخ سيف الدين الحنفى وقرره فى مشيخة
الخانقاه عوضا عن محيى الدين الكافيجى وخلع على ابن قاضى القضاة سعد الدين
الديرى وقرره فى مشيخة الشيخونية وكانت مشيخة المؤيدية مع أولاد ابن الديرى بحكم شرط
الواقف فعادت اليهم وفيه أعيد السيد الشريف موفق الدين أحمد الحموى فى نظارة الجيش
لدمشق عوضا عن ولد برهان الدين النابلسى وكان قد وليها بعد وفاة البدر بن مزلق وفيه
وقعت تشحيطة صعبة بالقاهرة وعز وجود الخبز من الدكاكين وتزاحم الناس على شراء
القمح واستمر ذلك مدة حتى دخل المغل الجديد وفى رجب قرر السلطان الشيخ أبا عبد الله
القلجانى المغربى قاضى الجماعة فى مشيخة تربة السلطان وقرر فى خطبتها الشيخ أبا الفضل
الحرقى وقرر بها ثلاثين صوفيا يحضرون فى الخمسة أوقات وقرر فيها شيخ الميقاتية بدر الدين
المارديني وقرر فى قراءة المصحف بها ناصر الدين الاخميمي وخازن الكتب بها العلائى على بن
خاص بك وبنى للصوفية حول التربة عدة بيوت يسكنون بها دائما ثم رتب لهم الجوامك
والخبز والزيت والصابون وغير ذلك من أنواع البر والمعروف وخطب بها فى الشهر المذكور
وحضر الامراء والقضاة الاربعة وأرباب الدولة قاطبة وكان يوما حافلا وفيه خلع على
القاضى أبى الفتح المنوفى وقرره فى نيابة جدة عوضا عن شاهين الجمالى وأضيف اليه الصرف
أيضا عوضا عن محمد بن عبد الرحمن وفيه غضب السلطان على شادبك أبازا الاينالى الاشرفى
أحد العشراوات فالبسه زنطا عتيقا وأمر بحمله الى خان الخليلى ليباع وقد ثبت أنه باق على
ملك المنصور عثمان بحكم انه ورثه من قانى باى الجركسى فأمر السلطان بان يباع ويحمل
ثمنه الى الملك المنصور فشنع فيه الاتابكى أزبك فقبل منه وآل الامر الى أن حمل شادبك
أبازو وآخر من الاينالية يقال له خاير بك وآخر يقال له سيباى فحملوا الى الملك المنصور
فأشهد على نفسه بعتقهم ثم نفى شادبك الى دمشق وخاير بك الى طرابلس وشفع فى سيباى
بأن يقعد بمصر بطالا وقد بلغ السلطان ما غير خاطره عليهم قيل انهم قصدوا الوثوب على
السلطان لما وثب المماليك على الامير يشبك الدوادار فانكشف أمر جماعة الاينالية فى
هذه الحركة وصار السلطان ينفى منهم جماعة بعد جماعة ممن كان رأس الفتنة فى هذه الحركة

وفيه طلع الى السلطان شخص من الفقهاء يقال له شهاب الدين القلقيلي ورفع قصة يشكو فيها الشيخ عبد البر بن الشحنة بأنه سلط غلمانه وعبيده عليه فضربوه ضربا مبرحا وذكر في آخر القصة أن عبد البر جاهل ما يحسن قراءة الفاتحة وأن الصلاة خلفه لا تصح فمال السلطان مع القلقيلي على عبد البر فرسم السلطان باحضار عبد البر وجماعة من مشايخ القراء وقرأ عبد البر بحضرتهم والسلطان جالس والقلقيلي حاضر فلما سمعه المشايخ القراء شكروا قراءته فمال السلطان على القلقيلي وكان قد حلف برأس السلطان أن عبد البر ما يحسن قراءة الفاتحة فلما ظهر للسلطان كذب القلقيلي أمر بضربه فضرب بين يديه ضربا مبرحا وأمر بحمله الى القاضي المالكي ليفعل به ما يوجبه الشرع وانتصر عبد البر عليه وفيه جاءت الاخبار بوفاة الناصري محمد بن شادبك التركماني الجلبي نائب طرابلس وفيه توفي يشبك الظاهري السيفي على باي نائب قلعة دمشق وكان لا بأس به وفيه نزل السلطان للرماية فلما عاد شق من القاهرة وكان له يوم مشهود وفيه وقع بين الامير يشبك الدوادار وخشقدم الوزير حتى صرح الامير يشبك بعزل نفسه من الدوادارية وأغلق بابه ولم يجتمع بأحد من الناس حتى ركب اليه الامير الكبير أزبك وجماعة من الامراء وتلطفوا به حتى طلع معهم الى القلعة وخلع السلطان عليه كاملية بسمور وصلح بينه وبين خشقدم الوزير وباس خشقدم يد الامير يشبك وخمدت هذه الفتنة التي بينهما وفيه جاءت الاخبار بوفاة تنباي العلائي الظاهري نائب صفد وكان لا بأس به وولي نيابة الاسكندرية ثم نيابة صفد ومات وهو في عشر الستين وفي شعبان توفي بكتمر البواب الابوبكري الاشرفي وكان لا بأس به وفيه نزل السلطان الى الاصطبل وحكم به وكاتب السر بين يديه على دكة لاجل قراءة القصص وحضر يشبك الدوادار وشكا كاتب السر وهو واقف بين يدي السلطان فأمره أن ينزل ويقف بين يديه بازاء خصمه حتى يدعي عليه وحضر آخر وشكا جاني بك الفقيه ففعل به كذلك وفيه توفيت خوندبدرية بنت الاشرف اينال وكانت لا بأس بها وتركت عدة أولاد ذكور واناث وفيه وصل قاضي القدس وهو في الحديد ومعه جماعة من أعيان أهل القدس وهم في الحديد بسبب هدم كنيسة هناك وقد ثار بسبب ذلك شر كبير بين العلماء وكتبت عدة فتاوي بسبب تلك الكنيسة وصار يفتي بعضهم بالهدم وبعضهم بالابقاء وفيه هجم طائفة من العربان المفسدين على جماعة من الناس في أثناء طريق المنية واستمروا يعرون الناس من المنية الى قنطرة الحاجب وكان ذلك بعد العصر وكان أول الربيع وسلبوا أثوابا لمتفرجين وطلعوا من على قناطر الاوز وخرجوا الى الفضاء وكانوا نحوا من عشرين نفسا الا انه كان من جملة ما سلبوه أثواب شخص من الامراء العشراوات يقال له كسباي المغربي وكان راجعا من طريق المنية فأخذوا سلاريته من فوقه وفيه توفي

ثاني

تانى بك الازدمرى الحاجب الثانى وكان قد شاخ وبلغ من العمر نحوا من تسعين سنة وفيه عرض السلطان من فى السجون فاطلق منهم أربعة أنفار لا غير وأعاد البقية الى السجون وفى رمضان صعد القضاة الاربعة ومشايخ العلم ليهنوا السلطان بالشهر فأمر السلطان بعقد مجلس بين يديه بسبب كنيسة اليهود التى هدمت بالقدس فافتى الشيخ أمين الدين الاقصرائى بجواز هدمها وكذلك شمس الدين البلوجرى وزين الدين الابناسى وأفتى الشيخ سراج الدين العبادى وقاضى الجماعة القلقانى المغربى المالكى وآخرون من العلماء بعدم جواز الهدم وانها تعاد الى ما كانت عليه فوقع فى المجلس القال والقيل من العلماء وكثر اللغط وانفض المجلس على غير طائل وأمر السلطان بعقد مجلس آخر فى دار يشبك الدوادار وكان السلطان مائلا الى عدم هدم الكنيسة واعادتها الى ما كانت عليه وقد مال جماعة من العلماء مع غرض السلطان وحكم باعادتها الى ما كانت عليه ووقع بين قاضى القضاة المالكى اللقانى وقاضى الجماعة ما لا خير فيه وكذلك سراج الدين العبادى والبلوجرى وعاجبى به السراج العبادى

أيا سراج اليهود طرا * ومن لدين العزير أفتى

عصبة أهل الكتاب قالوا * لن ترضى عنك اليهود حتى

وقيل فى قاضى الجماعة من جملة أبيات فى ذلك المعنى

تفتى بعود كنيسة * يا مغربى ما أنت الا

وفيه توفى اينال الاشقر الجاوى الظاهرى أمير سلاح وكان أميرا جليلا شجاعا بطلا وكان ظالما غشوما عسوفا كثير الاسراف على نفسه وكان عنده كرم زائد مع اتضاع وأصله من مماليك الظاهر جقمق وولى عدة وظائف سنية منها ولاية القاهرة ونيابة ملطية ونيابة حلب ورأس نوبة كبير وامرية سلاح وغير ذلك من الوظائف وكان فى آخر عمره ظهر به جذام وبرص فاحش جدا وفيه قرر يشبك قرقاس الاشرفى فى نيابة دمياط وفيه توجه السلطان نحو الطرانة وكان معه الاتابكى أزبك فاقام هناك أياما وعاد وفيه قرر مغلباى سرق الاشرفى فى حجوبية الحجاب بدمشق وفيه فر من العريان من حبس الديلم شخص من بنى حرام يقال له عمر بن معروف وفر من سجن القاعة شخص يقال له محمد بن زامل وفر من سجن المقشرة أيضا شخص يقال له ابن صالح الكل فروا فى مدة يسيرة من هذا الشهر وفى ثالث شوال خرج الاتابكى أزبك مسافرا الى الحجاز وصحبته زوجته بنت الملك الظاهر جقمق وخرج معهم الامير أزبك اليوسفى ومعه زوجته خوند بنت عم الملك الظاهر جقمق وخرج معهم الشيخ أمين الدين الاقصرائى وولده أبو السعود فحج الشيخ أمين الدين فى محفة وقد بعث له السلطان سبعمائة دينار يستعين بها على الحج وخرج صحبتهم الكثير من

الناس وقد سبقوا الحاج بعشرين يوما وفيه خلع السلطان على قريبه ازدمر بن مزيد وقرره
فى نيابة صفد عوضا عن يلباى العلائى الظاهرى بحكم وفاته وفيه خرج الحاج على العادة
ولما حج الشيخ أمين الدين الاقصرائى فى المحفة قال فيه بعض شعراء العصر هذين البيتين

محفة الشيخ الاقصرائى ، تنشد جدواه فى المشاهد

تقول طوبى لمثل هذا ، قد حج بالناس وهو قاعد

وكان أمير الركب فى السنة المذكورة جانى بك الاشقر أحد خواص السلطان وبالركب
الاول جانى باى الخشن الاينالى تاجر المماليك وفى السنة المذكورة حجت خوند فاطمة
زوجة السلطان بنت العلائى علاء الدين بن خاص بك فكان يوم خروجها يوما مشهودا
وكان لها موكب حافل وخرجت فى محفة زركش برصفات لؤلؤ مرصعة بانواع المعادن
[illegible] وخرجت صحبتها أخت السلطان فى محفة زركش وخرج معها خسون جمالا من الجاير
[illegible] ومشى قدام محفتها بالرميلة جميع أرباب الوظائف والدولة وغير ذلك من
المباشرين ومشى الزمام ومقدم المماليك وأعيان الخدام بايديهم العصى وقدامها من
الحداة أربعة منهم ابراهيم بن الجندى المغنى وأبو الفور [illegible] وغير ذلك فكان تجملا زائدا
قل ان يقع لاحد من الخوندات مثله فعد ذلك من النوادر وكان الناظر عليها والدها العلائى
على بن خاص بك وبرسباى المحمودى الخازندار وفيه من الحوادث انه قبل خروج خوند الى
السفر رسم السلطان بشنق جارية بيضاء جركسية فشنقت على جميزة بالقرب من حدرة ابن
قميحة عند الاحواض التى بطريق مصر العتيقة وكانت هذه الجارية جاءت من بعض
مماليك السلطان فلما علم السلطان بذلك شنق الجارية وأغرق المملوك وقيل بل خصاه
ونفاه الى الشام وفيه اضطربت أحوال الشرقية بسبب فساد العربان من بنى حرام و بنى
وائل فعين السلطان اليهم الامير شيبك الدوادار فخرج مبادرا وفى ذى القعدة هجم عرب
غرابة على ضواحى الجيزة ونهبوا خيول المماليك وقتلوا جماعة من الغلمان وأطلقوا من كان
فى الحبس فتنكد السلطان لهذا الخبر وعين عدة من الامراء والجند فخرجوا الى جهة
[illegible] هناك [illegible] عادوا ولم يظفروا بأحد من العربان المفسدين وفيه توفى بيرس
[illegible] الاشقر بن طنبغا أحد المقدمين الالوف بدمشق وكان لا بأس به وفى ذى الحجة
جاءت الاخبار [illegible] الاسكندرية بوفاة الملك الظاهر ططر [illegible] أبى سعيد الظاهرى الرومى مات
[illegible] الاسكندرية [illegible] سنتين [illegible] وكان ملكا جليلا شجاعا بطلا عارفا بأنواع
[illegible] أشياء كثيرة من آلة الحرب ويرمى النشاب
[illegible] وفاستقر [illegible] فى سنة سبع وعشرين
[illegible] الجرى [illegible] وفى عدة من أروجرى

عليه من المماليك الخشقدمية ما الاخير في اعادته وخلع من السلطنة بعد ثمانية وخمسين يوما وآخر الامر مات قهرا كما قيل في المعنى

هي الدنيا اذا كملت * وتم سرورها خذلت
وتفعل بالذين بقوا * كما في من مضى فعلت

وفيه أمر السلطان بتوسيط كاشف البحيرة وهو شخص يسمى خشقدم الزيني فوسطه هو وشخص من الكتاب يقال له ابن الطواب وقد تجمد عليهما مال لم يقوما به وفيه ضرب السلطان فلوس جدد ثم نودى عليها كل رطل بستة وثلاثين ونودى على الفلوس العتق كل رطل بأربعة وعشرين فخسر الناس في هذه الحركة ثلث أموالهم وكانت الفلوس تخرج بالعدد كل أربعة أفلاس بدرهم وفيه قدم مبشر الحاج وأخبر بالأمن والسلامة وكان المبشر يومئذ شخص من الخاصكية يقال له جان بلاط الغورى فاخبر بوفاة أبي السعود محمد ابن الشيخ أمين الدين الاقصرائي مات وهو عائد من مكة ودفن في أثناء الطريق وكان شابا حشما رئيسا من أهل العلم والفضل وتوفي كاتب السر الذي بطرابلس السيد الشريف تقي الدين أبو بكر بن أحمد وكان لا بأس به

ثم دخلت سنة ثمانين وثمانمائة فيها في المحرم خلع السلطان على الشيخ بدر الدين ابن الغرس الحنفي وقرره في مشيخة تربة الاشرف برسباى عوضا عن الكافيجي بحكم وفاته وفيه رسم السلطان بتوسيط عمر بن أبي الشوارب شيخ قليوب وقد ضرب بالمقارع بين يدى السلطان وشهر على جمل ووسط بقليوب وفيه في سابع عشره كان وصول الاتابكي أزبك من مكة المشرفة وحضر صحبته الشيخ أمين الدين وهو في غاية التشويش على فقد ولده أبي السعود وقد وقع له ما يشبه الذهول فلم يلبث بعد دخوله القاهرة سوى تسعة أيام ومات فلما طلع الى السلطان خلع عليه وعلى الاتابكي أزبك ونزلا الى دورهما وفيه في رابع عشريه دخل الحاج الى القاهرة وقد تأخر عن ميعاده بأربعة أيام وحصل للحاج عطشة شديدة عند العود وكان الحاج في تلك السنة كثيرا ثم دخلت خوند زوجة السلطان الى بركة الحاج وهي في تجمل زائد ولاقاها الامراء قاطبة حتى القضاة وترجلوا اليها من فوق بغالهم وهي في المحفة ولاقتها المغاني من البيوت وصنعت لها هناك أسمطة حافلة فلما طلعت الى القلعة رفعت على رأسها القبة والطير وذرت عليها خفائف الذهب والفضة وكان لها بالقلعة يوم مشهود ودخل اليها التقادم من أرباب الدولة وأعيان الناس وفيه في سابع عشريه كانت وفاة شيخ الاسلام أمين الدين يحيى بن محمد الاقصرائي الحنفي رحمه الله تعالى وكان قد ناف على الثمانين سنة من العمر وكان مولده سنة سبع وتسعين وسبعمائة وكان اماما عالما فاضلا انتهت اليه رياسة الحنفية ...

من أجل علماء الحنفية بارعا في الفقه دينا خيرا قائما في الحق يخاشن الملوك والسلاطين
ويغلظ عليهم في القول ولا يخشى إلا الله تعالى وكان في سعة من المال وولى عدة
وظائف سنية منها مشيخة المدرسة الأشرفية ومشيخة المدرسة الصرغتمشية والأيتمشية
والجانبكية وكان بيده عدة تداريس وطلب لولي القضاء غير ما مرة وهو يمتنع وفي صفر
خلع السلطان على قريبه جانم الشريفي وقرره في نظر الجوالي وهذا أول استظهاره
في الوظائف وفيه توفي الأمير قانى باى الساقي الطويل الظاهري أحد الأمراء الطبلخاناة
والحاجب الثاني وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه نزل السلطان إلى طرا ومعه الأتابكي
أزبك فبات هناك ومد له الأتابكي أسمطة حافلة فبات وعاد من غده وفيه توفي الشيخ نجم
الدين إسحق القرمي الحنفي كان من أعيان علماء الحنفية ومولده قبل التسعين وسبعمائة
وكان لا بأس به وفيه توفي تمر حاجب الحجاب وهو تمر بن محمود شاه الظاهري وكان ظالما
غشوما عسوفا شديد القسوة تولى ولاية القاهرة وحجوبية الحجاب وكان في أيام ولايته صارما
على العبيد والغلمان وغير ذلك وقتل منهم جماعة كثيرة حتى قيل أحصى من قتله في أيام
ولايته فكان زيادة على السبعمائة انسان فلما مات قال جماعة من أهل الصحراء انهم
سمعوه يعوى في قبره كما تعوى الكلاب نعوذ بالله من ذلك وفيه طلع القلعة شخص من
الأمراء العشراوات يقال له دولات باى سلاوة المحمودي فبينما هو واقف بين الأمراء إذ
اضطرب فحملوه إلى تحت الكرمة التي بالحوش فمات لوقته فأحضر له تابوت وأنزلوه إلى داره
ودفن من يومه وكان دينا خيرا لا بأس به وفي ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوي
وكان حفلا وحضره القضاة الأربعة وأعيان الناس من الأمراء وغيرهم وفيه خلع
السلطان على القاضي تاج الدين ابن المقسي وأعيد إلى نظر الخاص وقد نسي العلقة
بالمقارع التي دخلت في أجنابه وانفصل عنها القاضي بدر الدين بن كاتب السر بن مزهر
وفيه خلع السلطان على الأمير أزدمر الإبراهيمي الطويل الإينالي وقرر في حجوبية الحجاب
عوضا عن تمر بحكم وفاته وفيه قرر السلطان في الحجوبية الثانية سيباى الظاهري
الذي كان أمير آخور ثاني وقرر أزدمر المسرطن في الخازندارية الكبرى عوضا عن أزبك
اليوسفي بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف وفيه توفي الأمير يشبك جلس بن اقبردى الأشرفي
أحد الأمراء العشراوات وكان دينا خيرا لا بأس به وفي ربيع الآخر خلع السلطان
على الشيخ برهان الدين بن الكركي وقرره في مشيخة المدرسة الأشرفية عوضا عن الشيخ أمين
الدين الأقصرائي بحكم وفاته وفيه أشيع بين الناس أن السلطان يقصد السفر والخروج
بنفسه إلى البلاد الشامية ثم نزل بالميدان الكبير الذي بالناصرية وعرض هناك خيول
الهشار ثم توجه إلى بولاق ونزل في بيت شرف الدين الأنصاري الذي ببولاق فأضافه

الانصاري هناك ضيافة حافلة وكان الانصاري قد أنشأ غرابا تحت داره فنزل السلطان فيه وتوجه الى شبرى ثم عاد قريب المغرب وطلع الى القلعة وفيه فى ثانى عشر مسرى كان وفاء النيل المبارك ونزل الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان له يوم مشهود وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن اغرلو بن حسن الطويل قد وقع بينه وبين أبيه وقد بعث يستنجد بنائب حلب على أبيه فجهز نائب حلب معه جماعة من عسا كر حلب وجعل عليهم باش اينال الحكيم اتابك حلب وجانم السيفى وجانى بك نائب جلة وكان يومئذ نائب البيرة ودولات باى الموجب وآخرين من أمراء حلب فلما خرجوا الى عسكر حسن الطويل تقاتلوا معهم فانكسر عسكر حلب وجرح محمد اغرلو جرحا بليغا ورجع الى حلب فى خمسة أنفار وان اينال الحكيم فقد فى المعركة وان دولات باى أسر فى المعركة وقتل من عسكر حلب جماعة كثيرة فلما بلغ السلطان هذا الخبر تشوش له وعين جماعة من الامراء منهم الاتابكى أزبك ويشبك الدوادار وقرقماز رأس نوبة النوب وأزدمر الطويل حاجب الحجاب وبرسباى قرا وخاير بك بن حديد وورديش وعين من الامراء الطبلخانات والعشراوات عدة وافرة وأمرهم بأن يتجهزوا ويكونوا على يقظة حتى يرد عليهم من أمر حسن الطويل ما يكون فاضطربت أحوال العسكر فبينما هم على ذلك اذ ورد كتاب من ابن الصوا يخبر فيه بأن عسكر حسن الطويل عاد الى بلاده ولم يحصل منه ضرر فانشرح السلطان لهذا الخبر وبطلت التجريدة التى تعينت الى حسن الطويل فكان كما قيل

وكم هم تساء به صباحا * فتأتيك المسرة بالعشى

وفيه توفى عضد الدين السيرامى شيخ المدرسة البرقوقية وهو عبد الرحمن بن يحيى بن سيف بن محمد بن عيسى الحنفى السيرامى وكان عالما فاضلا رئيسا حشما من أعيان علماء الحنفية بارعا فى الفقه مفتيا وكان لا بأس به فلما توفى خلع السلطان على قاضى القضاة شمس الدين الامشاطى وقرره فى مشيخة البرقوقية عوضا عن السيرامى وفيه خلع السلطان على أزبك قفشق الظاهرى وقرره فى امرية الاخورية الثالثة عوضا عن سيباى بحكم انتقاله الى الحجوبية الثانية وفيه خلع السلطان على ولد برهان الدين النابلسى وأعيد الى نظارة الجيش بدمشق وصرف عنها الشريف موفق الدين الحموى وفيه توفى جمال الدين الباعونى قاضى القضاة الشافعية بدمشق وكان عالما فاضلا رئيسا حشما وكان قد ترشح أمره الى قضاء مصر فلم يتم له قضاء مصر وكان مولده سنة خمس وثمانمائة وفى جمادى الاولى خلع السلطان على قجماس الاسحاقى وقرره فى الامير اخورية الكبرى عوضا عن جانى بك الفقيه الظاهرى بحكم انتقاله الى امرية سلاح عوضا عن اينال الاشقر بحكم وفاته وخلع على قانم قشير الظاهرى أحد العشراوات وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن قجماس الاسحاقى

بحكم انتقاله الى امرية الاخورية الكبرى وفيه خلع على برد بك السيفي جرباش كرت وقد
ظهر أنه قريب السلطان فقرره فى نيابة صفد عوضا عن ازدمر بن مزيد قريب السلطان
أيضا وفيه نقل ازدمر المذكور الى نيابة طرابلس عوضا عن يشبك الجاسى وكان
برد بك السيفي يومئذ شاد الطرائة فاستكثر عليه الناس نيابة صفد دفعة واحدة وفيه توجه
الى دمشق برهان الدين النابلسى وكيل بيت المال وقد خرج فى بعض أشغال السلطان
وفيه وصل القاضى شمس الدين بن أجا قاضى العسكر وكان قد توجه قاصدا الى حسن
الطويل فأخبر بأن الطاعون قد هجم فى بلاده ومات من عسكره مالا يحصى وقد تلاشى
أمره فسر السلطان بهذا الخبر وفيه قدمت الى القاهرة زوجة حسن الطويل أم ولده محمدا
اغرلو تستجير لولدها محمد بالسلطان بأن يشفع له عند أبيه ويصلح بينهما فلما قدمت أكرمها
السلطان وأنزلها بدور الحريم وفيه نقبت قاعة الذهب وسرق منها عدة سبائك وشريط
ذهب فلما بلغ السلطان ذلك ضيق على والى القاهرة حتى يفحص عن فعل ذلك ثم بعد أيام
ظهر أن شخصا يقال له يوسف وكان من جملة صناع القاعة انه هو الفاعل لهذا فقبض عليه
وعرض على السلطان وأخذ ما كان معه من السبائك الذهب وسجن بالمقشرة الى أن يرد
أمر مولانا السلطان فيه بما يقتضيه وفى جمادى الآخرة جاءت الاخبار من دمشق بأن
برهان الدين النابلسى وكيل السلطان لما دخل الى دمشق صدرت منه القبائح العظيمة
بأهل دمشق فما أطاقوا ذلك ورجموه ورموا عليه بالسهام وأحرقوا داره بالنار وأرادوا قتله
فركب نائب قلعة دمشق بنفسه وتلطف بالعوام حتى سكنت هذه الفتنة قليلا وقد كادت أن
تخرب دمشق فى هذه الحركة بسبب ظلم النابلسى وكان قد طغى على الناس وتجبر وكان هذا
أكبر أسباب الفساد فى حقه حتى آل أمره الى ما سنذكره فى موضعه وفيه نزل السلطان
من القلعة وتوجه الى نحو طرا فأضافه هناك ابن البلاح وكان أحضر بين يديه قدورا مختومة
بماء شهد ففتحت منها قدرة بين يدى السلطان وهو جالس على السماط فلما فتحت خرج منها
نحلة كبيرة فقصدت وجه السلطان دون الجماعة الذين على السماط فلدغته فى جفن عينه
فورم وجهه فى الحال وتشوش لذلك ورجع من وقته وطلع الى القلعة فانقطع عن اقامة
الخدمة أياما حتى شفى وفيه جاءت الاخبار من بلاد الشرق بوقوع فتنة بين شاه بضاع بن
دلغادر وصاحب الابلستين وبين ابن قرمان ووقع بينهما مقتلة عظيمة ووقع أيضا بين حسن
الطويل وبين أخيه أويس وبعث اليه طائفة من عسكره بالرها فحاربوا أويسا وقتلوه ومن
معه من العسكر وفيه توجه السلطان الى ثغر دمياط وقد توجه الى دمياط مرة أخرى قبل
ذلك وفى هذه السفرة الثانية توجه الى دمياط من البحر فى عدة مراكب كثيرة نحو من مائة
مركب وكان معه من الامراء يشبك الدوادار وآخرون من الامراء المقدمين والعشراوات

وجماعة من المباشرين والخاصكية من المماليك السلطانية ووقع له وهو سائر في البحر
أنه رمى على كركي بجزيرة في البحر فصرع الكركي فتمايل وألقى نفسه
في البحر فبادر إليه بعض السلحدارية ونزل في البحر ليحضر الكركي فقوى عليه التيار
فغرق من وقته فتنكد السلطان بسبب ذلك فلما طلع الى ثغر دمياط لاقاه النائب ومد له
مدة حافلة فأقام بها أياما وهو في أرغد عيش وتنزه في غيطان البلد وتوجه الى مكان
يصاد فيه السمك البوري ونزل في مركب صغير وعاين كيف يصاد البوري وانشرح
في هذه السفرة الى الغاية فلما أراد العود الى القاهرة عاد في البحر أيضا ونزل في المركب قاصدا
الديار المصرية فلما أن وصلوا الى بولاق سيب النفطية صواريخ نفط فجاء منها صاروخ
في مركب الامير يشبك الدوادار فعملت النار في قلع المركب فاحترق فاضطرب الامير
يشبك من ذلك وصار يدفع عن وجهه النار بالمخدة فأدركه طواشي يقال له مرجان الحبشي
فبينما هو يطفئ النار إذ سقط عليه الصاري فمات لوقته هو وشخص من المماليك السلطانية
فكانت مدة غيبة السلطان في هذه السفرة نحوا من خمسة عشر يوما وطلع الى القلعة في
سلخ الشهر وفي رجب صعد القضاة الى القلعة للتهنئة بالشهر وقدوم السلطان من
السفر فخلع في ذلك اليوم على أبي البقاء بن قاضي القضاة ابن الشحنة وقرر في قضاء الشافعية
بحلب عوضا عن عز الدين الحساوي بحكم صرفه عنها وفي أثناء هذا خرج السلطان على حين
غفلة وقصد التوجه الى القدس الشريف وكان معه الاتابكي أزبك ويشبك الدوادار
وآخرون من الامراء والخاصكية وجماعة من أعيان المباشرين وغيرهم فلما دخل الى
القدس أظهر به العدل وأقام به ثلاثة أيام ثم زار الخليل عليه السلام وتصدق في القدس
والخليل بستة آلاف دينار وأزال بهما ما كان من المظالم التي كانت حادثة هنالك ولما مر
بالقرين أمر ببناء جامع وسبيل هنالك وحصل له بجملة تقادم حافلة من أعيان البلاد هنالك
ولما دخل الى غزة خلع على سيباي الظاهري أحد العشراوات وقرره في نيابة غزة عوضا عن
يشبك العلائي بحكم انتقاله الى أتابكية دمشق ثم ان القاضي تاج الدين بن المقسي ناظر
الخاص قدم من عند السلطان وأخبر أن قدومه الى قطيا فتوجه جماعة من الامراء الى
لقائه وفي عشرين شعبان رجع السلطان ودخل الى القاهرة في موكب حافل وقدامه
الامراء المباشرون [illegible] وخرج طائفة اليهود والنصارى بأيديهم الشموع الموقدة وشق
من القاهرة وكان له يوم مشهود حتى طلع الى القلعة وكان [illegible] ختان بدر الدين ابن القاضي
كمال الدين [illegible] وكان له مهم حافل [illegible] في الستيني محيي الدين [illegible]
[illegible] القادر بن محمد [illegible] الشاذلي وكان [illegible]
[illegible]

أمير جاندار أيام المماليك وكان رئيساً حشماً في سعة من المال وكان وجيهاً عند الناس والملوك والسلاطين وحاجب غالب أمراء عصرنا وصار وا يعرفون بالشريفي الى الآن وفيه حضر مبارك بن عطية بين يدي السلطان وقد بعث اليه بمنديل الامان وكان رأس العربان المفسدين وقد أعيا الامراء والكشاف ومشايخ العربان ولم يقدروا على تحصيله فتراءى مبارك بن عطية على أحمد بن طنيش حتى قابل به السلطان وخلع عليه خلعة الرضا ودخل تحت طاعة السلطان وفيه توفي جاني بك الاشقر الدوادار أحد خواص السلطان وكان رئيساً حشماً عارفاً سيوساً وتوجه الى الحجاز أمير حاج غير ما مرة وكان مقرباً عند السلطان وكان أصله من مماليك قاني باي قرقور واتصل بخدمة جماعة من الامراء ثم خدم الاشرف قايتباي من حين كان أمير طبلخاناه الى أن بقي سلطاناً فأنعم عليه السلطان بامرية عشرة وكان في سعة من المال وفيه توفي شاهين الفقيه الزيني وكان من أعيان الخاصكية محمود السيرة ناظر [illegible] وفي رمضان خلع السلطان على الامير لاجين الظاهري أمير مجلس وقرره أمير ركب المحمل عوضاً عن جاني بك الاشقر المتوفى وكان قرره أمير ركب المحمل قبل موته وفيه وصل دولات باي المؤيدي وكان قد أسر عند حسن الطويل فأطلقه وخلع عليه وفيه توفي سيباي أمير آخور ثالث وكان قدولي حاجب ثان وأصله من مماليك الظاهر جقمق وكان يعرف بسيباي بن بخشباي وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بأن بعض تجار الافرنج احتال على تجار الاسكندرية حتى أسرهم وكان [illegible] تجار السلطان وهم بن علبية يعقوب وعلي الكيلاني وعلي التمراوي فلما أسروهم خرجوا بهم من الاسكندرية في الوقت والساعة وتوجهوا بهم الى بلاد الافرنج فاضطربت أحوال الاسكندرية وكادت أن تخرب فلما كاتبوا السلطان بذلك تأثر لهذا الخبر وعين في الوقت خاصكي من خواصه يقال له قصروه الساقي الذي تولى ولاية القاهرة فيما بعد وكتب [illegible] بالقبض على جميع تجار الافرنج الذين بالاسكندرية [illegible] الساقي هناك قبض على تجار الافرنج من سائر السواحل وضيق عليهم [illegible] الحديد والزموهم بأن يكاتبوا ملوك الافرنج بما جرى عليهم [illegible] السلطان في هذه الحادثة قياماً تاماً وجرى بسبب ذلك [illegible] التجار الذين أسروا أنفسهم من ملوك الافرنج بمال [illegible] الاسكندرية كما سيأتي الكلام على ذلك وفيه خلع [illegible] الرماح وقرره في الجوبية الثانية عوضاً [illegible] دولات باي [illegible] وقرره في [illegible] عوضاً عن [illegible] أحمد بن محمد [illegible]

الكركي الحنفي والبرهان الدين امام السلطان وكان ديناً خيراً من صوفية خانقاه الشيخونية وكان لا بأس به وفيه توفي مقبل الدوادار وكان أصله من مماليك تغري بردى المؤيدي وكان متكلماً على شعير الذخيرة وفيه قرر في مشيخة الحرم الشريف النبوي اينال الاسحاقي وكانت عادة مشيخة الحرم للخدام الطواشية من قديم الزمان وقرر في باشية الجند بمكة المشرفة قاني باي اليوسفي وفي شوال خلع السلطان على أبي الفتح المنوفي وقرره في نيابة جدة على العادة وفيه خلع السلطان على شخص من النصارى يقال له ميخائيل من نصارى منفلوط وقرره بطرك النصارى وفيه خرج الحاج وكان أمير ركب المحمل لاجين الظاهري أمير مجلس وبالركب الاول جاني باي الخشن الاينالي وخرج صحبة الحاج شرف الدين الانصاري وكان الامير يشبك الدوادار ساخطاً عليه فخرج الى مكة المشرفة وكان آخر عهده بالقاهرة وقد تسلط عليه برهان الدين النابلسي وأخذ منه وكالة بيت المال فضاق الامر عليه فترك مصر ومضى عنها كما قيل في المعنى

لعمرى ما ضاقت بلاد باهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفي ذي القعدة أشيع بين الناس أن خزانة السلطان سرق منها مال له صورة فظهر بعد أيام أن الفاعل لذلك جماعة من بوابي الدهيشة الاوا حبة فقبض السلطان على بعضهم وضربه فاحضر المال فرسم بسجنه في المقشرة فسجن وفيه سافر السلطان الى الفيوم وهي السفرة الثانية وكان معه الاتابكي أزبك ويشبك الدوادار وجماعة من المقدمين والعشراوات وكان سبب توجهه الى الفيوم أن خاير بك بن حديد أنشأ هناك ضيعة وجعل بها طاحوناً تدور بالماء وأنشأ بها بستاناً هائلاً فتوجه السلطان ليرى ذلك وفيه خسف القمر خسوفاً تاماً حتى أظلم الجو وأقام الخسوف نحواً من أربعين درجة وفي ذي الحجة كان عيد النحر يوم الجمعة وخطب فيه خطبتان وفيه قدم قطب الدين الخضيري من دمشق وقد أتى يشكو من بدر الدين النابلسي وقد ترايد ظلمه وجوره في حق الناس جداً وفيه كان ختان أولاد الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق وكان الختان بثغر دمياط فبعث السلطان اليه بألفي دينار بسبب احتياج المهم وتوجه ابن رحاب المغني وصار بخدمته حتى انقضى مهمه وكان له مهم حافل وفيه وصل مبشر الحاج وأخبر بالامن والسلامة وأخبر بوفاة القاضي المالكي محيي الدين عبد القادر بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المعطي الانصاري السعدي المالكي قاضي مكة المشرفة وكان عالماً فاضلاً فقيهاً نحوياً وولي قضاء مكة مدة طويلة وكان محمود السيرة وفيه توفي [illegible] الفقيه الابوبكري المؤيدي أحد الامراء العشراوات وكان [illegible] أمير [illegible] وكان [illegible] وتوفي [illegible]
الابراهيمي الحكيم الاشرفي [illegible] وكان لا بأس به [illegible]

العشراوات وكان يتشغر أنسا ناحسنا لا بأس به ❁ وفي هذه السنة المذكورة أعني
سنة ثمانين وثمانمائة كان ابتداء منشأ الازبكية على يد المقر الاتابكي أزبك بن ططخ
الظاهري التي نسبت الازبكية اليه (أقول) وكانت هذه البقعة أرض ساحة خرابا ذات
كيمان في أرض سباخ وبها أشجار أثل وسنط وبها مزار سيدي عنتر وسيدي وزير
وهما من الاولياء رضي الله عنهم ورحمهم وكان في هذه الارض جامع الحاكي وهو باق
الى الآن وكانت هذه الارض قديما عامرة بها المناظر والبساتين وتسمى مناظر اللوق
وكانت غربي بحر النيل ثم ان بعض الملوك حفر بها خليجا وأجرى اليه الماء من فم الخور
وصار هذا الخليج يعرف بخليج الذكر وبني من حوله منتزهات القاهرة وعلى هذا الخليج
قنطرة [illegible] وربما كثر [illegible] الناس يجلسون عليها للفرجة وفيها يقول ابراهيم المعمار

[illegible] وقنطرتها بلوغ الوطر
[illegible] وقنطرتها [illegible] خليج الذكر

واستمرت هذه البقعة على ما ذكرناه الى سنة [illegible] وستمائة فلما تلاشى أمرها
وضعف جريان الماء في خليج الذكر وحفر الملك الناصر محمد بن قلاوون خليجه المسمى بالخليج
الناصري وذلك في سنة أربع وعشرين وسبعمائة طم خليج الذكر وخربت مناظر اللوق
التي هناك وصارت هذه البقعة خربة منقطع طريق واستمرت على ذلك مدة طويلة لم يلتفت
اليها أحد من الناس ثم ان خصاما من الناس عمر جامعا كان هناك وفتح له جسورا من
[illegible] الناصري يجري فيه الماء في أيام زيادة النيل ولا زال يجري به حتى أوصله بأرض
الازبكية فصار يدخل اليها الماء في أيام الزيادة ويروي بها بعض أراضيها ويزرع بها البرسيم
والشعير واستمرت على ذلك مدة الى سنة ثمانين وثمانمائة في دولة الاشرف قايتباي فحسن
[illegible] الأتابكي أزبك [illegible] مدة [illegible] وكان ساكنا بالقرب من هذه البقعة فلما
أن عمرها [illegible] القاعات الجليلة بالدوار والمقعد والمبيتات
و[illegible] أبقارا وجواريث وبرفعة الكيمان التي كانت هناك
[illegible] حفر بها [illegible] الموجودة لا [illegible] أجرى اليها الماء من الخليج الناصري
[illegible] على هذه البركة [illegible] حائطا [illegible]
[illegible] وقناطر [illegible] ويدور بقاف الحاريث
[illegible] على مائتي ألف دينار وكان [illegible]
[illegible] على هذه البركة القصور
[illegible]
[illegible]

الكبير وجعل به خطبة وأنشأ به منارة عظيمة فجاء غاية في الحسن والزخرف والبناء وفيه يقول شمس الدين القادري

بنى جامعا لله يلتمس الرضا * به ونجا من سيء أليم عقابه
وفكر في الحشر الذي عقباته * طوال يهول المرء قطع عقابه
فأكرم به من جامع من ثوى به * فلم يخل منه فيه إذا من ثوابه
فيا فوز عبد مؤمن قد حوى به * ثمار أجور من رياض جنابه
عظيم أجور لا يثوب مثابه * سواه لأجر نال كل المثابه

ثم أنشأ حول هذا الجامع الربوع والحمامات والقياسر والطواحين والأفران وغير ذلك من المنافع وسكن في تلك القصور وتمتع بها مدة طويلة حتى مات وبقي له تذكار الأزبكية على مر الأيام والأوقات وقال فيه شمس الدين القادري رحمه الله تعالى

لأزبك مولانا المقر عمارة * بها السعد يسمو للنجوم الشوابك
عملكة الإسلام لم أر مثلها * ولا الناس طرا في جميع الممالك
بنى جامعا للحسن أصبح جامعا * تقر به العينان من كل ناسك
به شرفت تلك العمارة واغتدت * مكرمة عند الملا والملائك
إذا قال قوم من أتابك للعلا * يقول لهم سعد الأمير الأتابكي

وكان عند فتح سد هذه البركة تجتمع عنده الأمراء المقدمون بالقصر وتأتي الناس إليها للفرجة أفواجا ويكون لها يوم مشهود وكان يصنع في كل سنة وقدة هائلة لم يسمع بمثلها وينفق بها في تلك الليلة أموالا جمة بسبب الفرجة ويضرب حول البركة عدة خيام ويقع بها من القصف والفرجة أشياء غريبة وتكون ليلة حافلة وقد ألف في هذه الأزبكية شيخنا الشيخ شمس الدين القادري مقامة لطيفة كلها غرر تشتمل على نثر ونظم وقد أوردتها في كتابي نزهة الأمم في العجائب والحكم ولما كملت عمارة الأزبكية ودخل الماء إلى بركتها أنعم السلطان قايتباي على الأتابكي أزبك بأرضها وكتب له بذلك مربعة شريفة وكانت أرض الأزبكية وقفا على حرم الإسلام وفيه يقول الشيخ نور الدين بن زريب الحنفي وكان عالما فاضلا ربانيا علمه من ذلك قوله

بستان [illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

حتى بلغ الكراز الماء أكثر من دينار وفيه تغير ماء النيل عند نزول النقطة في لونه وطعمه
حتى تغير منه طعم الماء جدا وصار الناس يشربون من الآبار والصهاريج وفيه توفي
الناصري محمد بن أبي الفرج نقيب الجيش وهو محمد بن عبد الله بن عبد الرزاق ابن أبي
الفرج وكان أصله من الأرمن وكان رئيسا حشما وولي عدة وظائف سنية منها
الاستادارية الكبرى ونقابة الجيش وغير ذلك وفيه جاءت الأخبار من الاسكندرية بأن
الافرنج قد أطلقوا من كان عندهم من التجار الذين كانوا أسروهم وقد اشتروا أنفسهم بمال
له صورة حتى أطلقوهم وقد جرى عليهم أمور يطول شرحها حتى خلصوا من بلاد الافرنج
وسقط ابن عليبة من يومئذ مريضا إلى أن مات بعد مدة وفيه رسم السلطان بشنق حذيفة
ابن نصير الدين وكان رأس المفسدين وشنق معه ثلاثة أنفار من أصحابه وفي صفر خلع
السلطان على قطب الدين الخيضري وأعاده إلى قضاء الشافعية وكتابة السر بدمشق على
عادته وعرض عما في هذه [illegible] وفيه خرج الأمير يشبك إلى جهة الوجه القبلي بسبب
محاربة يونس وشيخ العرب أولاد بن عمر وفيه توفي جقمق الفقيه المالكي وكان دينا
خيرا وله اشتغال بالعلم وقد سمع [illegible] على السلطان المؤيد [illegible] وكان فاضلا وفيه
توفي الشيخ تقي الدين الحصني الشافعي وهو أبو بكر بن محمد بن شادي وكان عالما فاضلا بارعا في
الفقه والعربية وغير ذلك من العلوم وكان دينا خيرا لا بأس به وولي عدة وظائف أي
تداريس منها تدريس المدرسة الصلاحية التي بجوار قبة الشافعي رحمه الله تعالى ورضي
عنه فلما مات قرر بها الشيخ زين الدين زكريا الأنصاري عوضا عن الحصني وفيه توفي قاضي
القضاة شهاب الدين أحمد المعروف بالمكيني وهو أحمد بن محمد بن بركوت الحبشي التاجر
السكري وكان عينا من أعيان الرؤساء الحشمة ربيب قاضي القضاة صالح البلقيني وولي عدة
وظائف سنية منها الحسبة بالقاهرة ثم ولي قضاء الشافعية وغرم بسببها مالا له صورة ولم يمكث
في القضاء سوى مدة يسيرة وعزل عنها وفيه حضر نجاب من مكة وأخبر بوفاة
القاضي شرف الدين الأنصاري وهو موسى بن علي بن سليمان المناوي الشافعي وكان رئيسا
حشما [illegible] عارفا بأحوال المملكة سيوسا حسن الرأي وولي عدة وظائف
سنية [illegible] نظر الجيش ونظر الخاص ووكالة بيت المال وغير ذلك من الوظائف السنية حتى
[illegible] لعشرين وغاية [illegible] وفيه أرسل نائب الشام
[illegible] من الذهب [illegible] عشرة آلاف دينار وعدة جمال
[illegible] ربيع الآخر وقع حريق عظيم [illegible]
[illegible] وقد [illegible]
[illegible] إلى [illegible]

وتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه توفى نائب الاسكندرية
قانم قشير الظاهرى وكان لا بأس به وفى جمادى الاولى عاد الامير يشبك من بلاد الصعيد
ولم يظفر بأولاد ابن عمر وفيه قرر فى امرية الحاج بركب المحمل تانى بك الجمالى الظاهرى أحد
مقدمى الالوف وقرر اقبردى الاشرفى أمير ركب الاول وفيه حضر الى الابواب الشريفة
قانصوه اليحياوى نائب حلب وكان قد أشيع عنه أنه قد خرج عن الطاعة فلما حضر خلع
عليه السلطان باستمراره وبطلت تلك الاشاعة عنه وكان القائم فى أمر مساعدته الاتابكى
أزبك أمير كبير وفى جمادى الآخرة نزل السلطان من القلعة وتوجه الى خليج الزعفران
لضيافة أبى بكر بن عبد الباسط فاضافه ضيافة حافلة ثم ركب من خليج الزعفران وتوجه
الى الخانقاه فصلى بها صلاة الجمعة وأضافه هنالك الامير يشبك الدوادار ضيافة حافلة وفى
رجب وقع بالقاهرة زلزلة فى الليل عظيمة وقع منها بعض أماكن ولو أنها دامت درجة أخرى
لحصل منها غاية الضرر للناس وفيه تعطلت أسباب الناس لاجل الفلوس العتق وكثر
الضرر منها على البائع وصار النصف الفضة يصرف بثمانية عشر من الفلوس العتق
وصارت البضائع بسعرين سعر الفضة وسعر الفلوس فحصل للناس بذلك غاية المشقة وفيه
وقع بين الامير يشبك الدوادار الكبير وبين خاير بك بن حديد تشاجر بالقلعة فحنق منه
الامير يشبك الدوادار ولكمه بيده فرمى تخفيفته عن رأسه فدخلت بينهما الامراء وخلصوا
بينهما واستمرت القلوب متغيرة بالعداوة حتى كان من أمر خاير بك بن حديد ما سنذكره
وفى شعبان نزل السلطان الى الرماية وعاد فى موكب حافل لكنه لم يشق من القاهرة وطلع
من بين الترب وقد تكرر نزوله فى الشهر المذكور ثلاث مرات وهو يطلع من بين الترب
ولا يشق المدينة وسبب ذلك الفلوس الجدد حتى لا يشكو له الناس من ذلك وفى
رمضان نودى على الفلوس بستة وثلاثين الرطل وصارت بالميزان وأبطل عددها ونودى على
الفضة المضروبة بأن لا يتعامل بها الا بالميزان وكذلك الذهب وبطل أمر العادة وفيه أشيع
بين الناس بأن السلطان يتزيا بزى المغاربة وينزل الى جامع الازهر ويصلى به وكان يسأل
فى بعض الطرقات من الناس عن سيرته [illegible] ووقع له بين الناس فى هذا الامر أشياء غريبة
يطول الشرح فى ذكرها وبعض الناس كان يشتمه فى أفعاله وهو يسمع كلامه باذنه [illegible]
[illegible] وتوفى جانى بك المشد وكان [illegible] ان يصلى التراويح وكان قد شاخ وكبر سنه
وأصله من مماليك الاشرف برسباى وولى نيابة [illegible] فى دولة الاشرف ينال ثم [illegible]
مقدم ألف [illegible] فى دولة الظاهر خشقدم [illegible] وفى دولة الاشرف
قايتباى [illegible] وفيه [illegible] بالقاعة [illegible] خلع
والصرف [illegible]

فى دولة الاشرف قايتباى ومات به فى الشهر المذكور القاضى عبد الكريم بن جلود وهو عبد الكريم بن أبى الفضل بن اسحاق القبطى وكان رئيسا حشما وولى كتابة المماليك بعد أبيه وكان فى سنه لم يبلغ وباشرها أحسن مباشرة وكان له حرمة وافرة وكان مولده قبل السبعين والثمانمائة وفيه توفى قانصوه فرفر وكان من أعيان الخاصكية مقربا عند السلطان شابا مليح الشكل حسن الهيئة كثير الادب والحشمة عارفا بالفروسية وكان لابأس به وفى شوال تزايد أمر الطاعون وفتك بالمماليك والاطفال والعبيد والجوارى والغرباء فتكا ذريعا وكان طاعونا مهولا يموت فيه الانسان من يومه وفيه يقول الشهاب المنصورى رحمه الله تعالى

لهفى على مصر وولدانها * أضحوا الى الموت يساقونا
ما أنشر الفصل سهام الردى * عليهـــم الا طواعينا

وفيه حضر دولات باى النجمى الاشرف حاجب الحجاب بدمشق وكان السلطان قد تغير خاطره عليه ولما حضر خلع عليه وأظهر له الرضا وفيه وصل السيد الشريف على بن بركات أخو أمير مكة المشرفة وكان حضر قبل ذلك الى القاهرة لتشى السلطان بينه وبين أخيه بالصلح وتوجه الى مكة المشرفة فأقام بها مدة يسيرة ووقع بينه وبين أخيه ثانيا فعاد الى القاهرة هو وولده فأكرمه السلطان ورتب له ما يكفيه وأقام بمصر حتى مات وفيه خلع السلطان على قراجا السيفى جانى بك نائب جدة وقرر فى نيابة جدة عوضا عن أبى الفتح المنوفى بحكم انفصاله عنها وفيه خرج الحاج من القاهرة على عادته وكان يوما مشهودا وفى ذى القعدة تناهى أمر زيادة الطاعون ومات فيه من الاعيان جماعة كثيرة منهم الشيخ المسلك العارف بالله تعالى الولى الصالح محمد بن احمد بن محمد التونسى الشاذلى الوفائى المعروف بأبى المواهب رحمة الله عليه وكان أصله مغربيا يعرف بابن زغدان وكان عالما صوفيا محققا أخذ عن أبى السعادات بن أبى الوفا وألف عدة أجزاء جليلة وكان قد جاوز الستين سنة من العمر ودفن بتربة الشاذلية وتوفيت أخت السلطان خوند جان باى الجركسية وكانت لابأس بها ومات جكم الصارع الاشرف الخاصكى وكان لابأس به ومات طوغان المحمدى الاشرفى وكان فى عشر الثمانين سنة وله اشتغال بالعلم ومات الشيخ عبد الكريم السيواسى الحنفى وكان من أهل العلم والفضل ومات عيسى بك أخو شاه سوار وكان مقيما بالقاهرة ومات [illegible] بن ولى الدين الظاهرى [illegible] الذى كان دوادارا ثانيا فى دولة الظاهر [illegible] ومات قرتغا كاشف الشرقية وكان من مماليك السلطان وكان أمير عشرة فلما مات قرر عوضه على باى المنى وولى نيابة الاسكندرية فيما بعد ومات كرتباى كاشف البحيرة وكان أصله من مماليك تنبك نائب جدة ثم ظهر أنه من قرابة السلطان وفيه مات الامام العالم العلامة الشيخ سيف الدين الحنفى وهو محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا التركى

القاهرى

القاهري وكان عالما فاضلا ورعا زاهدا خيرا دينا صالحا ماهرا في الفقه والحديث ولي مشيخة الجامع المؤيدي ومشيخة الخانقاه الشيخونية وغير ذلك من التداريس وكان متقشفا زاهدا عن ابناء الدنيا ومولده سنة ثلاث وثمانمائة وكان من خيار الحنفية ولما مات رثاه الشيخ العلامة العمدة الجلال السيوطي بهذه الابيات

مات سيف الدين منفردا * وغدا في اللحد منغمدا
عالم الدنيا وصالحها * لم تزل أحواله رشدا
ناصر دين النبي اذا * ما أتاه ملحد كمدا
في الذي قد كان من ورع * لم يخالف بعده أحدا
لم يكن في دينه وضر * لا ولا للكبر منه ردا
عمره أفناه في نصب * لاله العرش مجتهدا
ليت شعري من نؤمله * بعد هذا الحبر ملتحدا
ثلمة في الدين موتته * مالها من جابر أبدا
قدر ويناله في خبر * وهو موصول لنا سندا
فعليه هاملات رضا * ومن الغفران صببنا
وبعثنا ضمن زمرته * مع أهل الصدق والشهدا

وفي ذي الحجة فشى الطاعون جدا ومات من مماليك السلطان نحو من ألفي مملوك وزيادة خارجا عن المماليك القرانصة والسيفية ومات من الطواشية نحو من خمسة وعشرين نفرا حتى قيل ان السلطان جاز بطيخة صيفية نفسه حتى دخل بها الى الحريم بدورا لحرم لقلة الطواشية وفيه توفي لباي الاعرج أحد العشراوات ومات قاني بردي الاشرفي المحمدي أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب ومات أمير عربان هوارة سليمان بن عيسى وكان بالسجن وفيه نزل السلطان وتوجه الى الجامع الازهر وكان معه كاتب السر وبعض أمراء فلما دخل الجامع الازهر طلب قضاة القضاه وصعد معهم الى سطح الجامع ورسم بهدم ما كان بسطح الجامع من الخلاوى وحكم القاضي المالكي بهدم الجميع ثم انه رسم بترميم مافسد من عمارة الجامع وصرف على ذلك نحوا من عشرة آلاف دينار وفي ذلك اليوم تصدق على الفقراء المقيمين بالجامع بنحو من ألف دينار ثم ركب وعاد الى القلعة وكان الطعن عمالا وفيه دخل مبشر الحاج وأخبر بالامن والسلامة وأن الموت كثير بمكة المشرفة بعلة البطن وكان قبل دخول الحاج يموت بها في كل يوم نحو من أربعين انسانا وفيه مات بالطعن بن لاجين اسمعيل المشهور بالعلاج بالحارة والمقايرات وفيه

مات بالطعن سيدى عمر بن الامير دولات باى الدوادار المؤيدى وكان شابا حسنا جميل الوجه بهى المنظر بدا عذاره وفيه يقول بعضهم

سعيت نحو حبيبى سعى مجتهد * وطفت حول حماه وانقضى الوطر

فن له عمر فى عمره اغتنمت * فليس يسعى على طول المدا عمر

وفيه مات بالطعن سيدى محمد ابن الامير يونس العلائى أمير اخور كبير وفيه توفى الجناب العالى الناصرى سيدى محمد ابن سيدى يعقوب ابن أمير المؤمنين محمد المتوكل وهو والد سيدى خليل وهو ابن أخى أمير المؤمنين يوسف المستنجد بالله وكان رئيسا حشما وكان ترشح أمره لولى الخلافة بعد الجمالى يوسف فما تم له ذلك وفيه توفى محمد الصغير الكاشف وكان كبر سنه وشاخ وتوفى بهادر بن يشبك الظاهرى أحد مقدمى الالوف بدمشق ومات قرباى الجلب نائب قلعة حلب وكان من مماليك السلطان ومات كسباى ولد جانى بك الفقيه أمير سلاح وكان قدم من بلاد جركس ومات قانصوه نائب عينتاب وكان من مماليك السلطان ومات قايتباى بن فوركاز الظاهرى أخو الامير قرقماس الجلب وكان من مماليك الظاهر خشقدم ومات يشبك الابراهيمى الاينالى أحد العشراوات ورؤس النوب ومات فى هذا الطاعون من الامراء العشراوات والخاصكية مالا يحصى عندهم وكان ممن مات بالطعن بترك النصارى اليعاقبة المسمى ميخائيل المنفلوطى وكان مشكورا فى بتركيته محمود السيرة عند أهل ملته ولما دخلت خماسين النصارى خف أمر الطاعون بالنسبة لما كان عليه بعد أن أفنى من الناس مالا يحصى وقد خرجت هذه السنة والناس فى أمر مريج بسبب فقد أولادهم وعيالهم وما لاقوا فى هذه السنة خيرا ومما عد من محاسن الامير يشبك الدوادار المغسل الذى فتحه عند مدرسة السلطان حسن فحصل للناس به غاية النفع لاجل تجهيز الموتى ولاسيما الغرباء وقد حاز به غاية الاجر والثواب ومما عد من محاسنه أيضا أنه ركب يوما الى جهة المطرية فوجد فى طريقه شيخا على هيئة فلاح وهو قاصد القاهرة ومعه قفة على كتفه وكان وقت انفجار الصبح فعبث عليه الامير يشبك وقال له ما فى قفتك فقال له بيض جئت به لابيعه وأشترى لاولادى به خبزا فان معى ثلاث بنات فقال له الامير يشبك فيها كم بيضة وأنا أشترى منك ذلك فأخرج له الشيخ ما فى القفة من البيض فقال له عدهم فعدهم فاذا هم عشرون بيضة فأخذ منه ذلك البيض ودفعه للغلام ثم رسم لمن خلفه من المماليك بان يدفع لذلك الشيخ عشرين دينارا وقال له لو كان معك أكثر من ذلك لدفعت فى كل بيضة دينارا وقد اختلف فى عدد البيض الذى كان مع الشيخ قيل انه كان أكثر من عشرين بيضة فدفع له فى كل بيضة دينارا فعد ذلك من النوادر اللطيفة وكان الامير يشبك الدوادار فيه المحاسن والمساوى كما قيل فى المعنى

ترجو

ترجو وتخشى حالتيك الورى * كأنك الجنـــة والنـار

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم وصل الى رأس أمير عربك وكانت قد قطعت بالوجه القبلى فلما أحضرت الى القاهرة طيف بها ثم علقت على باب زويلة وفيه جاءت الاخبار بان الامير أحمد بن عمر الهوارى قد فر من الصعيد فلما قرر خلع السلطان على الامير يشبك الدوادار وقرره فى امرية هوارة عوضا عن الامير أحمد بن عمر فعد ذلك من النوادر وفيه توفى قانصوه قطز المحمدى الاينالى أحد العشراوات رؤس النوب ومات جانم الاصغر ابن السلطان وكان أحد العشراوات رؤس النوب وفيه وصل الحاج مع السلامة وحمدت سيرة تانى بك الجمالى أمير ركب المحمل وفيه توفى الامير دولات باى النجمى حاجب الحجاب بدمشق وكان من أعيان الاشرفية وفيه توفى الصاحب شرف الدين يحيى ابن صنيعة القبطى وكان رئيسا حشما لا بأس به تولى الوزارة عدة مرار وفيه نزل السلطان ومعه جماعة من الامراء فتوجهوا نحو العباسة والصالحية وكشف عن الجامع والسبيل والحوض التى أنشأها هنالك بالعباسة فأقام هنالك ثلاثة أيام ثم عاد الى القلعة وفى صفر توفى الطواشى جوهر النوروزى الحبشى مقدم المماليك ثم الزمام وكان دينا خيرا وأصله من خدام الخواجا شمس الدين بن المزلق ثم وهبه لابنته زوجة نوروز الحافظى فنسب اليه وفيه توفى شرف الدين موسى بن كاتب غريب وهو موسى بن يوسف القبطى وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وكان غير مشكور السيرة وعنده عسف وظلم فات والناس عنه غير راضين وفيه شرع الامير يشبك الدوادار فى أمر توسيع الطرقات والشوارع والازقة فأمر القاضى فتح الدين السوهاجى أحد نواب الشافعية بأن يحكم بهدم ما وضع فى الشوارع والاسواق بغير طريق شرعى من أبنية وربوع وحوانيت وسقايف ورواشن ومساطب ونحو ذلك واستمر الحال فى أمر الهدم حتى دخلت سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة فحصل بذلك بعض نفع فى توسعة الطرقات ولكن حصل غاية الضرر لجماعة من الناس بسبب هدم ربوعهم وحوانيتهم وهدم خوند شقرا ابنة الملك الناصر فرج ثلاثة ربوع فى المواز بين أحدها كان بجامع الصالح خارج باب زويلة فاضطربت أحوال القاهرة وكثر الهدم فى الاماكن ولا سيما المطلة على الشوارع وحصل للقاضى فتح الدين السوهاجى غاية المقت بين الناس بسبب حكمه بهدم الاماكن وفى هذه الواقعة يقول الشهاب المنصورى

تكشفت عن محيا مصر أستار * وخف عنها من الاثقال أوزار

واهتزت الارض منها بهجة وزنت * ولاح فيها انشاآت وأنوار

كانت كصبح تعالت فوقه ظلم * شمس تجلى لها بالنور أسفار

كانت كشمس تغشاها الغمام ضحى * ففرقتـه من الارياح اعصار

فاليوم أعطافها بالبشر مائسة * وقدتها في حلى السعد خطار
وكانت لطرقة شابت مفارقها * والشيب ان شان مافي أخذه عار
ومنها لما شكا الناس من مصر مضايقها * وحار فيها من الحكام أفكار
فما تلق أيجور القاطنين بها * الا الامير الذي بالعرف امار
فهو الهمام النظام المرتقى درجا * ت الفضل يشبك مولانا الدوادار
وهذا اختصار القصيدة المطولة وفيه تغير خاطر السلطان على برهان الدين النابلسي وكيل بيت مال المسلمين فقبض عليه وسلمه للامير يشبك الدوادار ليستخلص منه الاموال فاستمر الامير يشبك يعاقبه واستخلص منه جملة أموال لها صورة وآخر الامر مات تحت العقوبة أشر موتة وقد أذاقه أنواع العذاب وتفنن في عذابه تفننا زائدا قيل انه ضربه عدة مرار نحوا من ألفين وستمائة عصا وقلع أضراسه ودقها في رأسه وغير ذلك من أنواع العذاب وكان أصله من دمشق وهو ابراهيم بن ثابت وكان أحد نواب الشافعية وله اشتغال بالعلم لكنه أدخل نفسه في أمور السلطنة وطاش وظلم وجار عليهم ولم يفتكر في عقبى ذلك فأخذ من الجانب الذي أمن اليه بعد أن عادى جميع الناس من مصر والشام حتى الامراء وأعيان الناس وأعيان الدولة وشق لنفع غيره حتى سلب من المال والروح وفيه قدم قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم وعلى يده مكاتبة فأكرمه السلطان وعاد له الجواب وسافر بعد أيام وفي ربيع الاول خلع السلطان على الصاحب خشقدم الاحمدي وقرره في الخازندارية الكبرى والزمامية عوضا عن جوهر التوروزي فعظم أمره جدا وصار وزيرا وخازندارا وزماما وقرر منقال الساقي الظاهري رأس نوبة السقاة وكانت بيد خشقدم أيضا وفيه خلع السلطان على القاضي تاج الدين بن المقسي وقرره في الاستادارية عوضا عن الامير يشبك الدوادار وقد استعفى منها فصار ابن المقسي استادارا وناظر الخاص فعظم أمره جدا وكان ذلك نهايته وانتهاء سعده وفيه عمل السلطان المولد النبوي بالقلعة وكان يوما حافلا وحضر القضاة الاربعة وجميع الامراء فلما انقضى أمر المولد نزل السلطان من القلعة وقصد التوجه الى ثغر الاسكندرية فسافر من البر وجهز سنيحه في المراكب وسافر صحبته من الامراء الاتابكي ازبك أمير كبير ويشبك الدوادار وتمراز رأس نوبة النوب وأزدمر الطويل حاجب الحجاب وعدة من الامراء الطبلخانات والعشراوات والجم الغفير من الخاصكية والمماليك السلطانية وسافر معهم سائر المباشرين وكان القاضي كاتب السر ابن مزهر متوعكا في جسده فخرج وسافر مع السلطان وهو عليل وكان علم الدين شاكر بن الجيعان مريضا على غير استواء فتعلق بابنه عبد الغني فلما وصل السلطان الى مدينة الاسكندرية زينت له زينة حافلة وخرج الى لقائه الملك المؤيد أحمد بن الاشرف

اينال وهو بالشاش والقماش وكذلك قجماس الاسحاقى نائب ثغر الاسكندرية واصطف الناس فى شوارع المدينة بسبب الفرجة فدخل السلطان فى موكب حافل وجميع من معه من الامراء والعساكر ملبسين بآلة السلاح بالعدد الكاملة والاتابكى ازبك حامل القبة والطير على رأسه والملك المؤيد بين يديه قدام الامراء وقدامه أعيان المباشرين وأرباب الدولة وطلب طلبا حافلا وجرفيه مائتين وخمسين فرسا منها خمسون فرسا بالسروج الذهب والكنابيش والبقية ملبسة بانواع الخواغين المكفتة والبركستوانات من المخمل الملون وفى الطلب كاوش زركش وهى التى تعرف الآن بالجوشن ولعبوا قدامه بالغواشى الذهب والاوزان عمال والشبابة ومشت قدامه الامراء رؤس النوب بالعصى وشق المدينة فى ذلك الموكب الحافل وكان له يوم مشهود ثم ان بعض تجار الافرنج نثر على رأسه ألف بندقى ذهب فتزاحمت عليه المماليك يلتقطون ذلك الذهب من الارض فكاد السلطان أن يسقط عن ظهر فرسه من شدة ازدحام الناس عليه حتى أدركه الامير غرازو بيده عصا فضرب الناس حتى خلص السلطان ومشى واستمر فى ذلك حتى خرج الى باب البحر الذى هناك فنزل بالمخيم الذى نصب له على ساحل البحر الملح وكان من العادة القديمة أن السلطان اذا دخل الى مدينة الاسكندرية تقفل أبواب المدينة وتلقى على الارض الى أن يرحل السلطان عن المدينة فلم يوافق السلطان قايتباى على ذلك وأبقى كل شىء على حاله ولم يدخل الاسكندرية سلطان من عهد الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون وقد دخلها مرتين الاولى فى سنة سبع وستين وسبعمائة لما طرق الافرنج ثغر الاسكندرية فدخلها على جرائد الخيل والثانية كانت فى سنة احدى وسبعين وسبعمائة فاوكب بها فى هذه المرة وزينت له مدينة الاسكندرية وفرش له خليل بن عرام نائب الاسكندرية الشقق الحرير ونثر على رأسه خفائف الذهب والفضة ومشت بين يديه الامراء وكان له بها يوم مشهود وكان دخوله من باب رشيد فانه كان فى تروجه وتوجه من هناك الى الاسكندرية فاقام بها ثلاثة أيام وعاد الى القلعة ثم توجه بعده الى الاسكندرية الملك الناصر فرج بن برقوق فى سنة أربع عشرة وثمانمائة فلما دخلها كان له بها يوم مشهود فوقف له بعض تجار المغاربة بقصة يشكو له من ظلم القباض لهم فابطل ما كان يؤخذ منهم من الثلث الى العشر فارتفعت له الاصوات بالدعاء وعد ذلك من محاسن السلطان فرج ومن هنا نرجع الى اخبار الاشرف قايتباى فلما نزل بالمخيم مد له هناك قجماس نائب الاسكندرية مدة حافلة ثم خلع على الملك المؤيد ونائب الاسكندرية ورجعا الى دورهما وصحبتهما الامراء قاطبة فاقام هناك ثلاثة أيام ولعب الكرة فى الفضاء ولعب معه الملك المؤيد والامراء الذين توجهوا معه ودخل عليه من تجار الاسكندرية تقادم حافلة ثم انه توجه نحو المنار القديم

الذى كان بثغر الاسكندرية وهو رسم بان يبنى على أساسه القديم برجا فبنى به برجا عظيما وهو
الموجود الآن ثم ان السلطان رحل من الاسكندرية وتوجه الى نحو اذكو ودمنهور وغير
ذلك من البلاد الغربية وانشرح السلطان فى هذه السفرة الى الغاية واستمر يرحل من مكان
الى مكان على سبيل التنزه نحوا من أربعين يوما حتى عاد الى القلعة المنصورة ومن الحوادث
أنه جاء فى غيبة السلطان قاصد من عند قرابيا الطويل نائب حماه وأخبر أن نائب حماه ثار
عليه أهل البلد ورجموه وأخرجوه منها وقتلوا دواداره وأحرقوه بالنار بسبب ظلمه وعسفه فى
حق الرعية فلما بلغ السلطان هذا الخبر عين من هناك خاصكيا لكشف الاخبار ليرى
الظالم من المظلوم وفيه حضر قاصد من مكة المشرفة وأخبر بنزول صاعقة عظيمة عند باب
السلام فاحترق منها عدة أماكن وأخبر بوفاة قاضى القضاة المالكية بمكة المشرفة وهو محمد
أبو اليمن بن أبى السعادات وكان من أهل العلم والفضل وأخبر أيضا بوقوع فتنة مهولة بين
الشريف محمد بن الشريف بركات وبين قبيلة بنى جزارات وحصل بينهما ما لا خير فيه وآل
الامر الى أن الشريف محمد قد قبض على شيخ بنى جزارات وفى ربيع الآخر كان وفاء النيل
المبارك وقد وفى آخر يوم من أبيب وكسر فى أول يوم من مسرى فعد ذلك من النوادر وفيه
يقول القائل

أرى نيل مصر قد غدا يوم كسره * اذا رام جريا فى الخليج تقنطرا
ولكن بهذا الكسر زاد تجبرا * وأفرط هيما فى القرى وتجسرا

(وقال آخر)

ان بحر النيل قد وفى لنا * ما عليه من قديم قررا
وقضانا الدين الا أنه * حين وفى ما عليه انكسرا

وكان الوفاء فى غيبة السلطان فتوجه الامير لاجين أمير مجلس وفتح السد على العادة بأمر
تقدم من السلطان له وكان يوما مشهودا وفيه كانت وفاة القاضى علم الدين شاكر ابن
الجيعان بن عبد الغنى بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب بن يعقوب المسياطى الاصل
القبطى المصرى متولى ديوان الجيش وكان رئيسا حشما وجيها عند الملوك والسلاطين
وكان عنده تواضع زائد للناس قاطبة وله اشتغال بالعلم ومولده فى سنة سبعين وسبعمائة وهو
الذى أنشأ الجامع الذى بالقرب من بركة الرطلى وكان نادرة فى بنى الجيعان وفيه وصل
السلطان الى القاهرة وطلع الى القلعة وكانت مدة غيبته فى هذه السفرة نحو شهر وأيام
ودخل له تقادم حافلة فلما استقر بالقلعة خلع على الشرفى يحيى بن شاكر بن الجيعان وقرره
فى وظيفة والده ومولده سنة عشرين وثمانمائة وفى جمادى الاولى عرض السلطان جماعة
من أولاد الناس وقرر منهم من اختار فى وظائف مثل طبردارية وجدارية وغير ذلك وفيه

خلع السلطان على شمس الدين بن القوصونى وقرره فى رياسة الطب عوضا عن ابن العفيف
وكانت انتهت عمارة قاعات الازبكية التى أنشأها الاتابكى أزبك فعزم على السلطان هنالك
فنزل اليه وبات عنده فاضافه ضيافة حافلة ثم قدم له تقادم هائلة فشكره على ذلك ولم يقبل
منها شيأ فلما اصبح توجه هو والامير يشبك الدوادار الى جهة المطرية فاضافه هنالك الامير
يشبك فى القبة التى أنشأها هنالك فاقام عنده يوما وليلة وانشرح هنالك الى الغاية وشكر
عمارة الامير يشبك على عمارة الاتابكى ازبك ثم طلع الى القلعة وبعث اليه الامير يشبك
تقادم حافلة فقبل منها شيأ ورد منها شيأ وفيه انتهت زيادة النيل الى اصبع واحد
وعشرين ذراعا وثبت الى آخر بابة وقد كسر الجسور وقطع الطرقات وغرقت أراضى
المنية وكان نيلا عظيما وفيه خلع السلطان على قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة
وقرره فى مشيخة الخانقاه الشيخونية عوضا عن الشيخ سيف الدين الحنفى بحكم وفاته
رحمه الله تعالى وكان ابن الشحنة منفصلا عن القضاء وفيه فى أثنائه خرج السلطان على
حين غفلة من العسكر وتوجه الى الصالحية ثم بعد أيام أشيع بان السلطان توجه من
هنالك الى البلاد الشامية فتعجب الناس من ذلك وكان فى نفر يسير من العسكر
بحيث انه كان معه من المماليك نحو من أربعين مملوكا من خواصه وكان معه بعض أمراء
عشراوات وتانى قر الدوادار الثانى وآخرون من الامراء وكان معه من المباشرين القاضى
كاتب السر أبو بكر بن مزهر وأبو البقاء بن الجيعان وشهاب الدين بن التاج الموقع وبرهان
الدين بن الكركى الامام وغير ذلك مما لا يحضرنى أسماؤهم وترك بالقاهرة الخليفة المستنجد
بالله والقضاة الاربعة والاتابكى أزبك ويشبك الدوادار وسائر امراء المقدمين
والطبلخانات والعشراوات وجميع العسكر قاطبة لم يتبعه أحد منهم فصار الناس فى شك
من سفره على هذا الوجه ولم يتفق لاحد من السلاطين مثل هذه الواقعة وفى جمادى الآخرة
ورد هجان من عند السلطان وعلى يده مراسيم الى الامراء الذين بالقاهرة فكان من
مضمونها ان السلطان توجه الى نحو البلاد الشامية ليكشف عن أمر النواب والقلاع
بنفسه وأرسل يقول للامراء بأن يتوصوا بالرعية والحذر من الاحوال وأن يحضروا الحاكمية
مادام السلطان غائبا وكان المشار اليه فى غيبة السلطان الامير أزبك وقد عظم أمره
جدا والتف العسكر عليه دون الامراء وفيه فى غيبة السلطان توفى القاضى نور الدين
ابن الانبابى نائب كاتب السر وكان رئيسا حشما عارفا بأحوال المملكة وكان انسانا
حسنا لا بأس به رحمه الله تعالى وفى رجب توجه القضاة الاربعة الى بيت الاتابكى أزبك
والامير يشبك الدوادار وهنوهما بالشهر وفيه خرج الاتابكى أزبك الى السرحة فغاب
أياما وعاد الى القاهرة ومن جملة ألطاف الله تعالى أن فى غيبة السلطان لم يقع اختلاف بين

الامراء ميل كان الامان والاطمئنان فى القاهرة وجميع ضواحيها حتى عد ذلك من النوادر
وفى شعبان وصل هجان من عند السلطان وأخبر بأن السلطان دخل الى حلب وأقام بها
وهو قاصد الى جهة الفرات وقد عرج قبل دخوله الى حلب نحو طرابلس ثم حضر هجان ثان
وعلى يده مراسيم للامراء بالسلام ومكاتبة للاتابكى أزبك بأنه يتوجه الى المطعم بالريدانية
ويلبس الامراء هناك الصوف وأن يصرف الكسوة للجند فخرج الاتابكى أزبك الى المطعم
وصحبته الامراء قاطبة والعسكر وكان له يوم مشهود فألبس الامراء هناك الصوف
كعادة السلاطين وخلع فى ذلك اليوم على الامير جانى بك الفقيه أمير سلاح وقرره
فى امرية الحاج بركب المحمل وقرر اقبردى الاشرفى بالركب الاول وفيه جاءت الاخبار
بوفاة الشهابى أحمد بن أبى الفرج نقيب الجيش وهو أحمد بن محمد بن عبد الغنى توفى بحلب
وكان خرج صحبة السلطان فمات هناك وقيل انه حصل له رجفة من السلطان فانطرب
ومات عقيب ذلك وكان شابا قليل الاذى للناس لا بأس به وفى رمضان وقع بالقاهرة بعض
اضطراب وسبب ذلك مضى الثلاثين من شعبان ولم ير الهلال فأكل غالب الناس فى أول
رمضان فنادى القاضى الشافعى بالامساك فثار عليه العوام وقصدوا الاخراق به فثبت
رمضان برؤية الهلال قريب الظهر ولكن أفطر غالب الناس فى ذلك اليوم وفيه وقع بين
تنم الضبع أخو تبك الجمالى وبين القاضى أبى الفتح السوهاجى تشاجر بسبب هدم مكان
فسب الامير تنم الضبع القاضى السوهاجى فشكاه الى الامير يشبك فطلب تنم فلما حضر
أمر بضربه بين يديه فضرب ولم يوقره لاخيه تبك الجمالى فحصل بسبب ذلك بعض قلقلة
بين الامراء وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن السلطان لما توجه الى الفرات أقام هناك
أياما ثم عاد الى حلب ورحل عنها وقصد التوجه الى حماه فلما دخلها وأقام بها حصل له هناك
مرض فى جسده فلما ثقل فى المرض وعجز عن الحركة أحضر واله محفة فحمل بها وتوجه الى
دمشق فدخلها وهو مريض على غير استواء فكثر القال والقيل بين الناس وصار فى كل يوم
يشاع بالقاهرة خبر جديد بأن السلطان مات ودفن هناك فاضطربت أحوال الامراء
فى بعضهم وأظهر كل واحد منهم ما فى نفسه من السلطنة وأرجفت القاهرة بموت السلطان
غير ما مرة ونقل للامير يشبك الدوادار بأن برديك جيش أحد الامراء الاخورية
وكان من أخصاء جانبك الفقيه أمير سلاح قد مشى بين طائفة المماليك الخشقدمية بأن
يكونوا من عصبة جانبك الفقيه واذا صح موت السلطان يقومون معه ويسلطنونه وكان
جانى بك الفقيه تحدثه نفسه بالسلطنة ويقرب الفلكية والمنجمين وحظى عنده جماعة
بسبب ذلك ثم ان الامير يشبك أرسل خلف برديك جيش وذكر له ما نقل عنه فأنكر ذلك
وحلف أيمانا عظيمة انه لم يصدر منه شئ من ذلك فقامت عليه البينة وكذبوه فى وجهه

فسكت ولم ينطق بحرف واحد فعند ذلك أمر الامير يشبك بضربه فضرب بين يديه ضربا
مبرحا حتى أشرف منه على الهلاك ثم أقامه وأحضر له عمامة يهودى صفراء وألبسها له
وقصد يشهره بالقاهرة فشفع فيه بعض الامراء فاركبه على حمار وجرسه بين يديه فى الدوار ثم
شكه فى الحديد وأمر بنفيه الى الواح وكل ذلك يجرى والسلطان غائب لم يعلم له خبر وكانت
هذه الواقعة سببا لنفى جانى بك الفقيه أمير سلاح كما سيأتى الكلام على ذلك وفيه ختم
البخارى بالجامع الازهر وحضر به القضاة الاربعة وفرقت هناك الخلع والصرر على الفقهاء
والعلماء وكانت قراءة البخارى من أول رمضان فى الجامع الازهر وعند الدعاء يدعون للسلطان
بالسلامة فبينما القاهرة فى اضطراب واذا بخاصكى حضر من عند السلطان يقال له برديك
سكر وعلى يده مكاتبات للخليفة والقضاة الاربعة والاتابكى أزبك والامراء قاطبة
فكان من مضمونها أن السلطان كان قد حصل له توعك فى جسده وقد بعث الله تعالى له
بالعافية والشفاء وحصل له البرء فضربت البشائر بالقلعة ودخل على برديك سكر عدة كوامل
بسمور من الامراء والخليفة وقضاة القضاة وأرباب الدولة ودقت له البشائر على أبواب
الامراء ونودى فى القاهرة بالزينة سبعة أيام فزينت وأظهرت الناس الفرح والسرور
بعافيته وسكن الاضطراب الذى كان بالقاهرة وبطل القيل والقال الذى كان بين الامراء
وفى ذلك يقول الشهاب المنصورى

بعافية السلطان مولى الانام قد * تهلل وجه الدهر فهو جميل
وقد صحت الدنيا لصحة جسمه * وليس بها غير النسيم عليل

وكان الامير يشبك الدوادار من حين توجه السلطان للسفر وهو مجتهد فى توسيع الطرقات
واصلاح وجوه أبواب الجوامع والمساجد وجلى رخامها وبيض حيطانها وكشف عن
أبواب جامع الملك الصالح وظهر منه عواميد رخام فجلاها وأمر بتبييض الدكاكين ووجوه
الربوع التى تطل على الشوارع وخلع على شخص من أبناء الناس وجعله شاد الطرقات
فصار يستحث الناس فى سرعة البياض والدهان حتى صارت القاهرة كأنها
استجدت فى بنائها وتزخرفها وصارت مثل العروس التى تجلى ثم ان الامير يشبك أمر بقلع
عتبة باب زويلة وأعلى العتبة وأصلحها فان الارض كانت علت على العتبة فقطع الارض
ومهد قدام الباب واستمر باب زويلة مغلقا أياما حتى انتهى العمل منها فعد ذلك من النوادر
وفيه حضر هجان من عند السلطان وأخبر أن السلطان خرج من الشام بعد ما جلس
بالقصر الذى بالميدان وحكم بين الناس وارتفعت الاصوات له بالدعاء وخلعت الامراء على
الهجان ثم حضر عقيب ذلك هجان ثان وأخبر بأن السلطان خرج من غزة وهو قاصد
الديار المصرية فشرعت الامراء فى الخروج الى ملاقاة السلطان ثم جاءت الاخبار بأن
السلطان وصل الى قطيا وفى شوال جاءت الاخبار بأن السلطان قد وصل الى الصالحية

وصلى بها صلاة العيد وهو عيد الفطر فعند ذلك خرج الاتابكي أزبك والامير يشبك
الدوادار وبقية الامراء قاطبة الى ملاقاة السلطان ثم وصل الى الخانقاه فخرج اليه
القضاة والعسكر بأجمعهم ونودي في القاهرة بالزينة فزينت زينة حافلة فلما كان يوم
الخميس رابع شوال دخل السلطان الى القاهرة في موكب حافل وقدامه القضاة
الاربعة والامراء والعسكر على ما جرت العادة في المواكب وكان له موكب عظيم ويوم
مشهود الى أن طلع الى القلعة فعملت له شموع تناسب الملوك الى أن دخل الى الحوش
فدقت الاسمطة الى الغاية ثم انعمت فخلع على من كان مسافرا صحبته ولما وصل السلطان الى
الفرات قدم عليه شخص من أولاد حسن الطويل وهو ابن محمد اغرلو بن حسن الطويل
وكان شابا جميل الصورة وله من العمر نحو من ثمانى عشرة سنة فخافت عليه أمه أن يقتله
أعمامه فجاءت به الى السلطان فحضر به الى القاهرة وحظى عنده وكان عند حضوره
من القاهرة قدامه سائرا كالملوك والامراء واستمر بمصر حتى مات كما سيأتي الكلام
عليه وكان اسمه حسين بك وقيل ميرزا وهو المشهور عند الناس ولما رجع السلطان من
هذه السفرة عظم أمره جدا وكان انتهاء سفره الى الفرات وكشف على عدة قلاع بنفسه
ودخل الشام وحلب وطرابلس وحماه وغير ذلك من البلاد الشامية ودخل عليه من النواب
وأعيان الناس جملة تقادم وأموال لها صورة وعدت هذه السفرة من النوادر الغريبة وكانت
مدة غيبة السلطان في سفرته نحوا من أربعة أشهر وفي هذه الواقعة يقول الشيخ محمد بن
الزيتوني هذه القطعة الزجل وهي من محاسن هذا الفن كلها غرر وجناس تام وهي هذه

سلطاننا الاشرف خرج في أربعين * من العساكر حين سافر حماه
ومن حلب عدى يروم الفرات * فاستق الخيول من مامور به جاه
في مصر فرسان أربعين بالعدد * لنوبة المحمل يسوقوا الجياد
ودعبهم ساكن قلوب الملوك * يردوا الخارج وأهل العناد
في ذا العدد راح الملك والنصر * بهم على سائر ملوك البلاد
وخوسوار لاه وفي صحبته * ولد حسن بك باخدم ما أباه
وخلع عليه اضمى وخلع على * ولد حسن خلعه وشتت أباه
كامل مظفر بالعدا لم يزل * يجري دماهم في الفيافي نهر
خرج لتمشي العباد في البلاد * فكم شكر عادل وظالم نهر
امامنا الاعظم مليك الزمان   بالعدل في هذا الوجود اشتهر
كشف عن اسراب فرخانو جار ، أنكر عليه معاه وبالعزل جاه
ومن رآه عدل وعمل حسن   خلع عليه واعطاه منازل وجاه
هذا الملك صالح وبر وظهر ، لاشك انو قطب في الدائره

لما خرج فى الاربعين خلتهم * بدر البدر حولو نجوم زاهره
لمنازل كل حد منزله * شئ للرصد شأنه وشئ سامره
كشف بلاده واعتبر أهلها * واحد رفع قدره وآخر حماه
وطلعتو فاقت شموس الضحى * وأخفت البدر المنير فى سماه
لما دخل الشام وكان قد ضعف * من الهوا والشرب من ماء العيون
وربنا عافاه وجابو لنا * سالم وقرت به جميع العيون
عادل وربه بالظفر ايده * عجب لسلطان حاز جميع الفنون
ومهد الدنيا بعدلو وان * راد يتنى عزموا الشديد ماثناه
وفاز بتاريخ ماقرح به ملك * قبلو وبالقصد ده و يبض ثناه
أهل الفضائل والعلوم ورخو * وكل واحد فى الكتابه ذهب
يكتب تواريخ الملوك بالمداد * الالقاب تباى كتب بالذهب
هو فارس الاسلام وليث الوغا * وفهلوان الحرب مثل العجب
وخالقه علا مقامه الشريف * على الملوك والشاه ومن ماراه
وكل ذا فى اللوح قديم فى الازل * خطو القلم جل الذى قدراه
تاريخ سنة اثنين جمادى الاخير * يلى ثمانين مع ثمان من مئين
من هجرة الهادى عليه السلام * خير النبيين سيد المرسلين
تجهز السلطان يريد السفر * واخفى عن العسكر خرج فى أربعين
وفرليت المال خزائن ذهب * ماتحصر والقلا منامع دواه
وربح العسكر وكم من ضعيف * كان الضعف فى بلاده دواه
لاجل الدوادار الكبير قد برز * أمره بتوسع الطريق المضيق
وكشف ابواب المساجد وما * بين المدارس كان على غير طريق
وصل الابواب وشئ بيضه * واخلع على واحد مشد الطريق
و وكله بالقاهره كل يوم * يبقى يدور راكب وفى ايده عصاه
فيأمر الناس بالبياض والدهان * طاع الجميع أمره وماواحد عصاه
صارت مدينتنا عروس للملك * وذا عجب كيف العريس هو الولى
ونقشوها بالدهان فى البياض * واضحت عروسه بالطراز تنجلى
ومست الدات ثم سار الفرح * وزينوها بالحلل والحلى
وبان لها ستان عواميد رخام * ج هم الصنع ونم جلاه
ودقت الكرسات مهار السخون * وكن دشرا فى المراكب جدده
وقبل ذا صلو على المصطفى * خير شعلان واعمواب السلام

بكل مرة من صلاتك عليه * جزاك عشر بالصلاة باكرام
وباك شفاعة يدخلك جنته * من بابها الاول لدار السلام
هو أول الرسل الكرام في الوجود * وهو لهم خاتم وما احد تلاه
وأنزل القرآن عليه العزيز * على لسان جبريل مفرق تلاه
في ليلة المعراج بغير الانام * ساقوا حديث مسند صحيح السياق
نزل عليه جبريل وقال له الاله * يدعوك الى الحضرة على ذا البراق
ركب عليه حتى صعد للسما * وصار الى السبع العوالى الطباق
بجنة المأوى رقى وارتقى * وزج به في النور وزاد في شفاه
وافترض عليه الخمس كان أصلها * خمسين وفيها خطابه شفاه
هذا المعانى والبديع والجناس * من نظم من يتوفى لقصده نحول
أبو الصفا العوفى نظم في الملك * من حين خروجه في السفر للدخول
فأن تجد عيبا فسدا الخلل * اذا سمعته في نظامه يقول
سلطاننا الاشرف خرج في أربعين * من العساكر حين سافر حماه
ومن طلب عدى يروم الفرات * فاسقى الخيول من ماء وربه حماه

وفيه في ثامن عشرينه خرج الحاج وكان أمير ركب المحمل الامير جانى بك الفقيه أمير سلاح وبالاول اقبردى الاشرفي فلما خرج جانى بك الفقيه رسم السلطان بهدم سبيله الذى قد أنشأه بالرملة فأخذ الناس يلهجون بأنه لا يعود الى القاهرة وكذا جرى وفي ذى القعدة قدم قجماس الاسحاقي نائب الاسكندرية وأقام بالقاهرة بباب السلسلة وكان قد جمع بين نيابة الاسكندرية وبين امرية الاخورية الكبرى وفيه نزل السلطان وتوجه الى بر الجيزة وكشف عن جسوره وأقام هناك أياما ثم توجه الى جهة منوف العلا وكشف عن جسورها وأمر باصلاحها وأقام هناك أياما وعاد الى الجيزة ثم سافر من هناك الى الفيوم وكان معه في هذه المرة الاتابكي أزبك وقرار التمشي رأس نوبة كبير وكان معه من الامراء العشراوات ومن الخاصكية عدة وافرة فلما نزل الى الفيوم تلقاه خاير بك وكان مقيما بالفيوم فخلع عليه سلطانا خرة وأقام هناك أياما وهو في أرغد عيش على سبيل التنزه فبينما هو على ذلك اذ ورد عليه من جهة الصعيد بأن عرب هوارة ثاروا مع يونس بن عمر على برسباى كاشف الوجه القبلي [illegible] ووقع بينهم مقتلة قتل فيها جماعة كثيرة من الجند والبلاصية فتنكد [illegible] عنهم الامراء من ذلك وكـ [illegible] وعادوا بالقاهرة [illegible] في سرعة السير [illegible] استقر بالقاهرة قدم على بركات بن يحيى بن [illegible] كان [illegible] على نور الدين [illegible] بجكم

وفاته

وفاته وهذا أول صحامة الزيني بركات بن الجيعان وفيه توفي الناصري محمد بن قرقماس الحنفي وكان عالماً فاضلاً من أعيان الحنفية وكان يدعي معرفة علم الحرف وعلم الكيميا وكان ولي مشيخة تربة الظاهر خشقدم ومولده سنة اثنتين وثمانمائة وكان ناظماً ناثراً وله عدة مصنفات منها كتاب زهر الربيع في شواهد البديع وغير ذلك من التأليف وله معارضة مقامات الحريري وكان يدعي دعاوى عريضة ومن نظمه

اذا منّ من تهوى عليك بنظرة * أماط الجوى من قلبك البأس والبلوى

فكن شاكراً صابراً لمرّ صدوده * فما ذاق مرّ الوصل من هم بالسلوى

(وقوله في مليح من ركاب الخيل وأجاد)

وظبي من العرب الكرام سألته * لمن في الورى تعزى فقال مؤنبي

أنا ابن الذي تمشي الملوك أمامه * اذا ما رأوه راكباً يوم موكب

وفيه خرج الامير يشبك الدوادار الى جهة الصعيد بسبب تلك الفتنة التي وقعت بين يونس ابن عمر وبين داود بن عمر قريبه وأخذ معه جماعة كثيرة من الجند وفيه توفي حسن بن محمد ابن أيوب الكردي نائب القدس ونائب الكرك وكان رئيساً حشماً لا بأس به وكان قد شاخ وناف على الثمانين سنة وتوفي القاضي شهاب الدين أحمد الطولوني الحنفي أحد نواب الحكم وكان مفرطاً في السمن جداً بحيث لم يكن في عصره أسمن منه ومما وقع له أن جماعة من الفلاحين تحاكموا عنده على دين فأنكر الذي عليه الدين فألزمه القاضي باليمين فلما أراد أن يحلف قال له الخصم ان كنت ما أخذت مني شيئاً تبقى في سمن هذا القاضي فاعترف خصمه بالدين ولم ينكره

❁ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة فيها في المحرم خلع السلطان على العلائي علي بن الصابوني وقرره في وكالة بيت المال عوضاً عن النابلسي وقرر في قضاء الشافعية بحلب عز الدين الخشفاوي وصرف عنها أبو البقاء ابن الشحنة وفيه جاءت الاخبار بأن السلطان قبض على جاني بك الفقيه أمير سلاح الذي توجه أمير ركب المحمل فقبض عليه من العقبة وأرسله من هناك الى القدس بطالاً ونفي أيضاً قايتباي المشقدمي الى جهة حلب ونفي أيضاً يشبك جنب الظاهري بجقمق الى جهة دمشق لكونهما كانا من أصحاب جاني بك الفقيه وفيه دخل الحاج الى القاهرة وقد قاسى في السنة المذكورة شدائد عظيمة من الغلاء وموت الجمال وانقطع جماعة من الحاج من رجال ونساء وقتل في السنة المذكورة قاضي المدينة المشرفة وخطيبها وقتله بعض الرفضة وسبب ذلك أن الخواجا شمس الدين بن الزمن ابتدأ بعمارة مدرسة السلطان فأخذ مكاناً كان يسكنه هذا الرافضي فأدخله في بناء المدرسة فتعصب القاضي على الرافضي في هدم مكانه وكان ذلك سبباً لقتله أقول وأنا حجيت تلك السنة وشاهدت الواقعة ونفي جاني بك الفقيه من العقبة وفيه خلع السلطان على جام قريبه

وقرره فى نظر الجوالى وهو جانم الشريفى وهذا أوّل اظهار جانم الشريفى فى الوظائف فأقام فى نظر الجوالى مدة يسيرة ثم أنعم عليه بتقدمة ألف وهى تقدمة جانى بك الفقيه أمير سلاح فعظم أمر جانم جدا وكان أمرد لم يلتح وفى صفر خلع السلطان على شاد بك الصغير وقرره فى نيابة سيس عوضا عن أزدمر قريب السلطان وقدم أزدمر الى القاهرة وفيه كان عقد جانم الشريفى قريب السلطان على خوندا بنت العلائى على بن خاص بك وكان بجامع القلعة وحضر القضاة الاربعة وأرباب الدولة وكان عقدا حافلا وخلع فيه على قاضى القضاة ولى الدين الاسيوطى لكونه تولى العقد وخلع على كاتب السر ابن مزهر لكونه كان وكيلا عن جانم وفى ربيع الاوّل عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه عين السلطان وردبش الظاهرى بأن يخرج الى الجون بسبب احضار الاخشاب وعين معه جماعة من الجند وأمرهم بأن يدخلوا الى قبرس ويطالبوا أصحابها بالجزية ويتوجهوا من هناك الى الجون لاحضار الاخشاب وفيه وقف الشهابى أحمد بن اسنبغا الطيار الى السلطان بقصة يشكو فيها قانصوه خمسمائة بسبب المكان الذى أنشأه بقناطر السباع تجاه بيت ابن اسنبغا الطيار وذكر فى القصة ان قانصوه خمسمائة قد جار عليه وفتح من عنده بابا بغير طريق شرعى وقطع من عنده عدة أشجار وقد أضر ذلك بحاله فلما سمع السلطان ذلك وبخ قانصوه خمسمائة بالكلام وأمره بان يسد الباب الذى فتحه ويرضيه فى قيمة الاشجار التى قطعها من عنده وأنصف السلطان ابن اسنبغا الطيار على قانصوه وهذه من النوادر لكونه أنصف ابن اسنبغا على قانصوه مع خصوصيته بالسلطان ولكن كان قانصوه متعديا على ابن اسنبغا الطيار وفى ربيع الآخر خلع السلطان على قيماس الاسحاقى أمير اخور كبير وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وخلع على فارس الركنى وقرره بامرية الركب الاوّل واستعفى فارس من ذلك فأعفاه السلطان وقرر عوضه أقبردى الاشقر على عادته وقيل ان فارسا استعفى بمال عن امرية الحاج وفيه جاءت الاخبار بان يشبك الدوادار قبض على يونس بن عمر الهوارى وقد تبعه الى بلاد التروجة وجرى معه أمور يطول شرحها وآخر الامر قبض عليه وقطع رأسه وقبض على أخيه أحمد وعلى جماعة من أقاربه وانتصر على بنى عمر نصرة عظيمة وبعث رأس ابن عمر يونس الى القاهرة فطيف بها وعلقت على باب زويلة أياما وكان يونس هذا من خيار بنى عمر وهو يونس بن اسماعيل بن يوسف أمير عربان هوارة وكان مشهورا بالشجاعة وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد وفى فى رابع مسرى فنزل الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة ومن الحوادث الغريبة أن فى ليلة الوفاء انقطع جسر [illegible] حتى [illegible] البلاد التى تحته غاية الضرر وغرق [illegible] الكبيرة [illegible] ووقف [illegible] رأس [illegible] صبحا [illegible] فى ثانى يوم من

كبيره

كسره زاد ستة عشر اصبعا وأكمل الذراع السابع عشر في يومين حتى تعجب الناس من ذلك وقد قال القائل

أرى النيل قدوا فى وزادو لم يزل * يجود على أهل القرى بالمكارم
أفاض عليها المسلمين بسط راحة * أصابعها فاقت أيادى حاتم

وفى جمادى الاولى جاءت الاخبار من حلب بان سيف بن نصير الغاوى وقرابته قد خرجا عن الطاعة وأن نائب حماه تقاتل مع الغاوى فكسر نائب حماه وقتل من عسكره مالا يحصى ثم خرج اليه نائب حلب وأوقع معه فقرمنه فتبعه وقد اضطربت أحوال حماه بسبب ذلك وفيه ثارت فتنة كبيرة بالقلعة بين المماليك الجلبان حتى تقارعوا بالسيوف فخنق منهم السلطان ورمى النمجاه والترس من يده ونزل من القلعة وتوجه الى نحو شلتوف فلما تحقق الجلبان ذلك أخذوا فى أسباب تلافى خاطره وسكن أمر الفتنة التى كانت بينهم ثم توجه الاتابكى أزبك وكاتب السر الى السلطان وتلافوا خاطره وتلطفوا به فى عوده الى القلعة فلازالوا به حتى عاد الى القلعة بعد جهد عظيم وفيه وصل الامير يشبك الدوادار من جهة الصعيد وحضر صحبته جماعة من بنى عم يونس وأقاربه وهم فى الحديد وأحضر الامير أحمد بن عمر الهوارى أخا يونس الذى قطعت رأسه فلما تمثل بين يدى السلطان خلع السلطان على الامير يشبك خلعة حافلة ونزل الى داره ومعه أحمد بن عمر فى الحديد وفى جمادى الآخرة عرض أحمد بن عمر على السلطان فرسم بتسليمه الى الوالى هو ومن معه وكانوا سبعة أنفار فاركبوهم على جمال ونزلوا بهم الى باب زويلة فكلبوا الجميع وعلقوهم بباب زويلة ووسطوا منهم جماعة وكان لهم يوم مشهود وتأسف عليهم الكثير من الناس فانهم كانوا خيار بنى عمرو ولكن كان للامير يشبك عليهم ثار قديم فاقتص منهم كما قيل الموت فى طلب الثار ولا الحياة فى العار وفيه نزل السلطان الى قبة يشبك التى بالمطرية فاضافه هناك كاتب السر ابن مزهر ضيافة حافلة وبات هناك ثم طلع الى القلعة وفى شهر رجب خلع السلطان على الشريف سبع وقرره فى امرية الينبع عوضا عن صقر بحكم القبض عليه وفيه خلع السلطان على يوسف بن أبى الفتح المنوفى نائب جدة وقرره فى كتابة المماليك عوضا عن عبد الكريم بن جلود بحكم وفاته وكان منصب شاغرا بغير تقرير وفيه جاءت الاخبار بوفاة جانى بك الفقيه الذى كان أمير سلاح ونفى من العقبة الى القدس فمات هناك وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وكان يعرف بجانى بك بن ططخ وكان انسانا حسنا وكان له اشتغال بالعلم وتولى عدة وظائف سنية منها أمير اخور ثانى ثم بقى أمير اخور كبير ثم بقى أمير سلاح ثم نفى الى القدس ومات به بطالا وفيه توفى دولات جام الاشرفى وكان يعرف بدولات باى بن تنبرى بردى ومات وهو نائب الاسكندرية وكان لا بأس به

وفيه عزل تاج الدين بن المقسى من الاستادارية وأعيد اليها الامير يشبك الدوادار وأقام ابن المقسى فى الترسيم على مال يورده وكان ذلك آخر سعده وفى شعبان خلع على بدر الدين بن محمد ابن الكويز وقرر فى نظر الخاص عوضا عن تاج الدين بن المقسى بحكم انفصاله عنها وفيه خلع السلطان على محمد بن عجلان وأعاده الى مشيخة العرب بالشرقية وكان له نحو من عشر سنين وهو فى البرج بالقلعة وفيه خلع السلطان على أقباى الطويل وقرره فى كشف الشرقية واقباى هذا هو الذى ولى نيابة غزة فيما بعد وفيه توفى دولات باى سكسكات الاشرفى برسباى وقد بعماه وكان أتابك العساكر بها وكان من أعيان الاشرفية ولا بأس به وفيه جاءت الاخبار بموت حسن الطويل ملك العراقين وأن ولده خليل تولى على العراقين بعده وقيل ان موته كان فى رجب وكان ملكا جليلا عاقلا سيوسا كثير الحيل والخداع اقتلع ملك العراقين من أخيه جهان كير بحيل غريبة وقتل عمه الشيخ حسن وانقرضت دولة بنى أيوب على يده ثم قوى على جهان شاه وحاربه حتى كسره وقتله وشتت أولاده وملك تبريز والعراقين وبلغ مبلغا لم يصل اليه أحد من أجداده ولا من أقاربه وقد تحرش بابن عثمان ملك الروم بأن يأخذ من ملكه شيأ فما قدر عليه ثم تحرش بسلطان مصر وجرى له مع الاشرف قايتباى أمور يطول شرحها وكان الاشرف قايتباى يخشى من سطوته فلما مات عد ذلك من جملة سعد الاشرف قايتباى وقد قيل فى المعنى

أيا ملكا صار من سعده ✱ بموت الاعادى حقيقا يفوزا
لقد أهلك الله عنك العداه ✱ وينصرك الله نصرا عزيزا

وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو القرين ثم الى الخطارة وكشف عن الجامع والسبيل الذى أنشأهما هناك والحوض الذى أنشأه هناك على الدرب السلطانى وكان المشد على العمارة الامير يشبك الجمالى فجاءت هذه العمارة فى غاية النفع وفى رمضان خلع السلطان على اينال الاشرفى علوك السلطان وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن دولات باى حمام وفيه كان ختم البخارى بالقلعة على العادة وكان ختما حفلا وفى شوال فى يوم عيد الفطر خلع السلطان على الامير يشبك بن مهدى الدوادار وكاشف التراب ومدبر المملكة وغير ذلك فصار رأس مجلس الميسرة وهو بالقصر ويقف فى الحوش ولم تجتمع هذه الوظائف فى أحد من الامراء قبله وفيه توفى شمس الدين العاقل أحد الموقعين والشهود العدول ولا بأس به وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير الركب بالمحمل قجماس أمير اخور كبير وأمير ركب الاول اقبردى الاشرفى وحج فى السنة المذكورة الشيخ صلاح الدين الطرابلسى الحنفى وفى ذى القعدة قصد قانصوه الالفى ان يسافر الى بلاد جركس وكان قد حصل له رمد فى أذنه وعينيه فتوجه هناك للمداوى وكان يومئذ خاصكيا

فغاب هناك مدة طويلة ثم عاد الى القاهرة وفيه توفى أبو يزيد بن طراباى الاشرفى رأس نوبة الجدارية وهو والد الناصري محمد بن أبي يزيد وكان لا بأس به وفى ذى الحجة نزل السلطان من القلعة وعدى الى بر الجيزة وكشف عن القناطر التى أمر بانشائها على يد الاتابكى أزبك وكان الوقت محتاجا الاصلاح تلك القناطر وكانت قد تهدمت فصرف عليها جملة مال حتى جددها وهى باقية الى الآن وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة نائبها جانى بك قلقسيز وكان أميرا جليلا رئيسا حشما وأصله من مماليك الاشرف برسباى وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية وولى عدة وظائف سنية منها حوبية الحجاب الكبرى وامرية مجلس وامرية سلاح ثم ولى الاتابكية بمصر وترشح أمره للسلطنة غير ما مرة ثم أسر عند سوار ثم أطلق وأعيد الى امرية سلاح ثم ولى نيابة الشام ومات بها وكان كفؤا للمناصب والمهمات وغير ذلك وفيه أرسل السلطان الخواجا محمد بن محفوظ المغربى الى ملك الثليان الافرنجى وأرسل له على يده هدية حافلة فسار اليه وفى عقيب ذلك أرسل صاحب قبرس ما عليه من الجزية المقررة وقصد السلطان أن يجهز له تجريدة فلما أرسل ما عليه سكن الامر وفيه توفيت خوند فاطمة بنت المؤيد احمد ابن الاشرف اينال وهى زوجة الامير يشبك الدوادار وأم ولده منصور وكانت شابة جميلة وفيها الخير فحزن عليها الناس وفيه توفى شاهين الظاهرى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم توجه الامير يشبك الدوادار الى ثغر دمياط وكان السلطان قد جعله متحدثا عليها فلما توجه هناك أنشأ على فم البحر الملح عند برج الملك الظاهر بيبرس البندقدارى سلسلة من حديد زنتها نحو من مائتين وخمسين قنطارا وكانت هذه السلسلة قديما هناك ثم بطل أمرها فجددها الامير يشبك الدوادار فى السنة المذكورة وحصل بها النفع لطرد المراكب التى للفرنج وفيه وصل الحاج الى القاهرة وحمدت سيرة الامير قيماس أمير المحمل وفيه فى يوم السبت رابع عشريه كانت وفاة أمير المؤمنين ابى المحاسن يوسف رحمه الله تعالى المستنجد بالله العباسى ابن محمد المتوكل على الله ابن المعتضد بالله أبى بكر بن المستكفى بالله سليمان ابن الامام أحمد الحاكم بأمر الله العباسى الهاشمى وكان الثالث عشر من خلفاء بنى العباس بمصر تولى الخلافة بعد أخيه حمزة ودام فى الخلافة نحوا من خمس وعشرين سنة وأشهر وكان رئيسا حشما وعنده لين جانب مع تواضع زائد ورأى فى خلافته العز وقلد فيها خمسة من السلاطين وهم المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال والظاهر خشقدم والظاهر بلباى والظاهر تمربغا والاشرف قايتباى ومات وله من العمر زيادة على الثمانين سنة ومولده بعد التسعين والسبعمائة ولما مات دفن عند أقاربه بجوار مشهد السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وهو أول خليفة سكن بالقلعة ودام

بها حتى مات ومات عن غير ولد ذكر بل خلف بنتا تسمى ست الخلفاء فعهد بالخلافة بعده لابن أخيه العزى عبد العزيز

ذكر خلافة المتوكل على الله أبى العز عبد العزيز بن يعقوب ابن محمد المتوكل على الله ابن المعتضد بالله أبى بكر بن المستكفى بالله سليمان ابن الامام الحاكم بأمر الله أحمد العباسى الهاشمى

وهو الرابع عشر من خلفاء بنى العباس بمصر بويع بالخلافة بعد موت عمه الجمالى يوسف بعهد منه وكانت ولايته فى يوم الاثنين سادس عشرى المحرم من السنة المذكورة فطلبه السلطان فحين حضر حضر القضاة الاربعة وأرباب الدولة وكان يومئذ عمه موسى موجودا ولكنه كان غير صالح للخلافة فلم يكن فى بنى العباس يومئذ أمثل من العزى عبد العزيز فوقع الاتفاق من السلطان والامراء على ولايته فتولى الخلافة فى ذلك اليوم (أقول) ولم يل الخلافة من اسمه عبد العزيز سواه ثم انه أراد أن يلقب نفسه بالمستعز بالله فعورض فى ذلك ولقبوه بالمتوكل على الله كلقب جده محمد المتوكل فأحضر اليه شعار الخلافة وأفيض عليه وقدمت اليه فرس النوبة بالسرج الذهب والكنبوش ونزل من القلعة فى موكب حافل وأمامه قضاة القضاة وأعيان الدولة فتوجه الى مكان تسكن فيه الخلفاء ثم تحول من يومه وطلع الى القلعة وسكن بدار عمه يوسف التى هى داخل الحوش السلطانى وطالت أيامه فى الخلافة وكان كفؤا لذلك وكان سنه لما ولى الخلافة نحوا من اثنتين وستين سنة أو أكثر من ذلك وكان مولده سنة تسع عشرة وثمانمائة وكانت أمه تسمى حاج ملك بنت مقبل وهو شخص من المماليك السلطانية وفى صفر تغير خاطر السلطان على أزدمر الطويل الابراهيمى الاينالى حاجب الحجاب فرسم بنفيه وبعث اليه بألفى دينار يتجهز بها وفيه نزل السلطان وتوجه الى منف وأقام بها أياما ثم عاد الى القلعة وفى ربيع الاول أنعم السلطان على تانى بك قرا الاينالى بتقدمة ألف وهى تقدمة أزدمر الطويل وعين الدوادارية الثانية الى قانصوه خمسمائة وخلع عليه بها بعد أيام وفيه نقل السيفى قانصوه اليحياوى من نيابة حلب الى نيابة الشام عوضا عن المرحوم باني بك قلقسيز بحكم وفاته ونقل أزدمر قريب السلطان من نيابة طرابلس الى نيابة حلب عوضا عن قانصوه اليحياوى بحكم انتقاله الى نيابة الشام وقرر فى نيابة طرابلس بردبك المعمار نائب صفد

عوضاً عن أزدمر بن مزيد قريب السلطان وقرر عوضه في نيابة صفد سيباي بك أحد مماليك السلطان وكان مقيماً بالشام بطالاً وفيه توفي جانم الاعور بن يلباي أمير شكار أحد العشراوات وأصله من مماليك الاشرف برسباي وفيه ضرب الامير يشبك الدوادار الكبير الكرة مع السلطان فسقط صولجان الامير يشبك من يده فترجل الامير جانم الشريفي قريب السلطان أحد المقدمين عن فرسه وأخذ الصولجان من الارض وناوله للامير يشبك فلما كان في اليوم الثاني صنع الامير يشبك وليمة حافلة جداً وعزم على جانم وقانصوه خمسمائة وآخرين من الامراء فلما حضروا أصلح الامير يشبك بين جانم وبين قانصوه خمسمائة وكان بينهما وحشة ثم خلع على كل واحد منهما كاملية بسمور وأركبه فرساً بسرج ذهب وكنبوش وكانت هذه الوليمة من نوادر الضيافة الحافلة وفي ربيع الآخر كانت تمام ضرب الكرة وأضاف السلطان الامراء ضيافة حافلة ونزلوا الى دورهم وفيه كانت وفاة الامير جانم الشريفي قريب السلطان أحد المقدمين وكان من حين أضافه الامير يشبك وهو مريض حتى اتهم الامير يشبك بانه قد شغله في ذلك اليوم في شيء من المأكول فلما تزايد به المرض وتورمت قدماه حمل في محفة وتوجهوا به الى بولاق فأقام هناك بعض أيام ومات فأمر السلطان بحمله الى داره في محفة فغسل وكفن وصلي عليه بسبيل المؤمنين وكان له يوم مشهود ثم توجهوا به الى تربة السلطان فدفن بها واستمر العزاء عمالاً بالقلعة ثلاثة أيام بدور الحريم وتأسف عليه السلطان غاية الاسف وقيل ان السلطان جلس بقاعة البحرة ورسم لسامعرب اليسار أن يدقوا ويلطموا على الامير جانم وهو ينظر اليهن وقد جلس للعزاء وصارت الامراء تتلطف به وتسليه وقيل ان جانم كان يقرب للسلطان من جهة النساء وكان جميل الصورة حسن الهيئة قد بدا عذاره وكان رئيساً حشماً وافر العقل جليل القدر ورأى غاية العز والعظمة على صغر سنه وأقام بالطبقة مدة يسيرة ثم بقي خاصكياً ثم بقي أمير عشرة ثم بقي ناظر الجوالي ثم بقي شاد الشراب خاناه ثم بقي مقدم ألف وجاءت اليه السعادة سريعاً وزالت عنه في مدة يسيرة وقد دهمه الموت فتوفي وله من العمر نحو عشرين سنة وكان كريماً سخياً بالعطاء حتى قيل فيه

فقت الكرام في الورى * يا مطلب الرائم
ما أنت الا حاتم * تصحفت بجانم

وكان قد تزوج بخوند أخت خوند زوجة السلطان وكان له مهم حافل وكان له زفاف ليلة خلا بزوجته يسمع بمثله وتزينت له القاهرة بالمصابيح والشموع وعلقت ليلة زفاف عرسه التنانير بالقناديل من سويقة العزي الى مابين القصرين ومشى أمامه الامراء المقدمون وكان الامير يشبك ماسكاً عنان فرسه من جهة الميمنة وازدمر الطويل حاجب الحجاب

ماسكا بلجام فرسه من جهة الميسرة وبقية الامراء مشاة قدامه بالشموع من سويقة العزى
الى بيت العلائى على بن ناصر بك وكان المهم هناك فزف وزفت له العروس فكان أبهى
من العروس كما قيل

ماسمعنا فيما سمعنا قديما ٭ بعروس يجلى عليها عروس

وكان زفاف الامير جانم من المعدودات بحيث لم يقع بعده مثله فلما انقضت وفاة الامير
جانم كثر الكلام فى حق الامير يشبك بسبب جانم ونسب الى قتله بالسم وصار فتنة جديد
ووعيد من المماليك الجلبان ووقع بسبب هذه الحادثة أمور شنيعة يطول الكلام فى
شرحها وقصدوا قتل الامير يشبك غير ما مرة وصار السلطان يرجع المماليك عن الامير
يشبك وصار الامير يشبك يترضى خاطر المماليك الجلبان بكل ما يمكن حتى سكنت هذه
الفتنة قليلا وصار على رأس الامير يشبك طيرة من الجلبان حتى كان من أمره ما سنذكره
وفيه قدم الملك المؤيد أحمد من الاسكندرية وكان سبب قدومه أن والدته خوند حصل لها
توعك شديد وقد أشرفت فيه على الموت فأتى اليها الامير يشبك ليعودها فسألت فضلها أن
يسأل السلطان فى حضور ولدها الملك المؤيد الى مصر لتنظره قبل أن تموت فلما طلع الامير
يشبك الى القلعة تكلم مع السلطان فى ذلك فرسم باحضاره فلما حضر طلع الى القلعة
ودخل الحوش وهو راكب وكان معه ولده على فقام له السلطان ورحب به وخلع عليه
وعلى ولده ونزل من القلعة فى موكب حافل ومعه الامير يشبك الدوادار وتانى بك قرا
وآخرون من الامراء فنزل فى داره التى بالجسر الاعظم عند والدته وفى ثالث جمادى الاولى
كان وفاء النيل وقد أوفى فى تاسع عشرى أبيب القبطى وكسر فى آخر يوم من أبيب فعد
ذلك من النوادر فلما وفى توجه الاتابكى ازبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا
ثم بعد يومين زاد النيل عشرين اصبعا فغلق الذراع السابع عشر وستة أصابع من
الذراع الثامن عشر فعد ذلك من النوادر وفيه خلع السلطان على الماس الاشرفى وقرره
فى شادية الشرابخاناه وقرر بيبرس الرجبى قريب السلطان فى استادارية الصحبة عوضا
عن الماس وفيه سافر السلطان الى ثغر الاسكندرية وهى السفرة الثانية فتوجه
من البحر فى عدة مراكب كثيرة وكان سبب توجه السلطان من البحر كثرة ماء النيل
فى طرقات البلدان وكان معه من الامراء الاتابكى ازبك ويشبك الدوادار وخاير بك بن
حديد وازبك اليوسفى وآخرون من الامراء المقدمين وعدة وافرة من الامراء الطبلخانات
والعشروات والجم الغفير من الخاصكية من المماليك السلطانية وكان معه
من المباشرين ستالنى كاتب السر ابن مزهر وغيره من أعيان المباشرين وكان الشهابى
أحمد بن العينى وسيدى منصور بن الملك الظاهر خشقدم وغير ذلك من الاعيان

وكان

وكان له ببولاق يوم مشهود عند نزوله الى البحر وكان سفر السلطان الى الاسكندرية فى هذه المرة لاجل البرج الذى أنشأه هنالك وقد انتهى العمل منه فتوجه اليه ليرى هيئته فلما دخل مدينة الاسكندرية لم يركب بها مثل أول مرة ولا حملت القبة والطير على رأسه فلما نزل بالمخيم مد له نائب الاسكندرية مدة حافلة ثم توجه الى رشيد وكشف عن البرج الذى أنشأه هنالك بها ثم كشف عن البرج الذى أنشأه بثغر الاسكندرية مكان المنار القديم فجاء من محاسن الزمان ومن أعظم الابنية وأجل الآثار الحسنة ومن نوادر أفعال الملوك كما قيل

ليس الفتى بفتى يستضاء به • حتى يكون له فى الارض آثار

وقيل ان صفة بنيان هذا البرج أن دهليزه معقود على قناطر فى البحر الملح من الساحل حتى ينتهى الى البرج وأنشأ بهذا البرج مقعدا مطلا على البحر ينظر منه من مسيرة يوم الى المراكب وهى داخلة الى الميناء وجعل بهذا البرج جامعا بخطبة وطاحونا وفرنا وحواصل وشحنها بالسلاح وجعل حول هذا البرج مكاحل معمرة بالمدافع ليلا ونهارا لئلا تطرق الافرنج الثغر على حين غفلة وجعل بها جماعة من المجاهدين قاطنين بها دائما وأجرى عليهم الجوامك والرواتب فى كل شهر وجعل شادا من خواصه وهو باش عليهم يقال له قانصوه المحمدى الخاصكى وهو الذى ولى نيابة الشام فيما بعد وصار يعرف بقانصوه البرجى وقيل ان السلطان صرف على بناء هذا البرج زيادة عن المائة ألف دينار وأوقف عليه الاوقاف الجليلة وجاء من أحسن الآثار والمعروف ثم ان السلطان أقام بثغر الاسكندرية أياما ورحل عنها ثم جاءت الاخبار بأن السلطان دخل الى دسوق وزار سيدى ابراهيم الدسوقى وهو ماش وحوله الامراء واستمر السلطان غائبا فى هذه السفرة الى أواخر الشهر المذكور وفيه توفيت خوند زينب والدة الملك المؤيد أحمد وهى زوجة الاشرف اينال وكانت من أجل الخوندات قدرا ورأت فى دولة زوجها الاشرف اينال غاية العز والعظمة حتى صارت تدبر أمور المملكة من ولاية وعزل وكانت نافذة الكلمة وافرة الحرمة فى سعة من المال ولم تتزوج غير الاشرف اينال ولم يتزوج هو أيضا غيرها وصادرها الملك الظاهر خشقدم غير ما مرة وأخذ منها جملة مال وهى باقية وعقد ناموسها لم يتغير الى أن ماتت وقد جاوزت من العمر نحو الثمانين سنة وهى زينب بنت حسن بن خليل بن خاصبك لم يجئ بعدها فى الخوندات مثلها وكانت من مشاهير الخوندات وكانت اذا دخلت على الاشرف قايتباى يقوم لها ويعظمها ولما ماتت لم يحضر جنازتها ولم يحضرها أحد من المقدمين غير تانى بك قرا وسبب ذلك أن السلطان كان غائبا فلم يجسر أحد من الامراء أن يجئ عند ولدها الملك المؤيد وبعد هذا ما سلم الامر من القال والقيل فحضر جنازتها القضاة وأعيان الدولة ثم فى سلخ الشهر المذكور حضر السلطان من السفر فى البحر أيضا وطلع من بولاق وكان له يوم

مشهود وقد عد سفره من النوادر وكونه توجه الى ثغر الاسكندرية وترك الملك المؤيد
بالقاهرة مع أن مماليك أبيه الاشرف اينال كانوا فى غاية التمرد ينتظرون وقوع الفتن
وظهر منهم فى غيبة السلطان بعض حركة وانكشف رءوس جماعة منهم فى هذه الحركة ونفى
فيما بعد منهم جماعة كثيرة كما سيأتى الكلام على ذلك وفى جمادى الآخرة أضاف
السلطان الملك المؤيد ضيافة حافلة بالبحرة وخلع عليه وعلى ولده وأذن لهم بالعود الى
الاسكندرية وقدم الملك المؤيد للسلطان تقدمة حافلة من مال وتحف بسبب موجود
والدته الذى خلفته وفيه ثبت النيل المبارك على عشرين اصبعا وعشرين ذراعا فوافق
ذلك مثل العام الماضى حتى عد من النوادر وفى رجب سافر الملك المؤيد الاسكندرية وقد
أقام بالقاهرة نحو شهرين الا أياما وفيه ظهر للسلطان أن طائفة الاينالية قصدوا اثارة
فتنة فى غيبة السلطان فلما تحقق ذلك صار ينفى منهم جماعة بعد جماعة شيأ فشيأ ثم نفى
مملوكه بردبك سكر الخاصكى الى البلاد الشامية وكان قد نسب الى أشياء من هذه الاشاعة
وقد تغيرت قلوب الامراء بعداوة الامير يشبك الدوادار وقد أشيع أنه قد سم الامير جانم
قريب السلطان فانقطع يشبك عن طلوع القلعة أياما وكثر الكلام فى حقه بسبب ذلك
وفيه خلع السلطان على على باى ميق الذى كان كاشف الشرقية وقرره فى نيابة سيس عوضا
عن أزدمر قريب السلطان وقرر أزدمر فى نيابة حماه عوضا عن قراجا الطويل الاينالى
بحكم صرفه عنها وحبسه بقلعة دمشق وفيه رسم السلطان بنفى ستة أنفار منهم ثلاثة من
طائفة الاينالية وهم أبويزيد ومشيد وشادبك كل منهم أمير عشرة وثلاثة من الستة
من مشترواته فتوجهوا بهم الى نحو البلاد الشامية ثم تتابع النفى بجماعة من الاينالية
وكثر الكلام فى ذلك جدا وفيه قرر فى قضاء الحنفية بدمشق تاج الدين بن عربشاه عوضا
عن ابن عيد وفى شعبان رسم السلطان بنفى الطواشى معروف اليشبكى شاد الحوش الى
جهة قوص لامر أوجب ذلك وفيه خلع السلطان على برسباى قرا المحمدى الظاهرى
وقرره فى حجوبية الحجاب عوضا عن أزدمر الطويل بحكم نفيه وقرر فى شادية الحوش سرور
السيفى بن جرباش كرت عوضا عن معروف اليشبكى وفيه وصل قانصوه الالفى الذى كان
قد توجه الى بلاد جركس فأحضر معه عدة من أقارب السلطان فخلع عليه ونزل الى
داره وفيه حضر قاصد من عند بعض ملوك الهند صحبة أبى الفتح نائب جدة على يده هدية
حافلة الى السلطان وفيه أنعم السلطان على قريب له بتقدمة ألف وهى تقدمة جانم
[illegible] ثم [illegible] أرسل له شاشا ورسم له بان [illegible] تخفيفة وكذلك
[illegible] وهو [illegible] وفيه توفى جانم السيفى تمرباى
ازدكاش الكبير وكان [illegible] وفى رمضان احتفل الصاحب خشقدم

في مسايرة هائلة وكان قرر في امرية الحاج بركب المحمل وقرر شاهين الجمالي في امرية الركب
الاول وكان قررهما أولا جانم الزردكاش الذى توفى فكان للصاحب خشقدم يوم مشهود بتلك
المسايرة وقد أشيع بين الناس أن السلطان يقصد أن يحج في السنة المذكورة فعمل هذه
المسايرة بسبب تشوق السلطان الى الحجاز وفيه خلع السلطان على مملوكه قنبردى أحد
الخاصكية وقرره في كشف الشرقية عوضا عن على باى ميق الذى استقر في نيابة سيس وقرر
اقباى الطويل في كشف الغربية وفيه قدم برديك ببس وكان منفيا بالبلاد الشامية فشفع
فيه بعض الامراء فرسم السلطان باحضاره فحضر ورضى عليه وفيه توفى معروف اليشبكى
الطواشى شاد الحوش ومات وهو منفى بالواحات وجرى عليه ما لاخير فيه وكان لابأس به
غير أنه كان عنده تكبر في نفسه وتعاظم وفيه جاءت الاخبار بوفاة شاديك الابراهيمى
الاينالى وكان من الامراء العشراوات فتغير خاطر السلطان عليه ونفاه الى الشام فمات
بها وفيه رسم السلطان بنفى جانى باى الخشن الاينالى تاجر المماليك أحد الامراء
العشراوات ونفى أبى يزيد أزبك الخاصكى الاينالى ونفى تغرى برمش أحد الامراء
العشراوات والكل اينالية وقد سقط نجمهم وبدا عكسهم وصار السلطان ينفى في كل
شهر منهم جماعة في أماكن شتى وفي شوال خلع السلطان على يشبك الجمالى وقرره في
الزردكاشية الكبرى عوضا عن جانم السيفى تمرباى وقد جمع يشبك الجمالى بين الحسبة
والزردكاشية الكبرى وفيه خرج الحاج من القاهرة في تجمل زائد وقد احتفل الامير
خشقدم ببرك عظيم بسبب السلطان لسفره الى الحجاز فكان معه نحو من مائتى جمل
وخمسين جملا وقيل ان السلطان بعث اليه ثلاثين ألف دينار بسبب عمل هذا البرك
وكان لخروج الصاحب خشقدم يوم مشهود وفيه رسم السلطان بنفى مثقال الطواشى
مقدم المماليك وكان يعرف بمثقال البرهانى فخرج منفيا الى طرابلس وكان هذا كله
بسبب خروج السلطان الى البلاد الشامية وتوعكه هناك وقد ترايدت الاقوال بموته
وحصل بين الامراء نقل كلام فيمن يلى من بعده السلطنة وانكشف رخ جماعة من
الاينالية في هذه الحركة ولم يعلم باطن الامر في حقيقة ذلك وصار السلطان ينفى كل قليل
جماعة من الاينالية ومن مماليكه واستمر الامر على ذلك فلما خرج الحاج من القاهرة
ورحل المحمل من بركة الحاج نزل السلطان من القلعة في يوم الخميس ثالث عشرى شوال
ولم يشعر بسفره أحد من الناس وخرج على حين غفلة فسافر معه بعض أمراء عشراوات
منهم يشبك الجمالى الزردكاش وآخرون من الامراء من أخصائه وعدة وافرة من
الخاصكية والمماليك السلطانية وجماعة من المباشرين منهم أبو البقاء بن الجيعان وغير
ذلك من الاعيان منهم برهان الدين الكركى الامام فخرج السلطان من بين الترب وسفر

بعد صلاة الظهر فتقل معه الاتابكي أزبك ويشبك الدوادار فوقع اعوريجها من أثناء الطريق فأوصاهما السلطان بحفظ الرعية ثم سافر على ظهر البوبب ولم يتوجه معه أحد من الامراء المقدمين فعد سفره على هذا الوجه من النوادر وفى ذى القعدة رسم الامير يشبك الدوادار ليشبك بن حيدر والى القاهرة بأن يتحدث فى الحسبة عوضا عن يشبك الجمالى بحكم سفره مع السلطان وكان الامير يشبك الدوادار هو المشار اليه فى غيبة السلطان وفيه شرع الامير يشبك فى بناء القبة التى أنشأها فى رأس دور الحسينية وخرب عدة ترب كانت هنالك ثم أنشأ بهذا المكان غيطانا ومجارى وسواقى وقصد أن يجعله من جملة متنزهات القاهرة ولو عاش لتم له ذلك فجاءت القبة من محاسن البناء فى ذلك المكان وفى ذى الحجة كان انتهاء عمارة الربع الذى أنشأه السلطان بحدرة الكبش وكان الشاد على العمارة تانى المؤيدى أحد الامراء العشراوات وفيه قدم مبشر الحاج وهو شخص من الخاصكية يقال له أسنباى وقد استقر اسمه بالمبشر بعد ذلك فأخبر بسلامة السلطان وانه دخل الى مكة فى موكب حافل وكان له يوم مشهود ولاقاه أمير مكة من مسيرة يومين وانه تصدق على فقراء مكة بخمسة آلاف دينار وتواضع تواضعا وخضوعا الى الغاية وكان بطول الطريق لا يتكلم فى شىء يتعلق بالاحكام بين الناس وفعل فى الطرقات أشياء كثيرة من وجوه البر والمعروف فحصل لاسنباى المبشر جملة خلع ومال له صورة من الامراء وأعيان الناس ومن خوند زوجة السلطان وغير ذلك من أرباب الدولة وفيه جهز الاتابكى أزبك ويشبك الدوادار وجماعة من الامراء اقامات لملاقاة السلطان من العقبة وخرج الامير أزبك اليوسفى أحد الامراء المقدمين صحبة ذلك وخرج معه جماعة كثيرة من أرباب الدولة لملاقاة السلطان من العقبة واهتم الامير يشبك الدوادار بياض أماكن بالقلعة ودهان أبوابها وضرب الرنوك عليها وجلا واجهة القصر الابلق وما يليه حتى ظهر رخامه الملون وقد احتفل فى اصلاح ذلك جدا وفيه جاءت الاخبار بوفاة خليل بك بن حسن الطويل ملك العراقين وكان أكبر أولاد حسن الطويل ثار عليه بعض الامراء فقتله ومات وولى بعده أخوه يعقوب وكان من خيار بنى حسن الطويل وتوفى تانى بك الاشقر المحمدى البواب أحد الامراء العشراوات وكان كاشف المنوفية

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم بعث السلطان نجابا الى الامراء وأخبر النجاب أن السلطان دخل الى المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وزار النبى صلى الله عليه وسلم وأنعم على الفقراء الذين بها بخمسة آلاف دينار وانه رحل نحو الينبع قاصدا العقبة ثم رحل عنها وهو واصل عن قريب ثم رسم لهم بأن لا يخرج الى ملاقاته أحد من الامراء وأن السلطان ينزل بقبة الامير يشبك التى بالمطرية فبادر الامراء بالخروج الى هنالك ونصبوا الخيام ثم جاءت الاخبار بأن السلطان قد وصل الى

البويب فلما تحقق الامراء ذلك ركب الاتابكى أزبك والامير يشبك الدوادار وبقية الامراء من المطرية وتوجهوا الى ملاقاة السلطان فلما وصلوا الى البويب اجتمعوا بالسلطان هناك وساروا قدامه حتى وصل الى الوطاق الذى بالمطرية وكان له هناك موكب حافل وكان دخوله فى ثانى عشر المحرم قبل دخول الحاج بثمانية أيام فلما نزل بقبة الامير يشبك مد له الامير أزبك الاتابكى هناك مدة حافلة جدا وبات السلطان هناك وبات عنده قضاة القضاة ومشايخ العلم وهنوه بقدومه فلما كان يوم الاثنين رابع عشره ركب السلطان من هناك وحمل الاتابكى أزبك على رأسه القبة والطير وركب قدامه الامراء والعسكر وهم موكبون كالاعياد وسارت الامراء والقضاة الاربعة قدامه فدخل من باب النصر وشق من القاهرة وقد زينت له زينة حافلة واستمر فى هذا الموكب العظيم وطلب طلبا حافلا ولبسوا قدامه بالغواشى الذهب وكان له يوم مشهود الى أن طلع الى القلعة فلما طلع فرشت له خوند عدة شقق من باب القلعة الى الحوش ونثرت على رأسه خفائف الذهب والفضة وتوشحت الخدام بالبنود الذهب والحرير الاصفر وتخلقت بالزعفران فلما دخل السلطان الى الحوش مد له هناك الامير يشبك مدة حافلة أعظم من مدة الاتابكى أزبك التى مد لها بالقبة ثم ان السلطان خلع على من كان معه من أرباب الوظائف ونزلوا الى بيوتهم وانفض ذلك الموكب وعدت هذه الحجة من النوادر الغريبة ودخل عليه جملة تقادم من مال وتحف تعدل مائتى ألف دينار من أمير مكة المشرفة وقضاتها ومن أمير الينبع وغير ذلك وقد نظم الشعراء فى هذه الواقعة عدة قصائد فمن ذلك

قدم السرور بمقدم السلطان * من حجه المقبول بالرضوان

سلطاننا الملك الهمام الاشرف الر اقى سماء الحسن والاحسان

فهناؤنا بقائه فى نعمة * وسلامة فرض على الاعيان

ولقد علمنا أن طاعة أمره * أو نهيه دين من الايمان

لما نوى حجا ولبى محرما * عم الامان مراتع الغزلان

والوحش فى أبياتها والدوح فى * ابياتها والطير فى الطيران

ثم الصلاة على النبى المصطفى * عدد الرمال بجملة الكثبان

فلما استقر السلطان بالقلعة أخذ فى أسباب تفرقة الهدية على الامراء فابتدأ بالاتابكى أزبك ثم بقية الامراء كل من هو فى منزلته ثم المباشرين وأرباب الدولة وكان الامراء والمباشرون قدموا للسلطان أيضا تقادم حافلة ما بين مال وخيول وقماش وغير ذلك وفيه دخل الحاج الى القاهرة وحدثت سيرة الصاحب حتى قدم الزمام وفيه نزل السلطان وتوجه الى المراماة فرار ورجع من جهة مصر العتيقة وطلع من جهة قناطر

السباع وأتى الى الكبش فكشف عن عمارته التى أنشأها هناك ثم طلع الى القلعة من جهة الصليبة وكشف عن عمارة سبيله الذى أنشأه برأس سويقة عبد المنعم التى بالرميلة وكان الشاد على عمارته تانى بك قرا أحد المقدمين ثم طلع من باب السلسلة الى القلعة وفيه جاءت الاخبار بوفاة قرابغا الطويل الاينالى الذى كان نائب حماه مات بطالا بالقدس وكان لا بأس به وفيه ضرب السلطان قانم الاشرفى الذى كان كاشف الشرقية فضرب بين يديه ورسم بنفيه الى طرسوس وفى صفر قرر خالص التكرورى الطواشى فى تقدمة المماليك عوضا عن مثقال البرهانى وقرر سرور الشامى نائب المقدم عوضا عن خالص وفيه قدم قراز التمشى رأس نوبة النوب من البحيرة وقصد أن يهنى السلطان بعوده من الحجاز وفيه جاءت الاخبار بوقوع فتنة كبيرة بحماه وقتل فيها نائب حماه ازدمر بن أزبك قريب السلطان وسبب ذلك ان سيف أمير آل فضل كان قد خرج عن الطاعة فحاربه أزدمر نائب حماه المقدم ذكره فقتل فى المعركة وقتل معه جمع من أمراء حماه فانزعج السلطان لهذا الخبر جدا وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة وكان حافلا ومما وقع فى ذلك اليوم أن السلطان لما تكامل المجلس بالقضاة الاربعة والامراء وانتهى أمر السماط حضر كاتب السر ابن مزهر وأبو البقاء بن الجيعان وخشقدم الزمام وخلفهم ستة أطباق على رؤس ستة طواشية فحطت بين يدى السلطان بحضرة القضاة والامراء وكشفوا عنها فاذا هى ستون ألف دينار ذهب عين فأنشد كاتب السر يقول فى المجلس العام إن السلطان نصره الله تعالى لما حج فى العام الماضى رأى أهل المدينة المشرفة فى فاقة زائدة من عدم الاوقاف فنذر مولانا السلطان بأن يفعل بالمدينة الشريفة خيرا يكون مستمرا من بعده وقد خرج عن هذا المال لله تعالى وهو من وجه حل من خالص ماله دون مال بيت المسلمين ليشترى به ما يوقفه على فقراء المدينة من ضياع وأماكن وربوع وغير ذلك مما يصنع فى كل يوم من الدشيشة والخبز والزيت وغير ذلك كما يفعل بمدينة الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فارتفعت له الاصوات بالدعاء فى ذلك المجلس ثم أمر السلطان بأن يكون هذا المال تحت يد قاضى القضاة الشافعى حتى يشترى به أماكن أو ضياعا فامتنع القاضى من ذلك واعتذر عن تسليمه حتى أعفى من ذلك ثم شرع السلطان فى بناء تلك الربوع التى أنشأها فى باب النصر وفى البندقانيين والخشابين والدباغين وغير ذلك من الاماكن وفيه نزل السلطان الى قبة الاميريشبك فلما عاد وقف له جماعة من العوام وشكوا له من أمور الحسبة بأنها ضائعة وانه من بعد العصر ما يوجد الخبز على الدكاكين فلما طلع الى القلعة وأصبح رسم لصاحب قاسم شغيته بأن يتكلم فى الحسبة عوضا عن يشبك الجمالى وكان لما ولى الزردكاشية أهمل

أمر الحسبة وصاعت المصالح فى أمور البضائع وغيرها وسعر الغلال ووقع بالقاهرة تشحيطة فى الخبز فى تلك الايام وكادت أن تكون غلوة وفيه عين السلطان الامير يشبك الدوادار للخروج الى حماه بسبب قتال سيف أمير آل فضل الذى قتل ازدمر نائب حماه كما تقدم ذكر ذلك وهذه السفرة كانت آخر العهد بالامير يشبك ولم يعد منها الى مصر وعين معه من الامراء المقدمين برسباى قرا وتانى بك قرا وعدة من الامراء الطبلخانات والعشراوات وعدة وافرة من الجند وقد لهج الناس بأن هذه التجريدة خرجت الى سيف وكان الامر كذلك وراح أكثر الامراء والعسكر على السيف كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه فكان كما قيل فى المعنى

لا تنطقن بما كرهت فربما * نطق اللسان بحادث سيكون

وقال آخر

احفظ لسانك أن تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

وكان الامير يشبك له غرض تام فى السفر الى ديار بكر وقد سأل السلطان فى ذلك بنفسه والسبب فى ذلك أن الامير يشبك كان وقع بينه وبين جلبان السلطان بسبب جانم الشريفى وقتلتهم به انه شغل فصار معهم فى تهديد وقصد واقتله غير ما مرة فحسن له بعض الاعاجم أن مملكة حسن الطويل سائبة وان العسكر مختلف على ابنه يعقوب ومتى حاربتهم لا يقدروا على محاربتك وتملك مملكة العراق قاطبة فاصاغ الامير يشبك لهذا الكلام وسأل السلطان السفر بنفسه حتى يجعل الله لكل شئ سببا لنفوذ القضاء والقدر كما قيل فى المعنى

أتطمع من ليلى بوصل وانما * تقطع أعناق الرجال المطامع

فلما عين السلطان الامراء عرض من بعد ذلك الجند وكتب منهم نحوا من خمسمائة مملوك وكان الاكثر منهم من طائفة الاينالية فلما عرضهم أنفق عليهم وأمرهم بسرعة التجهيز والخروج صحبة الامير يشبك فبلغت النفقة عليهم فى هذه الحركة زيادة عن المائة ألف دينار وفيه خلع السلطان على الامير تغرى بردى ططر أحد المقدمين وقرره أمير المحمل وقرر يشبك بن حيدر والى القاهرة أمير أول وفيه توفى الشهيد الشريف زين العابدين وهو محمد بن محمد بن على بن على بن حسين القرشى الهاشمى السنجارى الحنبلى وكان رئيسا حشما فى سعة من المال كثير التواضع حسن الملتقى وفيه خلع السلطان على قانصوه دوادار الامير يشبك ورسم له متحدث ثانى الاستادارية الى أن يعود استاذه فاستعفى من ذلك وأظهر السفر صحبة استاذه وفيه قرر جانم دوادار الامير يشبك فى كشف أسيوط عوضا عن قرقماس الاعور فاستعفى جانم من ذلك واستقر جهانسباى وطلب قرقماس السفر صحبة يشبك وفيه فى سلخه كانت وفاة شيخ مذهب الشافعية بمصر الشيخ سراج الدين عمر بن حسن

ابن حسين العبادي الشافعي وكان عالماً فاضلاً بارعاً في العلوم مفتياً وصار أحفظ أهل زمانه
بمذهبه بمصر مطرح النفس جداً وولي عدة وظائف سنية منها نظر الاحباس ومشيخة
خانقاه سعيد السعداء وغير ذلك من الوظائف ومولده سنة احدى وثمانمائة وفيه نادى
السلطان بأن معاملة الفضة بالميزان وكانت قد خفت جداً وفي ربيع الآخر خرج
الامير يشبك الدوادار الى الصعيد من غير طلب لذلك وكان عليه بهدلة زائدة فتفاءل الناس
أنه لا يعود الى مصر أبداً وكذا جرى وكان الناس يقولون خرج لسيفه وكان هذا فألاً عليه
وفيه قرر السلطان بأن الامير جانى بك نائب جدة في نيابة حماه عوضاً عن أزدمر
قريب السلطان وفيه برز أمر السلطان الى سيباى كاشف الوجه القبلي بأن يقطع رأس
أزدمر الطويل الاينالي وكان نفي الى مكة المشرفة ثم بعد مدة نقل الى أسيوط وسجن وكان
بينه وبين الامير يشبك عداوة وقصد أزدمر قتل يشبك غير ما مرة بل وقتل السلطان
أيضاً فلما برز الامير يشبك بالريدانية للصعيد أرسل يشبك يقول للسلطان ما أرحل من
هنا حتى تقطع رأس أزدمر الطويل وتجيء الي وتأخر أياماً ينتظر ذلك فأرسل السلطان
يوسف السوام الذي كان والى قوص الى سيباى كاشف الوجه القبلي بقطع رأس ازدمر
الطويل فتوجه في الخفية الى أسيوط وعلى يده مرسوم السلطان الى سيباى بقطع
رأس أزدمر فقطع رأسه بأسيوط ووضعت في علبة وأحضرت بين يدي السلطان فنظر اليها
ثم أرسلها الى الامير يشبك فنظر اليها وكتم هذا الامر عن الناس وما خفي بل اشتهر من
يومه وكان أزدمر هذا من أعيان الاينالية شجاعاً بطلاً مقداماً في الحرب عارفاً بأنواع
الفروسية ثم ان الامير يشبك رحل من الريدانية وقد نال قصده من أزدمر ثم قطعت
رأس الامير يشبك بعد ذلك بمدة يسيرة والجزاء من جنس العمل وفيه توفي بردبك التاجي
الاشرفي أحد العشراوات وكان لا بأس به وفيه تغير خاطر السلطان على قاضي القضاة
الشافعية ولي الدين الاسيوطي وعلى قاضي قضاة الحنابلة بدر الدين السعدي فعزل
القاضي الشافعي ورسم بنفي القاضي الحنبلي الى قوص ولم يكن ثم أمر كبير يستحق هذه
الكائنة بل ما نكب القاضي الشافعي الا بسبب تركة انسان والقاضي الحنبلي بسبب
كتاب وقف ونحو ذلك واستمر أمرهما في اضطراب مدة أيام وتكلموا مع السلطان فيمن
يلي قضاء الشافعية وقضاء الحنابلة وكتب قائمة بأسماء جماعة من طائفتي المذهبين ثم
عاد الامر الى إعادتهما الى ما كانا عليه بشفاعة الاتابكي أزبك فخلع على القاضيين ونزلا
الى دورهما وكان لهما يوم مشهود وفي جمادى الاولى توفي القاضي شرف الدين يحيى
ابن الجيعان مستوفي ديوان الجيش وهو يحيى بن شاكر بن عبد الغني الشافعي وكان
عالماً فاضلاً رئيساً حشماً وله اشتغال بالعلم والفرائض وفيه تغير خاطر السلطان

على القاضى تاج الدين بن المقسى ناظر الخاص كان قد رسم بتسميره فسمر على جمل وطيف به فى القاهرة وتوجهوا به الى قنطرة الحاجب ليوسطوه هناك وكانت هيئته وهو مسمر على الجمل انه على رأسه عمامة صغيرة وهو لابس كبرا أبيض فلما وصل هناك وقعت فيه شفاعة فعادوا به وقد أركبوه على فرس وفرح الناس بسلامته وفى جمادى الآخرة رسم السلطان بشنق تاج الدين بن المقسى بعد أن عفى عنه فتوجهوا به الى غيط الحاجب فشنقوه على جميزة هناك وشنق معه فى ذلك اليوم قاسم بن بقر أمير عربان جذام بالشرقية وكان لهما يوم مشهود وكان اسمه عبد الله بن نصر الله القبطى وكان رئيسا حشما كيسا حسن الهيئة لطيف الذات وولى عدة وظائف سنية منها كتابة المماليك ونظر الدولة ونظر الجيش ونظر الخاص والاستادارية وغير ذلك من الوظائف ومات وهو فى عشر الخمسين وكثر عليه الحزن من الناس وقاسى فى أواخر عمره أهوالا وشدائد ومحنا وضرب بالمقارع فى يوم شديد البرد وآخر عمره شنق وفيه كان وفاء النيل المبارك وتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وفيه نزل السلطان فى موكب وتوجه نحو قليوب ثم طاب له رؤية البحر فاقلع من هناك وتوجه الى الوجه القبلى حتى وصل الى نحو طنبدا ثم عاد الى القلعة وفى رجب جاءت الاخبار بقتل سيباى العلائى الاينالى كاشف الوجه القبلى قتله بعض العرب بخنجر فى بطنه وهو راقد على فراشه وكان شابا حسنا شجاعا بطلا من خيار الاينالية وهو الذى قطع رأس ازدمر الطويل فكان بينه وبين قتل ازدمر الطويل شهران وبعض أيام وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة برهان الدين ابراهيم بن عمر بن حسن بن على بن أبى بكر الخرباذى البقاعى الدمشقى الشافعى وكان عالما فاضلا محدثا ماهرا فى الحديث ليس من مساويه سوى حطه على الشيخ عمر بن الفارض رحمه الله ورضى عنه فلما قامت الدائرة بسبب ابن الفارض توجه الى دمشق فمات بها وفيه جاءت الاخبار بان الامير يشبك الدوادار لما دخل الى الشام أخذ معه نائب الشام قانصوه اليحياوى وتوجه الى حلب وان قانى بك صلق توفى بحلب وكان صحبة الامير يشبك وكان قانى بك صلق أصله من مماليك شادبك الجكمى وارتقى حتى بقى أمير طبلخاناه ورأس نوبة وكان لا بأس به ورأى غاية العز فى دولة الاشرف قايتباى وفى شعبان كان انتهاء القناطر التى بالجيزة وخلع السلطان على الاتابكى أزبك بسبب كونه كان شادا على العمارة فجاءت من آثار الملوك وقيل ان السلطان صرف على هذه القناطر نحوا من مائة ألف دينار وفيه توفى مجد الدين بن الكويز وهو محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن داود بن خليل الشوبكى وكان رئيسا حشما وولى عدة وظائف سنية منها معلم المعلمين ونظر الخاص وغير ذلك ومولده سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وفى رمضان كان ختم البخارى بالقلعة وفرقت الخلع والصرر على القضاة ومشايخ العلم وكان قارئ الحديث

الشريف برهان الدين بن الكركي امام السلطان فخلع عليه ونزل من القلعة في جمع حافل
وفيه أمر السلطان بتجديد عمارة الامام الشافعي رحمة الله عليه ورضي عنه وكان الشاد على
عمارتها الطواشي شمس الدين بن الزمن وفيه كانت وفاة قاضي القضاة الحنفي شمس الدين
الامشاطي محمد بن محمد بن أحمد بن حسن بن اسمعيل بن يعقوب العينتابي الكسكاوي
الحنفي وكان عالما فاضلا بارعا في علوم مذهبه وافر العقل فكه المحاضرة وكان ناب في القضاء
مدة طويلة ثم تولى القضاء الاكبر وباشره بعفة زائدة وحرمة وافرة وحمدت سيرته وامتاز على
غيره من قضاة عصره وصمم على عدم حل الاوقاف في أيامه وجمع بين القضاء ومشيخة
البرقوقية وكان نادرة في عصره فلما توفي الامشاطي تكلموا مع السلطان في القضاء عوضا
عن الامشاطي فلم يوافق على أحد يوليه من أهل مصر ثم أرسل خلف شخص من الشام يقال
له شرف الدين موسى بن عيد ليلي القضاء واستمر منصب قضاء الحنفية شاغرا الى أن حضر
ابن عيد وفي شوال جاءت الاخبار من الرها بوقوع كائنة عظيمة طامة قتل فيها الامير يشبك
الدوادار وانكسر العسكر قاطبة وقتل الاكثر منهم وكان سبب ذلك أن الامير يشبك لما
دخل الى حلب كان صحبته نائب الشام ونائب حلب ونائب طرابلس ونائب حماه والعسكر
الشامي والحلبي والمصري وغير ذلك من العساكر فلما استقر بحلب بلغه أن سيف أمير
آل فضل الذي خرج بسببه قد فر وتوجه الى نحو الرها فقوي عزم الامير يشبك بأن يعدى
من الفرات ويتبع سيفا في أي مكان كان فيه فكان كما قيل في المعنى

وكم من طالب يسعى لشيء .. وفيه هلاكه لو كان يدري

فعدى من الفرات هو والعساكر فاجتمع معه فوق العشرة آلاف انسان فلما عدى توجه
الى نحو الرها وكان المتولي أمرها يومئذ شخص يقال له بايندر أحد نواب يعقوب بك بن
حسن الطويل فحاصر الامير يشبك مدينة الرها أشد المحاصرة فلما أشرف على أخذها أرسل
بايندر يتلطف بالامير يشبك ويقول له ضمان مسك سيف علي وأرسل يقول له ارحل من
الرها وأنا أجمع لك من المدينة مالا له صورة فأبى الامير يشبك من ذلك لما رأى من كثرة العساكر
التي كانت معه فطمعت آماله في أخذ مدينة الرها ويزحف بعد ذلك على بلاد العراق كما
حسنوا له ذلك فزعق النفير وركب العسكر قاطبة فبرز بايندر ومن معه من العسكر
فتقاتلوا معهم فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد انكسر عسكر مصر قاطبة وبقية العساكر
قاطبة فأسر الامير يشبك وهو راكب على ظهر فرسه فأتوا به الى بايندر وأسروا نائب
الشام قانصوه اليحياوي ونائب حلب ازدمر ونائب حماه جانم الجداوي وقتل بردبك قريب
السلطان [illegible] وتاني بك قرا أحد المقدمين وقتل
من الامراء العشراوات [illegible] الشام [illegible] وقتل من العساكر التي

كانت

كانت مع الامير يشبك مالا يحصى عدهم وكانت حوافر الخيل لا تطأ الا على جثث القتلى من العسكر فكان من قتل من أعيان العسكر بردبك قريب السلطان نائب طرابلس وهو بردبك المعمار السيفي جرباش كرت وجانى باى أخو سيباى أحد الامراء العشراوات وجانى باى أخو تانى بك قرا وسوازار الاشقر الاشرفي وكان علامة في الرمى بالنشاب وطقطمش المشقدى أحد الامراء بحلب وسليمان بك من أقارب سوار وقانصوه البواب الاينالى أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب وقرقماس المحمدى الظاهرى أحد العشراوات ورؤس النوب وأما الذى قتل من الخاصكية والمماليك السلطانية فلا ينضبط لكثرتهم وقتل من العساكر الشامية والحلبية وغير ذلك مالا يحصى عددهم وكانت مصيبة عظيمة مهولة قل أن يقع مثلها لعسكر مصر وأما ما كان من أمر يشبك الدوادار فانه أقام في الاسر نحو ثلاثة أيام ثم في اليوم الرابع بعث اليه بعبد أسود من عبيد التركمان قطع رأسه تحت الليل وأحضرها بين يدى بايندر وقيل انه حز رأسه بالسيف عدة مرار وهى لا تنقطع فقطعها بسكين صغير وعذبه غاية العذاب فلما طلع النهار وجدوا جثته بغير رأس وهى مرمية على قارعة الطريق وعورته مكشوفة حتى ستره بعض الغلمان بحشيش من الارض فسبحان من يعز ويذل وبيده كل شئ وهو على كل شئ قدير وقيل في المعنى

ما أعجب الدهر في تقلبه * والدهر لا تنقضى عجائبه
فكم أرانا الدهر من أسد * بالت على رأسه ثعالبه

فلما قطعت رأس الامير يشبك بعث بها بايندر الى بلاد العجم عند يعقوب بن حسن الطويل فكان له يوم مشهود بمدينة ماردين وطافوا بها بلاد العجم وهى على رمح وألبسوا رأس الامير يشبك تخفيفته الكبيرة فلما طافوا بها وطافوا بالنواب والامراء الذين أسروا وهم في قيود وجنازير والمماليك الذين أسروا مشاة وأرسل بايندر الى يعقوب بن حسن بجميع ما نهبه من العسكر من مال وخيول وسلاح وقماش وبرك وغير ذلك مما لا يحصى وكانت هذه الكسرة على عسكر مصر من الوقائع الغريبة وكانت قتلة الامير يشبك في العشر الاخير من رمضان سنة خمس وثمانين وثمانمائة باثارها وكان الامير يشبك أميرا جليلا معظما في سعة من المال ذا شهامة زائدة وحرمة وافرة وكلمة نافذة وكان أصله من مشتروات الظاهر جقمق وكان يعرف بيشبك بن مهدى ورقى في دولة الاشرف قايتباى حتى صار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية واجتمع فيه عدة وظائف سنية منها الدوادارية الكبرى وامرة سلاح والوزارة والاستادارية الكبرى وكاشف الكشاف ومدبر المملكة وغير ذلك فعظم أمره جدا ووقع له أشياء غريبة لم تقع لغيره من أبناء جنسه في عصره ومات وله من العمر نحو من ست وخمسين سنة وقد وكره الشيب قليلا وكان صفته أبيض اللون مدور

الوجه أشهل العينين أشقر اللحية طويل القامة مليح الجسد وأنشأ أشياء كثيرة من العمائر بالديار المصرية ما بين ربوع وحوانيت ودور جليلة وصهاريج ومغسل وأسبلة وزوايا وأنشأ قبة بالمطرية وقبة برأس الحسينية وكان له في كل سنة عدة شقادف محملة على جمال ومعها الزاد والماء تلاقي الحاج من العقبة بسبب المنقطعين من الحجاج وله غير ذلك أشياء كثيرة من وجوه البر المعروف وكانت له محاسن ومساو وفيه الخير والشر وقد ساقه أجله حتى خرج في هذه التجريدة بسبب سيف أمير آل فضل فكانت منيته بالرها وكان الامير يشبك باغيا على بايندر فانه قصد محاربته من غير سبب ولا موجب لذلك فكان كما قيل

من لاعب الثعبان في وكره * يوما فلا يأمن من لسعته

وقد نهى بعض الحكماء عن التوجه الى بلاد الشرق من غير حاجة فقال

اذا شئت أن تلق دليلا الى الهدى * لتقفوا آثار الهداية من كاف

فقل بلاد الشرق عنك فانها * بلاد بلا دال وشرق بلا قاف

ولكن قدر في الازل بان قبض الامير يشبك يكون بالرها فسبب له الاسباب لذلك وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أراد الله تعالى قبض روح عبد بأرض جعل له اليها حاجة ومن النكت اللطيفة ما روى في بعض الاخبار أن ملك الموت زار سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه ويطيل النظر فقال الرجل لسليمان عليه السلام ومن هذا الرجل الذي يطيل الى النظر فقال سليمان عليه السلام هذا ملك الموت عليه السلام فاضطرب الرجل وقال يا نبي الله أقسمت عليك بالله تعالى الا ما أمرت الريح تحملني من هنا وتلقيني خلف جبل قاف فأمر سليمان عليه السلام الريح بان تحمل ذلك الرجل وتلقيه خلف جبل قاف فلما حطته الريح الى هناك قال سليمان بعد ذلك لملك الموت لماذا كنت تطيل النظر في الرجل الذي كان جالسا عندي فقال ملك الموت عليه السلام كان نظري الى هذا الرجل تعجبا منه لاني أمرت بقبض روحه خلف جبل قاف وقد وجدته بحضرتك فصرت متعجبا من ذلك فلما مضى الرجل خلف جبل قاف قبض ملك الموت عليه السلام روحه هناك كما أمر وهذا مصداق للحديث الشريف فكان قبض الامير يشبك بالرها فلما ورد هذا الخبر الى السلطان اضطربت أحواله وماجت القاهرة عن آخرها وكان يوما مهولا ثم أشيع بين الناس أن الامير يشبك في الحياة وهو في الاسر عند بايندر وقيل انه فر بنفسه وهو مختف عند بعض التركمان واختلفت الاقوال في أمره وصارت دكة النقباء على بابه بعد قتله مدة طويلة ونظامه باق على حاله ووقع الشك في حقيقة قتله ثم أشيع بين الناس ان السلطان قصد السفر الى حلب بنفسه ويقيم بها خوفا من عسكر يعقوب بن حسن أن يطرق بلاد حلب والشام فان النواب قاطبة كانوا في الاسر عند يعقوب بن حسن ثم ان السلطان عين الاتابكي أزبك

الى حلب وعين مصروردبش أحمد المقدمين وخلع عليه وأقره فى نيابة حلب عوضا عن أزدمر وعين من الامراء العشراوات والطبلخانات عدة وأقر منهم يشبك حبيب أمير اخور ثانى وآخرين من الامراء ثم عرض الجند وكتب منهم جماعة واستحثهم على الخروج بسرعة قبل أن تهجم عساكر الشرق على حلب ولولا فعل ذلك لخرج من يده غالب جهات حلب ثم بعد أيام خرج الاتابكى ازبك من القاهرة هو والعسكر فى تجمل زائد وكان لهم يوم مشهود وفوض السلطان أمر البلاد الشامية والحلبية للاتابكى أزبك وجعل له التكلم فى أمور المملكة من ولاية وعزل ولما أراد الرحيل من الريدانية نزل اليه السلطان وودعه وجلس عنده واشتور وافيما يكون فيه المصلحة بسبب هذه الكائنة ثم ان الاتابكى أزبك سافر وفيه عين السلطان تمراز الشمسى قريبه لنيابة الشام فامتنع من ذلك وادعى الفقر وعدم البرق فوبخه السلطان بالكلام فخنق منه تمراز ونزل الى داره وأغلق بابه ولم يجتمع بأحد من الناس وصرف نقباءه عن بابه وكثر القال والقيل فى ذلك فأرسل السلطان يقول له توجه الى مكة وأقم بها بطالا واستمر فى هذه الحركة أياما وهو فى اضطراب والسلطان يستحثه فى سرعة الخروج الى مكة ثم ان الاتابكى أزبك مشى بينه وبين السلطان بالصلح فطلع الى القلعة وقابل السلطان فخلع عليه ونزل الى داره فى موكب حفل وقد زال ما بينه وبين السلطان من الوحشة بسبب نيابة الشام ثم تحول أمر نيابة الشام الى قيماس الاسحاقى أمير اخور كبير فخلع عليه وقرره فى نيابة الشام عوضا عن قانصوه اليحياوى بحكم أسره وفيه عقب ذلك وقف الامير خاير بك بن حديد الى السلطان وسأله فى اقطاع الامير يشبك الدوادار فتنرفز منه السلطان فنزل الى داره مغضبا وأغلق بابه وصرف غلمانه وامتنع من الاجتماع بالناس وتكلم بكلمات كثيرة فى حق السلطان وكان الامير خاير بك صعب المراس شديد الخلق قوى الرأس فلما بلغ السلطان ذلك بعث باحضاره فاختفى خاير بك وخرج من داره وهو لابس جبة صوف أبيض وتعمم بمئزر صوف أبيض وأخذ بيده سبحة وادعى انه قد ترك الدنيا وبقى فقيرا مجردا وتوجه الى جامع قيدان الذى بقناطر الاوز وكان أنشأ به جوسقا مطلا على البركة التى هناك فأقام به أياما فلما بلغ الامير تمراز ذلك توجه اليه وتلطف به فى عوده الى داره فلم يوافق على ذلك واستمر مصمما على عدم عوده وبقى هناك أياما ثم ان السلطان أرسل اليه قانصوه خمسمائة وشكه فى الحديد وطلع به الى القلعة وهو ماش فلما مثل بين يديه وبخه بالكلام وقصد أن يقتله ثم آل أمره من بعد ذلك الى أن أخرجه منفيا الى دمشق صحبة الاتابكى أزبك لما خرج الى التجريدة المقدم ذكرها فسجن هناك وجرى عليه شدائد ومحن الى الغاية واستمر منفيا الى أن مات بمكة المشرفة كما سيأتى الكلام على ذلك وكان خاير بك من أخصاء السلطان وكان من أكبر أصحابه من

حين كان السلطان ماسكا فانقلب عليه كأنه لم يعرفه قط فكان كما يقال ثلاث لا يؤمن اليهم المال وان كثر والملوك وان قربوا والمرأة وان طالت صحبتها وفيه طلع الأمير لاجين الظاهري الى السلطان واستعفى من امرية مجلس وذكر للسلطان أنه قد شاخ وكبر سنه وعجز عن الحركة فأعفاه السلطان من ذلك ورتب له ما يكفيه واستمر طرخانا الى ان مات وفيه خلع السلطان على الشيخ ناصر الدين بن الاخميمي الحنفي أحد أئمة السلطان وقرره في مشيخة البرقوقية عوضا عن قاضي القضاة الامشاطي وفيه خرج المحمل في تجمل زائد من القاهرة وكان أمير الركب بالمحمل تغري بردي ططر أحد الامراء المقدمين وأمير الركب الاول يشبك ابن حيدر والي القاهرة وفي ذي القعدة وصلت جثة الامير يشبك الدوادار من الرها وهي في محلية وهي جثة بغير رأس فوقع الشك فيها هل هي جثته أم لا فوجدوا بها أمارات تدل على أنها جثته فكفنوها ودفنوها في تربته التي أنشأها عند زاوية كهنبوش وتحقق موته وانقطعت الاشاعات بأنه في قيد الحياة وحضر صحبة جثته قانم دواداره وأخبر بحقيقة موته وكيفية أمر الواقعة ومن أسر من الامراء وأخبر بقتل قانم قريب السلطان الذي كان أتابك العساكر بحلب قتل على ماردين من جملة من قتل من العسكر وكان شجاعا بطلا لا بأس به فلما ثبت موت يشبك زال أمره كأنه لم يكن وفيه وصل شرف الدين بن عيد الدمشقي الذي تقدم ذكره فلما طلع الى القلعة خلع عليه السلطان وأقره في قضاء الحنفية عوضا عن الامشاطي وفي ذي الحجة خلع السلطان على تغري بردي بن بلباي الظاهري خازندار يشبك الدوادار وقرره في الاستادارية عوضا عن مجد الدين بن البقري ورسم السلطان على مجد الدين ليقيم الحساب وكان في ذلك دماره وفيه توفي دولات باي بطيخ الابوبكري المؤيدي أحد العشراوات ورؤس النوب وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من حلب بقتل محمد بن حسن بن الصوا الحلبي نائب قلعة حلب وكان من أخصاء السلطان ثار عليه أهل حلب بسبب مظالم أحدثها بحلب فقتله العامة وقتل فرج بن أغلبك حاجب الحجاب بحلب وكان رئيسا حشما من أعيان أهل حلب وكان لا بأس به وفيه مات مشنوقا شيخ عربان الشرقية قاسم بن بيبرس بن بقر وكان من خيار بني بقر وتوفي أبو بكر جركس مقدم البريدية وأحد الحجاب بمصر وكان رئيسا حشما لا بأس به

ثم دخلت سنة ست وثمانين وثمانمائة فيها في رابع المحرم خلع السلطان على أقبردي ابن علي باي قريبه أحد المقدمين وقرره في الدوادارية الكبرى عوضا عن يشبك بن مهدي بحكم قتله في الرها فنزل من القلعة في موكب حافل وسكن في دار الامير يشبك ورسم له السلطان بجميع ما كان في بيت الامير يشبك فجاءت اليه السعادة من قماش وأوان وخيول وبرك وهو لا يشعر بها فسبحان المعطي الكريم وهو على كل شيء قدير وقد قيل

* مصائب قوم عند قوم فوائد * وفيه خلع السلطان على الماس وقرره فى نيابة صفد
فخرج عن قريب وخرج صحبته تانى بك الجمالى أحد المقدمين الى حلب عونة للاتابكى أزبك
فطلب وخرج وكان له يوم مشهود وفيه ثارت ريح عاصفة وثار فيها غبار أصفر يأخذ
بالانفاس واستمر من قبل الزوال الى نصف الليل وفيه فى سابع عشره كانت زلزلة عظيمة
بمصر والقاهرة ماجت الارض وتحركت المواذن ومالت وسمع للارض دوى كدوى الرحا
وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر واستمرت نحو ثلاث درج وهى فى اضطراب حتى
دهشت منها الناس وخرجت النساء من الحمامات والبيوت وهن حاسرات عن وجوههن
وحصل للناس غاية الرعب ومات من هذه الزلزلة قاضى القضاة شرف الدين بن عيد الحنفى
وكان جالسا بايوان المدرسة الصالحية فقام حين وقعت الزلزلة فسقط عليه ساقط من أعلى
الايوان فمات لوقته وكان عالما فاضلا دينا خيرا بعث السلطان خلفه من دمشق الى مصر
وولاه قضاء الحنفية فأقام بها ثمانية وخمسين يوما ومات بهذا السبب وكان أصله من
عجلان وهو موسى بن أحمد بن عيد الدمشقى الحنفى وكان تولى قضاء دمشق ثم طلب وولى
قضاء مصر وكان مولده سنة ثلاثين وثمانمائة فلما أخرجت جنازته نزل السلطان وصلى
عليه ودفن بالصحراء وتوفى من الزلزلة عقيب ذلك الزينى أبو بكر بن القاضى عبد الباسط
ناظر الجيش كان وكان رئيسا حشما نادرة فى أبناء الزمان ذا شهامة وعظمة وكان من
أخصاء السلطان وكان عليلا فمات مرجوفا من الزلزلة حين ماج به البيت وكان
فى سعة من المال والقماش والبرك وولى من الوظائف نظر الجوالى وغير ذلك
وفيه خلع السلطان على قانصوه بن طراباى المعروف بخمسمائة الاشرفى وقرره
فى امرية الاخورية الكبرى عوضا عن قجماس الاسحاقى بحكم انتقاله الى نيابة
الشام وكان قانصوه منشا بابدا عذاره وولى الدوادارية وهو لابس الكوفية القندس
فلما بقى أمير اخور كبير بعث له السلطان بشاش فلف له تخفيفة كبيرة وكان حين لبس
الدوادارية الثانية قبل ان يلبس اقبردى التقدمة والامير اخورية الكبرى بعد ما لبس
اقبردى الدوادارية والمقصود انه صار مقدم ألف قبله وأخذ الدوادارية بالمنزلة فى محله
وقانصوه نط من الدوادارية الثانية الى الامير اخورية الكبرى فكان بينه وبينها عدة
وظائف وفيه أنعم السلطان على جماعة من الامراء بتقادم ألوف منهم ازدمر تمساح
ويشبك الجمالى الزردكاش الكبير وازدمر المسرطن الظاهرى وفيه قرر فى قضاء الحنفية
بدمشق مجد الدين بن القصيف عوضا عن العبدوى وعزل العبدوى وكان ابن فرفور قرر
قبل ذلك فى نظر الجيش بدمشق فجمع بين نظارة الجيش وبين قضاء الشافعية وعزل عن
نظارة الجيش الشريف موفق الدين الحموى وأودع فى السجن بقلعة دمشق وخلع على

قطب الدين الخيضري وقرر في كتابة السر بدمشق فانفرد بكتابة السر دون قضاء الشافعية وكان قبل ذلك متوليا القضاء الشافعية بدمشق وفيه قدم قاصد ملك الحبشة فأوكب له السلطان موكبا بالحوش وكان موكبا حافلا وأحضر صحبته هدية حافلة للسلطان فأكرم ذلك القاصد جدا وسبب حضوره انه جاء يسأل البترك أن يولي شخصا يكون عنده ببلادهم وفي صفر خلع السلطان على قاني بك جحجة وقرر في رأس نوبة الثانية عوضا عن ازدمر تمساح بحكم انتقاله الى التقدمة وقرر في الجوبية الثانية قاني بك الابنالي عوضا عن قاني بك جحجة بحكم انتقاله الى رأس نوبة ثاني وفيه نزل السلطان الى جهة قليوب وكان يوم الجمعة فلما عاد صلى الجمعة في قبة الامير يشبك التي بالمطرية وتوجه قاضي القضاة الشافعي وخطب به هناك وفيه جاءت الاخبار من المدينة الشريفة بوفاة اينال الاسحاقي الظاهري أحد العشراوات وشيخ الحرم الشريف النبوي وكان انسانا حسنا خيرا دينا وله اشتغال بالعلم وكان لا بأس به وفيه خلع السلطان على شخص يقال له شمس الدين الغزي بن المغربي وقرره في قضاء الحنفية عوضا عن ابن عيد ولم يكن هذا الغزي أهلا لولاية قضاء الحنفية ودلس على السلطان أمره وكان الساعي له في هذه الوظيفة تغري بردي الاستادار ويعقوب شاه المهمندار وقد عز ذلك على جماعة من الحنفية وكان فيهم يومئذ من هو أولى بذلك من الغزي وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن الاتابكي أزبك لما وصل الى حلب وجد أمر الفتنة التي وقعت بين عسكر مصر وبين بايندر قد سكن أمرها وان يعقوب بن حسن الطويل شق عليه ما فعله بايندر من سرعة قتله للامير يشبك الدوادار ولامه على ذلك ثم ان الاتابكي ازبك أرسل جاني بك حبيب قاصدا الى يعقوب بن حسن فتلطف به في الكلام وكان الامير جاني بك حبيب سيوسا دربا حلو اللسان فأكرمه يعقوب وأجله ثم أطلق من كان عنده من الاسرى من النواب والامراء وغير ذلك فسلمهم للامير جاني بك حبيب فأتى بهم الى حلب صحبته فلما بلغ السلطان هذا الخبر سر به جدا وفيه خلع السلطان على البدري حسن بن الطولوني وأعاده الى معلمة المعلمين وكانت قد أخرجت عنه مدة طويلة وفيه نزل السلطان وتوجه الى الخانكاه فأعجبه مكان عند قناطر المريج والزيات فأمر ببناء زاوية هنالك وحوض وسبيلا وأخذ في أسباب ذلك وجاء من أحسن البناء وفيه توفي القاضي سعد الدين الكافي أحد نواب الحنفية وهو ابراهيم بن محمد بن محمد بن قطلو بك شيخ المدرسة الظاهرية العتيقة وكان عالما فاضلا رئيسا حشما دربا محمودا في قضائه وكان لا بأس به وفي ربيع الاول جاءت الاخبار بوفاة السلطان المعظم المفخم المجاهد الغازي ملك الروم وصاحب القسطنطينية العظمى وهو محمد بن مراد بن محمد بن عثمان وكان ملكا جليلا عظيما ساد على بني عثمان كلهم وانتشر ذكره بالعدل في سائر الآفاق وحاز الفضل والعلم

والعدل

والعدل والكرم الزائد وسعة المال وكثرة الجيوش والاستيلاء على الاقاليم الكفرية وفتح
الكثير من حصونها وقلاعها وكان نائب مملكة الروم فى حياة أبيه ثم استقل بها من بعده
ومكث بها مدة طويلة تزيد عن احدى وثلاثين سنة ومولده بعد الاربعين والثمانمائة ولما
مات تولى بعده ولده أبو يزيد يلدرم الموجود الى تاريخه فلما سمع ذلك السلطان أظهر
الحزن والاسف عليه وفيه خلع السلطان على العلائى على بن الصابونى وقرره فى نظر
الخاص عوضا عن بدر الدين بن الكويز بحكم وفاته وقد جمع بين نظر الخاص ووكالة
بيت المال وفيه خلع السلطان على يشبك بن حيدر والى القاهرة وقرره فى امرية
الحاج بركب المحمل وقرر الشهابى أحمد بن الجمالى ناظر الخاص فى امرية الحاج بالركب الاول
وقرر شاهين الجمالى فى نيابة جدة ويخرج صحبة الشهابى أحمد ناظر الجيش ويكون
هو المتكلم على الحجاج بالركب الاول وفى ربيع الآخر نزل السلطان وتوجه الى
قبة يشبك التى بالمطرية وبات بها وصلى صلاة الجمعة هناك وخطب به محمد بن دمرداش
امام القبة وعمل هناك بعد العصر ميعادا بحضرة السلطان فأنعم عليه بمائة دينار
وفيه نزل السلطان وعدى الى جهة الروضة وأمر بتجديد الجامع الذى هناك تجاه
المنشية وكان تلاشى أمره فأمر بترميمه وتجديده وكان الشاد على عمارته البدرى حسن
ابن الطولونى ثم ان السلطان توجه الى المقياس ونزل عن فرسه ودخل الى قاعة المقياس
وأمر بتجديد بعض أماكنه واصلاح أساسه وغير ذلك ثم ان السلطان صار يتردد الى
الروضة ويكشف عن بناء هذا الجامع حتى انتهى العمل منه فى سنة ست وثمانين وثمانمائة
وقد جاء فى غاية الحسن والزخرف وصار يعرف بجامع السلطان وكان أصل من أنشأ هذا
الجامع الفخر ناظر الجيش وهو صاحب قنطرة الفخر الذى أنشأها فى دولة الناصر محمد بن
قلاون ثم جدد بناءه الصاحب شمس الدين محمد بن المقسى فعرف به ثم جدد بناءه الاشرف
قايتباى فعرف به وحاسن أحسن البناء هناك وفى جمادى الاولى توفى علان الاشقر بن
ططخ الاشرفى أحد العشراوات ورؤس النوب وهو الذى أنشأ الحوض والسبيل بطريق
بركة الحاج وكان لا بأس به وفيه خلع السلطان على اينال السلحدار نائب الاسكندرية
وقرره فى نيابة طرابلس عوضا عن بردبك المعمار بحكم قتله فى واقعة يا بندر وخلع على جكم
قرا أميراخور الجمالى الظاهرى وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن اينال السلحدار بحكم
انتقاله الى نيابة طرابلس وفيه توفى الامير لاجين الظاهرى أمير مجلس كان وجاوز
التسعين سنة من العمر وكان دينا خيرا رئيسا حشما وكان من الشجعان قبل أن يهرم
وولى عدة وظائف سنية منها الزردكاشية الكبرى ثم شادية الشرابخاناه ثم بقى مقدم
ألف ثم بقى أمير مجلس واستعفى من ذلك ومات بطالا وكان لا بأس به وفيه خلع

السلطان على قائم الفقيه الظاهرى الاشقر بمشيخة الحرم الشريف النبوى عوضا عن اينال باى الاسحاقى بحكم وفاته وفى جمادى الآخرة جاءت الاخبار من حلب من عند الاتابكى أزبك بأن ابلجام بن عثمان ملك الروم قد وقع بينه وبين أخيه أبى يزيد وان ابلجام وصل الى أطراف بلاد السلطان وبعث يستأذن فى الدخول الى حلب فعادمن السلطان للاتابكى أزبك بأن يحضر الى القاهرة فى قليل من عسكره ثم ان السلطان أخذ فى أسباب تجهيز الملاقاة اليه الى أن يصل الى مصر وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى فى خامس عشر مسرى فلما أوفى رسم للامير أزبك السيفى بأن يتوجه ويفتح السد وفى رجب طلع القضاة الاربعة للتهنئة بالشهر فوقع بالمجلس كلام يتعلق بالشهابى أحمد بن العينى بسبب تركة شرف الدين ابن كاتب غريب وكان بعض نواب المالكية سمع دعوى ابن العينى وحكم له ثم ان أمر هذى الدعوه وقع مدة طويلة فلما طلع القضاة فى الشهر المذكور أخذ السلطان يسأل القاضى المالكى والشافعى عن السبب فى تأخر ذلك بعد أن ثبت حق ابن العينى وحكم له بذلك فطال الكلام فى المجلس بين القضاة فحنق منهم السلطان فقام كاتب السر يتكلم للقضاة من نوع المساعدة لهم فقال له السلطان أنت معزول والقاضى الشافعى معزول والقاضى المالكى معزول فنزلوا الى دورهم وهم فى غاية النكد وكان آخر عزل ولى الدين الاسيوطى ولم يل بعد ذلك القضاء وكذلك برهان الدين اللقانى فكانت مدة ولى الدين الاسيوطى فى قضاء الشافعية نحوا من ست عشرة سنة وكان مشكور السيرة فى قضائه ثم أخذ السلطان فى أسباب من يلى قضاء الشافعية فترشح أمر الشيخ زين الدين ذكريا فطلب وخلع عليه وولى القضاء وقد تمنع من ذلك الى الغاية ثم شرط على السلطان شروطا كثيرة فأجيب الى بعضها ونزل من القلعة فى موكب حافل واستمر فى هذه الولاية مدة طويلة وقد أخذها عن ولى الدين الاسيوطى بحكم صرفه عنها وكان الشيخ ذكريا يومئذ رأس الشافعية ثم ان السلطان طلب محيى الدين بن تقى الدين المالكى وخلع عليه وقرره فى قضاء المالكية عوضا عن برهان الدين اللقانى بحكم صرفه عنها واستمر فى هذه الولاية الى أن مات وأما القاضى كاتب السر ابن مزهر فانه أقام فى داره نحو ثمانية عشر يوما وهو منفصل عن كتابة السر ثم ان بعض الامراء مشى بينه وبين السلطان فى عوده بعد ما كان ترشح أمر قضب الدين الخضيرى بأن يلى كتابة السر ثم ان ابن مزهر أورد للسلطان مالاله صورة حتى رضى عليه فلما طلع الى القلعة خلع عليه السلطان وأعاد وظيفته ونزل من القلعة فى موكب حافل وتخلق جماعته بالزعفران وزينت له حارته وهنأه الاديب أبو الخير بن النحاس بقوله فيه

مقام ابن مزهر فوق السها ، وقد زاد ربى اجلاله

وظيفته الدهر تسمو به * ولم تك تصلح الا له

وقال آخر

يا كاتب الاسرار يا من فضله * قد جمل الدنيا وزان المنصبا

هذى وظيفتك التى فارقتها * عادت اليك فرحبا بك مرحبا

وفيه حضر برقوق الساقى الاينالى أحد الامراء العشراوات وكان ممن أسر عند باينذر وحضر صحبته اياس مملوك الاتابكى أزبك وأخبر بأن النواب والامراء الذين كانوا فى الاسر عند باينذر قد أطلقوا أجمعين ودخلوا الى حلب صحبة جانى بك حبيب وقد خلع عليهم يعقوب بن حسن الطويل ثم أخبر اياس المذكور أن الجمجمة بن عثمان قد خرج من غزة وهو قاصد للديار المصرية فلما أخبر السلطان بذلك أخذ فى أسباب ملاقاة الجام وفيه توفيت خوند بنت الملك المنصور وهى زوجة تمراز الشمسى رأس نوبة النوب وكانت شابة جميلة ماتت نفساء بعد أن وضعت وفيه قرر عماد الدين اسماعيل الناصرى الحنفى الدمشقى فى قضاء الحنفية بدمشق عوضا عن ابن القصيف بحكم انفصاله عنها وفى شعبان خرج الصاحب خشقدم الزمام الى ملاقاة الجام بن عثمان ومد له أسمطة حافلة ببلبيس والخانكاه ثم لاقته الامراء المقدمون والعسكر ورؤس النوب والحجاب من المرج والزيات فسار فى موكب حافل حتى طلع الى القلعة من بين الترب فأقام له السلطان الموكب بالحوش فلما مثل بين يدى السلطان وهو جالس على المكة فصر له ولم يقم له فعند ذلك ناقصة من الاشرف قايتباى ثم خلع على الجام كاملية بسمور حافلة وأركبه فرسا خاصا من مراكبه بسرج ذهب وكنبوش زركش ونزل من القلعة فى موكب حافل وقدامه الامراء ورؤس النوب وكان له يوم مشهود وقد قيل فى المعنى

يا أيها الملك الهمام ومن له * أسد الفلا تأتى اليه بجمه

قد فاق قدرك فى الملوك تعاظما * مذ صح بين يديك نطق الجمجمه

وأنزلوه بدار ابن جلود كاتب المماليك التى بقم الخور وقد حضر صحبة الجمجمة والدته وأولاده وعياله وقد فر من أخيه أبى يزيد خوفا على نفسه من القتل فالتجأ الى سلطان مصر وفيه قبض يشبك بن حيدر والى القاهرة على امرأة يقال لها خديجة الرحابية وكانت من أعيان مغنيات مصر ولها انشاد لطيف وكان أصلها من مغنيات العرب ثم عظم أمرها جدا وحظيت عند أرباب الدولة ورؤساء مصر وكانت جميلة حسنة الغناء فافتتن بها الكثير من الناس وقد قال فيها بعض الشعراء

رحابية تخفى الشموس بحالها * لها حسن انشاد يزين مقالها

وقد شابهت بالبدر ليلة تمه * فما زال من عينى وقلبى خيالها

فلما قبض عليها يشبك كانت في بعض الافراح فقبض عليها من هناك فلما مثلت بين يديه قال لها أنت التي أفسد في عقول الناس ثم أمر بضربها بين يديه نحوا من خمسين عصا وقرر عليها مبلغا له صورة وكتب عليها قسامة بانها لا تغنى ولا تحضر في مقام فلما خلصت من ذلك أقامت مريضة مدة من الرجفة التي وقعت لها ثم ماتت عقيب ذلك وكان لها من العمر نحو الثلاثين سنة فتأسف عليها الكثير من الناس وفيه كان ختان أولاد القاضي كاتب السر ابن مزهر ببركة الرطلي وكان له مهم حافل جدا وحضر عنده جماعة من الامراء المقدمين والعشراوات وحضر عنده جمجمة بن عثمان وبات عنده وكان النيل في أواخره فأمر كاتب السر سكان بركة الرطلي بان يوقدوا في البيوت وقدة حافلة وشرع يرسل في كل بيت في البركة عشرة أرطال زيت وطلبية فيها أكل فاخر من طعام ذلك المهم فأستقلوا في الوقدة وعلقوا في الطيقان الاحمال والتنانير حتى كانت ليلة مشهودة يكاد الانسان أن يدخل الخيط في خرم الابرة من عظم ضوء النور وأحرق حراقة عظيمة لم يسمع بمثلها حتى جاءت اليها الخلائق من كل مكان بسبب الفرجة وبلغ كراء كل مركب أربعة أشرفية واستمرت هذه الوقدة والحراقة ثلاثة أيام متوالية حتى عدذلك من النوادر التي لم يقع مثلها واجتمع بالبركة نحو من أربعمائة مركب موسوقة بالخلائق وصار ابن رحاب عمالا ومغاني البلد من نساء ورجال في كل ليلة وأنفق في تلك الليلة من الاموال ما لا يحصى حتى قيل ابتاع من عصفور الجيان على المتفرجين بنحو من مائة وعشرين دينارا حين مقلي وكذلك ابن الزيبق الحلواني ابتاع منه حلوى بمثل ذلك وقد خرجت الناس في القصف والفرجة عن الحد وقد رسم السلطان للقاضي كاتب السر أن لا يبقى ممكنا في هذا المهم لاجل جمجمة ابن عثمان لكونه كان حاضرا في هذا المهم وفي هذه الواقعة يقول بعض الشعراء

طابت على بركة الرطلي ليلتنا * حتى تباهت على الخلجان والبرك
حفت بضوء مصابيح زهت وغدت * تضيء في حندس الديجور والحلك
فكان لما تناهى حسن وقدتها * تحكي شموس الضحى في دارة الفلك

وقال شمس الدين القادري

تاه الانام بجنح الليل فاتخذوا * لهم دليلا لدى الظلما من اللهب
حتى كأن جلابيب السما غيبت * عن لونها وكأن الشمس لم تغب

وفيه عزم السلطان على الجمجمة بن عثمان وأضافه بقبة الامير يشبك التي بالمطرية وحضر ذلك الامراء المقدمون وكانت ضيافة حافلة جدا وخلع السلطان على الجمجمة كاملية بسمور وفيه قرر الجمالي يوسف بن جاهين الكركي سبط ابن حجر في قراءة الحديث الشريف بالقلعة عوضا عن برهان الدين بن الكركي الامام وكان السلطان تغير خاطره على ابن الكركي

واختفى مدة طويلة وفيه أحضر شخص من العرب بين يدى السلطان سنامن نواجذ بنى آدم من نسل العمالقة فكان وزنه ستة أرطال ونصفا فتعجب السلطان من ذلك وفى رمضان ثارت رياح من جهة الغرب وكانت عاصفة جدا وأظلم بسببها الجو وأرعد وأبرق ثم أمطرت السماء مطرا غزيرا وكان المطر فى غير أوانه فى أواخر بابه ثم جاءت الاخبار من دمياط بان هذا الريح كانت قوته بدمياط وقد قلع عدة أشجار وهدم بعض أماكن وأغرق عدة مراكب من مراكب الفرنج وكان ريحا مهولا جدا وفيه جاءت الاخبار من المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بان فى ليلة ثالث عشر الشهر المذكور سقطت صاعقة عظيمة فى أواخر الليل على المسجد الشريف النبوى فاحترقت منها المنارة التى تجاه الحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام واحترقت سقوف المسجد جميعها والمنبر والحيطان والاعمدة والابواب وماسلم من ذلك سوى القبة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وبعض حيطان المقصورة وقتل المؤذن الذى كان على المئذنة وقت نزول الصاعقة وقتل جماعة أيضا ممن كان بالحرم الشريف فكتب بذلك محضر وثبت على يد قضاة المدينة وكان مما كتب فى المحضر أن المؤذن لما طلع على المئذنة الشرقية لاجل التسبيح رأى صاعقة عظيمة نزلت من السماء على المسجد الشريف النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فعلت فيه النار فلما رأى المؤذن ذلك خرس ونزل من المئذنة فأقام ساعة ومات وقد رأى الناس عدة أطيار بيض بأعناق طوال طائفة حول المسجد تمنع النار أن تحرق البيوت التى حول المسجد وأن المسجد جميعه قد احترق حتى صار كالتنور فلما سمع السلطان ذلك بكى وبكى من كان حوله وتعجب الناس لهذه الواقعة كيف جرت فى هذا المكان الشريف فأخذ شيخنا شمس الدين القادرى يعتذر عن ذلك

بطيبة سيئات الركب بدلها * رب العلا حسنات عندما زاروا
وعندما قبلت ضاهت لدى حرم الـمختار من أكلت قربانه النار

واعتذر آخر

لم يحترق حرم النبى لحادث * يخشى عليه ولادها ما العار
لكنما أيدى الروافض لامست * ذاك الجناب فطهرته النار

واعتذر آخر

قالوا لقد غاب الصواب لحادث * تبنى عليه رضاهم الكفار
بل ضم شمل السحت وهو محرم * عند الرسول فحرقته النار

ثم ان السلطان شرع فى تجديد المسجد الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فعين الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن بان يتوجه الى المدينة الشريفة وأرسل معه عدة

من البنائين والنجارين والمرخمين وغير ذلك وأمر بهدم القبة الشريفة على صاحبها أفضل
الصلاة والسلام واعادتها وتجديدها وتجديد غيرها من الحديد المخرم وكانت قبل ذلك
من الخشب وتغيير المنبر والمواذن التي كانت بالحرم ثم توجه ابن الزمن الى هناك وشرع
في البناء حتى انتهى منه العمل في أواخر سنة سبع وثمانين وثمانمائة فجاءت غاية في الحسن
من أجل الابنية وأعظمها حتى قيل ان السلطان صرف على بنائه نحوا من مائة ألف دينار
وبعد ما عملوه تناهى في زخرفته الى الغاية ووقع مثل هذه الحادثة في حرق المسجد الشريف
على صاحبه أفضل الصلاة والسلام سنة احدى وخمسين وستمائة في أواخر دولة أيبك
التركماني وفيه وصل قاصد من عند يعقوب بن حسن الطويل وعلى يده مكاتبة من عند
يعقوب وهو يعتذر فيها عما وقع من بايندر وأن ذلك لم يكن بعلمه فعتب السلطان على القاصد
بسبب ما وقع من بايندر وسرعة قتله للامير يشبك ثم أضاف القاصد وخلع عليه وأذن له
بالسفر وفيه نزل السلطان الى قبة الامير يشبك الدوادار التي في رأس دور الحسينية
فكشف عليها ورسم للامير تغرى بردى الاستادار بأن يكمل عمارتها فان الامير يشبك
مات ولم يتم عمارتها فلما رجع السلطان شق من القاهرة فقام اليه الناس قاطبة وشكوا له
بسبب الفلوس الجدد وغلو البضائع فلما طلع الى القلعة رسم بعقد مجلس بالمدرسة
الصالحية فاجتمع القضاة الاربعة وكاتب السر وناظر الخاص العلائي ابن الصابوني
والمحتسب ثم أخذوا يتكلمون في أمر الفلوس وكان ناظر الخاص ضرب فلوسا جددا
عليها اسم السلطان وقصد أن يخرجها بأغلى من الفلوس العتق فلما تكلموا في أمر
الفلوس العتق أخذ ناظر الخاص يعارض في ذلك لاجل غرضه فلما سمع العوام بذلك
ثاروا عليه في وسط المدرسة الصالحية ورجموه ولولا كاتب السر لقتلوه فلما طال المجلس
في ذلك اتفق الحال على أن تكون الفلوس كلها العتق والجدد بالميزان بستة وثلاثين
الرطل فنادوا في القاهرة بذلك فسكن الامر قليلا وفي شوال كان موكب العيد حافلا
ورسم السلطان للجام بن عثمان بأن يلبس الشاش والقماش ويطلع ويصلي مع السلطان
صلاة العيد فطلع وصلى وحضر الموكب وخلع عليه السلطان مثمرا وقوقاني بطرز عريض
ونزل مع الامراء المقدمين وهو بالشاش والقماش وفيه خلع السلطان على بيبرس الرجبي
قريبه وقرره في شادية الشراب خاناه عوضا عن الماس بحكم انتقاله الى نيابة صفد وفيه
خلع السلطان على قريبه تمراز التمشي وقرره في امرية سلاح وكانت هذه الوظيفة شاغرة
من حين قتل الامير يشبك الدوادار وفيه خرج الحاج من القاهرة في تجمل زائد وكان
أمير المحمل يشبك بن حيدر والى القاهرة وأمير الركب الاول الشهابي أحمد بن الجمالي يوسف
ناظر الخاص وسافر صحبته الجام بن عثمان هو وأمه وعياله وقد هيأ له السلطان بركا عظيما

صرف

صرف عليه جملة مال له صورة وفيه جاءت الاخبار بوصول الامير أزبك الى غزة وصحبته النواب والامراء الذين كانوا أسروا عند بايندر فأرسل السلطان هجانا للاتابكى أزبك بأن يقبض على قانصوه اليحياوى الذى كان نائب الشام وأسر عند بايندر ويرسله الى القدس بطالا وأن بقية الامراء والنواب يحضروا الى القاهرة وكان قد بلغ السلطان بان قانصوه اليحياوى كان سببا لكسرة العسكر وقتل يشبك فعمل له ذنب كبير بسبب ذلك فكان كما قيل

له ألف ذنب لا تعدّ بواحد * ولى فرد ذنب لا يعدله ألف

وفيه كان وصول الاتابكى أزبك الى القاهرة فدخل فى موكب حافل وصحبته أزدمر نائب حلب الذى كان أسر عند بايندر وكذلك برسباى قرا حاجب الحجاب وتانى بك قرا أحد المقدمين وكانوا أسروا أيضا فكان لدخولهم يوم مشهود وأحضر الاتابكى أزبك مثقال البرهانى الذى كان مقدم المماليك ونفى الى القدس بطالا فلما حضر من غير اذن السلطان شق عليه ذلك وأمر بنفيه الى مكة المشرفة فلحق بالحجاج ثم ان الاتابكى أزبك شفع فيه وباس رجل السلطان مرارا فرسم بعوده الى القاهرة بطالا فعاد من أثناء الطريق وفى ذى القعدة خلع السلطان على قريبه أزدمر الذى كان نائب حلب وقرره فى امرية مجلس وكانت شاغرة من حين عزل منها الاجين الظاهرى فقربها أزدمر بغير اقطاع فكان له فى كل شهر ألف وخمسمائة دينار مرتبة على الذخيرة ثم خلع على برسباى قرا وقرره فى الرأس نوبة الكبرى عوضا عن قراز التمنى بحكم انتقاله الى امرية سلاح وخلع على تغرى بردى ططر وقرره فى حجوبية الحجاب عوضا عن برسباى قرا بحكم انتقاله الى الرأس نوبة الكبرى وخلع على قانصوه الغورى وقرره فى كشف الوجه القبلى وفى ذى الحجة قرر سيباى نائب غزة فى حجوبية الحجاب بدمشق عوضا عن يشبك العلائى بحكم انتقاله الى نيابة حماه عوضا عن جانم الجداوى بحكم انتقاله الى أتابكية دمشق عوضا عن شاد بك الجلبانى وقرر سودون الطويل الاينالى فى تقدمة ألف بدمشق وقرر فى نيابة غزة دولات باى الابرو الاينالى عوضا عن سيباى الذى قرر فى حجوبية دمشق وفيه نزل السلطان وتوجه الى الروضة وكشف عن الجامع الذى أنشأه هناك وفيه توفى طوخ الذى كان زردكاش ونفى الى دمياط ثم شفع فيه وعاد الى مصر بطالا فمات بها وكان أصله من مماليك المؤيد شيخ وكان لا بأس به وفيه توفى شيخ عربان الشرقية محمد بن عجلان بن بقر وكان لا بأس به وجرت عليه شدائد كثيرة ومحن وكان قد شاخ وكبر سنه وتوفى أزبك الظاهرى أحد العشراوات وتوفى جانم بن التاجى دوادار جانم نائب الشام وكان لا بأس به وتوفى فى أواخر السنة المذكورة جماعة كثيرة من الاعيان لم نذكرهم خوف الاطالة

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثمانمائة فيها في المحرم جاءت الاخبار بموت بيكم قرا العلائي الظاهري نائب ثغر الاسكندرية وكان لا بأس به وفيه قدم الحاج الى القاهرة وحضر الجمجمة بن عثمان صحبة الشهابي أحمد بن الجمالي يوسف ناظر الخاص أمير ركب الاول فأنعم عليه السلطان بأشياء كثيرة وفيه أفرج السلطان عن أمير ركب محمل العراق والقاضي الذي كان معه وكانا بالبرج الذي بالقلعة من أيام حسن الطويل وقد تقدم سبب ذلك وفيه قلق جمجمة من اقامته بمصر وطلب التوجه الى بلاده ليحارب أخاه فجمع السلطان الامراء واستشارهم في ذلك ثم أحضر الجمجمة وتكلم مع الامراء بكلام كثير فأغلظ عليه الاتابكي أزبك في القول وهو لا ينتهي عن السفر الى بلاده فطال الكلام بينه وبين الامراء في ذلك ثم انفض المجلس وقد أذن له السلطان بالسفر الى بلاده على كره منه وكان ذلك عين الغلط وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها وسنذكر ذلك في موضعه وفي صفر خلع السلطان على شخص من الاراذل يقال له محمد بن العظمة وكان صنعته فراء ثم سعى له عند السلطان وسائط السوء بأن يقرره في نظر الاوقاف فخلع عليه بذلك فلما استقر في الوظيفة حصل على الناس منه غاية الضرر الشامل والتزم عمال يورده في كل شهر له صورة فصار يرسل خلف الناس من رجال ونساء ويرسم عليهم بسبب الاوقاف ويحاسبهم على الماضي والمستقبل ويأخذ منهم جملة مال وصار بابه أنحس من باب الوالي والتف عليه جماعة من المناحيس وصاروا يفرعون له الاذى تفريعا وكان ذلك في صحيفة قايتباي رحمه الله الذي قرب مثل هذا وسلطه على الناس فكان كما قيل

لبابك بواب عن الخير مانع * بضم لقبح الوجه سوء خطابه

فساويت فيه من غدا يمنع القرى * ومن يربط الكلب العقور ببابه

وكان يورد هذه الاموال للسلطان لا يدري أمن حلال هي أو من حرام كما قيل في العنب

قيل للصب فيه خمر حرام . فتمنى حرامه وحلاله

وفيه توفي جاني بك كوهية الاسماعيلي المؤيدي الذي تقدم ذكره وكان لا بأس به وفيه خلع السلطان على موفق الدين بن الحمصي الاسلمي وقرره في نظارة الدولة وكان في خدمة الصاحب خشقدم وهي أول شهرته وفيه توفي أقبردي تمساح بن اسباي الاشرفي أحد العشراوات ورؤوس النوب وكان من مماليك الاشرف برسباي وسافر الحجاز أمير الركب الاول غير ما مرة وكان لا بأس به ومات فجأة وكان قد جاوز السبعين سنة من العمر وفي ربيع الاول عقد الامير أقبردي على خوند أخت زوجة السلطان وهي بنت العلائي بن خاص بك التي كانت زوجة الامير يشبك ناظر الجوالي قريب السلطان وكان يوم دخوله بها مهما حافلا وفيه في أول يوم من بشنس قلع السلطان الصوف ولبس البياض وقد خالف العادة في قلع الصوف

بأيام ثم عمل المولد النبوي وضرب الكرة وفيه ضرب السلطان شخصا يقال له بلبان الكاشف فلما ضربه لم يعجبه ضرب رؤس النوب فنزل من فوق الدكة وتولى ضربه من عظم حنقه عليه وفي ربيع الآخر وقع بين قاضي القضاة زين الدين زكريا وبين الامير دولات باي الحسني شاد الشون فكانت حادثة عظيمة قام فيها القاضي الشافعي فما حصل له من ذلك طائل وهذه الواقعة مشهورة بسبب وقف وفيه خلع السلطان على الامير أزبك اليوسفي أحد الامراء المقدمين وقرره في امرية الحاج بركب المحمل وقرر دولات باي الحسني شاد الشون في امرية الركب الاول وفيه كان ختان أولاد الملك المؤيد أحمد بن الاشرف اينال بثغر الاسكندرية وكان حافلا فأرسل يطلب علي بن رحاب المغني بسبب الزفة وفيه خلع السلطان على الشيخ صلاح الدين الحنفي الطرابلسي وقرره في مشيخة المدرسة الاشرفية التي بجوار الوراقين عوضا عن البرهان بن الكركي بحكم استعفائه لما تغير خاطر السلطان عليه وفيه خلع السلطان على واحد من مماليكه يقال له علي باي وقرره في نيابة الاسكندرية عوضا عن بحكم قرابحكم وفاته وكان علي باي هذا كاشف الشرقية يومئذ وفي جمادى الاولى جاءت الاخبار بقتل سيف أمير آل فضل الذي خرج الامير يشبك الدوادار بسببه كما تقدم قتله ابن عمه غسان في بعض بلاد العراق وفيه خرج السلطان وسافر على الهجين ولم يعلم الى أين توجه وكثر الكلام في حقه في ذلك بسبب سفره ثم ظهر بعد ذلك أنه سافر نحو جهات العباسة وغيرها ثم رجع بعد أيام وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة الامير خاير بك بن حديد الذي كان أحد المقدمين بمصر وتغير خاطر السلطان عليه كما تقدم فنفاه الى الشام فأقام بها مدة ثم نقله الى مكة المشرفة فمات بها وكان أصله من مماليك الاشرف برسباي وكان دينا خيرا عارفا بأنواع الفروسية وله اشتغال بالعلم وحذق جيد وفصاحة بالعربية مات وله من العمر زيادة عن الستين سنة وكان من جملة الامراء المقدمين بمصر وهو صاحب المدرسة التي بزقاق حلب * وفيه كانت وفاة شاعر العصر ورأس الادباء على الاطلاق الشيخ شهاب الدين أحمد المنصوري وهو أحمد بن محمد بن خضر بن علي السلمي المنصوري المعروف بالهائم القاهري الحنبلي وكان له شعر جيد ونظم رقيق جدا وفيه يقول الناصري محمد بن شادي بك العنبري

أخبرتنا ملوك علم القوافي * في بديع المنظوم والمنثور
ما وجدنا خليفة في المعاني * ملكا في البيان كالمنصوري

وكان الشهاب هذا جميل الهيئة نير الوجه متعففا عن الناس ولما بلغ خمسة وسبعين سنة من العمر قال

بلغت من دنياى ستابه * وقعت فى السبعين والخمس

فالحمد لله الكريم الذى * متعنى بالسن والضرس

ولما بلغ الثمانين سنة من العمر قال

نحو الثمانين من المرقد * قادتها مثل عقود الجمان

وما أصبحت يوما يبقى الى * عصا ولا سعى الى ترجمان

ثم عرض له فى أواخر عمره فالج فلازم الفراش مدة طويلة وانقطع فى داره عن الحركة فانشأ يقول

آه يادرهمى ويا دينارى * ضعت بين الطبيب والعطار

كنت أنسى فى وحدتى وشفائى * من سقامى وحصتى فى انكسار

كنت تقضى عماحلا من غذاه * وعشاء منيتى أوطارى

قد حمانى الطبيب عن شهواتى * فاحسبيا رب قلبه بالنار

طال شوقى الى الفواكه والبطيخ والجبن واللبا والخيار

ضاع لى على مقاساة لب القرع والهندبا وبزر الشمار

كلما أجمع اختيارا حطاما * فرقته منى يد الاضطرار

ليت شعرى وللزمان خطوب * وبلاء يختص بالاحرار

هل لميت قضى عليه طبيب * من كفيل أوآخذ بالثار

واستمر بهذا الفالج الى أن مات (١) وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وفيه ثار جماعة من المماليك الجلبان بالقلعة وقصدوا قتل مقدم المماليك حتى فر منهم واختفى وأحرقوا باب الزردخاناه وكانت فتنة كبيرة ثم سكن الحال قليلا وفيه جاءت الاخبار بان الجام لما خرج من مصر وتوجه الى بلاد ابن قرمان بعث اليه أخوه جماعة من عسكره فصار بوا فانكسر وفر هاربا وندم على خروجه من مصر ولم يعلم أين يتوجه وفيه كان وفاء النيل المبارك وتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه هجم اللصوص على قيسارية جركس وقتلوا البواب وأخذوا من الدكاكين أشياء كثيرة ولم ينتطح فى ذلك شاتان وفيه أنعم السلطان على الناصرى محمد ابن الاتابكى أزبك بامرية عشرة وأرسل اليه شاشا ملفوفا له تخفيفة وفيه توفيت خوندشقرا بنت الملك الناصر فرج ابن الظاهر برقوق زوجة الاتابكى جرباش كرت وكانت من مشاهير الخوندات فنزل السلطان وصلى عليها وفيه جاءت الاخبار بان الجمجمة بن عثمان لما فر من عسكر أخيه نزل فى مركب فى البحر الملح فخرج عليه بعض الفرنج فى مراكب فأسروه وقد ذهب بجميع ما كان معه من مال وقماش وغيره وكان سروحه من مصر عين الغلط وفيه هلك بترك

(١) فى الشذرات انه ولد سنة ٧٩٩ وهو الصواب

النصارى اليعاقبة وكان عند أهل ملته مشكورا وفى شعبان صنع الاتابكى أزبك فى الازبكية حراقة نفط ووقدة عظيمة وكانت ليلة مشهودة وفيه رسم السلطان بعمارة سور البيرة فجاء من أحسن البناء وأنفق عليه مالا له صورة وفيه جاءت الاخبار من المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بان السلطان أنشأ هناك مدرسة وجعل لها شبابيك مطلة على الحرم الشريف النبوى فقامت على السلطان اشناعة بسبب ذلك وأفتى بعض العلماء بان ذلك لا يجوز فان حرمة النبى صلى الله عليه وسلم وهو ميت كحرمته وهو حى صلى الله عليه وسلم وقد أجاز ذلك بعض علماء البلد وفيه توفى الناصرى محمد ابن الاتابكى جرباش كرتوه وابن خوند شقراء كان بينه وبين وفاة أمه نحو من شهر وقد مات فجأة وقيل وقع بينه وبين سرور مشد الحوش السلطانى وكان طواشى والدته قديما فسقى منه الناصرى محمد فتناوله فعاص الناس وابتلعه فمات من ليلته وكان رئيسا حشما لطيف الذات لا بأس به وفى رمضان توجه الصاحب خشقدم الى الوجه القبلى بسبب ختم المغل وفيه كان ختم قراءة صحيح البخارى وفرقت الصرر وانخلع على القضاة والعلماء وكان ختما حافلا وفيه خسف جرم القمر ودام فى الخسوف نحوا من خمسين درجة وفيه توفى قاضى المحلة أوحد الدين بن العجمى وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه رسم السلطان بنفى دولات باى بن مصطفى نائب غزة فنفى الى مكة المشرفة وفى شوال ظهر قاسم شغيته الذى كان وزيرا وكان لمدة وهو مختف فلما ظهر خلع عليه السلطان كاملية حافلة وقرره فى نظر الدولة عوضا عن موفق الدين بن العمصى الاسلمى وفيه حضر الصاحب خشقدم من السفر فلما حضر رسم السلطان عليه لاهل الحساب وفيه ولد للسلطان ولد ذكر من سريته أصل باى الجركسية فسماه محمدا وهو الذى تسلطن بعده وفيه خرج المحمل من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير ركب المحمل أزبك اليوسفى أحد المقدمين وبالركب الاول دولات باى الحسنى شاد الشون وفى ذى القعدة رسم السلطان للقضاة والشهود أن لا يعقدوا لمملوك من مماليكه حتى يأخذوا الاذن من أغاته وفى هذه الايام تزايد شر جماعة من المماليك الجلبان وصاروا يأخذون أشياء الناس بلا شئ من دكاكين التجار وغيرهم وحصل للناس منهم غاية الضرر الشامل وفيه توفى محب الدين كاتب العجم واسمه عبد الرحمن بن حسن بن الامين الحلبى الحنفى توفى بالبيمارستان وكان فاضلا شاعرا ماهرا وله خط جيد وكان عشيرا الناس فكه المحاضرة وكان من أخصاء الامير يشبك بن مهدى الدوادار لكنه كان مسرفا على نفسه يميل الى محبة الاحداث وله فيهم أشعار كبيرة وكان جاهلا محترقا ومن شعره فى المعنى

أميل للمرد طبعا * من كل نوع وجنس

لو طال أيرى قليلا * لنكت نفسى بنفسى

ومما داعبه به الشيخ الشهاب المنصوري رحمة الله عليه قوله

فى ملاح الشق * صيف القلب وشتى
كم ليال مع مليح * بالمحب الدين بتنا
نحن في بستان حسن * حبذا البستان بستا
أنت بالصبيان صب * لو رأيت البنت بنتا

وفيه توفى الفتح محمد المنصورى أحد المباشرين وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه قدم الامير تمراز الشمسى من البحيرة وكان مسافرا بها فخلع عليه السلطان ونزل الى داره وفى ذى الحجة كانت الاضحية غالية ولا توجد الا قليلا فحصل للناس غاية القلق بسبب ذلك وفيه قبض السلطان على شخص يقال له الشريف الاكفانى زعموا أنه قد قتل قتيلا وهو زوج جنسه فضرب بين يدى السلطان فلم يقر بشئ فرسم بسجنه فسجن مدة طويلة ثم آل أمره الى أن صالح الورثة بمال وأطلق بعدما قاسى شدائد ومحنا وفيه كان عيد النحر يوم الجمعة وقد ثبت الشهر بالاربعاء فى اليوم التاسع من ذى الحجة فحنق السلطان من القاضى زكريا وأشيع عزله وقد فات الناس صوم يوم عرفة والتكبير فى صبيحته وانطلقت ألسنة العامة على القاضى زكريا وسبوه جهرا وفيه وصل مبشر الحاج وأخبر أنه وقع بمكة المشرفة سيل عظيم حتى دخل الحرم وعام منه المنبر ووصل الى قريب عتبة البيت الشريف وقتل بالغرق بسببه نحو من سبعين انسانا وهدم عدة دور وكان أمرا مهولا وأخبر المبشر بوفاة بدر الدين الدميرى المعروف بكتكوت أحد نواب الشافعية مات بالازلم من طريق الحجاز وهو محمد بن يوسف ابن على بن محمد بن أحمد بن سلطان الدميرى الشافعى وكان فاضلا فارقا بصنعة التوقيع وكان موقع الدست وأحد نواب الحكم وكان فكه المحاضرة كثير العشرة للناس طلق اللسان فى حق الناس وكانت الشعراء تهجوه كثيرا فمن ذلك قول بعضهم

قد عيل صبرى من خطب ألم به * عقلى وطرفى مذهول ومبهوت
فان غدا الديك سلطانا فلا عجب * فقد غدا قاضيا فى الناس كتكوت

وفيه يقول الاديب على بن برديك

ان الدميرى صديق فلا * أسمع فيه قول واش ولاح
ولا أرى كالغير تقبيحه * بل هو عندى من ملاح الملاح

والنكتة هنا أن الكتاكيت ينادى عليهم يا ملاح الملاح وفيه جاءت الاخبار من بلاد الغرب أن أبا عبد الله محمد بن حسن بن على بن أبى سعد بن الاحمر قد ثار على ابنه الغالب بالله صاحب غرناطة وملكها من ابنه وجرت بينهما أمور يطول شرحها وآل الامر بعد ذلك الى خروج الاندلس عن المسلمين وملكها الفرنج والامر لله فى ذلك وفيه توفى طرنطاى

المحمودي أحد الامراء العشراوات وأصله من مماليك الاشرف برسباى وكان جلبه هو والسلطان قايتباى فى سنة واحدة وتوفى يونس الكاتب المجيد وكان أكتع ويكتب بيده اليسرى خطا جيدا وتوفى أواخر السنة المذكورة جماعة كثيرة من الاعيان لم نذكرهم خوف الاطالة

❁ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم خلع السلطان على محمد بن عبد الرحمن وقرره فى نيابة جدة عوضا عن أبى الفتح المنوفى بحكم صرفه عنها وفيه نزل السلطان وتوجه الى سنيت بسبب الكشف على الجسور ثم زار سيدى أحمد البدوى رحمة الله عليه ورضى عنه وفيه كان الغلاء بمصر قليلا والاسعار مرتفعة فى سائر البضائع والغلال وفيه توفى الشيخ علاء الدين الحصنى الشافعى وكان عالما فاضلا رئيسا حشما متواضعا وفيه وصل الحاج الى القاهرة وقاسى مشقة زائدة ولم يحمد سيرة أمير الركب بالمحمل أزبك اليوسفى وفى صفر وقع بين كرتباى بن مصطفى المعروف بالاحمر الذى توفى فى اتابكيته فيما بعد وكان يومئذ أحمد الدوادارية وبين ناظر الجيش كمال الدين بعض تشاجر فلكمه كرتباى الاحمر أطاح عمامته عن رأسه بالحوش فى وسط الناس وراحت فى كيسه وفيه توفى الصارمى ابراهيم بن منجك وكانت وفاته بدمشق وكان رئيسا حشما من الاعيان وفيه توفى الشيخ أبو حامد المقدسى وهو محمد بن خليل المقدسى الشافعى وكان من أهل العلم والفضل وله عدة مصنفات ومولده بعد العشرين والثمانمائة لكنه كان سهلا بليد الذهن قليل الفهم ومما وقع له أن الزينى أبا الفتح بن النحاس الشاعر داعبه بهذين البيتين وكتبهما اليه فى ورقة ودفعهما له فى مجلس القاضى كاتب السر ابن مزهر فلما قرأهما استحسنهما ولم يفهم ما فيهما من الدسيسة عليه فكتبهما بخطه فى بعض مصنفاته وأوردهما لابن النحاس وهما

يا حامد أنت الذى شاع ذكره ❁ بكثرة تأليف وجمع به انفرد
فأنت الذى ما مثل حفظك فى الورى ❁ وأنت الذى ما مثل ذهنك فى البلد

وفيه جاءت الاخبار بوفاة جانم الجداوى نائب حماه وأتابك دمشق وكان لا بأس به وفيه أشيع عن مثقال الساقى الطواشى الظاهرى رأس نوبة السقاة بأنه يضرب فى بيته الزغل فأرسل السلطان من كبس داره وقبض عليه وفى ربيع الاول رسم السلطان بعمل حساب قاضى القضاة الحنفى شمس الدين الغزى بدار الامير برسباى قرا رأس نوبة وقاسى من البهدلة والانكاد ما لا يعبر عنه وفيه ثار بالناس فى فصل الربيع دموية وأمراض حادة ومات بذلك جماعة كثيرة حتى أطلق عليه الفصل الصغير ومات به من أعيان الناس سيدى فرج ابن تمر نائب الشام وكان شابا جميل الوجه لم يلتح بعد فتأسف الناس عليه قاطبة وفيه عمل

السلطان المولد النبوي وكان حافلا واجتمع الامراء والقضاة الاربعة وكان السلطان شرع في عمل خيمة كبيرة مدورة برسم المولد الشريف فنصبها في ذلك اليوم بالحوش وفيه توفي القاضي نجم الدين يحيى بن حجي وهو يحيى بن حجي بن محمد بن أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد الحسباني الدمشقي ثم القاهري الشافعي وكان عالما فاضلا رئيسا حشما وعد من العلماء وكان كريما محتشما وولي نظارة الجيش بمصر وكان من أعيان الرؤساء بمصر والشام فلما مات وجد عنده زيادة عن ثلاثة آلاف مجلد من الكتب النفيسة وفيه في آخر يوم من برمودة قلع السلطان الصوف ولبس البياض وقد عجل بلبس البياض قبل أوانه بعشرة أيام وفيه جاءت الاخبار من القدس الشريف بان قانصوه اليحياوي الذي كان نائب الشام ونفي الى هناك بطالا قد أجرى عين ماء بالقدس وكانت معطلة مدة طويلة فصرف عليها مالا له صورة من ماله وحصل بها غاية النفع وفي ربيع الآخر خلع السلطان على أزدمر تمساح أحد الامراء المقدمين وقرره في امرية السلاح في ركب المحمل وقرر أزدمر الاشقر أحد العشراوات في امرية الركب الاول وفيه قرر شادبك المحمدي الظاهري أحد العشراوات في نيابة دمياط وفيه توفي أبو الفداء الواعظ الناثر المادح وكان من أعيان دواشغل مصر في حسن الصوت وجودة الغناء وكان لا بأس به وفيه ثارت فتنة كبيرة بين مماليك اقبردي الدوادار وبين مماليك ازدمر نائب حلب ووقع بينهم فتنة بالرميلة حتى شهروا السلاح على بعضهم فثار جماعة من مماليك السلطان مع مماليك اقبردي الدوادار فكادت أن تكون فتنة عظيمة بين الامراء ثم سكن الامر قليلا وفيه توفي الشيخ الصالح سيدي أبو الفضل من أولاد سيدي علي وفا وكان حصل له انجذاب واستمر به الى أن مات وكان من بيت كبير الولاية وفيه زلزلت القاهرة بعد العشاء لكنها كانت خفيفة ولم تدم ولو دامت قدر درجة لحصل منها غاية الفساد وفيه أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة ستة أذرع وأربع أصابع وفيه سافر الامير اقبردي الدوادار الى جهة الصعيد بسبب ضم المغل وكان صحبته أمير عربان هوارة داود بن عمر وكان قد أعاده السلطان الى امريته بالوجه القبلي وصرف محمد بن يونس ولد عمه

❁ ومن الحوادث أنه في جمادى الاولى في يوم الثلاثاء عاشره ثار جماعة من المماليك الجلبان وتوجهوا الى دار برسباي قرا ونهبوا كل ما فيها وأحرقوها عن آخرها ونهبوا الربوع التي بجوارها وأحرقوها حتى نهبوا بسط المدرسة الابوبكرية والفخرية حتى أخذوا القناديل التي بها وكانت مصيبة شنيعة وهذا أول فتك الجلبان بالقاهرة واستخفافهم بالسلطان واستمرت الفتن من يومئذ تتزايد حتى كان منهم ما سنذكره في موضعه وكان سبب كائنة برسباي قرا ان شخصا من المماليك الجلبان دخل الى سوق الشرب ليشتري ثوبا بعلبكيا من بعض التجار فتعترس المملوك على التاجر وضربه ضربا مبرحا وأخذ منه الثوب البعلبكي

غصبا فشكاه التاجر من باب برسباى قرا وكان يومئذ رأس نوبة النوب فطلب ذلك المملوك فلما حضر قامت عليه البينة بما فعل فى سوق الشرب فأدبه وضربه بين يديه فلما بلغ خشداشينه ذلك ثاروا على برسباى قرا وقصدوا ما فعلوا وراموا أن يحرقوا سوق الشرب حتى أخلوا منه التجار قاطبة وكادت أن تكون فتنة كبيرة تعم البلد ثم ان الاتابكى أزبك جرى بين المماليك الجلبان وبين برسباى قرا بالصلح وسكن الحال قليلا وفى جمادى الآخرة جاءت الاخبار بأن على دولات بن دولغادر قد أتى الى ملطية فى جمع كثير من العساكر وقد حاصر البلد أشد المحاصرة فانزعج السلطان لهذا الخبر وفيه توفى قانى باى الفلاح الاشرفى أحد العشراوات وأصله من مماليك الاشرف برسباى وكان بارعا فى فنون الرمح وتوفى مغلباى الفقيه أحد العشراوات وكان أصله من مماليك العزيز وكان له اشتغال بالعلم وفيه عرض السلطان الجند وعين تجريدة الى حلب بسبب على دولات بن دلغادر وعين بها من العلماء أزدمر أمير مجلس الذى كان نائب حلب والامير تغرى بردى ططر حاجب الحجاب الثانى ومن الامراء الطبلخانات قانى بك جنجه رأس نوبة ثانى ومن الامراء العشراوات تانى بك الاينالى الحاجب الثانى وسودون الصغير العلائى وبردبك المحمدى الخازندار الثانى ومن الجند نحو من خمسمائة مملوك وأنفق عليهم فبلغت النفقة على الامراء والجند زيادة عن سبعين ألف دينار وفيه حضر شمس الدين الحلبى تركة يحيى بن حجى فرأى بين كتبه كتاب الفصوص لابن عربى فقال هذا الكتاب ينبغى أن يحرق وان ابن عربى كان كافرا أشد من كفر اليهود والنصارى وعبدة الاوثان فقال له بعض الحاضرين كيف تحرق كتاب الفصوص وفيه آيات من كتاب الله تعالى فقال ولو كان فتعصبوا عليه ذلك وأرادوا تكفيره فبادر وترامى على كاتب السر ابن مزهر فقام معه وآل أمره الى أن عزروه وكشفوا رأسه ثم حكم باسلامه وحقن دمه وقد قامت عليه النائرة بسبب ذلك وفيه يقول أبو النجا القمرى

أقعدت يا حلبى * بالصفع فى قفاكا
لما ادعيت جهلا * حرق الفصوص ياكا
فر
وما خلصت حتى * أقمت شاهدا كا

وفيه توفى قانصوه المداقف المحمدى أحد الامراء العشراوات وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وكان علامة فى الدقاف وفى رجب خرج الامراء والعسكر الى التجريدة التى عينت الى على دولات بن دلغادر وكان آخر العهد بالامير أزدمر أمير مجلس الذى كان نائب حلب فلم يدخل الى مصر بعد ذلك وفيه كان وفاء النيل المبارك أوفى ثانى عشر مسرى فلما أوفى توجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وفيه توفى بردبك الطويل المحمدى أحد الامراء العشراوات وكان شادا على أوقاف الاشرف برسباى وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار

من مكة المشرفة وتوفى محمد بن عبد الرحمن ناظر جدة وكان رئيسا حشما لطيف الذات عشيرا للناس وله صلات دفن بمكة المشرفة أعزها الله تعالى وفى شعبان عرض السلطان المقصورة الجديدة التى صنعها للحجرة الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فنصبها بالحوش فى أول الشهر المذكور وكان زنتها أربعمائة قنطار من الحديد فحملت الى المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على سبعين جملا وفيه توفى جانم البهلوان أحد الامراء العشراوات وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وكان رأسا فى الصراع وتوفى بحلب ومات أيضا بحلب صنطباى العلائى الظاهرى أحد العشراوات وكان رأسا فى الرمى بالنشاب وكان من مماليك الظاهر جقمق وفى رمضان خسف جرم القمر خسوفا تاما حتى أظلمت الدنيا ودام فى الخسوف نحوا من خمسين درجة وفيه فى يوم ختم البخارى وقع بين الشيخ بدر الدين بن الغرس الحنفى وبين الشيخ صلاح الدين الطرابلسى تنافس حتى خرجا عن الحد بسبب الجلوس فيمن يرتفع عن صاحبه وكان الصلاح الطرابلسى متعديا على ابن الغرس فما شكر على ذلك وكان مجلسا فاحشا الاخير فيه وفى شوال خرج من القاهرة المحمل فى تجمل زائد وكان يوما مشهودا وخرج معهم شادبك أحد الامراء أمير آخور بتلكنه كان ضخما ويلبس كم قصير وقد قرر على باشية الجند بمكة ومعه خمسون مملوكا وأرسل معه السلطان المقصورة الحديد التى صنعها للحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ثم أرسل معه مصحفا كبيرا حمل على جمل بمفرده كان من النوادر كتبه شاهين النورى ومات ولم يكمله فأكمله الشيخ خطاب بأمر السلطان وهو باق الى الآن فى الحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وفيه كان عرس الزكنى عمر بن أبى البقاء ابن الجيعان وكان مهما حافلا وفى ذى القعدة خلع السلطان على اقباى كاشف الشرقية وقرر فى نيابة غزة عوضا عن دولات باى بن مصطفى الماضى خبره بما جرى عليه الى أن نفى الى مكة المشرفة وفيه أنعم السلطان على ستة أنفار من الخاصكية الظاهرية بامريات عشرة منهم يشبك دجاج وأبو يزيد وبيبرس اليوسفى وملاج الاشقر وجانى بك البواب وقانم السواق وأنعم باقطاع جانم البهلوان المسافر فى التجريدة على سودون الصغير وقانصوه قرا وكسباى الشريفى وآخرين من جلبانه وكان هذا اقطاع امرية عشرة وخرج بحكم وفاة جانم البهلوان وفى ذى الحجة قرر محمد بن السلاح فى التكلم على جهة الجيزة عوضا عن ابن الصعيدى وفيه كان عيد النحر يوم الجمعة وكانت الاضحية مشحونة وغالية بسبب قلة الجالب من أذى المماليك الجلبان وفيه جاءت الاخبار بوفاة قاضى الجماعة الغرناطى المالكى توفى بغرناطة وكان من أهل العلم والفضل وفى أواخر السنة المذكورة كثر الاذى من العبيد والزعر وكثر قتل القتلى حتى ان شخصا من البياطرة قتل بالجزيرة الوسطى ولا يعلم من قتله ووجد شخص من المماليك الاينالية مقتولا بمنزله ولا يعلم من قتله وقتل غير ذلك جماعة كثيرة

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثمانمائة فيها في المحرم توفي الجمالي يوسف الحنبلي ابن الشهابي
أحمد بن نصر الله بن أحمد البغدادي قاضي قضاة الحنابلة وكان رئيسا حشما ولي عدة
مدارس الحنابلة منها المدرسة البرقوقية وكان شاهد ديوان الامير قراز التمشي أمير سلاح
وكان لطيف الذات عشير الناس لا بأس به وفيه أعيد أبو الفتح المنوفي الى نيابة جدة عوضا
عن عبد الرحمن بحكم وفاته وفيه توفي الشيخ الصالح المعتقد المجذوب سيدي علي القليوبي
رحمه الله ورضي عنه وكان له مكاشفات وكرامات خارقة وفيه قبض على شخص بالقرافة
يتزيا بزي أهل الصلاح وله شعر في رأسه فدخل الى مزار سيدي أبي العباس الحرار وسرق
الستر من فوق ضريحه وقد فعل ذلك في عدة مزارات وكان في زي حسن لا يظن به سوء فلما
اشتهر بذلك ضرب وشهر بالقاهرة وفيه توفي الشيخ ولي الدين أحمد شيخ الآثار النبوية
وقاضي ثغر دمياط وكان دينا خيرا حسن السيرة لا بأس به وفيه دخل الحاج الى القاهرة وقد
تأخر دخول المحمل الى رابع عشريه مما حصل لهم في السنة المذكورة من المشقة الزائدة
من موت الجمال والعطش وفيه عين السلطان تجريدة ثانية تقوية لمن تقدم من العسكر
فعين قراز التمشي أمير سلاح باش العسكر ومن المقدمين أزبك اليوسفي وعين من الجند نحوا
من أربعمائة مملوك من المماليك السلطانية وكان سبب تعيين هذه التجريدة أن السلطان
قد بلغه أن ابن عثمان ملك الروم قد أمد علي دولات بعساكر كثيرة وهذا أول تحول ابن عثمان
على بلاد السلطان واستمرت الفتن بعد ذلك تتزايد الى أن كان ما سنذكره في موضعه وفي صفر
توفي الشيخ شهاب الدين الابناسي وهو أحمد بن ابراهيم بن علي بن أحمد بن محمد الشافعي
وكان عالما فاضلا دينا خيرا منقطعا الى الله تعالى وفيه توفي يحيى بن شادبك المعروف
بجاصد الحبشة أحد أجناد الحلقة وكان رئيسا حشما عارفا بلغة الحبشة فكه المحاضرة
ومولده بعد العشرة والثمانمائة وفيه توفي شيخ عربان جبل نابلس وهو حرب بن أبي بكر بن
محمد بن علي بن عبد القادر مات وهو مسجون بالبرج في القلعة وجرى عليه شدائد ومحن
وآل أمره الى أن مات مسجونا وفي ربيع الاول جاءت الاخبار بأن العسكر الذي خرج من
القاهرة قد تقاتل مع علي دولات أخو سوار وقد كسر العسكر وقتل منهم جماعة كثيرة من
الامراء والجند فقتل الامير قاني بك حشمه رأس نوبة ثاني أحد الامراء الطبلخانات وقتل
معه جماعة من أمراء حلب والشام وكان قاني بك هذا أميرا شابا حشما لطيفا شجاعا بطلا
تولى من الوظائف شادية الشون ثم الجويشية الثانية ثم رأس نوبة ثانية بقي أمير أربعين
وأصله من مماليك الظاهر جقمق وكان لا بأس به وفيه رسم السلطان بعمل مولد السيدة
نفيسة رضي الله عنها ورحمها ورسم للخليفة أن يحضر به والقضاة الاربعة وأعيان الناس
واجتمع هناك قراء البلد قاطبة ومداح [illegible] وهو أول من أحدث هذا المولد

بالمشهد الشريف وصار يقال له مولانا الخليفة وفيه عمل السلطان المولد النبوي بالقلعة على
العادة وكان حافلا وفيه توفي المسند رضي الدين الاوكاني وهو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد
ابن العز الشافعي القاهري وكان عالما فاضلا محدثا مسند القاهرة وكان لا بأس به وفيه توفي
الشيخ عباس القاسي نزيل القاهرة وكان لا بأس به وفي ربيع الآخر خلع السلطان على
الجمالي يوسف بن الزرازيري كاشف البهنسا وقرره في الوزارة عوضا عن خشقدم الطواشي
بحكم صرفه عنها وقرر قاسم شغيته في نظر الدولة وفيه كان تفرقة النفقة على الجند
المعينين في التجريدة بسبب علي دولات ثم بعث النفقة الى الامراء الذين تقدم ذكرهم وكان
تعين اقبردي الدوادار الى التجريدة ثم بطل بعد ذلك فشق على العسكر بطلانه وكثر القال
والقيل بسبب ذلك وفيه توفي اقبردي اليوسفي أحد العشراوات وكان أصله من مماليك
الاشرف برسباي وكان لا بأس به وفيه أنعم السلطان على مملوكه قانصوه الغوري بامرية
عشرة وعينه الى التجريدة وقانصوه هذا هو قانصوه سلطان مصر الآن وفيه توفي تاني بردي
الشرف الاينالي وكان لا بأس به تامر حلب امرية عشرة وفي جمادى الاولى توفي تاج الدين
محمد بن الكردي الحنفي وكان عالما فاضلا لا بأس به وفيه توفي الخواجا الكارمي بدر الدين
حسن بن ابراهيم بن عليبة السكندري أخو الخواجا عبد القادر تاجر السلطان وكان
لا بأس به وفيه كان خروج الامير تمراز التمشي أمير سلاح وأزبك اليوسفي ومن عين معهما
من الامراء العشراوات والجند فكان لهم يوم مشهود وكان عدة الجند الذين خرجوا مع
الامراء نحوا من ألف مملوك وفيه وقع الرخاء بالديار المصرية حتى ابتيعت البطة الدقيق
باربعة أنصاف وكل اردب قمح بنصف دينار وانحطت الاسعار في سائر البضائع بعد تلك
الغلوة التي تقدمت وكان قد اشتد الامر جدا وانفرج عن قريب وفيه توفي التاجر نور الدين
ابن مفلاح المصري وكان في سعة من المال وتوفي السيد الشريف شهاب الدين أحمد
الارسوفي المالكي أحد نواب الحكم وكان عالما فاضلا مفتيا متواضعا علامة في مذهبه
ومولده سنة سبع وعشرين وثمانمائة وفي جمادى الآخرة توقف النيل عن الزيادة وقلق
الناس ثم تزايد واستمرت الزيادة عمالة حتى كان الوفا وفيه عزل الجمالي يوسف بن الزرازيري
عن الوزارة وقرر بها قاسم شغيته على عادته وفيه خلع السلطان على القاضي شهاب الدين
أحمد المرساني وقرره في قضاء الاسكندرية عوضا عن عفيف الدين بحكم صرفه عنها وفيه
كثرت المرافعات في قاضي القضاة الحنفي شمس الدين الغزي بسبب أوقاف الحنفية فرسم
السلطان بأن يتوجه الى بيت برسباي قرا رأس نوبة النوب ويحضر القضاة الثلاثة ويعقد
مجلس بسبب أوقاف الحنفية فلما حضر الى هناك حصل له غاية البهدلة من الجباة وغيرهم
وفيه توفي جاني بك بن تمرباي ابن أخت السلطان وكان شابا صغير السن جميل الصورة

لا بأس به ذا عقل وحشمة وفيه توفي سيدي محمد السدار رحمه الله ورضي عنه وكان له كرامات ومكاشفات خارقة وفي رجب توفي العلامة شمس الدين الجوهري وهو محمد بن عبد المنعم بن اسماعيل القاهري الشافعي وكان عالما فاضلا بارعا في العلوم عارفا بمذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ورحمه وله عدة مصنفات وولي عدة تداريس وشهرته تغني عن مزيد التعريف به وفيه توفي نور الدين علي السنهوري المالكي وهو الشيخ علي ابن عبد الله بن علي الازهري وكان اماما في مذهب المالكية وله شهرة طائلة وكان بارعا في الفقه والعربية والقراآت السبع وغير ذلك من العلوم وألف الكتب النفيسة في العلوم الجليلة ومات وهو كفيف وكان دينا خيرا صالحا لم يتزوج ومولده سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان عنده اطراح نفس مع تواضع وتقشف وقد كف في آخر عمره فكان كما قيل

كفيف بالافادة لي كفيل * ضريره ماله فينا ضريب

سليب الكبر ذو قلب سليم * قرين للتقى منا قريب

وفيه خلع السلطان على شمس الدين محمد بن بدر الدين حسن بن المزلق الدمشقي وقرر في قضاء الشافعية بدمشق عوضا عن الشهاب أحمد بن فرفور بحكم صرفه عنها وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى في ثاني عشري مسرى فلما أوفى توجه الاتابكي أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه قبض السلطان على محمد بن العظمة ناظر الاوقاف وسلمه الى خشقدم الزمام وألزمه بمحاسبته وفي شعبان خلع السلطان على شرف الدين عبد الباسط ابن البقري وقرره في نظر الاوقاف عوضا عن ابن العظمة بحكم صرفه عنها وفيه توفي جاني بك الشمسي نائب الكرك وكان لا بأس به وفيه توفي القاضي ولي الدين بركات بن الجيعان وهو أبو البركات أحمد بن يحيي بن شاكر القاهري الشافعي وكان لا بأس به رئيسا حشما عارفا بأحوال المملكة تولى نيابة كتابة السر وصار من اخصاء السلطان وترشح أمره لكتابة السر وهرعت الناس الى بابه ومات وهو شاب في عشر الثلاثين وكان جميل الهيئة حسن الوجه عاقلا بشوشا وله بر ومعروف وصدقات كثيرة وفيه يقول الشهاب المنصوري

قال العواذل ما المحدث قد غدا * يزداد في الحركات والسكنات

فأجبتهم لا تعجلوا وتأملوا . ما زاد الا وهو في بركات

فلما مات تأسف عليه السلطان وقال لو كان يفدى بمال لفديته وكان يتصرف في أشغال السلطان كما ينبغي ولما توفي القاضي بركات قرر أخاه صلاح الدين في نيابة كتابة السر عوضا عن أخيه بحكم وفاته وفيه هبط النيل مرة واحدة وقد ثبت على اثنين وعشرين اصبعا من الذراع الثامن عشر فشرق أكثر البلاد وزاد سعر الغلال ولاسيما القمح وكان هذا سبب الغلوة التي وقعت في السنة الآتية وفي رمضان جاءت الاخبار من حلب بان وردبش نائب حلب خرج في جمع من العساكر وتقاتل مع علي دولات أخي سوار وقد مسده ابن عثمان بجمع

كثير من عساكره فلما التقى العسكران وقع بينهما واقعة مهولة فانكسر العسكر الحلبي وقتل
وردبش نائب حلب وجماعة كثيرة من العسكر الحلبي والمصري وكان وردبش شجاعا بطلا
وأصله من مماليك الظاهر جقمق يعرف بوردبش بن محمود شاه وولي عدة وظائف سنية منها
نيابة سيس ثم نيابة قلعة الروم ولم يباشرها ثم ولي نيابة البيرة ثم بقي أتابك العساكر بحلب ثم بقي
مقدم ألف بمصر ثم بقي نائب حلب واستمر بها الى أن قتل على يد على دولات باى قيل انه
ضرب عنقه بين يديه وقتل في هذه المعركة جماعة كثيرة منهم ألماس نائب صفد وكان دينا
خيرا عارفا بأنواع الفروسية وولي عدة وظائف سنية منها استادارية العصبة وشادية
الشراب خاناه ثم بقي نائب صفد واستمر بها حتى قتل وكان شابا عاقلا حشما لا بأس به وقتل
أيضا أزبردى الاشرفي أحد الامراء العشراوات بحلب وقتل تمراز حشيش بن حشاش
الاينالي أحد الخاصكية وقتل أيضا طرباى الاشقر الابراهيمي الاينالي أحد الامراء بحلب
وتغرى بردى بن محمد بن قاسم أحد الامراء العشراوات بحلب وغير ذلك جماعة كثيرة من
العسكر وتوفي طقطباى المحمدى الاشرفي نائب قلعة حلب وكان لا بأس به ثم جاءت الاخبار
من بعد ذلك بأن الامير تمراز لما حصلت هذه الكسرة لعسكر حلب ركب هو والامير ازدمر
أمير مجلس والعسكر المصري وتوجهوا الى علي دولات فتقاتلوا معه فانكسر علي دولات
وعسكره وعسكر ابن عثمان ونهبوا جميع بركهم وأخذوا صناجق ابن عثمان ودخلوا بها الى
حلب وهي منكسة وكانت هذه الحركة أول الفتن مع ابن عثمان واستمرت من يومئذ عمالة مع
سلطان مصر ومعه حتى كان من أمرهما ما سنذكره وكان أصل هذه الفتنة تعصب ابن
عثمان لعلي دولات وكان ابن عثمان متحملا على سلطان مصر في الباطن بسبب أشياء لم
تظهر للناس وفيه رسم السلطان بنقل قانصوه خفيف الاينالي من دمياط الى مكة
المشرفة وقد بلغه عنه ما يوجب تغير خاطره عليه وفيه زاد النيل زيادة مفرطة في غير أوانها
بعد انهباطه وقد شرق غالب البلاد فدخل الماء الى الخليج بعد ما كان قد نشف فتعجب
الناس من ذلك ولكن لم تفد هذه الزيادة شيئا في ري البلاد التي شرقت قبل ذلك وفي
شوال خرج الحاج من القاهرة وأمير المحمل كان الامير أزدمر تمساح أحد المقدمين
وبالركب الاول برسباى العلائي أحد العشراوات وحج صحبته سيدى منصور ابن الظاهر
خشقدم وكان برسباى العلائي زوج أم سيدى منصور وحج في السنة المذكورة أبو
بكر ابن بلغان وصحبته جان بلاط وماماى الخاصكيان وقد توجه بسبب ما رتبه
السلطان في المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام من أمر تفرقة
الحشيشة حتى رجعا منها وحج في هذه السنة المذكورة عالم سمرقند الشيخ أبو بكر الليثي وولده
العلامة وكان قاضى سمرقند لأجل الحج وحج في السنة المذكورة الشيخ عبد اللطيف
شيخ ركب المغاربة وكان قد صحبة الركب من تونس يروم الحج وكان بالركب نحو

من ألف وخمسمائة الكثير من المغاربة يقصدون الحج وفيه رسم السلطان بنفي مثقال الطواشي رأس نوبة السقاة فخرج صحبة الحاج منفيا الى مكة المشرفة وقد بلغ السلطان عنه أنه يضرب بدراهم مغشوشة فقبض عليه وعلى شخص من مماليك الاتابكي أزبك يقال له تمر بغا فوجدوا في بيت مثقال آلة الضرب التي يصنعون بها الدراهم الزغل فرام السلطان قطع أيديهما فاشفع فيهما من القطع فنفي مثقال الساقي وسجن تمربغا على مال حتى مات في السجن وفيه مات على بن تقي رأس نوبة النقباء وكان من كبار الظلمة مات تحت العقوبة وكان من أعيان الناس خدم جانبك نائب جدة لما كان دوادارا كبيرا وخدم السلطان قايتباى لما كان رأس نوبة النوب وخدم يشبك الدوادار ثم تكلم في بعض جهات السلطان فوقف عليه مال واستمر تحت العقوبة حتى مات وكان من الاشرار وفيه توفي سودون الصغير المهلاتي الظاهري أحد الامراء الطبلخانات توفي بحلب وكان يعرف بسودون الخازندار وكان لا بأس به وفيه ضرب السلطان محمد بن العظمة ناظر الاوقاف بالمقارع في وسط الحوش وكتب عليه قسامة أن لا يعود قط يسعى في نظر الاوقاف ومتى سعى فيه يكون دمه هدرا ثم سجن بالمقشرة وكتب من هذه القسامة أربع نسخ وبعث الى كل قاض نسخة منها وفيه توفي قرقماس بن بخشباى الدواب أحد الامراء العشراوات وكان موته فجأة وكان من خواص السلطان وفيه توفي أزبك أبو زيد الاينالي أحد أمراء عشرة وكان لا بأس به وفيه توفي المسند الشريف أبو السعود محمد العلوي الهاشمي الشافعي وكان من الفضلاء بارعا في الحديث وفي ذي القعدة جاءت الاخبار بأن على دولات قد أطلق اينال السلحدار نائب طرابلس وكان عنده مأسورا وفيه أرسل السلطان خلعة الى أزدمر أمير مجلس ورسم له بعوده الى نيابة حلب كما كان أولا عوضا عن وردبش بحكم قتله عند على دولات وفيه خلع السلطان على مملوكه اينال الخسيف الذي كان أتابك العساكر بحلب ورسم له بأن يكون نائب صفد وكان من أخصاء السلطان ثم تغير خاطره عليه فنفاه الى البلاد الشامية فأقام بها مدة ثم رضي عليه وولاه نيابة صفد بعد نيابة سيس وأتابكية حلب ثم ولاه فيما بعد نيابة حماه وفيه اقترن المشترى وزحل ببرج العقرب وذكر أرباب علم الفلك أن هذا القران لم يقع من منذ مائتين وستين سنة وان ذلك يدل على وقوع فتن عظيمة وكان الامر كذلك كما سيأتي الكلام عليه في محله وفيه حضر قاصد من عند ملك الهند فأكرمه السلطان وخلع عليه وفيه وقعت نادرة غريبة وهي أن شخصا من الجند يقال له جرباش المجنون وكان غاية في الرمي بالنشاب وقف للسلطان في طلب اقطاع من شخص توفي فلم يجبه السلطان الى ذلك فلما نزل الى داره ذبح نفسه بيده من حنقه من السلطان فراحت روحه ولم يرث له أحد وفيه توفي الزيني عبد الباسط ابن علم الدين شاكر بن

لبعلبك وكان رئيسا حشما محمدنا على مباشرات عديدة من مدارس وجوامع وأوقاف وكان دينا خيرا عفيفا عن الرشوة صلبا فى أموره ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه عز وجود القطن جدا حتى بلغ سعر كل قنطار ألفين وأربعمائة درهم ولا يوجد وفيه خلع السلطان على قريبه بيبرس الرحبى وقرره فى نيابة طرابلس عوضا عن اينال السلحدار بحكم أسره عند على دولات وفى ذى الحجة ارتفع سعر البرسيم حتى بلغ سعر كل فدان عشرة أشرفية وفيه عز وجود الضحايا من الغنم والبقر بواسطة أذى المماليك الجلبان وفى يوم عيد النحر أمطرت السماء مطرا غزيرا حتى أوحلت الارض وحصل للناس مشقة فى مرورهم فى الشوارع الى صلاة العيد وفيه حضر جماعة من الجند ممن كان أسر عند على دولات وقد قطع أصابع جماعة منهم من عند الابهام وأطلقهم وفيه جمع السلطان الامراء ونصر وا مشورة فى أمر ابن عثمان بسبب ما وقع منه فى تعصبه لعلى دولات فأشار السلطان هو والاتابكى أزبك وغيره من الامراء بأن السلطان يرسل هدية على يد قاصده وتزول هذه الوحشة من بينهما فما ساغ السلطان لهذا الكلام وعين فى ذلك المجلس الامير جانى بك حبيب أمير اخور ثانى وكان حلو اللسان سيوسا دربا وقد تقدم أنه توجه الى يعقوب بن حسن الطويل وتلطف به فى الكلام حتى أطلق من كان عنده من الامراء والنواب والجند كما تقدم وفيه خرج بيبرس الرحبى الذى قرر فى نيابة طرابلس وكان له يوم مشهود وفيه توفى ناظر جيش غزة ابراهيم بن عبد الرحمن وكان رئيسا حشما لا بأس به وتوفى الشيخ المعتقد أحمد السبوعى وكان من أعيان الصوفية وله اختصاص بالاتابكى أزبك وفيه وصل مبشر الحاج وهو شخص من الخاصكية يقال له قايتباى من مماليك السلطان وأخبر بالامن والسلامة وأن القاضى كمال الدين ناظر الجيش اختار المجاورة بمكة المشرفة وكان حج فى السنة المذكورة وحضر صحبة المبشر دولات باى بن مصطفى الذى كان نائب غزة ونفاه السلطان الى مكة المشرفة فبعث بحضوره فلما حضر أنعم عليه بتقدمة ألف بدمشق فتوجه اليها وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب قونية من بلاد ابن قرمان وهو عبد الله أخو الجمجمة بن عثمان تولى على قونية بعد أخيه جمجمة وكان حسن السيرة لا بأس به ۞ ثم دخلت سنة تسعين وثمانمائة فيها فى المحرم كانت وفاة قاضى القضاة محب الدين ابن الشحنة الحنفى وهو محمد بن محمد بن محمود بن غازى الثمقى ثم الحلبى كان عالما فاضلا بارعا فى مذهب أبى حنيفة وكان ناظما ناثرا رئيسا حشما جميل الهيئة حسن الشكل تولى عدة وظائف سنية منها كتابة سر مصر ونظر جيشها وتولى قضاء قضاة الحنفية عدة مرار ثم ولى مشيخة الخانقاه الشيخونية حتى مات وهو شيخها وجرى عليه شدائد ومحن شتى واعتراه فى آخر عمره مرض الفالج واستمر به الى أن مات وقد ذهل فى عقله وكان مولده سنة أربع

وثمانمائة

وثمانمائة ومات وقد قارب التسعين سنة من العمر وكان من أعيان الناس ورؤساء مصر وله عدة تآليف جليلة ومن شعره قوله

قلت له لما وفى موعدى * ان سلوى عن هواك لم تطاق

وجاد بالوصل على وجهه * حتى سما كل حبيب وفاق

فلما مات تولى ابنه الشيخ سرى الدين عبد البر مشيخة الخانقاه الشيخونية عوضا عن أبيه وفيه دخل الحاج الى القاهرة وحضر أبو البقاء بن الجيعان وجانبلاط وماماى وجماعة من أقارب السلطان كانوا فى الحجاز فى تلك السنة وفيه وصل قرقماس التنمى نائب طرسوس وكان ممن أسر عند على دولات وفيه توفى يشبك العلائى نائب حماه وكان لا بأس به وتولى عدة وظائف سنية منها امرية عشرة بمصر وبقى من جملة رؤوس النوب ثم تولى نيابة الكرك ثم نيابة غزة ثم حجوبية الحجاب بدمشق ثم نيابة حماه ومات بها وفى صفر أرسل السلطان الى سيباى الطيورى صاحب حجاب دمشق وقرره فى نيابة حماه عوضا عن يشبك العلائى بحكم وفاته وقرر فى حجوبية دمشق بلباى أحد الدوادارية بدمشق وقرر فى الدوادارية جانى بك الطويل أحد مماليك السلطان وفيه كان توجه جانى بك حبيب أمير آخور ثانى الى ابن عثمان وقد تقدم القول فى ذلك فتوجه اليه من البحر المالح من الاسكندرية وأرسل السلطان صحبته تقليدا من الخليفة الى ابن عثمان بأن يكون مقام السلطان على بلاد الروم وما سيفتحه الله تعالى على يديه من البلاد الكفرية وأرسل اليه أيضا الخليفة مطالعة تتضمن تخميد هذه الفتنة التى قد انتشت بينه وبين السلطان وفى المطالعة بعض ترفق له والذى استفاض بين الناس أن سبب هذه الفتنة الواقعة بينه وبين السلطان أن بعض ملوك الهند أرسل الى ابن عثمان هدية حافلة على يد بعض تجار الهند فلما وصل الى جدة احتاط عليها نائب جدة وأحضرها صحبته الى السلطان وكان من جملة تلك الهدية خنجر قبضته مرصعة بفصوص مثمنة فطمع السلطان فى تلك الهدية وأخذ الخنجر فلما بلغ ابن عثمان ذلك حنق وجاء فى عقب ذلك أن على دولات ترامى على ابن عثمان رشكى له من أفعال السلطان وما يصدر منه فتعصب لعلى دولات وأمده بالعساكر واستمرت الفتنة تتسع حتى كان منها ما سنذكره فى موضعه وقد طمع غالب ملوك الشرق فى عسكر مصر بسبب ما وقع لهم مع سوار وبايندر وغير ذلك من ملوك الشرق ثم ان السلطان أرسل الخنجر المذكور والهدية التى بعثها ملك الهند وأرسل يعتذر الى ابن عثمان عن ذلك بعد أن صار ما صار فكان كما قيل

جرى ما جرى جهرا لدى الناس وانبسط . وعذر أتى سرا فأكد ما فرط

ومن ظن أن يمحو جلى جفائه * خفى اعتذار فهو فى غاية الغلط

ثم ان جانى بك لبس خلعة السفر ونزل فى موكب حافل وتوجه الى ثغر الاسكندرية ونزل من
هناك فى مراكب وتوجه الى بلاد ابن عثمان من البحر الملح وفيه قرر فى الاتابكية جلب
قرقماس التنمى عوضا عن اينال الخسيف بحكم انتقاله الى نيابة صفد وقرر فى نيابة الكرك
أمير زاده بن حسن الدوكارى عوضا عن جانى بك الطويل وفيه توفى خليفة سيدى ابراهيم
الدسوقى رحمه الله ورضى عنه وهو خير الدين أبو الكرم الشافعى وكان لا بأس به ❁ وفى ربيع
الاول عرض السلطان العسكر وعين تجريدة الى على دولات وعين بها من الامراء برسباى
قرا رأس نوبة النوب وتانى بك الجمالى أحد المقدمين ورسم لهم بأن يتقدموا الجيش العسكر
الى أن يخرج الاتابكى أزبك ثم أنفق على العسكر الذى تعين للتجريدة فبلغت النفقة زيادة
عن مائة ألف دينار وفيه توفى قاضى قضاة الشافعية كان وهو بدر الدين محمد أبو السعادات
ابن محمد بن عبد الرحمن بن عمر الكنانى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا ولى قضاء الشافعية
بمصر فى دولة الظاهر خشقدم ولم تطل مدته بها وكان عنده خفة روح زائدة ودهج فى الامور
وفيه توفى عبد القادر الخامى الجانى وكان رئيسا حشما سيوسا وكان لا بأس به وفيه عمل
السلطان المولد النبوى وكان حافلا ونصب فى ذلك اليوم الخيمة العظيمة التى أقامها على يديه
وجاءت فى غاية الحسن والزخرف وحضر فى هذا المولد ملك التجار أحمد بن محمود بن كاوان
وكان جاء صحبة الحاج من مكة المشرفة فعظم أمره بمصر جدا وفيه جاءت الاخبار من
القدس الشريف بوفاة الواعظ المحدث شهاب الدين أحمد العميرى المقدسى وكان عالما
فاضلا علامة فى فن الوعظ دينا خيرا ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه توفى
برسباى بن عمربغا الظاهرى المعروف بحشيش وكان من الامراء العشراوات وكان لا بأس
به وفيه عمل مولد السيدة نفيسة رحمها الله ورضى عنها وحضر الخليفة والقضاة الاربعة
وكان حافلا وفيه جاءت الاخبار من القدس الشريف بوفاة الشيخ سعد الله الهندى الحنفى
امام المسجد الاقصى وكان من أهل العلم والفضل عارفا بالقراآت السبع وكان أحد
نواب الدوادار بدمشق وفيه جاءت الاخبار بوفاة يشبك الجمالى الذى كان نائب حلب
وعزل عنها مات بصفد وقد قاسى شدائد ومحنا ولاسيما ما وقع له مع النابلسى وكيل بيت
المال وكان رئيسا حشما وولى عدة وظائف سنية منها نيابة ملطية ونيابة حماه ونيابة
طرابلس ونيابة حلب وصودر وسجن بدمشق ثم نقل الى صفد فمات بها وفيه رسم
السلطان للقضاة والشهود أن لا يعقد أحد منهم نكاحا على جلب من مماليكه فقلق
المماليك من ذلك فكان حالهم كما قيل

اذا سكر الرجال بذات قسوم	وصار المهر فى ايدى الامريق
عمدت الى سوى فنكحت بكرا	وأما مهرها عندى غريق

ثم توجهوا فيما بعد للزواج ولم يلتفتوا الى قول السلطان وفي ربيع الآخر وجد شخص من المماليك السلطانية يقال له فارس الزرد كاش مقتولا بالصوة ولا يعلم من قتله وجد بعد صلاة الصبح وفيه خرج العسكر المعين الى على دولات وكان باش العسكر برسباى قرا رأس نوبة النوب وصحبته تانى بك ابجالى أحد المقدمين وعدة من الامراء العشراوات وقد خرج المقدمون من غير طلب وفيه قبض أقبردى الدوادار على جماعة من أولاد ابن عمر وسجنهم في البرج الذى بالقلعة وقد أحضرهم صحبته لما توجه الى الوجه القبلى وقد تغير خاطر السلطان على بنى عمر وفي جمادى الاولى قرر في امرية الحاج بالمحمل ازدمر المسرطن أحد المقدمين وبالاول برسباى اليوسفى أحد الامراء الطبلخانات وفيه قرر دولات باى الحسنى الظاهرى شاد الشون في رأس النوبة الثانية عوضا عن قانى بك جشمة وكانت هذه الوظيفة شاغرة مدة طويلة وفيه توفي قرابا نائب جدة وكان أصله من مماليك جانى بك نائب جدة وكان لا بأس به وفيه وصل الى القاهرة اينال السلحدار الاشرفى الذى كان نائب طرابلس فأكرمه السلطان وخلع عليه وأقره في شادية الشراب خاناه وفيه توفي الشيخ المعتقد نور الدين على من أولاد سيدى يوسف العجمى رحمة الله عليه وكان لا بأس به وفيه أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة في العام المذكور غاية أذرع وعشرين اصبعا فعد ذلك من النوادر وفيه أعيد القاضى شهاب الدين بن فرفور الدمشقى الى قضاء الشافعية بدمشق مضافا الى نظر الجيش وصرف عنها ابن المزلق وفيه هجم المسر على الناس وهم في زيارة الامام الليث بن سعد رحمه الله ورضى عنه فأخذوا عمائم الزوار حتى أزر النساء وعروا النساء في الطريق بطولها حتى وصلوا الى باب القرافة وكانت كائنة عظيمة وفي جمادى الآخرة ضرب السلطان السيد الشريف الذى كان كاتب سر دمشق وأودعه بالمقشرة ولم يرث الى شرفه وفيه قرر الشيخ كمال الدين ابن أبى شريف المقدسى في مشيخة مدرسة السلطان الذى أنشأها بالقدس الشريف وجاءت غاية في الحسن وفيه خلع السلطان على السيد الشريف موفق الدين الحموى وقرره في كتابة السر بدمشق وفيه رسم السلطان بقطع يد مملوك من جلبانه قد سرق غير ما مرة فلما أراد قطع يده شفع فيه بعض الامراء فخنق منه السلطان ورسم بقطع رجله أيضا وفيه رسم السلطان للامير أقبردى الدوادار وأبى البقاء ابن الجيعان وجانبلاط وماماى ورمضان بأن يتوجهوا الى القدس وصحبتهم من القراء والوعاظ جماعة وأن يعمل وليمة لمدرسة السلطان التى أنشأها بالقدس وقد انتهى منها العمل وخرج ابن أبى شريف صحبتهم وقد تقدم تقريره بالمدرسة وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن عسكر ابن عثمان قد استولى على قلعة كولك وكان بها شخص من المماليك السلطانية يقال له طوغان الساقى فلما حاصروه سلمها اليهم بالامان

وكانت هذه أول وقائع ابن عثمان ثم اتسع الامر بعد ذلك وكان ما سنذكره فى موضعه وفى رجب جاءت الاخبار بوفاة ملك الاندلس صاحب غرناطة وهو الغالب بالله أبو الحسن على بن سعد بن محمد بن الاحمر وكان من خيار ملوك الغرب مشتهرا بالعدل عارفا بتدبير المملكة حسن السيرة لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بأن الأمطار كانت قليلة بها جدا وأن الآبار قد نشفت وأن العين التى أجراها السلطان قد وقفت وحصل لاهل مكة الضرر الشامل بسبب ذلك وفيه تزايد شر المماليك الجلبان والزعر والعبيد حتى أعيا أمرهم الوالى وحاجب الحجاب وصارت الأحوال فى اضطراب وفى ثانى شعبان كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى فى العشرين من مسرى فلما أوفى توجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه قرر البدرى محمود بن أجا فى قضاء الحنفية بحلب عوضا عن ابن الحلاوى وكان هذا أول شهرة البدرى محمود بن أجا وفيه كان أول فتح خليج الازبكية وكان يوما مشهودا وعزم الامير أزبك على الامراء المقدمين بالقصر المطل على البركة ومدت لهم الاسمطة الحافلة وفيه جاءت الاخبار بأن الفتن قائمة ببلاد المغرب بتونس وفاس وغير ذلك من البلاد وأن الفرنج قد استولت على مدينة مالقة وفيه جاءت الأخبار بوفاة بيبرس الرجبى قريب السلطان الذى كان نائب طرابلس وكان قد أشيع ذلك وقد صح وفيه جاءت الاخبار بأن عسكر ابن عثمان قد استولوا على أطراف بلاد السلطان وأرسل أزدمر نائب حلب يستحث السلطان بخروج تجريدة ثقيلة أو يخرج السلطان بنفسه فتنكد السلطان لهذا الخبر ونادى للعسكر بالعرض ثم عرض الجند بحضرة الاتابكى أزبك وكان هو المشار اليه فى تعيين الجند مما يختاره منهم ثم عرض القرانصة وأولاد الناس وصار الذى لا يطيق السفر منهم يقيم له بديلا كاملا بخيوله ولبسه وغير ذلك ويورد مائة دينار من له اقطاع وجامكية ثم ان المماليك المعينة للسفر أطلقوا فى الناس النار وصاروا يأخذون بغال الناس وخيولهم غصبا حتى أخذوا بغال الطواحين والاكاديش التى بها وتعطلت الطواحين بسبب ذلك وتشحط الخبز من الدكاكين وكادت أن تكون غلوة كبيرة حتى وبخ السلطان المماليك بالكلام ونادى فى القاهرة بالامان والاطمئنان وان كل من أخذ له بغل أو فرس يطلع الى أمير اخور كبير يخلصه فسكن الحال قليلا وفى رمضان توفى برسباى الخازندار المحمودى وكان من أخصاء السلطان وهو من الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة القاضى كمال الدين ناظر الجيش وكان مجاورا بمكة المشرفة تاما الاجل هذا الشهر محمد بن يوسف ناظر الجيش المعروف بابن كاتب جكم وكان رئيسا حشما وله اشتغال بالعلم وتولى نظر الجيش وهو فى حداثة سنه وباشر ذلك أحسن مباشرة وحمدت سيرته بها حتى مات وفيه كان ختم البخارى بالقلعة وكان حافلا جدا وفرقت الخلع

والصرر

والصرر على الفقهاء والعلماء وفي شوال خرج العسكر المعين الى علي دولات وكان باش العسكر الاتابكي أزبك وكان صحبته قانصوه خمسمائة أمير اخور كبير وتاني بك قرا أحد المقدمي الالوف وقد تقدم قبلهم ستة من الامراء المقدمين ازدمر أمير مجلس وتغرى بردى ططر وقرر بعدهم قراز أمير سلاح وأزبك اليوسفي أحد الامراء المقدمين ثم خرج من بعدهم برسباى قرا رأس نوبة النوب وتاني بك الجمالي أحد المقدمين فكان جملة الذين خرجوا أولا وآخرا تسعة أمراء بالاتابكي أزبك ومن الجند نحو من ثلاثة آلاف مملوك مما تقدم في الاول والآخر وكانت هذه التجريدة من أعظم التجاريد وطلب الاتابكي أزبك طلبا حافلا حتى رجت له القاهرة وكذلك قانصوه خمسمائة كان طلبه غاية في الحسن بحيث لم يعمل مثله قط قيل كان مصروف طلب قانصوه خمسمائة نحوا من ثمانين ألف دينار وخرج العسكر وهم لابسون آلة الحرب وكان لهم يوم مشهود وكان مع الامير أزبك عدة أمراء طبلخانات وعشراوات والجم الغفير من الخاصكية والمماليك السلطانية فعدت هذه التجريدة من النوادر وفيه كانت وفاة الخواجا محيي الدين عبد القادر بن ابراهيم بن حسن المعروف بابن علبية السكندري تاجر السلطان وكان رئيسا حشما من أعيان التجار وفيه خلع السلطان على القاضي شهاب الدين أحمد بن ناظر الخاص يوسف وقرره في نظر الجيش عوضا عن أخيه كمال الدين وفيه خلع السلطان على علي بن عامر وقرره في امرة آل فضل بحماة عوضا عن عساف بحكم قتله وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل أزدمر المسرطن وبالركب الاول برسباى اليوسفي وفيه طيف برأس شخص من العربان المفسدين يقال له محمد بن عامر أحد مشايخ هوارة وبعث بها ابن الزرازيرى الكاشف وعدة رؤوس من العربان المفسدين وفي ذى القعدة في ثالث عشرها توت زاد النيل زيادة مفرطة نحو الذراع حتى تعجب الناس من ذلك وفيه عاد جاني بك حبيب الذى توجه الى ابن عثمان قاصدا وكان قد سافر أولا من البحر المالح وعاد من على ملطية فلما طلع بين يدى السلطان كان عليه خلعة ابن عثمان خلع عليه وعلى من كان معه من الخاصكية ثم ان جاني بك حبيب خلا بالسلطان وأخبره عن أحوال ابن عثمان بانه ليس براجع عن أذاه لعسكر مصر وانه لم يرسله قبالا ولا أكرمه وانه غير ناصح للسلطان فكثر القال والقيل بسبب ذلك وفيه توفي شمس الدين الوفائي قاضي الخانقاة وكان رئيسا حشما لا بأس به وفي ذى الحجة توفي قائم الفقيه الظاهرى أحد الامراء العشراوات وكان باش المجاورين بمكة المشرفة وكان دينا خيرا لا بأس به وفيه أعيد الزيني أمير حاج الى نقابة الجيش على عادته وصرف عنها موسى بن التريجان بعد كائنة عظيمة وقعت له وكان غير محمود السيرة سيئ التصرف في أفعاله وفيه قرر السلطان كرتباى بن مصطفى المعروف بالاحمر في كشف

البصيرة عوضا عن قرا كز معاوك تمراز أمير سلاح وفيه جاءت الاخبار من نائب حلب بأن على دولات أرسل يسأل في الصلح بعدما اتسع الخرق على الراقع كما قيل في المعنى

أترومن نفسك بعدما هرمت ❊ ومن العناء رياضة الهرم

وفيه توفي قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن محمد القلشاني التونسي المالكي وكان عالما فاضلا بارعا في مذهبه قدم الى مصر وأقام بها مدة ثم عاد الى بلاده فمات بها وفيه جاءت الاخبار بوفاة المستنصر بالله محمد من أولاد الملك مسعود صاحب تونس وكان أكبر أولاده مستوليا على احدى جهات المغرب وكان شابا حسن السيرة عادلا في الرعية فتأسف عليه والده جدا وقد خرجت السنة المذكورة عن فتن وشرور ببلاد الشرق وبلاد الغرب وحصل في مصر تشحيطة في سائر الغلال واشتد السعر ووقع الاضطراب بسبب ذلك لاهل التجار وحصل للناس من المماليك الاجلاب غاية الاذى من أخذ البغال والخيول وغير ذلك مما حصل به الضرر الشامل وزيادة على ذلك ظلم أرباب الدولة وحصل للناس وقوف حال بسبب ضرب الفلوس الجدد وتبطيل الفلوس العتق والامر لله تعالى في ذلك

❊ ثم دخلت سنة احدى وتسعين وثمانمائة فيها في المحرم كان خليفة الوقت الامام أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز وسلطان العصر الملك الاشرف قايتباي أبو النصر المعروف بالمحمودي الظاهري وأما القضاة الاربعة فهم قاضي القضاة زين الدين زكريا الانصاري الشافعي والقاضي شمس الدين محمد الغزي الحنفي والقاضي محي الدين بن تقي الدين المالكي والقاضي محمد السعدي الحنبلي وأما الامراء المقدمون فمنهم أرباب الوظائف ستة وهم الاتابكي أزبك بن ططخ أمير كبير وتمراز الشمسي أمير سلاح وأما امرية مجلس فكانت شاغرة من حين عزل منها اردمر قريب السلطان وولي نيابة حلب وبرسباي قرا المحمدي الظاهري رأس نوبة النوب وقانصوه بن طراباي المعروف بخمسمائة أميراخور كبير واقبردي بن علي باي أمير دوادار كبير وتغري بردي ططر حاجب الحجاب وأما الامراء المقدمون غير أرباب الوظائف أزبك اليوسفي المعروف بالخازندار وتاني بك الجمالي وتاني بك قرا الاينالي وازدمر تمساح وازدمر المسرطن ويشبك الجمالي وأما الامراء الطبلخانات فكانت عدتهم يومئذ نحو عشرة وأما الامراء العشراوات فكانت عدتهم يومئذ نحوا من ستين أميرا وأما أرباب الوظائف من المتعممين فالقاضي كاتب السر زين الدين أبو بكر بن مزهر ونائبه صلاح الدين بن الجيعان وناظر الجيش الشهابي أحمد بن الجمالي يوسف ناظر الخاص ومستوفي ديوان الجيش القاضي أبو البقاء بن الجيعان وناظر الخاص علاء الدين بن الصابوني وقد جمع بين نظارة الخاص ووكالة بيت المال والوزارة بيد قاسم شغيته متحدثا فيها وشرف الدين بن البقري ناظر الدولة وقد جمع بين نظارة الدولة وبين نظارة الاوقاف في تلك الايام

والبدري

واليسدرى بدرالدين بن مزهر محتسب القاهرة ووالى الشرطة يشبك بن حيدر الايناتى واستادار العالية تغرى بردى المعروف بالقادرى ونقابة الجيش بيد أمير حاج بن أبي الفرج وكتابة الخزانة بيد عبد الغني بن الجيعان وكتابة المماليك بيد يوسف بن أبي الفتح نائب جدة ونظارة الاصطبل بيد يحيى بن البقرى ونظارة الزردخاناه بيد عبد الباسط بن تقى الدين ونظارة الكسوة الشريفة بيد رمضان المهتار ونظر الجوالى بيد نور الدين على البتنونى المعروف بالحنبلى وأما أرباب الوظائف من الطواشية فمقدم الزمام الاحدى وخالص التكرورى مقدم المماليك ونائبه عنبر وسرور شاد الحوش وغير ذلك من أرباب الوظائف لم نذكرهم خوف الاطالة فى ذلك واعا ذكرنا الاعيان منهم فهذا كان ترتيب أرباب الوظائف فى مستهل السنة المذكورة على حكم ما ذكرناه ثم انقلبت الوظائف الى جماعة كثيرة من الاتراك والمباشرين كما سيأتى ذكره فى موضعه وفيه أعنى هذا الشهر توفى السيد الشريف أبو عوانة واسمه أحمد بن أبي بكر التونسى المالكى رحمه الله وكان يعرف بالعوانى وكان دينا خيرا جميل الصورة حسن الشكل ويقال ان فيه أشياء من شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولده بعد الاربعين والثمانمائة وفيه توجه السلطان الى جهة الشرقية ليكشف على الجسور فغاب هناك أياما ثم عاد الى القلعة وفيه تناهى سعر البرسيم كل فدان مخضر باثنى عشر دينارا وبيع الدريس الحوفى كل مائة قتة باربعمائة درهم حتى عد ذلك من النوادر وسبب ذلك أن حب البرسيم التقاوى كان غاليا وكان النيل خسيسا والذى طلع من البرسيم أكلت غالبه الدودة وكان سعر الغلال مرتفعا فى السنة المذكورة حتى غلا سعر الملح والروايا من عدم العلف بجمال السقائين وفيه نزل السلطان وتوجه الى الروضة وعدى وهو راكب وكان معه القاضى قطب الدين الخيضرى وجماعة من الخاصكية فتوجه الى خرطوم الروضة وعدى وأقام به الى آخر النهار ونصب له هناك خيمة سحابة وموخر فطاب له ذلك المكان فأمر ببناء قصر مطل على الاربع جهات هناك فلم يتم له ذلك وفيه كان دخول الحاج فى خامس عشريه وقد حصل لهم موت الجمال وشدة الغلا مشقة زائدة وكان أمير ركب المحمل أزدمر وبالركب الاول برسباى اليوسفى وقد جاور أكثر الناس وانقطع جماعة بالينبع ولم يدخلوا القاهرة الا بعد أيام وفيه توجه اقبردى الدوادار الى جهة الصعيد بسبب فساد أولاد ابن عمر وفيه توجه السلطان الى قبة يشبك الدوادار التى بالمطرية فلما رجع نزل عن فرسه وزار تربة الظاهر برقوق وكشف عن أحوال الهمام ثم عاد الى القلعة وألزم سرورا شاد الحوش بعمل مصالح الصوفية التى بتربة الظاهر برقوق وفى صفر قتل القاضى تقى الدين أبو بكر المعروف بعروف قتيل بولاق ولا علم من قتله وكان رئيسا حشما لا بأس به وكان ترشح أمره بأن يلى قضاء الحنفية فى دولة الظاهر

نحو قدم وقد سمى له ابن العينى وفيه خسف بجرم القمر وأظلم الجو واستمر على ذلك نحوا من
خمسين درجة وفيه توفى سيدى موسى بن الخليفة المتوكل على الله عم أمير المؤمنين أبى
العز عبد العزيز وكان رئيسا حشما وفاته الخلافة عدة مرار وقد ولى أربعة من اخوته
وهو مبتلى لقلة حظه وكان مولده قبل العشرين والثمانمائة وفيه جاءت الاخبار بوقوع
فتنة عظيمة بين عربان جبل نابلس وقتل فيها اقبردى بن بخشايش الاينالى استادار الاغوات
وقتل أيضا جماعة كثيرة من العربان منهم أبو بكر أمير حزم ويوسف بن ابليوسى
أحد المشايخ بنابلس وجماعة كثيرة من أولاد اسمعيل وأولاد عبد القادر وكانت فتنة
شنيعة مهولة فلما بلغ السلطان ذلك عين اقبردى الدوادار الكبير بأن يتوجه الى جبل نابلس
ويخمد هذه الفتنة التى بين العربان فخرج مبادرا الى ذلك وفيه كانت وفاة قاضى
قضاة الشافعية كان وهو ولى الدين أحمد الاسيوطى بن أحمد بن عبد الخالق بن عبد
العزيز بن محمد التاهرى الشافعى وكان عالما فاضلا محمودا فى أيام قضائه رئيسا حشما
سيوسا فى أفعاله ولى القضاء الاكبر ومشيخة الجمالية والناصرية وعدة تداريس وأقام فى
القضاء وهو مع الناس فى أحسن سيرة ودام فيها ستة عشر سنة والناس راضون عنه وكان
مولده سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن العسكر المصرى
تقاتل مع عسكر ابن عثمان وانتصر على عسكر ابن عثمان وقتل منهم جماعة كثيرة نحو من
أربعين ألفا من توابع عسكره وقبض على أحمد بك بن هرسك وكان باش عسكر ابن
عثمان وأبجل امرائه ومعه جماعة من الامراء أصحاب الصناجق العثمانية وأسروهم
وأودعوهم فى الحديد فلما بلغ السلطان ذلك سر به ❁ وفى ربيع الاول عمل السلطان
المولد النبوى وكان حافلا لكن كان أكثر الامراء غائبا بالتجريدة ولم يكن بمصر من الامراء
المقدمين سوى ثلاثة مقدمين وفيه توفى القاضى حسن بن عرب وهو على بن عمر الطنبدى
الشافعى أحد نواب الشافعية بالحكم بالديار المصرية وكان لا بأس به وفيه اختفى
القاضى شهاب الدين أحمد ناظر الجيش أخو القاضى كمال الدين فلما اختفى خلع السلطان
على البدرى محمد ابن القاضى كمال الدين ناظر الجيش وقرره فى نظر الجيش عوضا عن عمه
الشهابى أحمد بحكم اختفائه وكان البدرى هذا حديث السن لما ولى نظر الجيش لم يلتح
بعد وفيه قرر شاهين الجمالى فى مشيخة الحرم النبوى وفيه توفى المسند شمس الدين محمد
البساطى الشافعى وكان علامة فى الحديث وكان دينا خيرا لا بأس به وفيه وصل دوادار
نائب حلب وأخبر بصحة كسرة ابن عثمان والقبض على أحمد بك بن هرسك وجماعة من
أمراء ابن عثمان وأعيانهم وقد أخذ العسكر المصرى من النهب مالا يحصى من خيول
وجمال وسلاح وبرك وقماش وغير ذلك وأخذوا صناجقهم وكانوا نحوا من مائة وعشرين

صحبتها وقد قطعت عدة وافرة من رؤس عسكر ابن عثمان وحضر واصحبته قيت الرجبي
الساقي الخاصكي فسر السلطان لهذا الخبر وخلع على دوادار نائب حلب خلعة حافلة وفيه
سقط الصاري الخشب الذي تعلق فيه القناديل في رمضان بمنارة جامع القلعة فأخذ الناس
يتفاءلون بشيء يحدث للسلطان عن قريب فلما كان اليوم الثاني من انكسار الصاري ركب
السلطان على فرس وسير في الحوش ثم ساق وقفع الفرس باللجام فشب به وانقلب على
السلطان فسقط الى الارض وبقيت رجله تحت جنب الفرس فانكسرت رجل السلطان
من عند عظمة فخذه كسرا بليغا فاغمى عليه وسال منه الدم فارتجت القلعة بموت السلطان
واضطربت أحوال القاهرة بسبب ذلك وكثر القال والقيل بين الناس ولم يشك في موته
أحد بل تيقنوا ذلك فحمله بعض الخاصكية وهو مغمى عليه وأدخله الى قاعة الدهيشة
فتسامع الامراء بذلك فطلعوا اليه ثم طلع كاتب السر ابن مزهر فلما دخل عليه قال له
اكتب في الحال في هذه الساعة مراسيم وأرسلها الى نائب حلب لتطمن الامراء والعسكر
بسلامة السلطان من هذا العارض وقد حصل له السلامة والشفاء عن قريب فكتبت
المراسيم بصورة الحال وأدرجت على يد هجان في أثناء ذلك اليوم وتوجه الى حلب وقد نظم
بعض شعراء العصر يعتذر عن هذه الواقعة بهذين البيتين وهما قوله

وقد زعموا أن الجواد كبا به ... وحاشاه من عيب يضاف اليه
ولكن رأى سلطان عز وهيبة ... فقبل وجه الارض بين يديه

وفيه توفي الشيخ الصالح زين الدين عبد الرحيم بن ابراهيم بن حجاج الابناسي القاهري
الشافعي وكان عالما فاضلا دينا خيرا صالحا منجمعا عن أبناء الدنيا متصوفا على طريقة
السلف متواضعا جدا أو طلب للقضاء غير ما مرة وهو يأبى من ذلك ولما مات دفن بزاوية
الشيخ شهاب الدين التي بحدرة الفول عند بركة الرطلي وفي ربيع الآخر طلع القضاة الى
القلعة للتهنئة بالشهر فأذن لهم بالدخول على السلطان وهو في القاعة التي بالدهيشة وهي
قاعة الحريم فلما دخلوا عنده وجدوه على سرير وقد قوروا له الفرش من تحته ورجله قدامه
وهو لا ينام ولا يتحرك وكان الامراء والمباشرون يدخلون عليه كل يوم ويعطونه الخدمة وهو
جالس على ذلك السرير فيدعون له وينصرفون وفيه وصل قيت الساقي من حلب ومعه
عدة وافرة من الرؤس التي قطعت من عسكر ابن عثمان فلما دخل الى القاهرة زينت له زينة
حافلة واصطفت الناس للفرجة فدخل وقدامه الرؤس محمولة على الرماح وكان عدتها
ما يزيد على مائتي رأس فلما طلع الى القلعة دقت له البشائر وأقيمت الخدمة بالحوش
ووقف أرباب الدولة كل واحد في منزلته على العادة وغطيت الدكة التي يجلس عليها
السلطان بالملاءة الحرير فلما استقر قيت الساقي بالحوش باس الارض الى نحو الدكة

فاحضرت لهم خلعة ولمن كان صحبته من المماليك السلطانية فلبسوا تلك الخلع ونزلوا فى موكب حافل وكل ذلك والسلطان منقطع فى القاعة وهو فى غاية التألم من رجله وقيل ان السلطان فرق على الفقراء فى مدة انقطاعه بهذا العارض نحوا من ألف دينار على يد قطب الدين الخضيرى ثم انه بعد أيام علم على أربعة مراسيم وكانت العلامة قد تعطلت أيام مرضه وفيه توفى الشيخ جلال الدين البكرى وكان علامة فى مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ورحمه وكان اسمه محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد الديروطى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا فى العلوم ناب فى القضاء مدة طويلة وولى قضاء الاسكندرية ثم تولى مشيخة الخانقاه البيبرسية وكان بيده عدة تداريس ومولده سنة سبع وثمانمائة وفيه رسم السلطان على لسان القاضى كاتب السر ابن مزهر بان يجمع رؤس النوب والنقباء الذين بابواب الحكام ويكتب عليهم قسائم انهم لا يأخذون من الاخصام عند انفصالهم من الحكم أكثر من نصفين فجمعهم وكتب عليهم قسائم بذلك فأقام هذا الامر مدة يسيرة ثم عادوا لما كانوا عليه وفيه قرر شيخنا الجلال السيوطى فى مشيخة البيبرسية عوضا عن الجلال البكرى بحكم وفاته وكان الساعى له السيد الخليفة عبد العزيز وفيه هجم المنسر على سوق باب الشعرية وقتلوا البواب وفتحوا عدة دكاكين وأخذوا ما فيها وخرجوا من الباب وتوجهوا من حيث أتوا وفى جمادى الاولى حملوا السلطان وهو على السرير وخرج الى الدهيشة وجلس بالشباك المطل على الحوش وعرض قدامه عدة خيول فحصل للناس الاطمئنان عليه وفيه حصل للسلطان الشفاء ودخل الحمام فلما كان يوم الجمعة ركب من باب الدهيشة وتوجه الى الجامع وصلى الجمعة وكان له بالقلعة يوم مشهود وخلق الخدام بالزعفران وفرقت خوند على الناس البود الحرير الاصفر للخدام والخاصكية والزمام ومقدم المماليك والغلمان السلطانية قاطبة وأعيان الناس من الحجاب ورؤس النوب ونقباء الجيش وغير ذلك من الاعيان ولما رجع السلطان من الجامع لاقته السودة بالتهانى ونثرت خوند على رأسه خفائف الذهب والفضة وفرشت له الشقق الحرير تحت حوافر فرسه وكان يوما حافلا بالقلعة وخلع على الاطباء والمزينين الخلع السنية ودقت له البشائر بالقلعة ونودى بالزينة فى القاهرة فلما كان الثانى من يوم ركوبه حضر الخليفة والقضاة الاربعة وهنؤا السلطان بالعافية وجلس بالدكة وحكم بين الناس وكان مدة انقطاعه لهذا العارض نحوا من ثلاثة وخمسين يوما وكان الناس قد أيسوا منه وعد ركوبه من النوادر بعد ذلك العارض الهون عند الكبر وقد قال القائل فى ذلك

الله يدفع عن نفس الامام لنا * وكلنا للمنايا دونه غرض
فليت هذا الذى يعروه من مرض * بالعائدين جميعا لا به المرض

فتى الامام له من غيرنا عوض * وليس فى غيره منه لنا عوض
فيا أبا لى اذا ما نفسه سلمت * لو باد كل عباد الله وانقرضوا

وفى جمادى الآخرة جاءت الاخبار بان عسكر ابن عثمان لما حصلت لهم تلك الكسرة تجمع جيشا كثيفا ورجع الى المحاربة ثانيا وان عسكر السلطان بعد أن رجع الى حلب خرج ثانيا الى شوكوال فتنكد السلطان الى الغاية لهذا الخبر ونادى للعسكر بالعرض فعرض وعين جماعة من الامراء المقدمين والجند فكانوا نحوا من خمسمائة مملوك وكان الباش عليهم يشبك الجمالى الزردكاش الكبير أحد المقدمين ثم أنفق عليهم واستحثهم على الخروج الى حلب وضاق الامر بالسلطان حتى قصد أن يخرج الى التجريدة بنفسه وأرسل السلطان الى كرتباى الاحمر كاشف البحيرة بان يجمع له من طائفة العربان الذين بالبحيرة ما يقدر عليه ثم عرض جماعة من الزعر وقصد أن ينفق عليهم لكل واحد ثلاثين دينارا وأن يخرجوا صحبته وصار ينظر ما يرد عليه من الاخبار وفيه جاءت الاخبار بوقوع فتنة كبيرة ببلاد فاس من أعمال المغرب وقد حصل بين صاحب فاس والفرنج ما لا خير فيه من الحروب وقتل العساكر وان صاحب غرناطة توجه الى عمه يسأله أن يرسل له نجدة تعينه على قتال صاحب قشتاله وان الفتن هناك قائمة والامر لله وفيه خرج الامير يشبك الجمالى ومن عين معه من الجند الى جهة حلب فكان لهم يوم مشهود وفى رجب جاءت الاخبار بوفاة دولات باى الحوجب الشرفى نائب ملطية وكان عنده شجاعة وفروسية وتوفى قانم أميرشكار المحمدى الظاهرى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفيه توفى السيد الشريف على أخو أمير مكة المشرفة وهو على بن بركات بن حسن بن عجلان الهاشمى العلوى وكان مقيما بالقاهرة من حين فر من أخيه وحضر الى مصر فأتاه الاجل بها وكان رئيسا حشما فاضلا ذكيا لا بأس به ومولده بعد الخمسين والثمانمائة وفى شعبان طلع القضاة الاربعة الى القلعة للتهنئة بالشهر فكثرت المرافعات فى قاضى قضاة الحنفية شمس الدين الغزى فحنق منه السلطان ورسم لنقيب الجيش بالقبض عليه فى المجلس وتوجه به الى المدرسة الصالحية ليقيم حساب أوقاف الحنفية وجرى عليه ما لا خير فيه واستمر فى الترسيم الى أن عزل وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى فى ثانى عشر مسرى فتوجه الامير ازدمر تمساح وفتح السد وكان الاتابكى أزبك غائبا فى التجريدة ومن النوادرات ان النيل زاد فى ذلك اليوم عشرين اصبعا من الذراع السابع عشر فى يوم كسره واستمرت الزيادة عمالة حتى انه زاد فى ثلاثة أيام متواليه من الوفاء تسعة وتسعين اصبعا حتى عد ذلك من النوادر الغريبة فى الزيادة وقد قيل فى المعنى

وفا النيل اذ وفى البسيطة حقها * وزاد على ما جد من صنائع

٩٠٠

فماذا يقول الناس في جودهم * يشار الى انعامه بالاصابع

وفيه نزل السلطان الى الميدان وجلس بالمقعد الذي به وعرض المحابيس من رجال ونساء وأطلق منهم جماعة ثم أمر بتوسيط احمد بن بشارة شيخ العشير ببلاد صفد وفيه عاد الامير اقبردى الدوادار من جبل نابلس ومعه عدة من العربان وهم في الحديد وقد قبض على أعيان مشايخهم وفي رمضان كان أول ما خطب بمدرسة الصاحب الزمام التي أنشأها بخط باب الرميلة وقد جاءت من أحسن البناء وكان أصلها قاعة فصنع بها محرابا واتخذها مدرسة وخطب بها وفيه توفي شمس الدين محمد الدمجوري أحد نواب الحكم من الشافعية وكان انسانا حسنا لا بأس به ومولده سنة تسع وعشرين وثمانمائة وفيه قبض على انسان وهو سكران في رمضان فضرب بالمقارع وجرس بالقاهرة وفيه جاءت الاخبار بوفاة العلائي علي بن شاهين العثماني نائب قلعة دمشق وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه كان ختم البخاري بالقلعة في الحوش وكان ذلك على خلاف العادة وفيه تغير خاطر السلطان على خشقدم الزمام لامر وقع له وكانت كائنة عظيمة وقصد الاخراق به وأمر بضربه حتى شفع فيه ثم آل أمره بعد ذلك الى أن نفاه الى جهة قوص كما سيأتي ذكر ذلك وفي شوال جاءت الاخبار بوفاة بردبك سكرأتابك العساكر بطرابلس وكان شابا رئيسا حسنا حشما لا بأس به ولكن وقع له شدائد ومحن ونفي من مصر وكان من خواص السلطان ثم تغير خاطره عليه وجرى له أمور شتى وفيه خلع السلطان على الشيخ ناصر الدين محمد بن الاخميمي شيخ المدرسة البرقوقية وقرره في قضاء الحنفية عوضا عن شمس الدين الغزي بحكم انفصاله عنها وجرى على الغزي أمور يطول شرحها وفيه خرج الحاج من القاهرة في تجمل زائد وكان أمير ركب المحمل ازدمر تمساح على العادة وفيه رسم السلطان بتوسيط شخص من أعيان المفسدين في الارض يقال له سمور ووسط معه جماعة آخرين مفسدين في الارض فنزل سمور من القلعة وهو مسمر على لعبة من الخشب غريبة الهيئة تجر بالحبل ولها حركات تدور بها فرجت القاهرة في ذلك اليوم وكان يوما مشهودا وتوجهوا به الى جزيرة الفيل فوسطوهم هنالك وأراح الله الناس منهم وفيه أرسل السلطان تجريدة الى البحيرة بسبب فساد محمد الجويلي شيخ عربان البحيرة وكان باش الجند قرقماس المعلم أحد الامراء العشراوات واسنباى المبشر وأزبك قفص وماماي ونحو من مائتي مملوك من المماليك السلطانية فلما وصلوا الى البحيرة تقاتلوا مع الجويلي أشد القتال وقتل من الترك والعرب جماعة كثيرة ورجع العسكر من غير طائل ولا حصلوا من الجويلي على شيء وفيه وقعت نادرة وهو أن مركبا ببولاق وسقت تحت الليل فغرقت في وسط البحر بمن فيها من الناس والدواب ومن العجائب انه كان بها انسان علامة في السباحة الى الغاية فغرق ولم يعلم له خبر وكان الى جانبه

صبي صغير لا يعرف السباحة فنجا من الغرق وطلع فعد ذلك من النوادر كما قيل في المعنى

وقد يهلك الانسان من باب أمنه • وينجو بعون الله من حيث يحذر

وفيه توفي الشيخ قلج الرومي الادهمي شيخ زاوية السلطان بالمرج والزيات فلما مات قرر في مشيخة الزاوية امرأة وهي زوجة قلج المذكور فعد ذلك من النوادر وكانت المرأة تقرب لجهان شاه وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن العسكر قد ثار على الاتابكي أزبك وقصد العود الى القاهرة فتشوش السلطان لهذا الخبر وشكوا من الانشحات فأرسل السلطان اليهم نفقة هناك فانفق الاتابكي أزبك عليهم هناك لكل مملوك خمسين دينارا حتى خمدت الفتنة وفيه ثار جماعة من المماليك الجلبان وتوجهوا الى بيت البدري بدر الدين ابن مزهر المحتسب وقصدوا حرق بيته فاختفى وذلك بسبب تسعير البضائع من اللحم والخبز والجبن وغير ذلك ثم توجهوا الى الشون وكسروا أبوابها ونهبوا ما فيها من القمح والشعير وفعلوا ذلك بشون السلطان والامراء وكانت فتنة مهولة فلما بلغ السلطان ذلك بعث اليهم جماعة من الخاصكية ومقدم المماليك فما قدروا على ردهم فركب السلطان بنفسه بعد العصر وتوجه الى بولاق فلما رأوه فروا من وجهه ثم أتوا الى دار الصاحب قاسم فنهبوا كل ما فيها فلما أصبحوا لم ينتهوا احماهم عليه ولم يطلع أحد من المباشرين الى القلعة ثم ان القاضي كاتب السر ترامى على السلطان وقبل رجله ثلاث مرات بأن يعفي وابنه بدر الدين من الحسبة فما أجاب الا بعد جهد جهيد وفيه توفي الكاتب المجيد الزيني خطاب بن عمر بن خطاب الازهري الشافعي وكان فاضلا وله اشتغال بالعلم وكتب المنسوب من الخط الجيد وكان له في ذلك دعاوى عريضة جدا وفيه يقول الشهاب المنصوري

بذي التهذيب خطاب تسامت • صحائف زانها خطا وضبطا

فلو نطق الطروس لفضلته • وقالت أجود الكتاب خطا ب

وفيه وصل قيت الساقي الخاصكي الذي كان قد توجه الى يعقوب بن حسن الطويل فعاد ومعه مكاتبة باظهار التودد وصدق المحبة للسلطان وفيه توفيت خوند آسية بنت المؤيد شيخ وهي والدة سيدي يحيي بن يشبك الفقيه الذي كان دوادارا كبيرا وكان حصل لها أسف على ولدها يحيي لما مات فكف بصرها في أواخر عمرها ومولدها سنة اثنتي عشرة وثمانمائة وكانت آخر من توفي من أولاد الملك المؤيد شيخ وفي ذي القعدة ظهر برهان الدين بن الكركي امام السلطان وكان مختفيا من حين تغير خاطر السلطان عليه فشفع فيه بعض الامراء حتى ظهر وقابل السلطان ونزل الى داره بطالا وفيه خلع السلطان على اقبردي الدوادار وقرره في الوزارة وكان متكلما فيها بغير تقرير وقرر موفق الدين بن القمص الاسلمي في نظر الدولة عوضا عن قاسم شغيته بحكم صرفه عن الوزارة ونظر الدولة فوكل به وأقام في الترسيم

حتى يعمل الحساب وفيه خلع السلطان على كسباى الشريفى وقرره فى الحسبة عوضا
عن البدرى ابن مزهر بحكم استعفائه وفيه رسم السلطان بتوسيط عبد العزيز المعروف
بعزوز من أولاد بنى عمر أمير عربان هوارة ووسط معه جماعة من أقاربه وهم يعقوب بن
سليمان وموسى بن عبد الله وموسى بن أبى لاسون وعلى أشو عزوز ومحمد بن بشارة فكانت
آجالهم متقاربة من بعضها وفيه بلغ سعر الارز الى ستة أشرفية كل أردب ولا يوجد ثم
عز جدا حتى تناهى سعره الى اثنى عشر دينارا كل أردب حتى عد ذلك من النوادر وفيه
رسم السلطان بتوسيط شخص من كبار المفسدين يقال له أحمد الانف وله حكايات
فى فن السرقة يطول شرحها وفيه حضر جماعة من الجند ممن كان مسافرا فى التجريدة
وقد حضروا من غير اذن من السلطان وقصدوا الاخراق بالاتابكى أزبك باش العسكر
وهو بحلب فقال لهم الذى يقصد الرواح الى مصر يروح ويقابل أستاذه فساروا فى
الدمس ثم قويت الاشاعات بوقوع فتنة كبيرة وصار جماعة من المماليك الجلبان يقفون
للامراء بالسلم المدرج ويقولون لهم قولوا السلطان ينفق علينا والا يقع منا فتنة كبيرة
وصاروا يغلظون عليهم فى القول وصار القال والقيل عمالا كل يوم بينهم وبين الامراء
والاشاعات قائمة بوقوع فتنة وقصدوا الاخراق بالامير اقبردى الدوادار غير ما مرة
حتى امتنع أياما من طلوع القلعة وفيه قرر فى قضاء الحنفية بدمشق القاضى زين
الدين عبد الرحمن الحسبانى عوضا عن علاء الدين اسمعيل الناصرى بحكم صرفه عنها
وفيه جاءت الاخبار بوفاة قاضى مكة المشرفة البرهان بن ظهيرة الشافعى وهو ابراهيم بن على
ابن محمد بن حسين بن على بن أحمد وكان عالما فاضلا بارعا فى العلوم رئيسا حشما انتهت اليه
رياسة مكة المشرفة وكان المرجع اليه بها ولما مات قرر فى قضاء الشافعية بمكة المشرفة ولده
أبو السعود عوضا عنه وفيه كان دخول الاتابكى أزبك وبقية الامراء والجند ممن كانوا
مسافرين فى التجريدة الى على دولات والى عسكر ابن عثمان فلما دخلوا الى القاهرة كان لهم
يوم مشهود وقدامهم الاسرا من عسكر ابن عثمان وهم مزنجرين والصناجق منكسة
وكان صحبتهم جماعة من أعيان أمرائه وهم زناجير على خيولهم وصحبتهم أيضا باش عسكر
ابن عثمان وهو أحمد بك بن هرسك وهو راكب وفى عنقه زنجير وقيل ان ابن هرسك كان
أميرا كبيرا أتابكى ابن عثمان فلما عرضوا على السلطان وهو بالحوش عاتب أحمد بن هرسك
ووبخه بالكلام ثم سلمه الى الامير قانصوه خمسمائة أمير اخور كبير ثم وزع بقية الاسراء
على جماعة من المباشرين حتى قضاة القضاة ثم خلع على الاتابكى أزبك وعلى بقية الامراء
ونزلوا الى دورهم وفى عقيب ذلك ثار جماعة من المماليك الجلبان على السلطان ولبسوا
آلة الحرب وأشهروا السلاح وكان ذلك فى سلخ الشهر المذكور فاضطربت الاحوال

ووزع أكثر الامراء والناس حوائجهم في الحواصل وغلقت الاسواق والدكاكين وباتت الزعر أفواجا أفواجا وقبل ذلك توجه جماعة من المماليك الجلبان الى بيت اقبردي الدوادار وتكلموا معه في أن يتكلم مع السلطان بان ينفق عليهم في نظير تعب سرهم بسبب هذه النصرة التي وقعت لهم على عسكر ابن عثمان وسألوه أيضا في عمل مصالحهم في مرتب اللحم والعليق فلما اجتمع اقبردي بالسلطان كلمه في ذلك غير مامرة وهو مصمم على عدم اجابتهم الى ما سألوه فيه فلما عاد الجواب لهم بعدم الاجابة في ذلك ثاروا عليه واتسعت الفتنة وغلقت الامراء أبوابها واستمر الحال على ذلك وفي ذي الحجة لم يطلع أحد من القضاة الى القلعة بسبب التهنئة بالشهر وكانت الفتنة قائمة كما تقدم ثم طلع الاتابكي أزبك الى القلعة واجتمع بالسلطان وكلمه في أمر النفقة على المماليك وتلطف به في القول فما أجاب الى ذلك الا بعد جهد كبير فتقرر الحال على أنه ينفق عليهم لكل مملوك منهم خمسون دينارا ثم نادى في القاهرة بأن النفقة ستكون في أول السنة الجديدة فخمدت هذه الفتنة شيأ قليلا وفيه جلس السلطان على الدكة بالحوش وحضر الاتابكي أزبك وفرقت الاقطاعات الشاغرة عن من توفي في هذه التجريدة من الجند وصار الاتابكي أزبك هو المشار اليه في هذا الامر وفيه أنعم السلطان على اقباي بن جانم الظاهري خشقدم بامرية عشرة وهي امرية أصباي السيفي قرقماس الشعباني بحكم انه كان مريضا مسقطا في داره وأنعم على أبي شعر بامرية عشرة وهي امرية قراكز بحكم عزله أيضا وفيه كانت الضحايا قليلة جدا ولا سيما الغنم وفيه جلس السلطان لتفرقة الجامكية فامتنع المماليك من أخذها وصمموا وقالوا ما نأخذ الا النفقة مع الجامكية ولا نصبر الى الشهر الآتي فلما رآهم قد صمموا على ذلك أنفق عليهم فأعطى المماليك الجلبان كل واحد منهم خمسين دينارا وأعطى القرانصة كل واحد منهم خمسة وعشرين دينارا ولم يعط الذين لم يتوجهوا نحو التجريدة المعينين ووقع القال والقيل بسبب ذلك فلم يلتفت الى شيء من كلامهم وخمدت هذه الفتنة

❁ ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة فيها في المحرم كانت الاسعار مشحطة ومشطة في سائر البضائع وتشحط الخبز من الدكاكين حتى بيع كل رطل من الخبز بنصف فضة وكانت أحوال الناس واقفة بسبب الفلوس الجدد حتى غلا سعر راوية الماء وعز وجود جمال السقائين وصار الغلاء في المأكول والمشروب هذا والمماليك قد طغوا في حق الناس وتزايد منهم الضرر الشامل والعربان قد تزايدت شرورهم في البلاد من الشرقية والغربية وابن عثمان في غاية التعرض على البلاد الحلبية والسلطان في غاية الظلم والمصادرات للناس بسبب خروج التجريدة الى ابن عثمان ثانيا وصار العسكر في أمر مريب بسبب ذلك والاشاعات قائمة بوقوع فتنة بين الجلبان وقد صاروا فرقتين فرقة مع قانصوه خمسمائة وفرقة مع

اقبردى الدوادار والاضطراب بينهما عمال وفيه جاءت الاخبار من ثغر دمياط بوفاة الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق وكان ملكا جليلا وله اشتغال بالعلم على مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه ورحمه حتى صار مفتيا في طبقة العلماء ومات وهو فى عشر الخمسين من العمر فلما بلغ السلطان وفاته رسم بنقل جثته الى مصر ودفن على أبيه الملك الظاهر جقمق وشرع فى أسباب ذلك وعين من توجه الى هناك ليحضره وفيه رسم السلطان بفك قيد أحمد بن هرسك الذى قد أسر وكذلك فك قيود من أسر من عسكر ابن عثمان وأخذوا فى أسباب تجهيزهم الى بلادهم وقد أشيع أمر الصلح بين السلطان وابن عثمان وفيه اشتد أمر الغلاء جدا حتى بيع القمح كل أردب بستة أشرفية وبيعت البطة الدقيق بأربعمائة وخمسين درهما وبيع خبز الذرة ولم يظهر خبز الذرة فيما تقدم من الغلوات المشهورة حتى صنف العوام رقصة وهم يقولون

زوجى دى المسخره . يطعمنى خبز الذره

وصار يموت الكثير من الفقراء على الطرقات من شدة الجوع ثم ان السلطان فتح عدة شون وباع منها القمح على حكم خمسة أشرفية كل اردب وصار المحتسب يضرب الكثير من السوقة على عدم بيع الخبز واظهاره على الدكاكين وفيه أنعم السلطان على مملوكه قيت الساقى بامرية عشرة وكذلك مغلباى الجمقدار وقرر قيت الرحبى جمقدارا عوضا عن مغلباى وفيه حضرت جثة الملك المنصور عثمان من ثغر دمياط ودفن على أبيه الظاهر جقمق بتربة قانى باى الجركسى وفيه قدم اينال الخسيف نائب صفد أحد مماليك السلطان فلما حضر أرسل السلطان خلعة وتقليدا الى يلباى حاجب دمشق وقرره فى نيابة صفد عوضا عن اينال الخسيف ثم بعد مدة قرر اينال الخسيف فى حجوبية دمشق عوضا عن يلباى بحكم انتقاله الى نيابة صفد وفيه توفى الشيخ شمس الدين محمد بن سوله الفارسكورى وكان من أعيان الشافعية من أهل العلم والفضل وكان لابأس به وفيه توفى المنشد المطرب الواعظ المادح شمس الدين محمد بن حسلة وكان من مشاهير الوعاظ وله نظم جيد ومولده قبل العشرين والثمانمائة وفيه انحل سعر القمح وبيع الاردب القمح بأربعة دنانير بعد ستة أشرفية بواسطة كثرة جلب الذرة وقد حصل للناس بها غاية الرفق وفى صفر خسف جرم القمر وأظلم الجو ودام فى الخسوف نحوا من خمسين درجة فلهج الناس بأن دوران السلطان قد قرب وما كان شئ مما تحدثوا به وأقام السلطان بعد ذلك مدة طويلة فكان كما قيل فى المعنى

لا تجعل الشمس شيأ لولا القمر وعن خسوفهما لا يصدر الكدر

وفيه توفى الشيخ نظام الدين محمد بن الشيخ الحاجى التركى وكان عالما فاضلا من أعيان

الناس وكان رئيساً حشماً وجيهاً عند الناس في سعة من المعيشة وفيه يقول المنصوري

سبحان من من بحسن الكلام * على نظام الدين دون الانام

فلفظه أهل العلم درّ ولا * يزين ذاك الدرّ الا النظام

وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة الامير قانصوه السيفي الاحمدي الاينالي الذي كان أحد المقدمين ونفي الى دمياط ثم نقل الى مكة المشرفة فمات بها وجرى عليه شدائد ومحن وكان من أعيان طائفة الاينالية وهو الذي تعصب للاشرف قايتباي حتى تسلطن فما ناله منه خير كما يقال

ربّ من ترجو به دفع الاذى * سوف يأتيك الاذى من قبله

وقيل انه كان يقول في مجالس بسطه لولا أنا ما فرح قايتباي بالسلطنة قط فلما سمع السلطان قايتباي ذلك جرى على قانصوه ما اخبر فيه وكان يطلق لسانه في حق السلطان بما لا يليق فحقد عليه السلطان بسبب ذلك كما قيل في المعنى

وقد يرجى لجرح السيف برؤ * ولا برؤ لما جرح اللسان

وفي ربيع الاول توفي الامير ملاج اليوسفي نائب القلعة وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وكان ديناً خيراً رئيساً حشماً عاقلاً عارفاً بفنون الفروسية وكان لا بأس به وفيه تعدى شخص من العوانية واحتكر بيع الملح وضمنه بمكس ولم يكن يعهد ذلك من قبل فلما جرى ذلك تشفت الملاحة في تلك السنة حتى عز وجود الملح جداً وفيه عمل السلطان المولد النبوي وكان حافلاً على العادة وفي ربيع الآخر توفي الشيخ الصالح المعتقد سيدي عبد العظيم السدار الذي كان يبيع السدر والحناء عند القرابيين وكان الناس فيه اعتقاد زائد وهو عبد العظيم بن ناصر الدين بن خاف المصري ومولده بعد العشرين والثمانمائة وفيه توفي الشيخ محيي الدين عبد القادر الفرضي وكان علامة في الفرائض وهو عبد القادر ابن علي بن شعبان القاهري الحنفي وكان امام جامع أصلان وفي جمادى الاولى توفي الشيخ بدر الدين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عمر البلقيني الشافعي وكان فاضلاً نائب في الحكم وكان محمود السيرة وفيه جاءت الاخبار من عند الامير اقبردي الدوادار بانه قد انتصر على العرب الاحامدة وكان توجه الى بلاد الوجه القبلي بسبب ذلك فقتل منهم ما لا يحصى وأسر نساءهم وأولادهم وبعث بهم الى مصر وباعوهم كما يباع الرقيق من الزنج ووقع لاقبردي مع الاحامدة أمور غريبة تطول شرحها وعذب جماعة منهم بالدفن في التراب وهم أحياء ونوع لهم العذاب تنويعاً وقد طهر بلاد الصعيد منهم وكانوا أظهروا الفساد بها جداً وفيه توفي القاضي سراج الدين عمر بن حريز المالكي وهو عمر بن أبي بكر بن محمد بن محمد بن حريز الهاشمي القرشي العلوي الحسني المنفلوطي المالكي وكان عالماً فاضلاً ديناً خيراً وولي قضاء المالكية بعد أخيه حسام الدين وجرى عليه شدائد ومحن وعزل عن القضاء ودام معزولاً

حتى مات وفيه افتتن طائفتان من الزعر ووقع بينهم أمور وشدائد يطول شرحها وصار يقتل بعضهم بعضا جهارا حتى أعيا الوالي أمرهم وفي جمادى الآخرة توفي بردبك طرخان الظاهري جقمق وكان انسانا حسنا لا بأس به وكان بيده امرية عشرة يأكلها وهو طرخان وفيه أمر السلطان بتجديد عمارة قناطر بني منجا فخرج البدري حسن بن الطولوني ومعه جماعة من البنائين والمهندسين بسبب العمارة وصرف على ذلك نحوا من سبعة آلاف دينار وكانت هذه القناطر قد تشعثت وآلت الى السقوط فتداركها السلطان بذلك وجاءت من أحسن البناء وفيه توفيت ست الخلفا بنت الخليفة المستنجد بالله سيدي يوسف وكانت بارعة في الحسن فكثر عليها الحزن والاسف من الناس وكانت أمها بنت قاضي القضاة البلقيني وكان عقد لها على الامير خشكلدي البيسقي ثم فسخ العقد قبل الدخول ثم تزوج بها كاتب السر ابن مزهر ثم تزوجت بالقاضي قطب الدين الخيضري ثم تزوجت بعده بالسيد الشريف اسحاق البرديني وماتت تحته وكان مولدها سنة ستين وثمانمائة وفيه في يوم الجمعة كان عقد قانصوه خمسمائة على بنت الاتابكي أزبك من خوند بنت الظاهر جقمق عقد بجامع القلعة وحضر القضاة الاربعة وأعيان الناس وكان عقدا حافلا وأحضر السلطان عدة زبادي صيني فيها سكر ومشبكات فاكهة فرقت في القاعة فكان كما قيل

على أيمن الساعات عقد مبارك ... بهي كما شاء الاله وأظهرا
سني المعالي يسرت حركاته ... اذا الله سني عقد أمر تيسرا

وفيه جاءت الاخبار بان يحيى الاجرود الاينالي كاشف منفلوط قد فر الى بلاد النوبة وكان السلطان أرسل بالقبض عليه ففر من الخوف على نفسه وأقام مدة وهو هارب حتى بعث السلطان له بالامان وفي رجب لما صعد القضاة للتهنئة بالشهر أمر السلطان بالقبض على جماعة القاضي الشافعي زين الدين زكريا فقبض على علاء الدين نقيب النقيب وعلى أمين الحكم الصابوني وعلى جماعة من البداه ووكل بهم لعمل الحساب لاجل أوقاف الشافعية التي تحت نظر قاضي القضاة الشافعي فاستمروا في الترسيم بسبب هذه الواقعة نحوا من ثلاث سنين والسلطان يتغافل عنهم وفيه خلع السلطان على القاضي نور الدين المساوي وأعاده الى ... عوضا عن ابن الشحنة أبي البقا وفيه توقف النيل عن الزيادة ... عشر يوما متوالية الى ثامن أبيب فقلق الناس بسبب ذلك ثم بعث الله تعالى بالزيادة واستمرت الى أن وفى وفيه كان دخول قانصوه خمسمائة على بنت أزبك أمير كبير فحمل اليه جهازها من الازبكية الى دار قانصوه خمسمائة التي بقناطر السباع فلما شق من القاهرة كان له يوم مشهود وكانت الحمالون التي تحمل الامتعة زيادة على أربعمائة حمال وقيل

صرف على هذا الجهاز نحو من مائتي ألف دينار ولما كانت ليلة العرس عمل بالازبكية وكان
مهما حافلا ثم ان قانصوه خمسمائة ركب من باب السلسلة ومشت قدامه الامراء المقدمون
بالشاش الذي يلبس في الجمعة والاعياد وكذلك الخاصكية وبأيديهم الشموع الى أن وصل
الى الازبكية وعد هذا الزفاف من النوادر الغريبة لكن حصل للناس في تلك الليلة غاية
الضرر من الجلبان وخطفوا العمائم وضربوا جماعة من الامراء المقدمين وخطفوا الشمع
من أيدي الخاصكية وما حصل تلك الليلة منهم خير وكادت أن تكون فتنة كبيرة وفيه رسم
السلطان لكسباي المحتسب بان تجمع له أعيان التجار الذين بالاسواق فلما عرضوا على
السلطان قال لهم ساعدوني بشيء على خروج التجريدة ثم فرض عليهم أربعين ألف دينار
فضجوا من ذلك وقالوا ما نقدر على هذا القدر فما زال يحط عنهم من ذلك القدر والتجار
يقولون ما نقدر على ذلك فلما طال الامر بينهم وبين السلطان تقرر الحال على أن يوردوا اثنى
عشر ألف دينار اذا خرجت التجريدة وانفض المجلس على ذلك وفي شعبان توفيت فاطمة
بنت الجمالي يوسف ناظر الخاص التي كانت زوجة الامير خاير بك سلطان ليلة وكانت رئيسة
حشمة لا بأس بها وفيه توفي الشيخ تاج الدين ابن قاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي
وكان ولي بعد أبيه مشيخة الجامع المؤيدي وكان عالما فاضلا أخذ العلم عن أبيه ومولده
سنة خمس وثمانمائة وفيه كان وفاء النيل المبارك في ثاني عشر مسرى وتوجه الاتابكي
أزبك وفتح السد على العادة وفيه قرر السلطان قرقماس بن ولي الدين في امرية الاخورية
الثانية وكانت شاغرة مدة وقرر في باشية الجندبكية المشرفة أزدمر الاشرفي برسباي عوضا
عن شاد بك أمير اخور الظاهري بحكم وفاته وفي رمضان خلع السلطان على الشيخ بدر
الدين بن الديري وقرره في مشيخة الجامع المؤيدي عوضا عن عمه تاج الدين فاقام بها مدة
يسيرة وسعى عليه محيي الدين عبد القادر ابن الدهانة الحنفي فقرره السلطان بها وقد أورد مالا
له صورة وفيه وصل الامير اقبردي الدوادار وكان مسافرا نحو الوجه القبلي بسبب فساد
عربان طائفة الاحامدة وقد تقدم ما جرى عليهم منه وفيه خلع السلطان على الشيخ
بدر الدين ابن قاضي القضاة صلاح الدين المكيني وقرره في مشيخة الخشابية عوضا عن
الشيخ فتح الدين محمد بن قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني الشافعي بحكم وفاته في شهر
رجب وقد سعى فيها بدر الدين المكيني بمال له صورة حتى قرر بها وفيه توفي القاضي
عبد الغفار السنهوري الشافعي أحد نواب الحكم وكان لا بأس به وفيه كان ختم قراءة
البخاري الشريف بالقلعة وكان بالحوش كالعام الماضي وفرقت الصرر على الفقهاء بحكم
النصف وقطعت صرر من له خلع وقد شح السلطان في الايام التي خلت في الشهر المذكور
جدا وفي شوال جاءت الاخبار بوفاة نائب الشام قجماس الاسحاقي الظاهري وكان

دينا خيرا فى غاية الاحتشام مع لين جانب وكان انسانا حسنا لا بأس به وهو الذى أنشأ المدرسة التى عند الدرب الاحمر بقرب سوق الغنم وأنشأ مثلها بدمشق وله آثار حسنة غير ذلك وفيه تغير خاطر السلطان على يشبك بن حيدر والى القاهرة فأمر بنفيه الى الكرك فشفع فيه أزبك الامير الكبير ورده من اثناء الطريق فعزل من الولاية وقرر فى امرية عشرة وفيه توفى الجلال أبو البقاء ابن الشحنة الحلبى الشافعى قاضى القضاة بحلب وكان عالما فاضلا تقلد بمذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ورحمه وكان والده حنفى المذهب فقدم الى القاهرة معزولا ومات بها وكان لا بأس به وفيه أرسل السلطان خلعة لقانصوه اليحياوى الذى كان نائب الشام الذى كان بالقدس الشريف وهو معزول بسبب ما تقدم ذكره فلما حضر خلع عليه السلطان وقرره فى نيابة الشام عوضا عن قجماس الاسحاقى بحكم وفاته وفيه خلع السلطان على مغلباى الشريفى الذى كان استادار الصحبة وقرره فى ولاية القاهرة عوضا عن يشبك بن حيدر ثم بعد مدة طويلة خلع على اسباى المبشر وقرره فى استادارية الصحبة عوضا عن مغلباى وفيه جاءت الاخبار بفرار شاه بضاع بن دلغادر وكان مسجونا بقلعة دمشق فلما بلغ السلطان ذلك تنكد الى الغاية ورسم بشنق نائب قلعة دمشق ثم جاءت الاخبار بأن شاه بضاع فر من قلعة دمشق وتوجه الى ابن عثمان فأكرمه وأقام عنده الى أن كان من أمره ما سنذكره فى موضعه وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير المحمل ازدمر غاساح وبالركب الاول خاير بك كاشف المحلة وفيه توفى مجد الدين اسماعيل الشطرنجى وكان علامة فى نقل الشطرنج وجيها عند الامراء كثير العشرة للناس ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه تغير خاطر السلطان على موفق الدين بن القمص الاسلمى ناظر الدولة فضربه بالمقارع بين يديه بالحوش وسلمه للامير أقبردى الدوادار ثم خلع السلطان على شرف الدين بن البدرى حسن وقرره فى نظر الدولة عوضا عن موفق الدين الاسلمى وفى ذى القعدة جاء قاصد من عند ملك الغرب صاحب الاندلس وعلى يده مكاتبة من مرسله تتضمن أن السلطان يرسل له تجريدة تعينه على قتال الفرنج فانهم أشرفوا على أخذ غرناطة وهو فى المحاصرة معهم فلما سمع السلطان ذلك اقتضى رأيه أن يبعث الى القسوس الذين بالقمامة التى بالقدس بأن يرسلوا كتابا على يد قسيس من أعيانهم الى ملك الفرنج صاحب نابل بأن يكاتب صاحب اشبيليه بأن يرحل عن أهل مدينة غرناطه و يرحل عنهم والا يشوش السلطان على أهل القمامة ويقبض على أعيانهم ويمنع جميع طوائف الفرنج من الدخول الى القمامة و يهدمها فأرسلوا قاصدهم وعلى يده كتاب الى صاحب نابل كما أشار السلطان فلم يفد ذلك شيأ وملك الفرنج مدينة غرناطة فيما بعد وفيه توفى الشهاب الابشيهى أحمد بن محمد الحلى الشافعى وكان عالما فاضلا وناب فى الحكم مدة طويلة

وكان رئيسا حشما وجيها عند الناس وفيه توفى أزبك الاشرفى أحد الامراء العشروات وكان لا بأس به وفيه كان علف الدواب غاليا ففرق السلطان الاضحية على الامراء والجند قبل عيد النحر بخمسة وعشرين يوما فعد ذلك من النوادر وفى ذى الحجة فى سابع عشره خرج قانصوه اليحياوى الى نيابة الشام وفيه سقطت قبة جامع القلعة على المحراب والمنبر وقتل تحتها بواب الجامع وولده فرجت لها القلعة وخرج السلطان وهو ماش حتى يرى ما سقط فى الجامع وكان ذلك قبل يوم الجمعة بثلاثة أيام فأمر السلطان بشيل الاتربة من الجامع ثم أخذ فى أسباب عمل قبة غيرها فجدد هذه القبة الموجودة الآن وجدد المنبر وكان قبل ذلك من الخشب فجعله من الرخام الملون وجدد عمارة الميضأة التى بالجامع فجاءت من أحسن البناء وفيه خلع السلطان على شخص من مماليكه يقال له سيباى ابن بخت ساوقرره فى نيابة سيس عوضا عن قانصوه الجمالى بحكم وفاته وفيه تغير خاطر السلطان على الجمالى يوسف كاتب المماليك وأخذ منه تسعة آلاف دينار وجدت عليه وعلى والده أبى الفتح ناظر الحسبة أمور يطول شرحها حتى آل أمره الى ذهاب عقله واعتراه جنون وفيه قويت الاشاعات بثوران فتنة من المماليك الجلبان وكثر القال والقيل فى ذلك ونقل غالب الامراء وأرباب الدولة أمتعتهم من الدور خوفا من النهب عند وقوع الحركة فلما ترايد الكلام فى ذلك صلى السلطان صلاة الجمعة ثم بعد الصلاة جلس بالحوش ثم أحضر أغوات الاطباق وأعيان المماليك الجلبان وكلمهم كلاما كثيرا ووبخهم بالكلام حتى قال ان كان قصدكم قتلى فدونكم ذلك فاستغفروا الله ثم آل الامر الى صلحهم مع السلطان وسكون هذه الفتنة قليلا فلما خرجوا من عنده عادوا لما كانوا عليه من ثوران الفتنة حتى أشيع بين الناس أن السلطان قد تهيأ للفرار بنفسه ولم يعلم أين يتوجه وقد ترايد القول فى ذلك فكان كما يقال

لعمرى ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وقد خرجت السنة المذكورة عن الناس وهم فى أمر مريج وكانت الاسعار مرتفعة فى سائر البضائع والاشاعات قائمة برجوع عسكر ابن عثمان وزحفهم على البلاد الحلبية والاشاعات قائمة بثوران فتنة كبيرة بمصر بين الجلبان والامراء واقفة والسلطان ناظر الى الظلم واخذ أموال الناس والامر لله

❁ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم سافر قانصوه اليحياوى الى الشام وقد تقدم أنه تقرر فى نيابة الشام فخرج فى موكب حافل وفيه سمح خاطر السلطان بأن ينفق على مماليكه توسعة على رد خيولهم من الربيع فأعطى لكل مملوك عشرة دنانير والقرانصة خمسة دنانير والسيفية ثلاثة دنانير فصرف فى هذه الحركة جملة مال له صورة

وفيه جاءت الاخبار بقتل حسن بن سليمان بن عيسى بن عمر الهوارى أخى داود بن عمر أمير هوارة قتله بعض أعدائه من العربان وكان شابا حشما لا بأس به وفيه توفى جانى بك حبيب العلائى الاينالى أحد الامراء الطبلخانات وأمير اخور ثانى وكان رئيسا حشما حلو اللسان حسن العبارة سيوسا دربا عارفا فصيح اللسان بالعربى توجه قاصدا الى يعقوب بن حسن الطويل ثم توجه قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم وكان مقبول الشكل حسن الوجه ومات ولم يظهر الشيب بلحيته وجرى عليه شدائد ومحن فى دولة الظاهر خشقدم وفر الى بلاد الغرب وأقام بها حتى توفى الظاهر خشقدم فعاد الى مصر وصار له خصاصة بالاشرف قايتباى وفيه توفى بيبرس اليوسفى الظاهرى أحد العشراوات وكان لا بأس به وفيه بلغ سعر الراوية من الماء نحو ثلاثة أنصاف وذلك بسبب عدم وجود الجمال لتسلط المماليك الجلبان على السقائين لاجل الدريس فحصل للناس غاية المشقة بسبب ذلك وفيه وصل الحاج الى القاهرة وكان أشيع عنهم أمور شنيعة فظهر أن ذلك كذب وكان أشيع عنهم أن طائفة عربان الاحامدة قد استولوا على الحاج ولم ينج منهم أحد وفيه جاءت الاخبار بان ابن عثمان أرسل عسكرا عظيما وقصده محاربة عسكر مصر فتنكد السلطان لهذا الخبر وفيه حضر خضر بك نائب القدس فضرب بين يدى السلطان ضربا مؤلما وأقام بالترسيم حتى أورد مالا له صورة وكانت كثرت فيه الشكاوى عند السلطان وآل أمره الى أن عزل عن نيابة القدس وفيه قرر السلطان دقماق السيفى اينال الاشقر فى نيابة القدس عوضا عن خضر بك بحكم صرفه عنها وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بوفاة السلطان الملك المؤيد أبى الفتح أحمد ابن الملك الاشرف اينال العلائى الجركسى وكانت وفاته فى ليلة رابع عشر الشهر المذكور فلما بلغ السلطان ذلك أخذ فى أسباب احضار جثته الى القاهرة ودفنه على أبيه الاشرف اينال وكان المؤيد هذا رئيسا حشما قليل الاذى وجرى عليه شدائد ومحن ونفى الى الاسكندرية ودام بها الى أن مات وهو فى عشر الخمسين وفيه وقع من الوقائع الغريبة أن محب الدين أبا الطيب الاسيوطى بلغه أن السلطان تغير خاطره عليه وقصد الاخراق به فلما تحقق ذلك توجه الى المقياس وألقى نفسه فى البحر عمدا فغرق ومات وكان عالما فاضلا من ذوى العقول رئيسا حشما وجيها عند الامراء وأرباب الدولة وكان من أعيان موقعى الحكم وكان عارفا بأمور صنعة التوقيع وكان اسمه محمد بن محمد بن على بن عمر بن حسن القاهرى الشافعى ومولده سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ولكن هانت عليه نفسه لما تأمل ما سوف يجرى عليه وكان له أعداء كثيرة فخاف على نفسه من السلطان فكان كما قيل فى المعنى

لا تتبعن لعاذل أو عاذر ... حاليك فى السراء والضراء

فلرحمة المترجعين حرارة ... فى القلب مثل شماتة الاعداء

وفى ربيع الاول قرر السيد الشريف موفق الدين الحموى فى نظر الجيش بدمشق عوضا عن محيى الدين عبد القادر بحكم وفاته وقرر ولده عبد الرحيم فى كتابة السر بدمشق وفيه قرر ايدكى الاشرفى فى نيابة القلعة بدمشق عوضا عن على بن شاهين بحكم صرفه عنها وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا على العادة فى العام الماضى وفيه أحضر السلطان بترك النصارى ورئيس اليهود وقرر على طائفة اليهود والنصارى مالا له صورة بسبب خروج التجريدة الى ابن عثمان وهذا أول فتح باب المصادرات للناس وفيه قرر السلطان بركب المحمل جان بلاط الاشرفى انتاصكى أحد الدوادارية وقرر بالركب الاول كرتباى كاشف البحيرة وفيه أنعم السلطان على مملوكيه وهما قانصوه الالفى وقانصوه الشامى بتقدمة ألف وفيه من الحوادث أن السلطان رسم بتوسيط مجد الدين ابن البقرى وقد جرى عليه شدائد ومحن وسجن بالمقشرة زيادة على ست سنين وكان السلطان يكرهه طبعا وقد بلغه أن مجد الدين هذا المقتول يشبك الدوادار أظهر الشماتة به وتخلق عيانه بالزعفران وكان حصل له مع يشبك كائنة عظيمة فلما قتل فرح به وأظهر السرور فبلغ السلطان ذلك فتأثر منه وجرى له ما جرى وكان مجد الدين رئيسا حشما ولى الاستادار بغير مامرة وكذلك الوزارة وكان أصله من القبط واسمه شاكر بن علم الدين ووسطوه بيركة الكلاب ثم حملوه الى تربة ابن عمه يحيى فدفن بها وكان عنده عنف وظلم وفيه عمل السلطان الموكب وخلع على جماعة من الامراء فقرر برسباى قرا فى امرية مجلس عوضا عن ازدمر قريب السلطان بحكم عوده الى نيابة حلب وكانت امرية مجلس شاغرة فى هذه المدة وقرر تغرى بردى ططر فى الرأس نوبة الكبرى عوضا عن برسباى قرا وقرر تانى بك الجمالى فى حجوبية الحجاب عوضا عن تغرى بردى ططر بحكم انتقاله وقرر يشبك بن حيدر الذى كان والى القاهرة أمير اخور ثانى عوضا عن جانى بك حبيب وكان بيده امرية طبلخانات وقرر شادبك بن مصطفى المعروف بالدوخ فى نيابة القلعة عوضا عن ملاج بحكم وفاته وفى ربيع الآخر خلع السلطان على اسنباى المبشر الاشرفى وقرره فى الاستادارية الصحبة عوضا عن مغلباى بحكم انتقاله الى ولاية الشرطة وقرر اينال الفقيه الظاهرى فى الحجوبية الثانية عوضا عن تانى بك الابناسى وكانت هذه الوظيفة شاغرة وقرر كرتباى ابن أخت السلطان فى معلمية الدلالين وهى وظيفة تاجر المماليك عوضا عن قانصوه الشامى بحكم انتقاله الى التقدمة وفيه أنعم السلطان بامريات عشرة على جماعة من خاصكيته منهم قانصوه السيفى اقبردى وقانصوه بن فارس المعروف بفسراو ودولات باى الفلاح وجان بلاط الغورى وسودون العجمى واصطمر بن ولى الدين وآخرون وفيه صرف شرف الدين بن البدرى حسن عن نظر الدولة وضرب بين يدى السلطان وخلع على قاسم

شغيتة وأعيد الى نظر الدولة وفيه من الحوادث أنه في يوم الخميس عاشره جلس السلطان
على المكة بالحوش على العادة فثارت ريح عاصف فوقعت من شدتها السحابة التى بالحوش
فاصابت جماعة من الامراء وجرح تانى بك الجمالى حاجب الحجاب في وجهه وقد وقع عامود
السحابة التى بالحوش عليه وجرح أيضا دولات باى الحسنى وطاحت خفائف الامراء
وعمائم المباشرين فقام السلطان من وقته ودخل الى البحرة وتهارب العسكر وظنوا أنها
القيامة وهرب الفراشون أصحاب النوبة خوفا على أنفسهم من السلطان وقد أظلم الجو ظلمة
شديدة وقام رعد وبرق ثم أمطرت السماء مطرا غزيرا حتى جرى السيل فى الاسواق والشوارع
وكان يوما مهولا وفيه جاءت الاخبار من سيس بان فى ذلك اليوم وقعت بها صاعقة مهولة
هدمت سور قلعتها وقتل بها من الناس جماعة وفيه توفى شرف الدين عبد الباسط ابن البقرى
أخو مجد الدين شقيقه وكان رئيسا حشما ولى عدة وظائف سنية منها نظر الاصطبل ونظر
الاوقاف ونظر الدولة وكان وجيها عند الناس حسن الهيئة وكان بين موته وموت أخيه
نحو من شهر وقيل مات مسموما وفى جمادى الاولى جاءت الاخبار من حلب بان ابن عثمان
جهز عسكرا وقد وصل الى ادنة فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت أحواله ونادى بالعرض
فحضر الاتابكى أزبك باش العسكر فكتب بحضرته من الجند نحوا من أربعة آلاف مملوك
وعين من الامراء المقدمين أحد عشر أميرا ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات زيادة عن
ستين أميرا حتى عدت هذه التجريدة من نوادر التجاريد وقد بلغ السلطان أن ابن عثمان جمع
من العساكر ما لا يحصى فلما عرض الجند وعين الامراء أخذ فى أسباب تفرقة النفقة ثم انه
عين ثلاثة من الخاصكية بان يسيروا على الهجن لكشف أخبار ابن عثمان وما يكون من
أمره واستحثهم على الخروج وردا الجواب عليه بسرعة ثم عين اقبردى الدوادار وكاتب السر
أن يتوجها الى جبل نابلس بسبب جمع العشراوات من جبل نابلس وفيه جاءت الاخبار
بان يعقوب بن حسن الطويل وقع بينه وبين صاحب هراة من الفتن ما لا يعبر عنه وآل أمره
الى كسرة يعقوب وانهزامه وقتل من عسكره ما لا يحصى فشق ذلك على السلطان وفيه
قرر السلطان شرف الدين بن البدرى حسن فى نظر الاوقاف عوضا عن شرف الدين بن
البقرى بحكم وفاته وقد وليها ابن البدرى حسن غير ما مرة وفيه تغير خاطر السلطان على
الامير دولات باى الحسنى وأمر بنفيه الى مكة فخرج الى الخانقاه ثم طلع أزبك الامير الكبير
وشفع فيه حتى عاد الى داره وفيه جاءت الاخبار بوفاة جانى بك الابراهيمى الطويل الاشرفى
نائب صفد ثم دوادار السلطان بحلب وكان لا بأس به وقرر بدوادارية السلطان بحلب
اركماس بن ولى الدين عوضا عن دوادار السلطان بحكم وفاته وفيه جاءت الاخبار من
حلب بان عسكر ابن عثمان قد استولى على قلعة اياس من غير قتال ولا مانع فتنكد

السلطان لهذا الخبر وفي جمادى الآخرة بعث السلطان نفقات الامراء المقدمين
والعشراوات فبلغت النفقة على الامراء خاصة دون الجند مائة ألف دينار وثلاثة آلاف
دينار والامراء المعينون الى التجريدة كما تقدم هم الامير الكبير أزبك وتمراز أمير سلاح
وبرسباي قرا أمير مجلس وقانصوه خمسمائة أمير اخور كبير وتغري بردي ططر رأس
نوبة النوب وتاني بك الجمالي حاجب الحجاب ومن الامراء المقدمين غير أرباب الوظائف
أزبك اليوسفي المعروف بالخازندار وتاني بك قرا الاينالي ويشبك الجمالي السيفي ناظر
الخاص وقانصوه الالفي وقانصوه الشامي ونحو من خمسين أميرا من الامراء الطبلخانات
والعشراوات ثم أنفق على الجند على العادة فكانت جملة النفقة على الامراء والجند نحوا
من ألف ألف دينار حتى عد ذلك من النوادر ولم يسمع فيما تقدم من الدول الماضية أن
أحدا من السلاطين فعل مثل ذلك وكانت نفقة أزبك الامير الكبير وحده ثلاثين ألف
دينار وكانت عادة نفقة الاتابكية الى دولة الظاهر برقوق عشرة آلاف دينار ولم يسمع بأوسع
من هذه النفقة قط فكان كما قيل

تهب الالوف ولا تهاب ألوفها * هان العدو عليك والدينار

فلما أخذ المماليك النفقة أطلقوا في الناس النار وأخذوا البغال والخيول حتى أكاديش
الطواحين وحصل منهم الضرر الشامل في حق التجار وغيرهم وفيه جاءت الاخبار من بلاد
المغرب باستيلاء الفنش صاحب قشتيلة على مدينة مالقة من بلاد الاندلس وكانت كائنة
عظيمة وقعت هناك وفيه كان خروج أزبك أمير كبير ومن عين معه من العسكر وكان
يوما مشهودا واستمرت الاطلاب تنسحب من اشراق الشمس الى ما بعد الظهر وخرج
العسكر وهم لابسون آلة السلاح حتى عد ذلك من النوادر وكان طلب أزبك أمير كبير
وقانصوه خمسمائة غاية في الحسن حتى قيل كان مصروف طلب قانصوه خمسمائة نحوا من
ثمانين ألف دينار ثم ان الامراء برزوا ونزلوا بالريدانية واستمروا هناك الى أن رحلوا ولم تخرج
من مصر تجريدة أعظم من هذه لا في زمن الظاهر برقوق ولا غيره وفيه قبض السلطان
على أبي الفتح المنوفي نائب جدة ورسم عليه بطبقة الزمام وكان حصل له ماليخوليا وعارض
جنون ثم خلع على جاهين الجمالي وقرره في نيابة جدة عوضا عن أبي الفتح ثم أمر السلطان
بتوجه أبي الفتح الى البيمارستان فانه لما أحضره السلطان وكلمه رد له جوابا من في عقله
خلل فأمر بضربه بالمقارع فشفع فيه بعض الامراء وشهد جماعة من المباشرين بأنه قد
حصل له ماليخوليا وأمر بأن ينزلوا به الى البيمارستان وهو ماش مكشوف الرأس عريان
وفي عنقه زنجير ورسم بأن يدعوه عند المجانين ففعلوا به ذلك فأقام بالبيمارستان أياما ثم شفع
فيه فعاد الى طبقة الزمام وأقام في الترسيم وكان أبو الفتح في خدمة السلطان متوشا

الشراب خاناه وكان عنده من المقربين ثم غربه ووقع له أمور يطول شرحها وفيه توفى
برسباى الطلاشى الشمسى الظاهرى أحد العشراوات وكان من خشداشى السلطان
وكان لا بأس به وفى رجب بلغ السلطان أن العربان قالت ان مصر ما بقى بها من العسكر
الا القليل وزاد طمعهم فى التركة فرسم السلطان لمن بقى بالقاهرة بأن يركبوا فى كل يوم أحد
وأربعاء ويتوجهوا نحو المطرية ويعودوا ويشقوا من القاهرة وفى أوساطهم السيوف
والطراكيش فصاروا يفعلون ذلك فى كل يوم أحد وأربعاء ويدخلون من القاهرة أفواجا
أفواجا وتقعد الناس على الدكاكين لرؤيتهم فأقاموا على ذلك مدة ثم بطل وفيه كان
انتهاء القبة التى جددها السلطان بالجامع بالقلعة عوضا عن التى سقطت وجدد المنبر فجاء
من أحسن ما يكون من البناء وفيه من الحوادث أن السلطان جدد مظلمة شنيعة وهو أنه
أرسل لكشاف الغربية والشرقية بأن يأخذوا من البلاد الخمس من خراج المقطعين
بسبب تجهيز خيالة من الشرقية من عربانها العشير يتوجهوا صحبة العسكر عونة بسبب قتال
عسكر ابن عثمان فحصل للمقطعين غاية الضرر من كبس البلاد وقبض الفلاحين ونسب ذلك
الى شرف الدين بن البدرى حسن فانه كان هو القائم فى ذلك فوعدته المماليك الجلبان بالقتل
ونهبوا بيته فيما بعد وقد جبى الخمس مرتين من خراج المقطعين سنتين متواليتين ولم تخرج
خيالة من الشرقية وكانت زيادة مظلمة أخرى وفيه وصل الزينى أبو بكر بن مزهر كاتب
السر وقد تقدم القول أنه خرج الى نابلس صحبة الامير اقبردى الدوادار بسبب جمع
العشير من جبل نابلس لاجل التجريدة الماضى ذكرها فحضر وهو متوعك فى جسده فلم
يقابل السلطان ولا طلع الى القلعة واستمر ملازم الفراش حتى مات كما سيأتى الكلام على
ذلك وفيه وصل قاصد ملك الفرنج الانكيروس من بنى الاصفر وصحبته هدية حافلة
للسلطان فأكرموه وأنزله فى مكان أعد له وفيه توفى دولات باى بن مصطفى الاشرفى المعروف
بالابرود نائب غزة ثم بقى أحد الامراء المقدمين بدمشق وكان لا بأس به وفيه توفى الشيخ
شمس الدين محمد بن قاسم بن على الشافعى شيخ مدرسة كاتب السر بن مزهر التى أنشأها
بحارة برجوان وكان من أهل العلم والفضل وله شهرة بمصر وكان لا بأس به وفيه جاءت
الاخبار بوفاة تغرى بردى ططر القشى الظاهرى جقمق رأس نوبة النوب توفى بحلب وكان
من أجل الامراء وولى عدة وظائف سنية منها نيابة القلعة بمصر ثم بقى مقدم ألف ثم بقى
حاجب الحجاب ثم بقى رأس نوبة كبير ومما وقع له أن الامراء كلهم خرجوا بالاطلاب ما عداه
فانه خرج من غير طلب فلما طلع الى القلعة مقته السلطان بسبب ذلك فقال له تغرى بردى
ططر لا تمقتنى ولا أمقتك أنا ما بقيت أرجع من هذه السفرة وكان الامر كذلك كما يقال ان
البلاء موكل بالمنطق وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن ابن عثمان بعث عدة مراكب

من البحر وهي مشحونة بالسلاح والعسكر وقد وصلت الى جهة باب الملك ليقاطع بها على
العسكر المصري فلم يتم له ذلك وخذله الله تعالى وكانت النصرة لعسكر مصر كما سيأتي ذكره
وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد وفى حادي عشر مسرى فتوجه اقبردي الدوادار وفتح السد
على العادة ولم يقع لاقبردي أنه نزل وفتح السد غير هذه السنة بموجب غياب الامير
الكبير وبقية الامراء وكان يوما مشهودا وفيه خلع السلطان على فارس المنصوري وقرره
في نيابة دمياط عوضا عن شادبك الاشقر بحكم صرفه عنها وفي ثالث رمضان كانت وفاة
الزيني أبي بكر بن مزهر كاتب السر بالديار المصرية وهو أبو بكر محمد بن محمد بن محمد
ابن أحمد بن عبد الخالق بن عثمان المعروف بمزهر الدمشقي الانصاري الشافعي وكان
عالما فاضلا عارفا بالفقه رئيسا حشما انتهت اليه رياسة عصره وكان وجيها عند الملوك
والسلاطين وولي من الوظائف السنية عدة منها نظر الاصطبل ونظر الجيش وكتابة السر ودام
بها نيفا وعشرين سنة حتى مات وهو مقرر بها وتكلم في وظيفة قضاء الشافعية مدة ومولده
سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة وكان قد شاخ وكبر سنه فلما مات رثيته بهذين البيتين من
قصيدة قلتها فيه

صارت مراسله كمثل أرامل * تبكي بأعينها دما وتستريب
وكذا الدواة تسودت أقلامها * حزنا عليه وأقسمت لا تكتب

وكانت جنازته مشهودة وغطي نعشه بمرقعة من الصوف فلما توفي خلع السلطان على ولده
المقر البدري محمد وقرره في كتابة السر عوضا عن أبيه بحكم وفاته وذلك في يوم الخميس
سادس عشره وأخذ منه مالا له صورة حتى تولى هذه الوظيفة وكان شابا في عشر الثلاثين لما
قرر في كتابة السر وكان السلطان محتفلا به فاستخلص منه أموال أبيه من عبارة ولما
تولى كتابة السر قلت فيه هذين البيتين

تشرف ذا الانشا من آل مزهر * بنجل سما قدرا وشاع له ذكر
أضاءت به الايام في مصر بهجة * ولم لا وقد أضحى يلوح لها البدر

وفيه جاءت الاخبار أن أزبك الامير الكبير ملك باب الملك واستخلصه من أيدي عسكر ابن
عثمان بعد أن أتوا اليه في ستين مركبا وهي مشحونة بالسلاح والة القتال فقلق العسكر من
ذلك وانقطعت قلوبهم وظنوا أنهم هم المأخوذون فبينما هم على ذلك اذ بعث الله تعالى بريح
عاصفة فغرق غالب تلك المراكب في البحر الملح والذي فر من البحر من العسكر العثماني وطلع
الى البر قتله العسكر المصري وكانت النصرة لهم على العثمانية وكانت على غير القياس فلما
تحقق السلطان هذا الخبر سر به ولم يصدق بذلك وفيه جاءت الاخبار من بلاد المغرب بوفاة
صاحب تونس السلطان المتوكل على الله عثمان بن محمد بن محمد ابن العزيز أحمد الهنتاني

الموحدى وكان ملكا جليلا أقام فى الملك نحوا من أربع وخمسين سنة ومات وهو فى عشر التسعين سنة ومما مدحه به بعض شعراء الغرب

بقيت ولا أبقى لك الدهر حاسدا ❊ فإنك فى هذا الزمان فريد
علاك سوار والممالك معصم ❊ وجودك طوق والبرية جيد

ولما توفى تولى بعده ولده يحيى المعروف بالحفيد فلم تطل أيام مدته وقتل واستطال عليه أعمامه وفيه جاءت الاخبار بوفاة سيباى بن تانى باى الطيورى الظاهرى نائب حماه وكان لا بأس به وفيه ورد الخبر من أزبك الامير الكبير بأنه فى ثامن رمضان وقعت معركة عظيمة بين عسكر مصر وعسكر ابن عثمان فقتل من الفريقين ما لا يحصى وكان ممن قتل من أمراء مصر دولات باى الحسنى رأس نوبة ثانى أصيب بمدفع وقتل من مماليك السلطان عدة وافرة ومن العسكر العثمانى أكثر وقد هزموا العثمانية وغنم منهم عسكر مصر أشياء كثيرة من خيول وسلاح وغير ذلك فلما سمع السلطان بهذا الخبر أمر بدق البشائر بالقلعة سبعة أيام وفى شوال وصل مغلباى الجمقدار أحد الامراء العشراوات من مماليك السلطان وصحبته عدة رؤس قطعت من عسكر ابن عثمان وكانت نحوا من مائتى رأس فشق مغلباى من القاهرة وقدامه تلك الرؤس وهى على الرماح وكان له يوم مشهود فخلع عليه السلطان ونزل فى موكب حافل ثم أخبر بوفاة مغلباى البهلوان المحمدى الاشرفى الاينالى أحد الامراء العشراوات رؤس النوب وكانت وفاته بحلب وكان عارفا بفن الصراع علامة فيه وفيه جاءت الاخبار بأن العسكر العثمانى بعد ما حصلت له هذه الكسرة عاد أيضا الى أدنة وأن العسكر المصرى شرع فى حصارهم بها وقد تمادى الامر فى ذلك حتى أخذت بعد مضى ثلاثة أشهر وقتل فى مدة هذه المحاصرة من الفريقين ما لا يحصى وآل الامر الى أخذها بالامان وجرى فى ذلك أمور يطول شرحها وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل جان بلاط الخاصكى أحد الدوادارية وبالركب الاول كرتباى الكاشف وحج فى تلك السنة داود بن عمر أمير عربان هوارة وفيه توفيت دولات باى الجركسية سرية الظاهر جقمق وهى زوجة برقوق نائب الشام وكانت دينة خيرة لا بأس بها وفيه أرسل السلطان خلعة الى اينال الخسيف باستقراره فى نيابة حماه وقد سعى له أزبك الامير الكبير فى ذلك وفيه جاءت الاخبار بوفاة قانم دهيشة بن ازدمر الاشرفى الخاصكى الساقى أحد خواص السلطان خرج الى دمشق فى بعض مهمات السلطان بدمشق فمات بها وكان شابا جميل الصورة حسن الشكل لا بأس به وفيه أعيد زين الدين الحسبانى الى قضاء الحنفية بدمشق وصرف عنها مجد الدين الناصرى وسجن بقلعة دمشق وفيه توفى الناصرى محمد بن محمد بن سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس البندقدارى وكان رئيسا حشما من

مشاهير أولاد الاسياد وفى ذى القعدة توفى القاضى خير الدين الشنشى محمد بن عمر بن محمد بن حسن بن موسى القاهرى الحنفى وكان من أعيان نواب الحنفية وكان عالما فاضلا عارفا رئيسا حشما وترشح أمره لأن يلى قضاء الحنفية بمصر ولم يل ذلك ومات وله ومولده سنة أربعين وثمانمائة وفيه قرر شخص يقال له محب الدين وكان أصله من الاقباط فقرر فى نظر الجيش بدمشق عوضا عن السيد الشريف موفق الدين بحكم صرفه عنها فعيب ذلك على السلطان واتفق أن محب الدين المذكور لما دخل الى الشام أقام بها أياما ومرض ومات وكان قد حنق السعى على الشريف موفق الدين وأوردها لا له صورة وفيه ضرب السلطان شخصا من نواب الحنفية يقال له شهاب الدين بن القصيف ورسم بنفيه الى الواح فتشفع فيه وكتب عليه قسامة بأنه لا ينوب فى الحكم قط ولا يسعى فى ذلك بل ولا يشهد فى شئ من الامور الشرعية لامر أوجب ذلك وفيه أحضرت جثة دولات باى اسلسى رأس نوبة ثانى من أدنه ودفنت بمصر فى تربته وفى ذى الحجة توفى الشيخ تقى الدين السخاوى واسمه أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد القاهرى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا فى الحديث سمع على الحافظ ابن حجر وغيره وكان لا بأس به وفيه قدم الزينى محمود بن أجا قاضى قضاة الحنفية بحلب فأقام بالقاهرة مدة ثم عاد الى حلب على وظيفته وفيه توفى برسباى العلائى الطويل الظاهرى أحد الامراء الطبلخانات وكان يعرف بالبواب فمات هناك لما خرج فى التجريدة وتوفى قرقماس المحمدى الظاهرى المعروف بالعلم وكان أحد الامراء العشراوات وكان عارفا بفنون الرمح عـلامة وتوفى ملاج الظاهرى الجقمقى أحد الامراء العشراوات وكان دينا خيرا من ذوى العقول ومما وقع له أنه كان بيده اقطاع خراب وعنده عيال كثيرة وأولاد عدة فوقف الى السلطان وشكا له حاله وان اقطاعه خراب لا يحصل له منه شئ فلم يلتفت السلطان الى كلامه فنزل الى داره ودخل الى طبقة مهجورة عنده وعمد الى سلبة وربطها فى سقف الطبقة وعمل فيها خية وشنق نفسه بها ومات وقد هانت عليه نفسه من شدة قهره وكان ساكنا فى الجودرية وراح القتل فى كيسه ولم يرث له أحد وفيه جاءت الاخبار بقتل صاحب طرابلس الغرب واسمه أبو بكر بن عثمان ابن محمد الحفصى قتله صاحب تونس وقتل ولده أيضا وجماعة من أعوانه وتوفى فى السنة المذكورة جماعة كثيرة من الاعيان منهم قاضى الاسكندرية وهو محمد بن محمد بن عوض المالكى وكان لا بأس به

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم لما طلع القضاة لتهنئة السلطان رسم بعرض نواب الشافعية ونواب الحنفية وكلهم كلاما مزعجا وأمر بابطال جماعة منهم وجرت أمور يطول شرحها ثم آل الامر الى التحجير عليهم فى الاحكام الشرعية وأن لا يحبسوا الخصم

الاباذن من القاضى الشافعى والحنفى وعم ذلك سائر النواب وفيه تغير خاطر السلطان
على الطواشى خشقدم الزمام وخازندار وهو زيره أيضا فرسم بالقبض عليه فى وسط الحوش
وهم بضربه ثم آل الامر الى أن خرج منفيا الى سواكن واحتاط على موجوده قاطبة
واستمر منفيا الى أن مات هنالك وكان عنده عسف وظلم وشدة بأس وسفاهة لسان وكان غير
مشكور فى أفعاله وفيه وقعت نادرة غريبة وهى أن شخصا يقال له عبد القادر بن الرماح
وكان له خصاصة بالسلطان قال له ان الشيخ عبد القادر الدشطوطى رحمه الله ورضى عنه
شخص من عباد الله الصالحين وكان قصد السلطان الاجتماع عليه فاخبره انه يتردد الى جامع
محمود فى مكان عنده بالقرافة تحت الجبل المقطم فقال له السلطان ان حضر هنا اعلمنى
فعمد عبد القادر بن الرماح الى شخص كان شبيها بالشيخ عبد القادر الدشطوطى وكان يدعى أنه
شريف فاعلم السلطان بان الدشطوطى يحضر تلك الليلة الى المكان المذكور فصلى
السلطان العشاء ونزل وصحبته ثلاثة أنفس فأتى الى ذلك المكان ونزل عن فرسه فوجد ذلك
الشخص جالسا ورأسه فى عبه فشرع السلطان يقبل رجليه ويقول يا سيدى احل حلى
مع ابن عثمان فصار ذلك الشخص يغرب عليه ويقول له أنت ما ترجع عن ظلم العباد
فطال المجلس بينهما ثم ان السلطان دفع له كيسا فيه ألف دينار وقيل خمسمائة دينار فصار
يمتنع من ذلك والسلطان يتلطف به ويقول له فرق ذلك على الفقراء ثم ركب ومضى وهو
يظن أنه الدشطوطى ثم بعد أيام انكشفت هذه الواقعة وظهر أنها مفتعلة فلما تحقق
السلطان ذلك أحضر عبد القادر بن الرماح والشخص الذى تزايى الدشطوطى وخدام
المكان الذين كانوا به فضربوا بين يدى السلطان بالمقارع وأما عبد القادر بن الرماح الذى
كان سببا لذلك فرسم السلطان بحلق ذقنه وشهره فى القاهرة على حمارة ثم حبسه بالمقشرة
الى أن مات عقيب ذلك وكانت هذه الواقعة من أغرب الوقائع التى لم يسمع بمثلها مع ان
عبد القادر بن الرماح كان من ذوى العقول ولكن قد يخبو الزناد ويكبو الجواد كما يقال

وانى رأيت المرء يشقى بعقله * وقد كان قبل اليوم يسعد بالعقل

وفى صفر أنعم السلطان على مملوكه جان بلاط بن يشبك بامرية عشرة وهى أول استظهاره
فى العلو والرفعة وجان بلاط هذا هو الذى تسلطن فيما بعد وفيه جاءت الاخبار أن
صاحب فاس من بلاد الغرب قد غزا الفرنج واستخلص منهم عدة بلاد كانت أخذت
من أيدى المسلمين فأعادها لهم وقتل أخوه فى المعركة وفيه صار العسكر الذين من مماليك
السلطان يدخلون الى القاهرة شيأ فشيأ قبل حضور الاتابكى أزبك فتنكد السلطان لذلك
وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوى وكان غالب الامراء مسافرين فى التجريدة وكان
أمر السماط فيه بحكم النصف على العادة وفيه بلغ السلطان أن المماليك الذين حضروا

من التجريدة قصدوا أن يثيروا فتنة كبيرة ويطلبوا من السلطان نفقة بسبب هذه النصرة التي وقعت لهم ثم بلغ السلطان أن المماليك قالوا ان كان السلطان لا يعطينا نفقة قتلنا الامراء والمماليك الذين كانوا بمصر ولم يسافروا وذكروا كلمات كثيرة من هذا النمط فلما تحقق السلطان ذلك أخذ في أسباب تحصيل المال واجتمع السلطان بالقضاة الاربعة وذكر لهم أن الخزائن نفد ما كان فيها من المال وان المماليك يقصدون نفقة وان لم أنفق عليهم شيأ يثير وا فتنة كبيرة فاتفق الحال على أن يؤخذ من أرباب الاملاك والاوقاف التي بمصر والقاهرة أجرة شهرين مساعدة للسلطان على النفقة وانفض المجلس على ذلك ثم ان السلطان أمر تغري بردى الاستادار بأن يتكلم في ذلك هو وناظر الخاص ابن الصابوني فاقتسموا التصرف في ذلك وشرعوا في جباية المال وفيه دخل الامير الكبير أزبك ومن كان معه مسافرا في التجريدة من الامراء وبقية العسكر وكان لهم يوم مشهود ومن العجائب أنه في حالة دخولهم الى القاهرة أشيع بين الناس عودهم الى حلب عن قريب لان عسكر ابن عثمان قد استولى على سيس وعلى طرسوس وغير ذلك من البلاد الحلبية وحضر مع أزبك الامير الكبير جماعة كثيرة من عسكر ابن عثمان أو اطائعين باختيارهم فأنزلهم السلطان في ديوانه وقرر لهم الجوامك وهم الى الآن باقون في الديوان يسمون العثمانية ثم قويت الاشاعات بوقوع فتنة كبيرة وأن المماليك قد صمموا على أخذ النفقة لكل واحد منهم مائة دينار فقلق السلطان لهذه الاشاعات واشتد عليه الامر وفي يوم السبت رابع ربيع الآخر جلس السلطان على الدكة بالحوش وأرسل خلف القضاة الاربعة وسائر الامراء فلما تكامل المجلس قال السلطان للامراء والقضاة هؤلاء المماليك يرومون مني نفقة وقد نفد جميع ما كان في الخزائن من المال على التجاريد ولم يبق بها شيء من المال ثم أقسم بالله انه نفد منه على التجاريد من حين ولي السلطنة الى الآن سبعة آلاف ألف دينار ومائة وخمسة وستون ألف دينار ثم قال للامراء اختاروا من تسلطنونه غيري وانهدوا على أيها القضاة أني خلعت نفسي وشرع يفك أزراره وقصد الدخول الى قاعة البحرة فتعلق به القضاة ومنعوه من ذلك وشرع قاضي القضاة المالكية ابن تقي يبكي وأظهر التأسف لهذه الواقعة وصار يتفارش ويترب ثم ان الامير قراز أمير سلاح صار يمشي بين الجلبان وبين السلطان في عمل المصلحة فكثر القال والقيل في ذلك وضج العسكر وترددت الوسائط بين السلطان وبين الجلبان ثم استقر الحال بعد جهد كبير على أن السلطان ينفق على الجلبان لكل واحد منهم خمسون دينارا من ذلك أربعون دينارا معجلة ويؤخر عشرة ينفقها عليهم بعد مدة شهرين وان القرانصة ينفق عليهم خمسة وعشرين دينارا فاستقر الحال على ذلك وسكن الاضطراب قليلا ثم ان السلطان أرسل خلف الخليفة المتوكل على

الله عبد العزيز وكان ساكناً عند باب الحوش فلما حضر جددوا له مبايعة ثانية بحضرة القضاة الاربعة فكانت مدة سلطنته في هذه المرة الاولى الى يوم خلعه هذا احدى وعشرين سنة وسبعة أشهر ثم قام الخليفة ونزل القضاة الى دورهم وانفض الموكب وكان يوماً مهولا ثم ان السلطان أخذ في أسباب تحصيل المال لاجل النفقة واستحث في احضار ما يجبى من المال بسبب الشهرين اللذين فرضهما على أرباب الاملاك ثم فرض على المماليك القرانصة وأولاد الناس الذين لم يسافروا في التجريدة على كل من له جامكية ألفان أربعون دينارا ومن له ألف جامكية بحكم ذلك ومن لم يورد شيأ من ذلك تقطع جامكيته ستة أشهر حتى يغلق ما فرض عليه ثم أنفق على المماليك فيما بعد وان الامير غراز شفع في القرانصة وأولاد الناس أن لا يوردوا شيأ مما قرر عليهم وكان الغالب منهم اورد شيأ فراح عليه والمتأخر لم يحط شيأ بسبب الشفاعة وفيه ثار جماعة من العوام على الشيخ شهاب الدين أحمد الشيشي الذي ولي قضاء الحنابلة فيما بعد وكادوا أن يقتلوه ولولا انه اختفى مدة طويلة حتى سكن الامر وسبب ذلك ما نقل عنه انه قد أفتى السلطان بحل ما يجبى اليه من أجرة الاملاك في الشهرين الماضي خبرهما فلما بلغ العوام ذلك ثاروا عليه وقصدوا قتله واستمر مختفيا حتى توجه الى مكة وجاور بها مدة وفيه كانت وفاة الشيخ بدر الدين بن الغرس وهو محمد بن محمد بن محمد بن خليل القاهري الحنفي وكان عالما فاضلا عارفا بأصول الفقه وله نظم جيد وولي عدة وظائف سنية وناب في القضاء مدة ثم تولى مشيخة تربة الاشرف برسباي ودام بها حتى مات وكان من أعيان الحنفية وذكر الى قضاء الحنفية غير ما مرة ومن نظمه قوله

ان جاءكم صب بكم فاكرموا ۔ مثواه تجزون خيار الثواب
وجاوبوا العذال عن غدا * من سقمه لا يستطيع الجواب

ولما مات رثاه الشيخ عبد الباسط بن خليل الحنفي بقوله

لقد أظلمت مصر وأقفرت الدنيا * لموت عديم المثل بل أوحد العصر
فلا عجب ان ضاءت ليالي عصرنا * وكيف يكون الضوء مع عدم البدر

وفيه كانت الاسعار مرتفعة في سائر البضائع وسبب ذلك اهمال كسباي المحتسب فانه لم ينظر في أحوال المسلمين فوبخه السلطان بالكلام ثم بطحه وضربه بين يديه نحوا من عشرين عصا فلما نزل من القلعة أطلق في السوقة النار وكذلك سماسرة القمح وجرى بسبب ذلك أمور شتى وفيه كانت وفاة الحافظ قطب الدين الاخيضري محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر بن سليمان بن داود بن فلاح بن ضمرة الزرعي الشافعي وكان عالما فاضلا محدثا بارعا حافظا وكان من أخصاء الاشرف قايتباي وولي عدة وظائف سنية منها كتابة

سر دمشق ونظر جيشها وقضاء الشافعية بها وغير ذلك من الوظائف ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه بعث السلطان بالقبض على مملوكه أزبك النصراني وكان قد رسم له نيابة الكرك فوقع منه غاية الفساد هناك وآل أمره الى أن حزت رأسه وعلقت على باب الكرك وكان من أشرار الناس وفيه من الحوادث انه أشيع بين الناس بأن فرس البحر قد ظهرت عند شبرا وصارت تتراآى للناس مدة ثم اختفت وتحققت الاقوال بذلك وفيه خلع السلطان على أزبك اليوسفي المعروف بالخازندار وقرره في رأس نوبة كبير عوضا عن تغري بردي ططر بحكم وفاته وخلع على شادبك الجلبي بن مصطفى وقرره في الدوادارية الثانية عوضا عن قانصوه الالفي بحكم انتقاله الى التقدمة وكانت الدوادارية الكبرى شاغرة مدة طويلة وأنعم على مملوكه طقطباي بامرية عشرة وجعله متحدثا في نيابة القلعة فاستمر بها من غير أن يخلع عليه بها وأنعم على يشبك بن حيدر الذي كان والي القاهرة بتقدمة ألف مضافا لما بيده من الأخورية الثانية وأنعم على مملوكه جانم الذي كان بالشام أميرا بتقدمة ألف وكتب له بذلك البشارة وهو بالشام وقرر مملوكه مغلباي الشريفي في تقدمة ألف مضافا لما بيده من ولاية القاهرة فأقام على ذلك مدة حتى تقرر غيره وفيه كان ابتداء تفرقة النفقة على الجند كما استقر الحال عليه فيما تقدم وفيه توفي تقي الدين ناظر الزردخاناه فلما مات تقرر ولده عبد الباسط في نظر الزردخاناه عوضا عن أبيه وفيه جاءت الاخبار بأن شاه بضاع بن دلغادر حضر الى الابلستين ومعه طائفة من عسكر ابن عثمان وكبس على أخيه علي دولات وقبض على اثنين من أولاده فلما بلغ السلطان ذلك تنكد لهذا الخبر جدا وفيه قرر الشهابي أحمد ابن الجمالي يوسف ناظر الخاص في نظر الجيش وصرف عنها بدر الدين بن أخيه كمال الدين وفيه عين السلطان عدة من أمراء البلاد الشامية فقرر في حجوبية دمشق يونس نائب البيرة وقرر في نيابة البيرة اينال باي من جلبانه وكان يقربه وقرر باكير بن صالح الكردي حاجب حلب في نيابة قلعة الروم وقرر مملوكه قانصوه الغوري في حجوبية حلب عوضا عن باكير وقانصوه هذا هو الذي تولى السلطنة فيما بعد وقرر اركماس بن ولي الدين في دوادارية السلطان بدمشق وقرر قاني بك نائب البهسنا في دوادارية السلطان بحلب وقرر في نيابة البهسنا كرتباي الاشرفي من مماليكه فخرجت اليهم المراسيم بمعنى ذلك وفيه أراد السلطان أن يقرر تاني بك الجمالي رأس نوبة كبير فامتنع من ذلك وصمم أنه ما يلي الامرية مجلس عوضا عن برسباي قرا بحكم وفاته في التجريدة بحلب فتغير خاطر السلطان على تاني بك الجمالي وقصد نفيه الى مكة بسبب ذلك وأقام على ذلك أياما لا يطلع القلعة ثم أرسل خلفه ووعده بها وصار يتكلم فيها على كره منه وفيه أرسل السلطان خاما الى عبد الرزاق أخي علي دولات وقرره في أتابكية حماه عوضا عن ابن طرغل ونقل ابن طرغل

الى نيابة طرسوس وفيه جاءت الاخبار من عند نائب حلب بان عسكر ابن عثمان لما بلغهم رجوع العسكر المصرى طمعوا فى أخذ البلاد الحلبية وأرسل يستحث السلطان فى خروج تجريدة بسرعة لحفظ مدينة حلب فلما بلغ السلطان ذلك عرض العسكر وعين تجريدة وكتب عدة وافرة من الجند الذين كانوا مقيمين بالقاهرة وجعل الباش على هذه التجريدة قانصوه الشامى أحد المقدمين الألوف ومن الامراء الطبلخانات يشبك رأس نوبة ثانى وازدمر الفقيه الظاهرى وكرتباى بن قرقماس ابن أخت السلطان واصطمر بن ولى الدين أحد العشراوات ثم أنفق عليهم وعلى الامراء وأمرهم بسرعة الخروج الى التجريدة من غير اهمال وفى جمادى الاولى توفى الشيخ محب الدين أخو قاضى القضاة الشافعى ولى الدين الاسيوطى وكان عالما فاضلا وناب فى الحكم وولى خطابة الجامع المؤيدى وكان لا بأس به وفيه توفى القاضى بدر الدين محمد بن الحلبس أحد نواب الحنابلة وكان من أعيان الناس مشكور السيرة وفيه أنعم السلطان على طوخ المحمدى اليحمقدار بامرية عشرة وفى جمادى الآخرة رسم السلطان بسلخ شخص يسمى أحمد بن الديوان من أهل حلب فسلخه فى المقشرة وسلخ معه والده محمد وأشهر وهما فى القاهرة على جمال وكان أحمد بن الديوان من أعيان الناس الرؤساء بحلب وكان من أخصاء السلطان فنقل عنه أنه كاتب ابن عثمان فى شئ من أخبار المملكة فلما بلغ السلطان ذلك تغير خاطره عليه وجرى عليه أمور يطول شرحها وكانت من الوقائع المهولة وفيه خرجت التجريدة ومن عين بها من الامراء والعسكر وكان يوما مشهودا قيل قد بلغت النفقة على الامراء والجند فى هذه التجريدة الخفيفة نحو من مائة وخمسين ألف دينار غير جامكية أربعة أشهر وثمن الجمال وكان السلطان دريافى خروج هذه التجريدة لصون مدينة حلب وفيه قدم قاصد من عند داود باشا وزير ابن عثمان يشير على السلطان بان يبعث قاصدا الى ابن عثمان لعل أن يكون الصلح فرد لها الجواب اذا أطلق تجار المماليك الذين عنده وبعث مفاتيح القلاع التى أخذها كاتبناه فى أمر الصلح وأرسلنا له قاصدا ولكن جرى بعد هذه الواقعة أمور شتى وفى رجب خلع السلطان على تانى بك المحمدى الاينالى أحد العشراوات وقرره فى شادية الشون وأشركوا معه اقبردى ططر الظاهرى أحد الامراء العشراوات أيضا وفيه توفى جمال الدين الكورانى شيخ خانقاه سعيد السعداء وهو عبد الله بن محمد بن حسن بن خضر بن محمد الاردبيلى الشافعى وكان عالما فاضلا دينا خيرا ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفى شعبان قرر فى مشيخة خانقاه سعيد السعداء الشيخ زين الدين عبد الرحمن القناوى الشافعى عوضا عن جمال الدين الكورانى بحكم وفاته وفيه ثارت فتنة من المماليك الجلبان بسبب العشرة دنانير التى تأخرت لهم من الخمسين التى استقر الحال عليها فى أمر النفقة فما سكنت الفتنة حتى

أنفقها لهم وفيه حضر إسكندر بن جيجان أحد الأمراء المقدمين لابن عثمان وقد أسره بعض النواب وكان علي دولات هو القائم في القبض عليه فكان له بالقاهرة لما دخل يوم مشهود وأسر معه جماعة من العثمانية فلما عرضوا على السلطان رسم بسجنهم وفيه توفي سودون الثور أحد الأمراء العشراوات وكان لا بأس به وتوفي الطواشي مرجان الجمالي المعروف بستمائة وكان من أعيان الطواشية وفيه في آخر يوم منه كان وفاء النيل المبارك وفي مستهل رمضان كان فتح السد عن الوفاء ووافق ذلك سادس مسرى فنزل أزبك أمير كبير وفتح السد على العادة وقيل إن جماعة من أوباش العوام أفطروا في ذلك اليوم من شدة الحر والعطش وفي أثنائه عمل الاتابكي أزبك وقدة هائلة وحراقة نفط في بركة الأزبكية وعزم على الأمراء وكانت ليلة حافلة وفي شوال كان أول توت وهو يوم النوروز عند القبط وكان عيد الفطر عند المسلمين فعد ذلك من النوادر وفيه خرج الحاج على العادة وكان أمير ركب المحمل أزدمر تمساح وكان الحج في تلك السنة قليلا وفيه جاءت الأخبار من سواكن بوفاة الصاحب شمس الدين مقدم الأحدي وكان رئيسا حشما من أعيان الطواشية وتولى عدة وظائف سنية منها الوزارة والزمامية والخازندارية الكبرى وكان ظالما غشوما عسوفا من وسائط السوء وفيه توفي الشيخ أبو الفضل محمد المحلي الحنفي وكان من أعيان الحنفية وفي ذي القعدة توفي الطواشي مرجان وكان لا بأس به وفيه توفي نوروز أخو برسباي قرا أمير مجلس وكان من الأمراء العشراوات من خيار الظاهرية وكان لا بأس به وفيه توفي الشيخ جعفر بن إبراهيم السنهوري الشافعي شيخ القراء بمصر وكان يقرأ بأربع عشرة رواية وكان علامة في القراآت وفيه جاءت جماعة من تجار الإسكندرية يشكون من نائبها علي باي بأنه جار عليهم بالظلم والمصادرات فأرسل إليه السلطان يحذره من ذلك وفي ذي الحجة أنعم السلطان على سيباي نائب سيس بإمرية عشرة وكذلك كسباي بن أزبك الساقي وفيه توفي شعبان الزواوي شيخ القبانيين وكان علامة في صنعة القبانة والتحرير في الأوزان وفيه توفي سليمان بن محمد المغربي وكان فاضلا في علم الميقات وله شهرة في ذلك

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثمانمائة) فيها في المحرم كسفت الشمس كسوفا تاما حتى أظلمت الدنيا وثارت عقيب ذلك رياح عاصفة حتى فزع الناس من ذلك وفيه قدم إلى القاهرة شاه بضاع بن دلغادر وقد تقدم القول بأنه هرب من قلعة دمشق وكان معه ولداه فلما هرب توجه إلى ابن عثمان والتف على عسكره وملك الأبلستين واستمر في عصيانه مدة طويلة ثم وقع بينه وبين ابن عثمان وقصد قتله ففر منه وأتى إلى السلطان فلما جاء إليه أكرمه السلطان وخلع عليه ثم بعد مدة أرسله إلى منزله ليقيم بها وأجرى عليه ما يكفيه فعد ذلك من جملة سعد السلطان وكانت من النوادر وفيه توفي الطواشي مرجان [illegible] قرا تغا الحسني وكان لا بأس به وتولى رأس نوبة السقاة وغير ذلك وفيه كان اقتران المريخ

مع زحل فافرط البرد فى تلك الايام حتى أحرق الاشجار وجمدت المياه وذكر بعض المنجمين أن هذا الاقتران يدل على وقوع فتن وان البرد يستمر أياما متوالية فى تزايد من الافراط وصار الثلج ينزل فى الليل وينعقد على الجدران بناحية الجيزة ومات الكثير من الحرافيش من شدة البرد فكان كما قيل

ويوم برد مد انفاسه * يخمش الاوجه من قرصها
يوم يود الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها

وفيه كثرت الشكاوى فى محمد بن اسماعيل قاضى الواح فأمر السلطان باحضاره فلما حضر ضربه بالمقارع ثم أشهره بالقاهرة وهو على حمار ثم سجنه بالمقشرة فمات بها بعد أيام وكان من كبار الظلمة من المفسدين فى الارض فلما خرجت جنازته ثار عليه جماعة كثيرة من أولاد أخيه ورجموه بالحجارة وهو فى النعش وأرادوا حرقه فخلصوه ودفنوه الا بعد جهد كبير وفى ربيع الاول جاءت الاخبار من عند على دولات بأن ابن عثمان اهتم فى تجهيز عساكر وقد وصل أوائلهم الى كولك فلما بلغ السلطان ذلك تنكد وجمع الامراء وأخذ رأيهم فى ذلك فوقع الاتفاق على خروج تجريدة صحبة أمير كبير ثم أخذ السلطان فى أسباب جمع الخيل من نواحى الشرقية كما فعل عند خروج التجريدة الماضية لاجل فرسان العرب لتخرج صحبة أمير كبير باش العسكر فحصل للمقطعين بسبب ذلك غاية الاذى وقطع الخيل من خراجهم مرتين وفيه عرض السلطان أولاد الناس أصحاب الجوامك من ألف درهم فما دونه وكان أمرهم أن يتعلموا رمى البندق الرصاص قبل ذلك فلما عرضهم ورموا قدامه كتبهم فى التجريدة وأنفق عليهم كل واحد ثلاثين دينارا وكل اثنين أشركهم فى جمل أعطاه لهما وخرجوا صحبة التجريدة وفيه خلع السلطان على قيت بن قانم الساقى وقرره فى ولاية القاهرة عوضا عن مغلباى الشريفى بحكم انتقاله الى التقدمة وكان متكلما فى الولاية مع التقدمة وفيه حمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه نادى السلطان للعسكر بالعرض وأشيع أمر التجريدة الى ابن عثمان فلما عرضهم السلطان بادر اليهم بتفرقة النفقة ثم وقع فى ذلك اليوم بعض اضطراب من المماليك الجلبان وقام السلطان من الدكة ونزل وقال أنا أنزل لكم عن السلطنة وأمضى الى مكة فتلطف به الامراء ثم آل الامر بعد ذلك الى أن أنفق عليهم لكل مملوك مائة دينار على العادة وجامكية أربعة أشهر وثمن جمل سبعة أشرفية فأنفق فى ذلك على عدة طباق واستمر على ذلك حتى أكمل النفقة ثم حملت نفقة الامراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات وقد تعينوا للسفر أجمعين ولم يبق بمصر سوى اقبردى الدوادار وازدمر تمساح فكانوا على الحكم الاول كما تقدم فبلغت النفقة على الامراء والجند نحوا من خمسمائة ألف دينار وكانت هذه التجريدة آخر تجاريد

الاشرف قايتباي الى ابن عثمان وغيره ولم يعد بعدها أبدا ثم نادى للعسكر بأن لا يخرج
منهم أحد قبل الباش فما سمعوا له شيئا وفيه قرر تمر الرمبي الخاصكي الخازندار في نيابة جدة
عوضا عن جاهين الجمالي وقد سئل الاعفاء عن ذلك وفيه تعين كرتباي كاشف البحيرة في
امرية الحاج بركب المحمل وعين اينال الفقيه المحتسب ثانيا في الركب الاول وفي خامس
عشر ربيع الآخر خرج أمير كبير أزبك من القاهرة قاصد البلاد الحلبية وصحبته الامراء
والعسكر وكانت عدتهم عشرة وهم على ما ذكرنا في التجريدة الماضية وأما الامراء
العشراوات والطبلخانات فكانوا زيادة على الخمسين أميرا وأما المماليك السلطانية
فكانوا زيادة عن أربعة آلاف مملوك فكان لهم يوم مشهود حتى رجت لهم القاهرة
واستمرت الاطلاب تنسحب من اشراق الشمس الى قريب الظهر وخرج مماليك الامراء
وهم باللبس الكامل من آلة السلاح فعدت هذه التجريدة من نوادر التجاريد وقد
طال الامر بين السلطان وبين ابن عثمان في أمر الفتن والامر لله وفي جمادى الاولى رسم
السلطان بنقل اسكندر بن الفصال من البرج الذي في باب السلسلة الى دار كاتب السر
البدري ابن مزهر وأمره بالحفظ عليه وفيه جاءت الاخبار من مكة بوقوع سيل عظيم في
خامس صفر وقيل انه بلغ الى الحجر الاسود وهدم عدة أماكن وحصل منه غاية الضرر وفي
جمادى الآخرة قويت الاشاعات بسفر السلطان بنفسه الى حلب ونزل الى الميدان
وعرض الهجين وعين جماعة من الخاصكية للسفر معه وأمر من بقي من العسكر بعمل
برقهم وأن يكونوا على يقظة من السفر وفيه وصل اقبردى الدوادار من البحيرة وكان قد
خرج بسبب فساد العربان وفي رجب كان ختان ابن السلطان المقر الناصري محمد الذي
تسلطن بعده وكان عمره يومئذ نحوا من سبع سنين وأشهر وكان المهم بالقلعة سبعة أيام
متوالية وكان من نوادر المهمات فاجتمع به سائر مغاني البلد ورسم السلطان أن تزين
القاهرة فزينت زينة حافلة حتى زينوا داخل الاسواق المشهورة وغير ذلك وخرج الناس
في القصف والفرجة عن الحد وكان العسكر غائبا في التجريدة والناس في أمن من أذى
المماليك وكانت تلك الايام مشهودة لم يسمع بمثلها ودخل على السلطان من التقادم
ما لا يحصى من مال وخيول وقماش وسكر وأغنام وأبقار وغير ذلك مما يزيد على خمسين ألف
دينار وكان من جملة ما أهداه الشهابي أحمد بن العيني طست وابريق ذهب زنته ستمائة
مثقال برسم الختان وأشياء كثيرة غير ذلك واختتن مع ابن السلطان جماعة كثيرة من أولاد
الامراء والاعيان والخاصكية فكانوا زيادة عن أربعين ولدا فرسم لكل صبي منهم بكسوة
على قدر مقام أبيه فكان من جملة أولاد الاعيان ابن الخليفة أمير المؤمنين عبد العزيز وهو
اسمه سيدي عمر وابن الجيعان بن عثمان وأولاد العلائي علي بن خاص بك وغير ذلك من أولاد

الامراء والاعيان فلما كان يوم الخميس عشريه اجتمع الامراء والاعيان من الناس بالحوش
السلطاني وركب ابن السلطان من قاعة البحرة ومشت قدامه الامراء والخاصكية
وهم بالشاش والقماش ومشى قاضي القضاة الحنفي ناصر الدين الاخميمي وسائر أعيان
المباشرين وأولاد الجيعان وأعيان الخدام وكان ماسك بلجام الفرس الامير أقبردي الدوادار
والشمس ابي أحمد بن العيني وهم بالشاش والقماش ولم يكن بمصر من الامراء المقدمين غير
الامير اقبردي الدوادار والامير ازدمر تمساح والامير ازدمر المسرطن واستمر ابن السلطان
في ذلك الموكب من قاعة البحرة الى باب الستارة والسلطان جالس في المقعد ينظر اليه وفرشت
تحت حافر فرسه الشقق الحرير ونثر على رأسه خفائف الذهب والفضة ولاقته المغاني فنزل
عن فرسه بباب الستارة ودخل به قاعة البيسرية فكان الختان بها وقيل دخل على المزين
نحو من خمسة آلاف دينار قائم عليه من ذلك بالف دينار والباقي تقاسمه الرؤساء من
المزينين وعد هذا الختان من النوادر ثم نزل ابن الجيعة وأولاد العلائي علي بن خاص
بك وتوجهوا الى بيوتهم فشقوا من القاهرة في موكب حافل ورسم للقضاة الاربعة بان
يركبوا قدامهم ففعلوا ذلك وفيه كانت وفاة الزيني خضر بن سنان النوروزي الجركسي
وكان رئيسا حشما من أعيان الناس وله اشتغال بالعلم على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه
ورحمه وكان في سعة من المعيشة ومات وهو في عشر الستين وفيه خسف القمر ودام في
الخسوف نحوا من أربعين درجة حتى انجلى وفيه عين السلطان جماعة من الجند الى مكة
وجعل عليهم باش اقبردي تمساح الظاهري أحد الامراء العشراوات وعين الطواشي اياس
الشامي في مشيخة الحرم النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وفيه ثار مماليك
اقبردي الدوادار عليه وحاصروه وهو في داره وطلبوا منه زيادة في جوامكهم فبعث اليه
السلطان بالوالي فقبض على جماعة منهم وضربهم بالمقارع وقطع أيدي جماعة منهم وفر
الباقون الى الجامع الازهر وأقاموا به أياما ثم آل الامر الى أن نفي طائفة منهم الى جهة قوص
وطائفة الى البلاد الشامية فسكن الحال قليلا وفيه وصل هجان من عند العسكر وأخبر
بأن العسكر قصد التوجه الى بلاد ابن عثمان وقد أرسلوا اماماي الخاصكي رسولا الى ابن
عثمان فلما أبطأ عليهم خبره زحف العسكر المصري على أطراف بلاد ابن عثمان ووصلوا الى
قسارية وقتلوا بها ونهبوا عدة من ضياعها وأحرقوها ثم فعلوا مثل ذلك بعدة أماكن من
بلاد ابن عثمان وانقسموا فرقتين فرقة الى ماوبدة وفرقة مقيمة بكولك ينتظرون ما يكون من
هذا الامر ثم حضر جان بلاط الغوري أحد مماليك السلطان وكان من الامراء العشراوات
يومئذ وأخبر بأن العسكر في غاية الزائد بسبب الذي هناك وان العليق ما يوجد وأنهم قد
عزلوا على المجيء الى مصر فاسر السلطان ذلك وفي شعبان رفعت امرأة قصة للسلطان

اشتكوا فيها من بدر الدين بن القرافي أحد نواب المالكية فأمر السلطان باحضاره فلما حضر ضربه بين يديه ضربا مؤلما وآل أمره الى أن غرم في هذه الكائنة مالا له صورة وتجدد عقد مجلس بينه وبين المرأة التي رافعت فيه وفيه كانت البشارة بالنيل المبارك وجاءت القاعدة سبعة أذرع الا ثمانية أصابع وفيه قرر شهاب الدين بن الصيرفي في تدريس الشافعية بالخانقاه الشيخونية عوضا عن جلال الدين ابن البانة بحكم نزوله عنها ولم ينزل أحد عن هذه الوظيفة قبل اليوم قط الا أن تخرج عنه بحكم وفاته وفيه تغير خاطر السلطان على دقماق نائب القدس الشريف وفخر الدين بن نسيبة من أعيان بيت المقدس فرسم باحضارهما فلما حضرا أمر بضربهما فانضربا بين يديه وأمر بنفي ابن نسيبة الى الواح حتى شفع فيه وفي رمضان قبض الوالي على جماعة من المماليك الاروام وجدهم يشربون الخمر في رمضان نهارا فضربهم وأشهرهم بالقاهرة وسجنهم وفيه أخبرني من أثق به أنه رأى بأسوان شخصا أسمر اللون وله عين واحدة في جبهته وله أنف نابت في وجهه تحت تلك العين وبين أنفه وفمه نحو من أربعة أصابع فكان من جملة الاعاجيب وفيه ظهرت في القاهرة امرأة طولها ثلاثة أذرع أحدها تحت ابطها وفيه في رابع مسرى كان وفاء النيل المبارك ونزل أزدمر تمساح وفتح السد على العادة وكان الوفاء في عاشر شهر رمضان ومن النوادر انه زاد في اليوم الثالث من مسرى ثلاثة وثلاثين اصبعا في دفعة واحدة وفيه توفي برهان الدين التتائي أخو شرف الدين الانصاري وهو ابراهيم بن علي بن سليمان التتائي الانصاري المالكي وكان رئيسا حشما وله اشتغال بالعلم ومولده سنة عشرين وثمانمائة وفيه حضر هجان وأخبر بأن العسكر على حصار قلعة كوارة ومات في مدة المحاصرة قانصوه بن فارس المعروف بقرا وهو من مماليك السلطان وكان من الامراء العشراوات ثم أخذت هذه القلعة فيما بعد وهدمت الى الارض وفي شوال كان الموكب السلطاني في يوم عيد الفطر بالحوش على العادة التي استجدها السلطان في غيبة الامراء فلم يحضر في موكب العيد سوى الامير ازدمر تمساح وكان أقبردي الدوادار مسافرا الى جهة البحيرة بسبب فساد العربان فجلس السلطان بالحوش على الدكة وخلع على المباشرين وأرباب الدولة وانفض الموكب سريعا وفيه تزايد شر العبيد حتى خرجوا في ذلك عن الحد وصار يقتل بعضهم بعضا حتى أعيا الوالي أمرهم وصاروا طائفتين طائفة تعادي طائفة وفيه قرر في قضاء الشافعية بحلب شمس الدين محمد بن عثمان الزعيم عوضا عن عز الدين الحسباني وفيه قرر شمس الدين محمد بن أبي الفتح الكتبي في مشيخة التبانين ثم ولي بعد ذلك التحدث على مباشرة بندر جدة وفي ذي القعدة رسم السلطان بنقل سوق الحمير من عند باب الميدان الى جهة مدرسة قاني باي الجركسي واستقر على ذلك الى الآن وفيه ابتدأ السلطان بعمارة المكان

الذى أنشأه على بركة الفيل برسم ولده المقر الناصرى وكان يظن ان ولده يسكن بعده فيه ويستمر مقيما بمصر فجاء الأمر بخلاف ذلك وفيه أفرج السلطان عن علاء الدين الحنبلى نقيب قاضى القضاة الشافعى وكان قاسى شدائد ومحنا وأقام فى الترسيم مدة طويلة وغرم جملة من المال وفيه رسم السلطان بقلع عينى شخص يقال له على بن محمد المريوطى وقطع لسانه أيضا وسبب ذلك أنه أوحى الى السلطان بأنه يعرف علم صنعة الكيمياء فانصاغ له السلطان حتى أتلف عليه جملة مال لها صورة ولم يستفد من ذلك شيأ وفعل نظير ذلك بالامير قراز الشمسى أمير سلاح فأتلف عليه جملة مال ولم يستفد من هذا شيأ فحنق منه السلطان وفعل به ما فعل وفيه خرج الامير اقبردى الدوادار وسافر الى جهة نابلس وحصل منه غاية الضرر للناس من ذلك أنه أخذ جمال السقائين لحمل سنيحه حتى عز وجود الماء وغلا سعر الراوية بسبب ذلك وضاق الامر وفيه خلع السلطان على الطواشى فيروز وقرره فى الزمامية عوضا عن الصاحب خشقدم بحكم نفيه الى قوص وفيه جاءت الاخبار بموت اقبردى ططر الظاهرى جقمق أحد العشراوات وشاد الشون وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بأخذ قلعة كوارة من يد عسكر ابن عثمان فسر السلطان بذلك ثم بعد مدة وردت عليه الاخبار بأن العسكر قلق وهو طالب المجىء الى مصر فتنكد السلطان لذلك وأرسل عدة مراسيم للامراء بالاقامة فما سمعوا له شيأ ثم جاءت الاخبار بأن أزبك أمير كبير قد دخل الى الشام هو والامراء والنواب والعسكر قاصدين الدخول الى القاهرة من غير اذن وقد جاؤا طالبين وقوع فتنة ودبرحوا بذلك ثم نودى من قبل السلطان بأن العسكر الذى قدم من التجريدة يصعد الى القلعة فامتنع المماليك من ذلك ولم يصعدوا الى القلعة وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بأن الفرنج قد استولوا على مدينة غرناطة وهى دار ملك الاندلس ووقع بسبب ذلك أمور شتى يطول شرحها وقتل من عساكر الغرب والفرنج مقتلة عظيمة ثم بعد ذلك وقع الصلح بين أهل غرناطة والفرنج وقرر للفرنج فى كل سنة شئ من المال يوردونه لهم وفيه توفى قاضى قضاة المالكية محيى الدين بن تقى وهو عبد القادر بن أحمد بن محمد بن على بن تقى الدميرى المالكى وكان عالما فاضلا من أعيان المالكية رئيسا حشما وناب فى الحكم مدة وكان لا بأس به وأخذ العلم عن جماعة من الاقدمين كالبساطى والشيخ عبادة والشيخ طاهر وغير ذلك من المشايخ وفى السنة المذكورة كانت وفاة الشيخ الصالح المعتقد سيدى أحمد بن عقبة اليمنى وكان من كبار أولياء الله تعالى وتوفى القاضى فتح الدين محمد السوهاجى وكان من أعيان نواب الشافعية وتوفى زين الدين الطوخى المالكى وكان من الفضلاء وله نظم جيد

❁ ثم دخلت سنة ست وتسعين وثمانمائة فيها فى مستهل المحرم كان دخول أزبك أمير كبير

ومن معهم من الامراء والعسكر ودخلوا الى القاهرة فى موكب حافل وكان لهم يوم مشهود
فلما طلعوا الى القلعة خلع السلطان على أزبك أمير كبير وعلى بقية الامراء ونزلوا الى
دورهم وهذه آخر تجاريد أزبك أمير كبير الى البلاد الحلبية وفيه قرر السلطان قرتباى ابن
أخته فى شادية الشراب خاناه وقرر اوكسيان بلاط بن يشبك فى تجارة المماليك وفيه
أشيع بين الناس أن المماليك يقصدون اثارة فتنة ويرومون نفقة على جارى العادة فاقسم
السلطان بالله العظيم أنهم ان طلبوا النفقة يتوجه تحت الليل الى مكة المشرفة ويقيم بها
وفيه توفى قاضى القضاة المالكية كان وهو ابراهيم بن عمر بن محمد بن موسى بن جبل اللقانى
المالكى الازهرى وكان عالما فاضلا بارعا فى مذهبه دينا خيرا رئيسا حشما مات وهو منفصل
عن القضاء وكان محمود السيرة فى أفعاله وفيه توفى الشيخ سنان الاوقجانى الحنفى وهو
يوسف بن موسى بن سعد الدين وكان قرر فى مشيخة تربة الامير يشبك الدوادار وكان من
أعيان الناس الحنفية وفيه توفى الشيخ زين الدين عبد الرحمن الشنتاوى شيخ خانقاه سعيد
السعداء وكان عالما فاضلا دينا خيرا لابأس به وفيه توفى الشيخ سافط العجمى المقرى وكان
لابأس به وفيه أنعم السلطان على أربعة من خاصكيته بامريات عشرة منهم بردبك بن بيرعلى
الذى كان بقى مقدم ألف وخرج الى مكة المشرفة بعد كائنة اقبردى الدوادار وأمر أيضا
قيت الرجبى الذى ولى الاتابكية فيما بعد وأمر أيضا مصرباى الذى ولى الدوادارية
الكبرى فيما بعد وأمر أيضا كشبغاى الذى ولى نيابة الاسكندرية ومات بها وفى صفر أنعم
السلطان على جانم الذى كان نائب قلعة حلب بتقدمة ألف وقد تعينت له قبل أن يحضر الى
القاهرة فأقام جانم فى هذه التقدمة نحوا من سنة ومات بالطاعون فى السنة الآتية وفيه
قدم الشهابى أحمد بن فرفور من دمشق وأشيع عنه بين الناس أنه جاء يسعى فى كتابة
السر فما وافق السلطان على ذلك فأقام فى مصر مدة ثم عاد الى دمشق وفيه جلس السلطان
لتفرقة الجامكية فقطع فى ذلك اليوم عدة جوامك من جماعة الجند نحو من ثمانين انسانا
من الشيوخ والعواجز والضعفاء فكثر عليه الدعاء من الناس فى ذلك اليوم بسبب ذلك وفى
ربيع الاول خلع السلطان على الشيخ عبد الغنى بن تقى وقرره فى قضاء المالكية عوضا عن
أخيه محيى الدين بحكم وفاته وفيه رسم السلطان للاتابكى أزبك بأن يتوجه الى شبرمنت
بنواحى الجيزة بسبب عمارة القناطر التى هناك فصرف عليها السلطان نحوا من خمسة آلاف
دينار بسبب ترميمها فجاءت من أحسن البناء وبنى هناك رصيفا نفع للمسافرين فى أيام النيل
وبنى هناك لنفسه منظرة وغيطا على بركة هناك فجاء ذلك غاية فى الحسن من أجل المنزهات
وهو باق الى الآن وفيه من الحوادث المهولة أنه فى أثناء الشهر المذكور توجه السلطان الى
قبة يشبك الدوادار التى هى فى رأس دور الحسينية فجلس هناك وأرسل خلف القضاة

الاربعة فحضر القاضي الشافعي زين الدين زكريا والقاضي الحنفي ناصر الدين بن الاخميمي والقاضي المالكي عبد الغني بن تقي والقاضي الحنبلي بدر الدين محمد السعدي فلما تكامل المجلس شرع السلطان في التكلم معهم فذكر لهم أن ابن عثمان ليس براجع عن محاربة عسكر مصر وان أحوال البلاد الحلبية قد فسدت وآلت الى الخراب وان التجار منعوا ما كان يجلب الى مصر من الاصناف وان المماليك الجلبان يرومون منى نفقة وان لم أنفق عليهم شيأ نهبوا مصر والقاهرة وحرقوا البيوت ومتى زحف عسكر ابن عثمان الى البلاد الحلبية لا يخرج العسكر من مصر حتى أنفق عليهم ثم شرع يقسم بالله تعالى أنه ما بقي في الخزائن شيء من المال لا كثير ولا قليل والقصد أن أفرض على الاوقاف والاملاك التي بمصر والقاهرة من اماكن وغيطان وحمامات وطواحين وأفران ومراكب وغير ذلك أجرة سنة كاملة استعين بها على خروج التجريدة فسكت المجلس ساعة ثم قال القاضي الشافعي لعل الله تعالى يكفيكم مؤنة ذلك وقال القاضي المالكي ان أجرة سنة كاملة تثقل على الناس ولا يطيقون ذلك فان كان ولا بد من ذلك فلتفرض عليهم أجرة خمسة أشهر وقيل ذلك فرض عليهم أجرة شهرين فهذه سبعة أشهر وما يطيق الناس أكثر من ذلك فتوقف السلطان ثم آل الامر الى ما قاله قاضي القضاة المالكي وانفض المجلس على ذلك فلما بلغ الناس ما وقع اضطربت الاحوال وكثر القال والقيل في ذلك وأشيع عن السلطان أنه يفرض على الجماجم من كل ذكر وأنثى من كبير وصغير على كل رأس دينارين ذهب وتكلموا من هذا النمط بأشياء كثيرة ثم بعد أيام رسم السلطان لتغري بردي الاستادار بأن يكون متكلما في جباية الاملاك من باب زويلة الى دير الطين ورسم لابن الصابوني ناظر الخاص بأن يكون متكلما في جباية الاملاك من باب زويلة الى خارج الحسينية فعند ذلك اضطربت الاحوال وتزايدت الاهوال وتوجهت الرسل الغلاظ الشداد ولم يراعوا الوداد وأكثر الناس صاروا رسلا وطلبوا أعيان الناس وانقطع الرجا باليأس وصار الانسان يخرج من داره فيرى أربعة من الرسل في استنظاره فيكون نهاره أغبر ويخرج وهو في أذياله يتعثر فيقدحوا فيه الزناد ولا يرى لهم من اعتماد وقد قال بعض المؤلفة في هذا المعنى

غرمت شهرين عن أجرة كاني أمس * وأصبحت مغموس في بحر المغارم غمس
أقسم برب الخلايق والقمر والشمس * ما طقت شهرين كيف أقدر أطيق الخمس

وقد جرى في هذه الواقعة أمور عجيبة وحكايات غريبة فمن ذلك أن بعض الرسل توجه نحو الحسينية فأتى الى امرأة ساكنة في حوش ولم يجد عندها شيأ من متاع الدنيا فطالبها ذلك الرسول بأجرة الحوش الذي هي ساكنة فيه فجاء عليها من الاجرة عشرون نصفا عن مدة خمسة أشهر فلم تجد شيأ تعطيه للرسول فأغلظ عليها وخرج منه الحد فلما رأت منه ذلك وكان عندها شجرة تبق في الحوش فقالت له اقطع هذه الشجرة وبعها وخذ ثمنها في نظير ما جاء على

فأحضر القطاعين وقطع تلك السدرة وحملها ومضى وقد حصل للمرأة غاية الضرر لقطع شجرتها التى كانت تستظل تحتها فى أيام الصيف وكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث فى دولة قايتباى وبالجملة صرف هذا المال فى شئ عاد نفعه على الناس ولكن صرفه فى غير مستحقه وراح فى البطال ولم ينتفع به كما سيأتى ذكر ذلك وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه كانت مصادرة المهتار رمضان فضيق عليه السلطان حتى أخذ منه ستين ألف دينار وقيل أكثر من ذلك وكان المهتار متحصله فى كل يوم فوق الاربعين دينارا خارجا عن جهاته وحماياته وغير ذلك وكان متحدثا فى نظر الكسوة وغير ذلك من الجهات السلطانية ورأى من العز والعظمة ما لم يره غيره من المهاترة السلطانية وفى ربيع الآخر ثارت المماليك الجلبان على السلطان فطلبوا منه نفقة بسبب هذه النصرة التى وقعت لهم فلما رأى منهم عين الجد أنفق عليهم على العادة كما تقدم شرح ذلك وفيه عين السلطان قرقماس أمير اخور ثانى ليتوجه الى دمشق بسبب جباية أملاك دمشق عن خمسة أشهر كما وقع بمصر وعين قاصدا أيضا الى ثغر الاسكندرية ودمياط وكانت هذه المصيبة عامة على الناس حتى أخذ من أوقاف البيمارستان خمسة أشهر وانقطع معلوم الايتام والضعفاء مدرا بهم مدة خمسة أشهر وكذلك سائر أوقاف الجوامع والمدارس والترب وقطع معلوم الصوفية والصدقات الجارية فلما توجه قرقماس المذكور الى دمشق أظهر بها من المظالم أشياء كثيرة لم يفعلها هناد فى زمانه وقرقماس هذا هو الذى تولى نيابة حلب فيما بعد وقبض عليه طومان باى الدوادار لما خرج الى الشام بسبب عصيان قصروه نائب الشام فسجن قرقماس هذا بقلعة دمشق ثم عاد الى مصر وقد تولى الاتابكية وفى جمادى الاولى خلع السلطان على تانى بك الجمالى وقرره فى امرية مجلس عوضا عن برسباى قرا المحمدى بحكم وفاته فى حلب وكانت امرية مجلس شاغرة مدة طويلة وكان تانى بك الجمالى متكلما فيها بغير تقرير وفيه انتهت عمارة ابن الجيعان أبو البقا من تجديد ما عمره فى الزاوية الحمراء التى عند قناطر الاوز وصارت من جملة متفرجات القاهرة وفى ذلك يقول بعض الشعراء

عجبت لجامع قد زاد حسنا * وأبدع فى الزخرف والبناء

بها الأنهار تجرى فى جنان * وقصر شاهق لابى البقاء

وصنع هناك جامعا بخطبة وجاء من أحسن البناء وفيه انفصل على باى عن نيابة ثغر الاسكندرية وأتى الى مصر معزولا وفيه قدم اقبردى الدوادار وكان مسافرا الى جهة نابلس فأهلك الحرث والنسل فى هذه السفرة وحضر صحبته اركماس بن ولى الدين دوادار السلطان بدمشق وقد كثرت فيه الشكاوى فاستجار بالامير اقبردى وحضر صحبته وفيه جاءت الاخبار من بلاد الكرك بأنه ظهر بها فى قبيلة بنى لام رجل من بنى آدم ذقنه قدر غربال القمح وكان يأكل اللحم النئ بعظمه ويأكل الجيف من على الكيمان وربما افترس من

بنى آدم جماعة وكان يفترس البقر والغنم وكانوا يخرجون اليه جماعة من بنى لام ويرمونه بالنشاب فلا يؤثر ذلك فيه ولو ضربوه بالسيوف وكان اذا صرخ تسقط منه الحوامل فلما قوى تسلطه على ذلك المكان رحل عنه بنو لام وتركوه وقد أعيا الناس أمره وهذه الواقعة مشهورة بين الناس وقد وصل مطالعة الى السلطان بمعنى ذلك وفيه أرسل السلطان مراسيم الى نائب الشام بأن يجمع أعيان التجار بها ومساتير الناس ويفرض عليهم الاموال الجزيلة كل واحد على قدر مقامه مساعدة للسلطان على خروج التجريدة كما فعل بمصر وكتب بمعنى ذلك مراسيم الى الاسكندرية ودمياط وأشيع بين الناس أن السلطان يخرج هذه المرة بنفسه وقد قويت الاشاعات بذلك وفى جمادى الآخرة وقعت بالقاهرة زلزلة خفيفة وماجت الناس ثم سكنت بعد ان ماجت منها الارض بعد المغرب وفيه حضر الى الابواب الشريفة قاصد من عند ابن عثمان صحبة ماماى الخاصكى الذى توجه قبل تاريخه الى ابن عثمان وكان هذا القاصد الذى حضر من أجل قضاة ابن عثمان وكان متولية القضاء بمدينة بروسه وهو شخص من أهل العلم يقال له الشيخ على جلبى فلما صعد الى القلعة أكرمه السلطان وبالغ فى تعظيمه جدا وأحضر على يديه مفاتيح القلاع التى كان ابن عثمان قد استولى عليها فسلمها الى السلطان وأشيع أمر الصلح فنزل القاصد فى مكان عين له وهو فى غاية الاكرام ثم ان السلطان أطلق اسكندر بن ميخال الذى كان أسر وحبس كما تقدم وأقام مدة طويلة فلما أطلقه السلطان أحسن اليه وكساه وكذلك أطلق الاسراء الذين كانوا مأسورين من عسكر ابن عثمان وكساهم وأحسن اليهم وتوجهوا الى بلادهم صحبة القاصد لما سافر وهذا ما كان من ملخص أمر الصلح بين السلطان وبين ابن عثمان وفيه أمر السلطان بضرب أبى يزيد الصغير أحد الجمقدارية وكان من خواصه ولكن ضربه لامر أوجب ذلك وأبو يزيد هذا هو الذى صار رأس نوبة ثانى فيما بعد وقبض عليه العادل طومانباى وحبسه بقلعة دمشق لما توجه الى هناك وتسلطن وفيه كسفت الشمس كسوفا تاما ودامت فى الكسوف نحوا من ثلاثين درجة وعاودت الزلزلة التى كانت بالامس وكانت خفيفة جدا وفى رجب طلع القضاة الاربعة للتهنئة بالشهر وحضر قاصد ابن عثمان فعرض السلطان فى ذلك اليوم كسوة الكعبة ومقام ابراهيم عليه السلام وزف معهما المحمل الشريف وكان يوما مشهودا وفيه توفى بركات الصالحى وكيل بيت المال وكان من أعيان الموقعين وهو بركات محمد بن محمد بن أبى بكر القاهرى الشافعى الصالحى وكان غير محمود السيرة فى أفعاله كثير الظلم والعسف ومولده سنة احدى وثمانمائة وكان اعتراه آكلة فى رجله فاستمر بها الى أن مات وفيه يقول بعض الشعراء مداعبة لطيفة

بركات زاد الظلم فى أيامه * وعلى الورى قد جار فى توكيله
درجله كان الهلاك بعاهة * فمشى الى نار الجحيم برجله

وهو

وهو الذى كان سبب الايقاف جماعة قاضى القضاة زين الدين زكريا الشافعى واستمر الشيخ برهان الدين القلقشندى فى التوكل بمحتى مات بركات الصالحى فأفرج عنه بعد أن غرم أموالا لها صورة وفيه كان انتهاء العمل من جامع السلطان الذى أنشأه بالروضة وبابه فى غاية الحسن وكان البدرى حسن بن الطولونى معلم المعلمين يصنع فى كل ليلة رابع عشر الشهر ليلة حافلة بالجامع ويسمونها البدرية وينصب على شاطئ البحر قدام الجامع من الخيام ما لا يحصى وتجتمع المراكب هناك حتى تسد البحر ويجتمع الجم الغفير من العالم ويوقد بالجامع وقدة عظيمة ويحضر هناك قراء البلد قاطبة والوعاظ وتكون ليلة حافلة لم يسمع بمثلها فيما تقدم واستمر الحال على ذلك مدة ثم بطل هذا الامر وفيه أشيع بين الناس أن الشيخ جلال الدين الاسيوطى أفتى بأنه لا يجوز البناء على ساحل الروضة لان الاجماع منعقد على منع البناء فى شطوط الانهار الجارية وأما ذكر ان ذلك يجوز فى مذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ورحمه فباطل وليس له صحة فى كتب الشافعية قاطبة وفيه خرج جان بلاط بن يشبك قاصدا من عند السلطان الى ابن عثمان وخرج فى تجمل زائد وموكب حافل وجان بلاط هذا هو الذى تولى السلطنة فيما بعد بعشر سنين وفى شعبان قرر السلطان كرتباى بن مصطفى المعروف بالاحمر فى نيابة الحجاب بطرابلس ونظر جيشها وغير ذلك من الوظائف بها وفيه ظهرت أعجوبة وهو أنه ولد مولود لستة أشهر فلما نظروا اليه وجدوا فى وجهه لحية وعلى فمه شارب وقد دارت لحيته فى وجهه وفى فمه أسنان مفلجة وكان عليه بشاعة فعاش ثلاثة أيام ومات وفى رمضان خلع السلطان على يشبك بن حيدر الذى كان والى القاهرة وصار مقدم ألف وقرره فى نيابة حماة عوضا عن اينال الخسيف فى تقدمة ألف بمصر فيما بعد وفيه تغير خاطر السلطان على ازدمر المسرطن أحد مقدمى الالوف بمصر وقرره فى نيابة صفد عوضا عن بلباى المؤيدى بحكم وفاته عنها وكان ازدمر هذا من خواص السلطان وكان عنده من المقربين وكان أغات أقبردى الدوادار ثم وقع بينه وبين السلطان فى الباطن فمقته وولاه نيابة صفد عوضا عن بلباى المؤيدى بحكم وفاته واستمر بها الى أن مات وفيه وقع الرخاء بالديار المصرية فى سائر البضائع حتى بيع كل ثلاثة أرادب قمح بدينار ورخص سائر الغلال جدا وفى شوال ليلة عيد الفطر كان وفاء النيل المبارك فاشر السلطان فتح السد فى ذلك اليوم وفتح فى اليوم الثانى من شوال ووافق ذلك خامس عشر مسرى القبطى فصار العيد عيدين فعد ذلك من النوادر وفى هذه الواقعة يقول شيخنا جلال الدين الاسيوطى هذه الابيات

يوم عيد الفطر وافى * بهنا وسعاده

ختم الصوم وأوفى النيل فى أحسن عاده

ياله من يوم عيد * فيه حسن وزياده

وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل الامير ازدمر غساح وفي ذي القعدة توفي تقي الدين بن نصر الله وكان رئيسا حشما من ذوي البيوت لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من حلب بوقوع فتنة كبيرة بين نائب حلب وبين جماعة من أهلها وقتل في هذه المعركة من مماليك أزدمر نائب حلب سبعة عشر مملوكا وقتل من أهل حلب نحو من خمسين انسانا وأحرقوا جماعة من حاشية النائب بالنار وكادت حلب أن تخرب عن آخرها ولولا أن قانصوه الغوري حاجب الحجاب بحلب قام في اخماد هذه الفتنة حتى سكنت ما كان يحصل خير في هذه المعركة فلما سمع السلطان بذلك تنكد جدا وعين ماماي الخاصكي بأن يتوجه الى حلب ليكشف عن هذه الفتنة وأخذ في أسباب السفر الى حلب وفي ذي الحجة كان ابتداء الفتنة بين قانصوه خمسمائة أمير اخور كبير وبين اقبردي الدوادار وقد وقع بينهما بسبب بوق واستمرت الفتن تتزايد بينهما حتى كان من أمرهما ما سنذكره في موضعه وفيه جاءت الاخبار من بلاد الشرق بوقوع فتنة كبيرة بين ملوك الشرق وأن يعقوب بن حسن الطويل قد قتل أخاه ووقع أيضا فتنة بين خليل الصوفي وسليمان ماجان واستمرت الفتن قائمة هنالك في جهات متعددة ووقعت أيضا فتنة كبيرة في طرابلس الغرب وقتل شامي بن أبي النصر ابن رياه الخليفة نائب طرابلس وكان من خيار أعيان بلاد الغرب

❁ ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثمانمائة فيها في المحرم كان دخول المحمل الى القاهرة وحجت في تلك السنة زوجة اقبردي الدوادار وهي بنت العلائي علي بن خاص بك أخت خوند زوجة السلطان قايتباي وكان طريق الحجاز في تلك السنة مخوفا بسبب فساد العربان وفيه تغير خاطر السلطان على مجد الدين اسمعيل الناصري قاضي قضاة الحنفية بدمشق فلما أحضر ضرب بين يديه ضربا مؤلما وقيل بل ضرب بالمقارع نحوا من عشرين شيبا وفي صفر توفي نور الدين علي بن محمد بن عبد المؤمن البتنوني الشافعي ناظر الجوالي وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه توفي يشبك حبيب بن طبخ الظاهري جقمق احد الامراء الطبلخانات رأس نوبة كبير وكان لا بأس به وقد جاوز السبعين سنة من العمر وفي ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوي على العادة وكان حافلا وفيه قرر الناصري محمد بن جرباش في مشيخة المدرسة الظاهرية التي بين القصرين وفيه توفي تاج الدين بن الجيعان وهو عبد اللطيف بن عبد الغني بن علم الدين شاكر وكان متحدثا في كتابة السر وكان شابا حسنا محمود السيرة في أفعاله مات وهو في عشر الثلاثين وفيه توفي ابو يزيد قصيما الظاهري جقمق وكان من الامراء العشراوات وفي ربيع الآخر تزايدت الاقوال بوقوع الطاعون حتى حكى أن شخصا من الاتراك رأى في منامه ملك الموت عليه السلام فقال له من أنت قال أنا ملك الموت جئت

الى أخـذ أرواح الكثير من الناس فان الطاعون قد دخل الى مصر فقال له ذلك الجندى فهل تقبض روحى فى هـذا الوباء فقال له تدبق من عمرك سبعة أيام فانتبه الجندى من المنام وهو مرعوب فلما أصبح كتب وصية ثم انه فى اليوم السابع مات كما رأى فعد ذلك من النوادر الغريبة وفيه جاءت الاخبار بان مملكة حسن بك الطويل فى اضطراب وأن ابن عثمان قـد أشرف على أخذ بلاد حسن الطويل من يد أولاده فلما بلغ السلطان ذلك قصد أن يخرج تجريدة صحبة حسين بن اعزلو بن حسن الطويل الذى كان مقيما بالقاهرة ثم آل الامر الى اهمال خروج التجريدة ومات حسين فيما بعد لما حج ودفن بالمدينة الشريفة وفى جمادى الاولى قويت الاشاعات بوقوع الطاعون وزعموا ان انسانا رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له ان الطاعون كان واقعا عليكم فشفعت فيكم عند ربى وقل للناس يصومون سبعة أيام متوالية فصار الكثير من الناس يصوم سبعة أيام متوالية فلم يفد ذلك شيأ ووقع الطاعون بالديار المصرية وكان طاعونا مهولا (قلت) ولم يقع الطاعون بمصر من سنة احدى وثمانين وثمانمائة الا فى هذه السنة وقد غاب الطاعون ست عشرة سنة لم يدخل مصر وكان هـذا الطاعون من الطواعين المشهورة بموجب ابطائه هذه المدة وهو الطاعون الثالث الذى وقع فى دولة الاشرف قايتباى وكان مبدأ هذا الطاعون من حلب وكان فى مدة انقطاعه عن مصر كثر بها الزنا واللواط وشرب الخمر وأكل الربا وجور المماليك فى حق الناس وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من قوم يظهر فيهم الزنا الا أخذوا بالفناء قال العلامة شهاب الدين بن حجر والحكمة فى ذلك أن الزنا حد ما زهاق الروح فى المحصن فاذا لم يقم فيه الحد يسلط الله عليهم الجن فيقتلونهم ولما كان الزنا يقع من بنى آدم سرا سلط الله عليهم الجن يقتلونهم سرا من حيث لا يرونهم وقاعدة العذاب انه اذا نزل يعم المستحق له وغيره والرحمة لا تكون الا مخصوصة ثم يوم القيامة يبعثون على قدر نياتهم وقال ابن مسعود رضى الله عنه اذا بخس المكيال حبس القطر واذا كثر الزنا وقع الطاعون واذا كثر الكذب وقع الهرج وفى جمادى الآخرة عم الطاعون بالقاهرة وفشا جملة واحدة وفتك فى الناس فتكا ذريعا وكانت قوة عمله فى المماليك والعبيد والجوارى والاطفال والغرباء ووقع فى هـذا الطاعون أمور غريبة وحكايات عجيبة منها ان الكمثرى بيعت كل رطل باشرفيين ولا توجد وبيعت الواحدة منها باثنى عشر نصفا ومنها ان انسانا كان معه خمسة أولاد فطعن الخمسة فى يوم واحد وماتوا فى يوم واحد ومن العجائب أن جماعة كثيرة فروا من الطاعون لما دخل الى مصر فتوجهوا الى أماكن عديدة فلما ارتفع الطاعون عادوا الى مصر ولم يفقد منهم ولا من أولادهم أحد فسبحان القادر على كل شئ ولما كثر الموت عز وجود البعلبكى

وأضر ذلك بحال الناس وكفنوا موتاهم في اللثام والمطم وغير ذلك وفيه توفى برسباى الخازندار أحد خواص السلطان والمتكلم على أوقافه وكان شابا رئيسا حشما لا بأس به وفيه توفى مغلباى الشريفي ابن الطويل وكان لا بأس به وهو أحد مقدمى الالوف وأصله من مماليك الاشرف قايتباى وفيه توفى جانم بن مصطفى الذى كان نائب قلعة حلب ثم بقى مقدم ألف بمصر وفيه توفى قيت الساقى أحد العشراوات ووالى القاهرة وكان لا بأس به وفيه توفى مغلباى الاشرفى أحد الامراء العشراوات وأصله من مماليك قايتباى وفيه توفيت بنت أزبك الاسير الكبير زوجة الامير قانصوه خمسمائة أمير اخور كبير وكانت شابة جميلة وفيه توفيت أختها بعدها بأيام وكانت بكرا وفيه توفى نانق المؤيدى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفى رجب توفيت بنت السلطان قايتباى وكانت تسمى ست الجراكسة وكانت شابة جميلة مستحقة للزواج وكانت من سريته فماتت هى وأمها فى يوم واحد وأخرجت قدام نعش ابنتها وكانت جنازة بنت السلطان حافلة وأخرجت فى بشخانة زركش وقدامها كفارة وكان يوما مشهودا وفيه أنعم السلطان على مملوكه جان بلاط بن يشبك بتقدمة ألف وبعث اليه بالبلب وجان بلاط هذا هو الذى تسلطن فيما بعد وأنعم أيضا على مملوكه شادبك بن مصطفى الخوخ الدوادار الثانى بتقدمة ألف ثم حضر جانم المعروف بالمسبغة من الشام الى مصر فأنعم عليه السلطان بتقدمة ألف بمصر وأنعم على كرتباى قريبه بتقدمة ألف وقرر ماماى الخاصكى فى الدوادارية الثانية عوضا عن شادبك الخوخ بحكم انتقاله الى التقدمة وقرر قيت الرجبى فى ولاية القاهرة عوضا عن قيت الساقى بحكم وفاته بالطاعون وفيه كانت وفاة الشاب الفاضل على باى بن برقوق نائب الشام وكان شابا رئيسا حشما دينا خيرا وله اشتغال بالعلم وكان له نظم جيد ومولده سنة ست وستين وثمانمائة ومن شعره الرقيق قوله

عود شبار شنبر * قد جاءنا بالعجب
أزهاره أبدت لنا * شمار خامن ذهب

ومما مدحه به المنصورى قوله

محيا على باى بن برقوق مشرق * كصرة وسنى ليس بينهما فرق
فان يك سباقا الى الفضل والندى * فلا تعجبوا منه فوالده برقوق

ومن النكت اللطيفة قيل وقع بين الشهاب أحمد ابن الشيخ على المقرى وبين سيدى على باى هذا بعض وحشة فسطا على سيدى على باى وسماه زلابية مضافا الى اسم شخص من الاتراك كان مضحكا تعبث به الناس ويقولون له زلابية فيرجمهم فلما أشيع ذلك بين الناس أخذ بعض شعراء العصر هذا المعنى وعمل فى ذلك مداعبة وقال

قد شبهوه بمن يدعى زلابية * وصح تشبيههم والاب برقوق
لكنهم فاتهم فى الوزن سبته * فان اسم أبيه نصفه قوق

وفيه توفى حكم كاشف منف وشادبك كاشف قليوب ومن الخشقدمية جماعة كثيرة منهم قانبردى الظريف وكسباى المحمدى واقباى الطويل وقانصوه مقر واينال الاشقر وغير ذلك جماعة كثيرة من مماليك السلطان والامراء ومات من العبيد والجوارى والاطفال والغرباء مالا يحصى عددهم وفى أواخر الشهر المذكور تناقص أمر الطاعون وخف بالنسبة لما كان عليه بعدما جرف الناس جرفا وأخلى الدور من أهلها وقيل أحصى من مات فى هذا الطاعون بمصر وورد اسمه لديوان المواريث خارجا عن الغرباء ومن لم يرد اسمه الى الديوان فكانوا زيادة عن مائتى ألف فن ذلك بنات بكارتنا عشر ألف بنت من مصر والقاهرة والضواحى وقد قال القائل فى المعنى

زالت محاسن مصر فى * عينى من هم ودهش
كادت بنو نعش بها * أن يلحقوا بنات نعش

وقال الشيخ بدر الدين الزيتونى العوفى هذا الزجل يرثى به أهل مصر لما وقع الطاعون بها وهو

وحد ومن قد حكم بالموت * ونفد حكمه بما يختار
واحتجب عن العيون سبحان * جل من لا تدركه الابصار
بالممات رب البشر لما * قد حكم فى الكاينات باجمع
اختفوا فى ذا الوجود واضحوا * مالهم من ذا القضا مدفع
يا أخذ منهم ملاح كانوا * شبه أقمار البدور طلع
فاندبوا يا اهل الحى وابكوا * واجعلوا دمع العيون مدرار
واحزنوا على الذين ماتوا * واختفوا عن أعين النظار
كنت اجد أقمار بدور طلع * وشموس تشرق على الاطلال
حسنهم سما وقد كانوا * فى هنا بالجاه وكثر المال
جا الممات سرعه وعاندهم * اختفوا حين عاينوا الاهوال
وبقوا تحت الثرى غياب * بعد ما كانوا يروا أجهار
يا أسف قلبى وطول حزنى * عن قد غابت شموس واقمار
حين أتى كاس الممات للناس * وبقى ما بينهم داير
وسقاهم فى المقام شربه * حتى صار فى مرهم ساير
أصبحوا فى حضرة غياب * بعدما كان كل أحد حاضر
سكروا فى حضرة الساقى * لما كاس الموت عليهم دار

وبقوا ندمان وقد غابوا * من شراب ما هو خمر خمار
ركب الطاعون وقد طلب * وحمل في عسكر الاطفال
كم جرح قلوب وكم أفنى * من جموع لما عليهم مال
كم ترك مطعون بقى مطروح * كم كسر شجعان وكم أبطال
كم رأيت مقتول بذى الوقعه * بعد كسر وما يجد اجبار
والقضا فرق جموع الناس * كن كان في ايدى القضا بتار
كم رأيت ملسوع بسم الموت * قد لسع ولا يجد ترياق
كم رأيت منصاب من افعالو * جت اليه آفة بلا تنساق
كم رأيت تشكى وهى حيه * شعرها ناشر من الاشواق
كم رأيت فارس بقى ملقى * بعدما كان في الوجود سيار
كم رأيت من دار خلاها الموت * ما ترك فيها ولا ديار
يا فهيم انظر لذى الدنيا * كيف بقت تحكى لنا بستان
والبشر قد أصبحوا فيها * كلهم أثمار على الاغصان
ومليك الموت بامر الله * قد بقى فيها شبيه جنان
كلما انتهى الى واحد * وبلغ حدو الى المقدار
جا اليه بامر الذى أنشاه * قطعو من بين ذى الاثمار
نسألك يارب يارحمن * يا الله يا أول ويا آخر
يالطيف بالخلق ياحافظ * ياعليم بالذنب ياغافر
يابصير يافرد ياواحد * ياسميع ياحق ياقادر
ارفع الطاعون بجاه احمد * الممجد صاحب الانوار
وانزل الرحمه ومتعنا * بالرضا والعفو ياستار
وانا العوفى ولى أزجال * من نظام تحكى عقود جوهر
كلما كررتها تحلو * ما احسن السكر اذا تكرر
فاسمعوا لى ما أقول واصغوا * ياجميع من حل ذا المحضر
وحدوا من قد حكم بالموت * ونفذ حكمه بما يختار
واحتجب عن العيون سبحان * جل من لا تدركه الابصار

وفى شعبان ارتفع الطاعون عن مصر والقاهرة جملة واحدة ومشى نحو بلاد الصعيد وفيه توفى الشيخ شمس الدين الحصانى محمد بن أبى بكر بن محمد القاهرى الشافعى الكاتب المجيد وكان عالما فاضلا عارفا بالقراآت السبع وكان امام جامع ابن طولون وكان خيرا

دينا لا بأس به ومولده سنة عشرو ثمانمائة وفيه توفى محمد العجمي الذى كان مقيما بجامع
كراى وكان من أولياء الله تعالى مشهورا بالصلاح وفيه جاءت الاخبار من بلاد المغرب بان
الفنش صاحب قشتيلة الفرنجى قد ملك غرناطة التى هى دار مملكة الاندلس وكانت
هذه الواقعة من أعظم الوقائع المهولة فى الاسلام وفى رمضان قرر ناصر الدين محمد الصفدى
فى وكالة بيت المال وحصل منه الظلم والعسف فى الناس وفيه ثارت فتنة بين المماليك
الجلبان بسبب تفرقة الاقاطيع التى توفرت عن المماليك الذين ماتوا بالطاعون وفى شوال
خرج المحمل من القاهرة وكان أمير ركب المحمل تانى بك الجمالى أمير مجلس وبالاول كرتباى
قريب السلطان وفيه تغير خاطر السلطان على الصاحب قاسم فعزله وكان يومئذ ناظر
الدولة فلما صرف عنها قرر بها عبد القادر الطويل عوضا عن قاسم شغيته وفى ذى القعدة
ابتدأ السلطان بتفرقة الاقاطيع المتوفرة عمن مات بالطاعون فى السنة المذكورة فصار
يفرق أقطاع كل من توفى من الطباق لاهل طبقته ولا يخرج من ذلك شيأ لغير أهل طبقته
وكانت أغوات الاطباق والمماليك الجلبان يتراصون مع بعضهم بالنوبة ويحضروا
ويعرضوا ذلك على السلطان فينعم لهم بذلك فنهم من يكون طبقته فيها اقطاعات كثيرة متوفرة
ومنهم من يكون فيها شئ قليل فتأخر من المماليك الجلبان جماعة بلا أقاطيع وذلك الى
آخر خروج المماليك فى السنة المذكورة سنة سبع فعرضهم السلطان فيما بعد وأخرج لهم
أقاطيع كانت متوفرة فى الذخيرة ففرقها على المماليك الذين لم يخصهم شئ من الاقطاعات
المتوفرة من الطاعون وصار الديوان يستدعيهم بأسمائهم والسلطان يعطيهم ويكتب
حتى لم يبق من جلبان قايتباى أحد بلا اقطاع الا الذين استجدوا من بعد الفصل وكانت
الاقطاعات التى فرقت أكثرها ثلاثون ألفا وأقلها خمسة عشر ألف درهم والاقطاعات التى
توفرت من جماعة المماليك الاينالية فرقها على خشداشينهم الاينالية فوق اقطاعاتهم والتى
توفرت من الخشقدمية أعطاها لخشداشينهم من الخشقدمية وأعطى لبعض خشداشينه
وبعض أولاد الناس ممن كان منزلا بالديوان وهو بالطبقة اقطاعات خفيفة واستمرت تفرقة
الاقطاعات مدة ثلاثة أشهر وفيه أمر السلطان بتجديد عمارة الميدان الناصرى وكان أزبك
أمير كبير شادا على العمارة حتى انتهى منه العمل وفيه كان وفاء النيل المبارك ونزل أزبك أمير
كبير وفتح السد على العادة وفيه اختفى تغرى بردى الاستادار وقد تغير خاطر السلطان عليه
فلما طال اختفاؤه خلع السلطان على الامير أقبردى الدوادار وقرره فى الاستادارية عوضا
عن المذكور مضافا لما بيده وفيه فرق السلطان على جميع العسكر من القرانصة
والجلبان وأعطى لكل واحد منهم فرسا وديعة من موجود الذين ماتوا بالطاعون
وذلك لاجل كثرة الخيول وقلة الغلمان لخدمتها وفى ذى الحجة جاءت الاخبار من مكة

المشرفة وفيه توفى الخواجا شمس الدين بن الزمن وكان من مشاهير التجار فى سعة من المال وله بر
ومعروف وهو صاحب المدرسة التى ببولاق عند الرصيف وكان دينا خيرا وكان لا بأس به
وفيه توفى شيخ جبل نابلس يونس بن اسماعيل وتوفى يوسف بن بردبك العجمى وكان شابا
حسنا لا بأس به وتوفى على بن الجمجمة الذى كان مقيما بمصر واختفى مع ابن السلطان

❁ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم لم يحضر مبشر الحاج وصار الناس
فى قلق بسبب ذلك وكان المبشر فى السنة المذكورة تانى بك الاينج أحد المماليك السلطانية
فاعترضه بعض العربان فى أثناء الطريق وأعاقوه عندهم أياما وفيه توفى برهان الدين بن
النعمان المحدث وكان انسانا حسنا لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من ثغر دمياط بأنه نزل
برد تحت الليل فكان قدر كل بردة مثل بيضة النعام ونزل بها بردة كبيرة فكانت زنتها خمسة
وسبعين رطلا بالمصرى فقتل بسبب ذلك بهائم وطيور وغير ذلك وكان أمرا مهولا وفى صفر
خرج الامير اقبردى الدوادار الى جهة نابلس وخرجت تجريدة الى جهة البحيرة وكان الباش
عليها الامير أزبك اليوسفى رأس نوبة النوب وعدة وافرة من الامراء العشراوات والجند
وفيه عاد الطاعون الى القاهرة ثانيا لكنه كان خفيفا بالنسبة لما قبل ذلك ومات به جماعة
من المماليك والاطفال ومن كان فر قبل دخول الطاعون من القاهرة فى السنة الماضية
وفيه أنعم السلطان على مملوكه قانى باى قرا الرماح بامرية عشرة ثم بعد ذلك بمدة يسيرة قرره
فى نيابة صهيون وقلسى فى ذلك بمال له صورة وقانى باى هذا هو الذى بقى أمير اخور كبير فيما
بعد وفى ربيع الاول أنعم السلطان على مملوكه كسباى الشريفى بامرية عشرة وفيه عمل
السلطان المولد النبوى وكان حافلا على العادة وحضر القضاة الاربعة والامراء وفى ربيع
الآخر عين قانصوه خمسمائة أمير اخور كبير فى امرية الحاج بركب المحمل وعين الناصرى
محمد بن أزبك أمير كبير بالركب الاول وفيه جاءت الاخبار من المدينة الشريفة بانه فى ليلة
تاسع عشر صفر سقطت صاعقة عظيمة فى المسجد الشريف فاحرقت منه جانبا وتساقطت
فى تلك الليلة عدة صواعق خارج المدينة الشريفة فلما بلغ السلطان ذلك أمر باصلاح
ما فسد من المسجد الشريف وفى جمادى الاولى توفى بركات بن الظريف المقرى وكان
علامة فى قراآت الرياسة بالجوق وفيه توفى الناصرى محمد بن بردبك وهو سبط الاشرف
اينال وكان رئيسا حشما من أعيان أولاد الناس وكان مفرطا فى السمن جدا وكان
لا بأس به وفيه توفى الخواجا عمر بن غازى وكان رئيسا حشما فى سعة من المال وكان
لا بأس به وفى جمادى الآخرة خسف جرم القمر جميعه وفيه توفى الشهابى أحمد بن
برقوق نائب الشام وهو أخو سيدى على باى بن نائب الشام فكان بينه وبين موت أخيه
دون السنة وكان شابا حسنا جميلا لم يلتح بعد وفى رجب ثار جماعة من المماليك

الجلبان على السلطان ووقفوا بالرميلة ومنعوا الامراء من الطلوع الى القلعة وآل الامر الى طلب نفقة من السلطان فمشى بعض الامراء بينهم وبين السلطان في ذلك فوعدهم بالنفقة بعد مضى شهر فسكن الحال قليلا ولكن استمرت الدكاكين مغلقة وكذلك الاسواق حتى نودى لهم بعد أيام بالامان والاطمئنان وفيه وصل قاصد من عند رستم بن قرا ملك صاحب العراقين وكان ملك العراقين بعدأمور يطول شرحها وفيه توفى القاضى نورالدين على بن قاسم أحد نواب الحكم الشريف المالكى وكان عالما فاضلا لا بأس به وفيه توفى مسندل الحبشى نائب المقدم وفيه توفى برسباى أمير جندار وكان قد طعن فى السن وفى شعبان توفى شاد بك الاشقر المحمدى الظاهرى جقمق أحد الامراء العشراوات ونائب نشر دمياط وشادا لجفر وكان لا بأس به وفيه عين السلطان قانصوه المحمدى المعروف بالبرجى أحد الامراء العشراوات بان يتوجه قاصدا من السلطان الى ملك الشرق رستم أحد أولاد حسن الطويل متولى العراقين وقد جرى بينه وبين اخوته ما الاخير فيه حتى تولى بعد أمور وقعت له فخرج قانصوه المذكور بعد أيام فى تجمل زائد وفيه جاءت الاخبار من دمشق بان أهلها قد رجموا النائب قانصوه اليحياوى وقد ثارت بدمشق فتنة كبيرة وفى رمضان نودى بالصوم بعد ضحوة النهار وقد ثبت الهلال بعد طلوع الشمس بثلاثين درجة وقد أكل غالب الناس فى ذلك اليوم ولاسيما العوام فثقل عليهم الامساك فى ذلك اليوم بعد الافطار وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة سودون الطويل الاينالى أحد الامراء المقدمين بدمشق وكان لا بأس به وفيه كان ختم البخارى بالقلعة فخلع على القضاة ومشايخ العلم وفرقت الصرر على الفقهاء ووقع فى ذلك اليوم بحث بين البرهان الدميرى احد نواب المالكية وبين بعض الطلبة فانكروا على البرهان الدميرى بما أجاب به فى المسئلة وكان الختم حافلا جدا وفى شوال كان وفاء النيل المبارك ووافق ذلك ثانى عشر مسرى القبطى وتوجه أزبك أمير كبير وفتح السد على العادة وفيه خرج الامير قانصوه خمسمائة بركب المحمل والناصرى محمد بن أزبك أمير كبير بالركب الاول فكان لهما بالقاهرة يوم مشهود وطلب الامير قانصوه ذلك الطلب الذى تقدم ذكره فى التجريدة ومن غريب الاتفاق أن النيل أوفى وغالب الناس فى بركة الحاج مشغولين بالحاج فلما بلغ أزبك وفاء النيل حضر تحت الليل حتى فتح السد وعاد وفى ذى القعدة جاءت الاخبار بوفاة الشيخ المحدث الواعظ برهان الدين ابراهيم بن الهوى رحمه الله ورضى عنه مات بطريق الحجاز قبل وصوله الى العقبة ودفن هناك وكان عالما فاضلا محدثا بارعا فى الحديث وكان دينا خيرا من أهل الصلاح ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه خلع السلطان على داود بن سليمن من أولاد ابن عمر أمير عربان هوارة وقرره فى امرية الوجه القبلى ببلاد الصعيد وفى ذى الحجة توفى ابن العبيسى ناظر الاحباس وهو عبد العزيز بن محمد بن محمد بن أحمد العبيسى الشافعى

وكان رئيسا حشما محمود السيرة لا بأس به وتوفى السيد محمد الشريف القادرى أخو زين العابدين وكان لا بأس به

❁ ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم صعد القضاة الى القلعة للتهنئة بالعام الجديد وصعد أيضا الشيخ جلال الدين الاسيوطى فلما جلس سأله السلطان عن أى سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفعلها فلم يجبه الشيخ جلال الدين عن ذلك بشىء مع غزارة علمه وقوة اطلاعه وكان السلطان عنده كتاب يسمى حيرة الفقهاء ثم أجاب الشيخ جلال الدين بعد ذلك بجواب حسن كاف فى هذه المسئلة بأنه قد بلغه أن الاذان قامه سنة ولم يفعله والاصح أنه أذن فى وقت وورد فى ذلك حديث وعمل فى هذه المسئلة كراسا مطولا وذكر فيه أشياء كثيرة مما سنه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يفعله وفيه أنعم السلطان على جماعة من مماليكه بامريات عشرة منهم ملماى جوشن ومصرباى أخو مغلباى وبرسباى العلائى واسنباى الاصم وآخرون وفيه وصل الحاج ولم يثنوا على قانصوه جيلا ولا حمدت سيرته فى هذه السفرة وحكوا عنه أمورا غير صالحة فانه زرى الناس وأخذ جمالهم وترك جماعة منهم بالينبع حتى أنوا من البحر الملح فيما بعد وشاع أن الحاج راية سوداء وهم داخلون البركة وما لاقى الحاج فى السنة المذكورة خيرا وكانت سنة صعبة على الناس من الغلا وموت الجمال واستمر قانصوه خمسمائة فى عكس ولم ينجح أمره من بعد ذلك حتى كان من أمره ما سنذكره وفيه توفى الشيخ جمال الدين يوسف بن شاهين الكركى سبط الحافظ ابن حجر القاهرى الشافعى وكان عالما فاضلا محدثا رئيسا حشما لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بأن العربان تغلبوا على الكرك والشوبك وحصل هناك فتن مهولة وفى صفر نزل ابن السلطان من القلعة فى موكب حافل وتوجه الى داره التى أنشأها السلطان على بركة الفيل فأقام بها ساعة ثم عاد الى القلعة وهذا أول ظهوره للناس ونزوله الى المدينة وكان معه اقبردى الدوادار وليلم الغفير من الجند وكان نزوله سببا للانفاق على الجند لكل واحد منهم خمسون دينارا وسموها نفقة نزول ابن السلطان وكان قاصد ابن عثمان حاضرا لكى يشاع ذلك بحضرته وفيه جاءت الاخبار بوفاة ازدمر المسرطن نائب صفد الظاهرى جقمق وكان من أعيان الامراء جليلا سليم الفطرة ومات وهو فى عشر الستين وفيه جاءت الاخبار من حلب بوفاة ازدمر نائب حلب قريب السلطان وكان انسانا حسنا لا بأس به وتولى عدة وظائف سنية منها نيابة طرابلس ونيابة صفد ونيابة حلب وامرية مجلس بمصر وغير ذلك من الوظائف والنيابات ومات وهو فى عشر الستين وكان فى أوائل عمره فى قلة وخمول وأقام على ذلك دهرا طويلا فلما تسلطن السلطان قايتباى ظهر أنه من قرابته فجاءت اليه السعادة بغتة فأقام فيها حتى مات وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وهو ازدمر بن مزيد ثم

بعد موته أرسل السلطان خلعة الى اينال السلحدار نائب طرابلس ونقله الى نيابة حلب عوضا عن قريبه ازدمر بحكم وفاته وكان اينال هذا ولى نيابة صفد أيضا بعد ازدمر المسرطن وقتل فى واقعة اقبردى الدوادار لما سافر الى حلب وفى ربيع الاول توفيت خوند بنت زوجة الامير أزبك اليوسفى رأس نوبة كبير وكانت زوجة تنم المؤيدى نائب الشام وكانت من مشاهير الخوندات وهى والدة سيدى فرج الماضى ذكر وفاته وكانت لا بأس بها وكانت تقرب للملك الظاهر جقمق وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه توفى الشيخ أحمد بن زروق المغربى المالكى وكان من أهل الصلاح والدين وفيه قبض السلطان على بدر الدين بن الاينالى كاتب جيش الشام فضربه بالمقارع بين يديه وأمر بقطع لسانه حتى شفع فيه بعض الامراء فعفى من ذلك ولم يكن له ذنب يوجب ذلك ولكن خرج خلق السلطان فى ذلك اليوم جدا وفى ربيع الآخر توفى القاضى تاج الدين ابن الامام وهو محمد بن أحمد بن محمد الامام وكان أحد نواب الحكم من الحنفية وكان غير مشكور فى قضائه وعنده خفة ورهج كما قال فيه الشهاب المنصورى

قالوا علا التاج وهو قاض * فقلت يا ضيعة الحقوق

تاجسه أنه توبيج * ملق على مفرق الطريق

وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بأنه سقط بها ثلج حتى عم الاسطحة والشوارع مثل ثلج الشام فعد ذلك من النوادر وفيه عين السلطان ازدمر تمساح أمير حاج ركب المحمل وعين الناصرى محمد بن العلائى على بن خاص بك أمير الركب الاول وعين يشبك الاشقر باش المجاورين بمكة المشرفة وفيه عين السلطان الامير ماماى بن خداداد دوادار الثانى بأن يتوجه رسولا الى ابن عثمان وقد توجه قبل ذلك مرة أو مرتين وهذا آخر قصاد السلطان الى ابن عثمان فشرع ماماى فى عمل برق عظيم وصنع له دركاه بركة الرطلى فى زمن الشتاء وصار يوقد فى كل ليلة هنالك وقدة حافلة وهرعت الناس الى هنالك بسبب الفرجة وعمل الجسر وسكن به الناس أياما فى قلب الشتاء حتى عد ذلك من النوادر وكان يعمل هنالك فى كل ليلة خيال ظل ومغانى عرب أو ابن رحاب المغنى أو جوق المخبظين وكانت ليالى مشهودة فى القصف والفرجة حتى خرج الناس فى ذلك عن الحد وأقاموا على ذلك نحوا من عشرين يوما ثم سافر الامير ماماى وخرج فى تجمل زائد وموكب حافل فتوجه الى بلاد ابن عثمان وفيه تغير خاطر السلطان على فيروز الطواشى الزمام وأمر بسجنه فسجن فى البرج الذى بالقلعة أياما حتى شفع فيه وأطلق وسبب ذلك ان شهاب الدين الكيخيى رافع فيه عند السلطان فتغيظ عليه وفى جمادى الاولى أمر السلطان بتجديد عمارة باب القرافة فعمره وأنشأ هناك الربوع والسبيل وجاء من أحسن البناء ثم بعد مدة يسيرة أنشأ

جامعا بخطبة خارج باب القرافة فعمره جيدا في غاية الحسن وحصل به النفع للناس وفيه قرر برديك الطويل في دوادارية السلطان بدمشق وقرر برسباى الصغير في الجوبية الثانية وفيه توفي القاضي محيي الدين بن مظفر وهو عبد القادر بن محمد بن أحمد بن علي بن مظفر أحد نواب الحكم الشافعي وكان عالما فاضلا رئيسا حشما محمود السيرة في قضائه وكان لا بأس به وفيه توفي الشيخ الصالح سيدى على الجبرتي وكان مقيما بالجامع الازهر مات فجأة وهو بالحمام وكان رجلا مباركا وفي جمادى الآخرة كان الحريق المهول بالقلعة في حواصل السلطان التي عند قاعة البحرة وكان فيها خيام كثيرة فاحترق غالبها ولعبت فيها النار ولم يسلم منها شيء سوى خيمة المولد الشريف فقط فقومت الخيام التي احترقت فكانت نحوا من مائتي ألف دينار وقيل بل أكثر من ذلك ولم يعلم سبب وقوع النار هنالك فقام السلطان بنفسه وبقي يطفي الحريق مع المماليك فأقامت النار تعمل هنالك ثلاثة أيام فلما طلع النهار صعد الامراء الى القلعة وصاروا يسلمون على السلطان بسبب ذلك الحريق وقد تأثر السلطان لذلك وشق عليه حرق تلك الخيام وشرع كل من طلع اليه من الامراء يشكو له بأنه لم يبق عنده من الخيام شيء فصارت الامراء كل من كان عنده شيء من الخيام الجدد يقدمه للسلطان ففعل ذلك الكثير من الامراء والمباشرين ثم أشيع بعد ذلك أن النار كانت من مطبخ بيت الخليفة وكان الخليفة ساكنا بالقلعة داخل الحوش بجوار قاعة البحرة فعند ذلك رسم السلطان للخليفة بأن ينزل من القلعة ويسكن بالمدينة وما حصل للخليفة خير بسبب ذلك ونزل هو وعياله من القلعة وسكن بالقاعة التي بطريق السيدة نفيسة رضي الله عنها ورحمها وكانت اشاعة النار بأنها من مطبخ الخليفة باطلة ليس لها صحة وانما ذلك كلام الاعداء في حق الخليفة وفيه خسف جرم القمر خسوفا تاما حتى أظلمت الدنيا وأقام في الخسوف نحوا من ثلاثين درجة وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بأنه وقع الغلاء المهول حتى مات من أهلها نحو من ألفين وخمسمائة انسان من شدة الجوع وأكلوا الجيف والميتات وفيه أمر أزبك الأمير الكبير بتجديد عمارة المدرسة المنصورية التي بدهليز البيمارستان وعمل على الفسقية التي بها قبة وجدد بها منبرا وأقام بها خطبة ولم يعهد قبل ذلك ان أحدا من الاتابكية قبله أقام بها خطبة فعد ذلك من النوادر ولقد رام الاتابكي ايتمش البجاسي في دولة الناصر فرج بن برقوق في سنة اثنتين وثمانمائة أن يفعل ذلك فتعذر عليه ذلك وأفتاه بعض العلماء بأنه لا يجوز له ذلك وان فيه مخالفة لشرط الواقف فرجع عن ذلك فلما ولى الاتابكية قراز الشمسي بعد أزبك أبطل الخطبة منها فلما قتل قراز وأعيد أزبك الى الاتابكية ثانيا أعاد بها الخطبة واستمرت الى الآن وفيه ثارت ريح عزيمة حتى ارتاع الناس منها فلما أصبح الناس اجتاز بعض الناس بالكيمان التي خلف الجراة

فرأى فى الارض أثر قدم انسان فكان طوله فوق الذراع وقد أثر ذلك فى التراب خلف الجراة فاشيع ذلك بين الناس ولا يعلم ما سبب ذلك وفى رجب كانت وفاة الشيخ صلاح الدين الطرابلسى وهو محمد بن محمد بن يوسف الحنفى وكان عالما فاضلا مفتيا بارعا فى مذهبه وولى عدة مدارس ثم ولى مشيخة المدرسة الاشرفية التى تجاه سوق الوراقين ومات وهو فى عشر الستين وكان لا بأس به وفيه قدم شخص من ماردين يقال له نور على وقد فر من رستم صاحب العراقين لسبب أوجب ذلك فالتجى الى سلطان مصر فلما حضر أكرمه السلطان ورتب له ما يكفيه وأقام بمصر مدة طويلة حتى توفى الاشرف قايتباى ففر الى بلاده وفيه توفى يشبك قرقماس الحسينى الاشرفى برسباى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفى شعبان أعيدت مشيخة المدرسة الاشرفية لبرهان الدين الكركى الامام عوضا عن الصلاح الطرابلسى بحكم وفاته وفيه كانت ولية عرس الامير جان بلاط على ابنة القاضى كاتب السر ابن مزهر وهى أخت البدرى كاتب السر ابن مزهر وكان مهما حافلا وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب تونس ومدينة افريقية وهو زكريا بن يحيى بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبى فارس الحفصى مات بالطاعون فلما توفى قرر ولده عمر فى مملكة افريقية عوضا عن أبيه زكريا وفى رمضان رخص سعر البطيخ العبدلى حتى بيع كل حمل بنصف بن فضة ولولا المكس لبيع كل حمل بأقل من ذلك وبيع فى الحوانيت كل قنطار بنصفين فضة وفيه كانت وفاة العلائى على بن خاص بك صهر السلطان وهو على بن خليل ابن حسن بن خاص بك التركى الاصل وكان رئيسا حشما دينا خيرا من أعيان أولاد الناس وقد كبر سنه وشاخ ومولده قبل الثلاثين والثمانمائة وكانت جنازته حافلة وأخرج بكفارة ونزل السلطان وصلى عليه فى سبيل المؤمنين ومشت قدامه الامراء للتربة وكان له اشتغال بالعلم وكان ينظم الشعر وله شعر جيد فمن ذلك قوله فى مؤذن

ومؤذن فى حسنه * أنا مغرم لا أصبر
لما طلبت وصاله * أضحى على يكبر

وفيه أنعم السلطان بامرية عشرة على جماعة من الخاصكية منهم طوغان باى الثور وتمر القصير الذى بقى زردكاش ثم بقى مقدم ألف وقايتباى الاشقر وآخرون وفى شوال كان عيد الفطر يوم الجمعة ولهج غالب الناس بزوال السلطان عن قريب وما ذاك الا أن العيد كان يوم الجمعة ويخطب فى ذلك اليوم خطبتان ويدعى للسلطان فى ذلك اليوم مرتان فلهج الناس بأن فيه كمال سعد السلطان وهو وجه العلة فى هذه المسألة وقد جرى فى أيام الاشرف قايتباى خمسة أعياد بالجمعة ولم يضره ذلك ومكث هذه المدة الطويلة ولم يؤثر فيه ذلك شيأ فمن ذلك كان عيد الفطر بالجمعة سنة ثمان وسبعين وثمانمائة وعيد فطر بالجمعة

أيضا سنة ست وثمانين وثمانمائة وعيد نحر بالجمعة سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وعيد نحر أيضا بالجمعة سنة ست وتسعين وثمانمائة وعيد فطر أيضا سنة تسع وتسعين وثمانمائة فهذه خمسة أعياد قد مرت عليه وهي بالجمعة وهو ثابت في مملكته لم يتزحزح عن ملكه منذ ثلاثين سنة الا أياما وأشهرا فكان كما يقال

لا ترقب النجم في أمر تحاوله * فالله يفعل لا جدى ولا حمل

مع السعادة ما للنجم من أثر * فلا يضرك مريخ ولا زحل

وفيه توفي الاديب الفاضل محمد بن شادي شبا المحمدي وكان شاعرا ماهرا وله نظم جيد فائق في المعاني ومن شعره الرقيق قوله

ما حيلتي فيمن بني في الحشا * بيتا من الحب لواش وشا

رشاله خط اذا ما رنا * آنسا له فيه التي عين الرشا

ومولده بعد الخمسين والثمانمائة ومما قاله فيه الشهاب المنصوري من المديح وأجاد

أنت شاد بنغمة الشحرور * في رياض المنظوم والمنثور

وادكارى بالعنبر الرطب منه * ضائع عند طيب ذاك العبير

عجبا لي مكاتب ورقيق * مع أني أحتاج للتدبير

يا ابن شاد مذ صار مدحك ذكرى * قلت اني من حسنه في قصور

وفيه خرج المحمل من القاهرة وكان ازدحم غساح بالمحمل وأينال الفقيه بالاول وفيه توفي تاني بك الخازندار وكان من خواص السلطان لا بأس به وفيه قرر في قضاء الحنابلة بمكة المشرفة الشيشي وهو قاضي قضاة الحنبلية الآن بمصر وفيه توفي جاني بك المحمودي الظاهري جقمق خشداش السلطان وكان من الامراء العشراوات ورأى غاية العز في أيام السلطان قايتباي وكان لا بأس به وفيه توفي الشيخ أبو الكرم المغربي وكان فاضلا في علم الفلك ومعرفة أحواله وفي ذي القعدة توقف النيل عن الزيادة أياما حتى قلق الناس لذلك وارتفع سعر الغلال وتكالب الناس على شراء القمح والشعير وغير ذلك من الغلال واستمر النيل واقفا ورعا نقص الذي كان زاده ثم بعث الله تعالى بالزيادة واستمر حتى كان الوفاء وفي هذه الواقعة يقول الناصري محمد بن قانصوه وهو قول ابن صادق

قلعت أصابع نيلنا * عن الذي خزن الغلال

وغدت تقول النقص كا * ن على الوفا قطعا وزال

وقال شيخنا عبد الباسط الحنفي

النيل وافى ووفى * مبشرا بالمنافع

وخازن القوت عينيه * قلعت بالاصابع

وفيه كان الوفاء في آخره وحصل للناس غاية الجبر بكسره بعد أن كان قد نقص وأيس الناس من طلوعه في السنة المذكورة فتوجه أمير كبير أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه توفي عبد العظيم أحد كتاب المماليك وكان لا بأس به وفيه جاءت الأخبار بوفاة يشبك بن حيدر نائب حماه وكان أصله من مماليك الأشرف اينال وولي عدة وظائف سنية منها ولاية القاهرة والامير آخورية الثانية ثم بقي مقدم ألف بمصر ثم بقي نائب حماه وكان لا بأس به ومات وهو نائب حماه ودفن بها فلما مات يشبك خلع السلطان على اقباى الطويل وقرر في نيابة حماه عوضا عن يشبك بن حيدر بحكم وفاته وفيه من الحوادث أنه وقع واقع وهو مقطع بالجبل المقطم على جماعة من الحجارين فاوا تحته ومن المماليك ثلاثة أنفار كانوا هناك بسبب النقارة ومات تحت الواقع عدة جمال وحمير كانت هناك لأجل حمل النقارة وكان وقع على حين غفلة وكان أمرا مهولا ومن العجائب أن شخصا من المماليك الذين كانوا هناك ووقع الواقع عليهم نصاب عليه شيء من الاحجار فأقام تحت الردم ثلاثة أيام فعمل له نقب وخلصوه وهو فيه الروح وعاش بعد ذلك مدة طويلة وفي ذي الحجة فتح الاتابكي أزبك سد بركة الازبكية وكان يوما مشهودا ثم بعد أيام صنع وقدة حافلة وحراقة نفط وعزم على ابن السلطان فنزل اليه وبات عنده في القصر المطل على البركة ومد له أسمطة حافلة وقدم له تقادم حافلة ما بين مماليك وخيول وقماش وغير ذلك ثم طلع ابن السلطان الى القلعة في اليوم الثاني أواخر النهار ولم يشق ابن السلطان من المدينة سوى ذلك اليوم من منذ نشأ وكان مقيما بالقلعة لم يبرح قط وفيه جاءت الأخبار بوفاة صاحب سمرقند وهو الملك المعظم أحمد بن أبي سعيد فلما مات ولي على سمرقند بعده أخوه محمود صاحب بلخشان وفيه جاءت الأخبار بوفاة صاحب فرغانة من بلاد المشرق وهو عمر بن أبي سعيد وكان فيه الخير والعدل في الرعية ولما مات ولي من بعده على مدينة فرغانة أخوه أحمد

❁ ثم دخلت سنة تسعمائة فيها في المحرم صعدت القضاة الاربعة الى القلعة للتهنئة بالعام الجديد فلما جلسوا أمر السلطان بعقد مجلس في المدرسة الصالحية بسبب شمس الدين ابن الحلواني المغربي القاضي المالكي بدمشق وكان قد حضر الى القاهرة لأمر أوجب ذلك وفيه انتهى العمل من تجديد عمارة الجامع الازهر وقد جدده الخواجا مصطفى بن محمود بن رستم الرومي وصرف عليه من ماله نحوا من خمسة عشر ألف دينار وجاء غاية في الحسن وهو على ما جدده به الآن وفيه تغير خاطر السلطان على شخص يقال له شمس الدين محمد بن عمران المقدسي وكان رفيقة الاحمدى الحسيني فضرب بين يديه ضربا مؤلما فما أطاق ذلك ومات بعد أيام قلائل وفي صفر جاءت الاخبار بوفاة يونس الاشرفي حاجب دمشق ولما

مات قرقماس الجوباني بدمشق قاني بك نائب غزة عوضا عن يونس المذكور وفيه جاءت الاخبار من دمشق بان الحج الشامي لما رجع الى الشام خرج عليهم في أثناء الطريق طائفة من عربان بني لام فاحتاطوا على الركب جميعه وسبوا الحريم ونهبوا الاموال وأسروا أمير الركب اركماس وكان أمراؤهم لاقتسكد السلطان وانزعج لذلك وفيه توفي كسباي بن أربك الساقي أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفي ربيع الاول توفي القاضي نور الدين الصوفي الحنفي أحد نواب الحنفية وكان رئيسا حشما لا بأس به وكان من أعيان الناس وفيه عمل السلطان المولد النبوي وكان حافلا على العادة وفيه هجم النسر على سوق باب اللوق وأخذ منه أشياء كثيرة من القماش والامتعة وقتل تحت السيل جماعة من أرباب الدولة وفيه توفي يشبك بن قصروه المعروف بيشبك حصاب وكان من الامراء العشراوات وكان رئيسا حشما لا بأس به وفي ربيع الآخر خلع السلطان على كرتباي أخي الامير اقبردي الدوادار وقرره في نيابة صفد وفيه توفي جاني باي الحسني الظاهري جقمق أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفي جمادى الاولى قرر عفيف الدين بن الشحنة في قضاء الشافعية بحلب وقد سعى في ذلك بمال له صورة وفيه قرر مصرباي بن علي باي في نيابة قلعة حلب وفيه تعين تاني بك الجمالي في امرية الحاج بركب المحمل وعين كرتباي ابن أخت السلطان في امرية الركب الاول وفي جمادى الآخرة توفي الامير ازدمر تمساح بن يلباي الظاهري جقمق أحد المقدمين الالوف وكان رئيسا حشما محمود السيرة ولاه جماني سفر الحجاز وقد سافر أمير حاج بركب المحمل عدة مرار والناس عنه راضون والثناء عنه جميل وفيه توفي الصاحب قاسم شغيته وكان من الاعيان وولي نظر الدولة والوزارة غير ما مرة وتوفي في الوزارة على الوضع وكان كفؤا للمنصب سائرا بالسداد منقادا في مباشرته وجرى عليه شدائد كثيرة ومحن ومات وهو في التوكل بدور بما قيل انه كان في الخشب حتى مات وباشر دواوين الوزارة مدة طويلة وآل أمره الى أن مات شر ميتة نقل بعض المؤرخين أن قاسم هذا كان في مبتدأ أمره متجبرا وان صلاح المكيني اشهره في القاهرة لما كان محتسبا ثم ان قاسم هذا صار من جملة صيارف اللحم فلما ولي شمس الدين محمد البباوي تحدث فيه وصار من جملة المباشرين بالدولة فلما عرف البباوي تكلم في الوزارة هو وعبد القادر الطويل ثم ان قاسم راج أمره وترشح للوزارة حتى ولي تاريخها وصار من أعيان الرؤساء بمصر وباشر الوزارة أحسن مباشرة وتحقق في السداد بها وقد قيل فيه

وكم سيد يستوجب الرفع قدره ... غدا شاكيا من لحن أقدامه خفضا

وكم جاهل يدعي رئيسا القوة ... وكذا الناصي يدعي رئيسا من الابتدا

وفى رجب كانت وفاة القاضى شرف الدين يحيى بن البسديرى محتسب ناظر الاوقاف وكان رئيسا حشما لكنه أظهر للسلطان نتيجة وعادى الناس قاطبة ولاسيما الاترازكة بسبب ما فرضه على البلاد لاجل الخس كما تقدم ذكر ذلك ونهب المماليك داره فى بعض الركبات واستمر فى عكس الى أن مات ولم يثن أحد عليه بخير فى مدة ولايته لنظر الاوقاف كما يقال

تولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق

وفيه توفى قاضى بولاق بن قرقماس أحد نواب الحنفية واسمه عبد القادر بن أحمد بن على بن محمد بن أبى بكر الدماصى وكان يعرف بابن قرقماس وكان من أعيان الحنفية مشكور السيرة فى قضائه وكان لا بأس به وفيه وقع الرخاء بالديار المصرية حتى بيع كل عشرة أرادب قمح بثلاثة دنانير حتى عد ذلك من النوادر وفيه توفى الطواشى مرور شاد الحوش وكان عنده قسوة زائدة وعسف وظلم وهو الذى أحدث بالقلعة السجن المسمى بالعرقانة من داخل الحوش وكان يحبس فيها من يختار من أصحاب الجرائم واستمر بعده الى الآن يسجن به وفيه توفى المسند عبد القادر بن الزيات المناوى وكان لا بأس به وفيه تغيظ السلطان على ولده الناصرى محمد وألبسه زنطا عتيقا وكبرشام ونزل به الى طبقة الزمام وقال لآغات الطبقة نور وز الجنون دعه يكنس الطبقة ويقعد على السفرة آخر المماليك وان قوى رأسه اضربه علقة قوية وعامله معاملة المماليك الجلبان فأقام فى الطبقة أياما حتى طلع الاتابكى أزبك وشفع فيه واستمر عنده مغقوتا حتى مات وفى شعبان وصل الى القاهرة شخص جركسى وهو جلب قح وقد جاوز الستين سنة من العمر ومعه اثنان من الاولاد وهما شباب ملاح الهيئة فذكروا أن ذلك الشيخ أخو السلطان وانه بيع ببلاد الفرنج وكان مقيما بها فلما حضر استلمه السلطان وسماه قيت واستلم أولاده وسمى أحدهما جانم والآخر جانى بك وأنزلهم بالطبقة ورتب لهم جوامك وصاروا من جملة المماليك السلطانية وفيه قدم الى القاهرة شهاب الدين أحمد بن فرفور الدمشقى قاضى القضاة بها الشافعى فلما حضر جرى عليه أنكاد ومحن من السلطان وغرمه مالا له صورة حتى استمر فى قضاء الشافعية بدمشق على عادته وفيه توفى أحمد حزنبات وكان استاذا فى فن الموسيقى وعنده فكاهة وحسن محاضرة وفيه أشيع الخبر بموت الجمجمة بن محمد بن عثمان ملك الروم بنابل من بلاد الفرنج وجرى عليه أمور يطول شرحها ومات وهو فى أسر الفرنج وقد تقدم سبب ذلك وفيه غرقت معدية بساحل بولاق فمات بها كثير من الناس من رجال ونساء وأطفال وبهائم وفى رمضان توعك السلطان فى جسده حتى أرجف بموته ونسى فى تانه وخمسة أشهر فى مدة توعك السلطان الى انه تقسم على السلطنة فمنع من الدخول على السلطان فى مدة انقطاعه ثم ان السلطان حصل له الشفاء ونودى فى القاهرة

بالزينة واستمرت الزينة أياما في شهر رمضان حتى تعطلت الناس عن البيع والشراء وفيه أقيمت الخطبة بالجامع الذي أنشأه الامير أزبك اليوسفي رأس نوبة كبير بدرب البابا وفيه توفي تغرى برمش الاينالي أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفي شوال ليلة عيد الفطر خرج الامير قانصوه خمسمائة مسافرا الى بعض بلاده ولم يحضر موكب العيد فكثر القال والقيل في ذلك اليوم وكان سفره برأي السلطان فلما كان يوم العيد ثارت فتنة من المماليك الجلبان وركب الكثير منهم في ذلك اليوم وتوجهوا الى دار قانصوه خمسمائة ونهبوا ما فيها وأحرقوا بعض أماكن بها وأخربوا غالبها وهي الدار التي أنشأها في قناطر السباع المطلة على الخليج الحاكمي وكان الذي أثار الفتنة طائفة من المماليك من عصبة اقبردي الدوادار فحصل الاضطراب في ذلك اليوم ثم سكن الحال قليلا وفيه خرج المحمل من القاهرة وكان أمير ركب المحمل تاني بك الجمالي وبالاول ابن أخت السلطان وفيه توفي القاضي نور الدين علي بن داود الصيرفي الاسرائيلي الحنفي أحد نواب الحكم وكان من أعيان الحنفية وكان يكتب التاريخ مجازفة لا عن قائل ولا عن راو وله في تاريخه خبطات كثيرة وجمع من ذلك عدة كتب من تأليفه فكان كما يقال

يا من يقول بأن في التاريخ كتبا كامله

لكنها الا بأعرنسية * لم تدر ماهي حامله

وكان مولده سنة سبع عشرة وثمانمائة وكان لا يخلو من فضيلة وفي ذي القعدة توصل سيف قانبردي نائب قلعة دوركي وكان غير محمود السيرة وفيه كان وفاء النيل المبارك وتوجه الاتابكي أزبك وفتح السد على العادة وكان هذا آخر فتح أزبك أمير كبير للسد وفيه وقع الرخاء بالديار المصرية حتى بيع كل ثمانية أرغفة من الخبز البائت بثلاثة دراهم فلوس حتى عد ذلك من النوادر وفيها ابتدأ بالسلطان توعك في جسده وظهر عليه أشاير الموت وضربه الكرة في السنة المذكورة ضربا هينا بالنسبة لما كان عليه قبل ذلك من القوة فصار متغير الاحوال وفيه توفي سيدي عبد الرحمن اليمني وكان من أولياء الله تعالى وفيه توفي أقبردي التماسيحي الظاهري جقمق وكان من الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفيه توفي ازدمر بن مرادبغا الاشرفي برسباي وكان أحد الامراء العشراوات وباش مكة وكان لا بأس به وفيه ظهرت أعجوبة وهي أن امرأة ولدت مولودا صورته كصورة الفيل وله زلومة سوداء وكان يتبع المنظر فمات من يومه وفيه توفي الطواشي سرور السيفي نائب المقدم وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب خراسان وهو حسين بن بيمرا بن منصور بن مرا جده قيل انه مات بعلة النقرس وفي يوم الخميس مستهل ذي الحجة جرت كائنة عظيمة وهي أن قانصوه خمسمائة لما توجه

الى أقطاعه فى ليلة عيد الفطر كما تقدم وتوجه طائفة من المماليك الى داره ونهبوا ما فيها وأحرقوا غالبها فلما رجع قانصوه خمسمائة من السفر تغيرت القلوب بالعداوة بينه وبين اقبردى الدوادار وصارت العداوة كل يوم فى مزيد فلما كان يوم الخميس المذكور ركب قانصوه خمسمائة ولبس آلة الحرب والتف عليه جماعة من أخصائه وتحشد اشيته مثل قانصوه الالفى وقانصوه الشامى ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات جملة كثيرة منهم برسباى الخسيف وقرقماس الشريفى واسنباى المبشر وقانبباى المبشر أيضا وازبك قفص وقيت الرحبى وغير ذلك من الامراء والجم الغفير من الخاصكية والمماليك السلطانية فلبسوا آلة الحرب وتوجهوا الى بيت الاتابكى أزبك الذى أنشأه فى الازبكية فاجتمع هنالك من العسكر ما لا يحصى فلما بلغ الامير يشبك الجمالى الزردكاش الكبير أن العسكر قد اجتمع عند أزبك حضر عنده وكل هنالك أربعة أمراء مقدمين وجاء العسكر أفواجا أفواجا ولا يعلم ان كانت الركبة على السلطان أم على الامير اقبردى الدوادار فلما اشتد الامر طلع تانى بك قرا حاجب الحجاب الى السلطان وتحصنه وشلابه وقال له ان هذه الركبة على السلطان وأن العسكر قائمة مع أزبك أمير كبير لاجل قانصوه خمسمائة فانه كان صهره فلما تحقق السلطان ذلك اضطربت أحواله وخشى من اتباع الفتنة فنزل وجلس فى المقعد المطل على الرميلة وعلق الصنجق السلطانى ودقت الكوسات حربى ثم نادى للعسكر من كان طائعا لله ولرسوله وللسلطان فليطلع الى الرميلة ويقف تحت الصنجق السلطانى فلما بلغ الامراء المقدمون ذلك طلع تمراز الشمسى أمير سلاح وتانى بك الجمالى أمير مجلس واقبردى الدوادار الكبير وأزبك اليوسفى رأس نوبة كبير وتانى بك قرا حاجب الحجاب وجان بلاط بن يشبك وشادبك الوخ وبقية المقدمين والامراء الطبلخانات والعشراوات فلما بلغ من بالازبكية من العسكر أن السلطان نادى بان العسكر يطلعون الى الرميلة ويقفون تحت الصنجق صاروا فى الحال يتسحبون من هنالك شيأ فشيأ ويطلعون الى الرميلة حتى لم يبق فى الازبكية الا مماليك الامراء الذين هنالك فظهرت الكسرة على قانصوه خمسمائة ومن معه من الامراء وهذه أول حركات قانصوه خمسمائة وكان معكوس الحركات فى سائر أفعاله كما قيل

وأخرنى دهرى وقدم معشرا ٭ على أنهم لا يعلمون وأعلم
فمذ أفلح الجهال أعلم أننى ٭ انا الميم والايام أفلح أعلم

فبينما الاتابكى جالس بمقعده واذا بالامير أزبك اليوسفى رأس نوبة النواب دخل اليه وصحبته الحاج رمضان المهتار بالطشتخاناه فقال له قم كلم السلطان فى شعر فقام من وقته وتوضأ وصلى ركعتين وركب وهو بتخفيفة صغيرة وملوطة بيضاء وهو مفكك الازرار

فطلع صحبتهم الى القلعة فلما رآه المماليك الجلبان كادوا أن يقطعوه بالسيوف وقيل ان
الامير اقبردى الدوادار لكموه شتمه فلما وقف بين يدى السلطان قام له وأمر بادخاله الى
قاعة البحرة خوفا عليه من المماليك الجلبان أن يقتلوه فلما بلغ قانصوه خمسمائة ومن معه
من الامراء ان أزبك أمير كبير قد عوقوه بالقلعة ركب وتوجه من على قنطرة
الحاجب واختفى من حيث لا يعلم له خبر وكذلك قانصوه الالفى وقانصوه الشامى وبقية
الامراء ممن كان من عصبة قانصوه خمسمائة فلما اختفى الامراء انفض ذلك الجمع
الذى كان بالازبكية كأنه لم يكن وكان قانصوه خمسمائة فى السنة المذكورة جدده ور
باب السلسلة وأنشأ المقعد المطل على الرميلة والبيت وحوله أبراج موجودة به الى الآن ثم
ان السلطان نادى للعسكر أن يقلعوا آلة الحرب ويتوجهوا الى بيوتهم ونادى للناس بالامان
والاطمئنان وسكنت تلك الفتنة فلما كان يوم الجمعة صبيحة ذلك اليوم قبض بعض مشايخ
العربان على قانصوه الالفى وكان قد توجه الى بر الجيزة فقبض عليه من هناك وأحضره الى
بيت أقبردى الدوادار فقيده وأرسله الى السجن بقلعة صفد ثم ان قانصوه الشامى
أرسل يطلب من السلطان الامان فارسل له فى ذلك اليوم منديل الامان فلما قابل السلطان
خلع عليه وقرره فى نيابة حماه ورسم له أن يخرج من يومه الى السفر ثم ان الامير اقبردى
الدوادار صار يقبض على جماعة من الامراء الطبلخانات والعشراوات ممن كان من عصبة
قانصوه خمسمائة فقبض على قيت الرجبى وبرسباى الثور الشرفى فقيدهما وتوجهوا
بهما الى السجن بالصليبة ثم على جماعة آخرين منهم وهم برسباى ا[illegible] وقرقماس
الشريفى واسباى المبشر وقايتباى المبشر أيضا وأزبك قفص ولكن فر من أثناء الطريق
وقبض على سودون الفقيه فنفى هولاء الجماعة عن آخرهم واستمر قانصوه خمسمائة مختفيا
حتى كان من أمره ما سيأتى ذكره فى موضعه وقد انتصف اقبردى الدوادار على جماعة
قانصوه خمسمائة وبدد شملهم وتمكن فى تلك الايام وطاش وخف الى الغاية واجتمعت فيه
الكلمة وصار صاحب الحل والعقد ليس على يده يد وكان ذلك من أكبر اسباب ادبار حظه
كما قيل
كل شئ اذا تناهى تواهى ... فانتقاص البدور عند التمام
ثم ان اقبردى الدوادار فرق فى تلك الايام المذكورة أضحية جزيلة على العسكر كان يعادل
ضحايا السلطان من بقر وغنم حتى عم العسكر بالاحسان فكان كما قال فى المعنى
أنا الأحمر والراية البيضاء لى ... لا للسيوف وسل عن الشجعان
لم يحصل لى عين العداة لأنى ... نوديت يوم الحرب بالأزان
هذا ما كان من أمر هولاء وأما ما كان من أمر أزبك أمير كبير فانه اقام بقاعة البحرة ثمانية
أيام فلما كان يوم الجمعة رسم له السلطان بأن يصلى معه بالشاش والقماش على عادة حضرة

وصلى مع السلطان الجمعة فلما فرغ من صلاة الجمعة أراد أن ينزل فقيل له ان المماليك واقفة بالرميلة ومتى نزل يهطمون عليه فتناوله الاعالة تفاق عليه السلطان وأدخله الى قاعة البحرة ثم انه اجتمع بالسلطان وقال له انا ما بقى لى اقامة بمصر بقتالى المماليك الجلبان وقصدى أتوجه الى مكة المشرفة فاجابه السلطان الى ذلك فلما كان يوم السبت ثامن ذى الحجة من تلك السنة نزل الاتابكى أزبك من القلعة وهو راكب على اكديش وعلى رأسه تخفيفة صغيرة وعليه ملوطة بيضا من غير تقييد ولا أوجاقى خلفه فتوجه الى مكة المشرفة من الطور مسافرا بالبحر الى أن يصل الى جدة ويرحل من جدة الى مكة المشرفة ورسم له السلطان أن يأخذ ولده يحيى معه الى مكة المشرفة وكانت نكبته بغتة على حين غفلة كما يقال

على قدر فضل المرء تأتى خطوبه * ويعرف عند الصبر فيما يصيبه

ومن قل فيما يتقيه اصطباره * فقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وكانت مدته فى الاتابكية نحوا من سبع عشرة سنة وسوف يعود الى الاتابكية ثانيا كما سيأتى الكلام عليه وفيه فى ذلك اليوم رسم السلطان باخراج يشبك الجمالى الزردكاش الكبير وأحد المقدمين فخرج منفيا الى القدس ولم يكن له ذنب غير أنه كان من جماعة أمير كبير وحضر يوم الركبة فصار له ذنب وكان يشبك الجمالى من خواص السلطان ثم انقلب عليه وأقام بالقدس منفيا الى أن مات عن قريب فكان كما قيل

يعدون ذنبا واحدا ان جنيته * على وما أحصى ذنوبهم عدا

وفيه جاءت الاخبار من تونس بأن بها ثارت فتنة عظيمة وحصل لعساكر المغرب مقتلة مهولة والامر لله تعالى فى ذلك

❁ ثم دخلت سنة احدى وتسعمائة ختمها الله بخير وهى أول القرن العاشر وكان مستهلها بالاحد وهو أول أسابيع الايام وأول افتتاح العام بالاحد فى الحرم كان خليفة الوقت الامام المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز العباسى وسلطان العصر الملك الاشرف أبو النصر قايتباى المحمودى الظاهرى جقمق وقاضى القضاة الشافعية زين الدين زكريا الانصارى والقاضى الحنفى ناصر الدين محمد الاخميمى والقاضى المالكى عبد الغنى بن تقى الدين والقاضى الحنبلى بدر الدين محمد السعدى * فمن حوادث هذه السنة أن السلطان أحدث مكسا على بيع الغلال وجعل على كل اردب نصف فضة ولم يعهد هذا قبل ذلك وكانت هذه الفعلة من أقبح مساويه واستمر ذلك فى صحيفته الى الآن وفيه قدم على باى نائب الاسكندرية فقرره السلطان فى تقدمة ألف وصار من جملة الامراء المقدمين وفيه قدم الحاج وقد قاسى فى السنة المذكورة مشقة زائدة ولم يجدوا الماء بعقبة فخرج بهم أمير الحاج الى جهة عيون

موسى حتى وجدوا الماء وأخبر بعض الحجاج أنه سمع وهو واقف بعرفة ما يجري بمصر من ركوب المماليك وغيره من الاول الى الآخر فهذا من النوادر كيف أشيع ذلك بعرفة من غير مخبر أتى هنالك وفيه قدم للسلطان أترجة غريبة الشكل اجتمع فيها سبع عشرة أترجة من أصل واحد فكانت بديعة الخلقة جدا وفيه عاد الشيخ عبد المؤمن العجمي شيخ قبة السلطان التي بالمرج والزيات وكان قد توجه الى ابن عثمان قاصدا عن لسان السلطان وصحبته هدية حافلة الى ابن عثمان من جملتها قماش فاخر وسبع وزرافة وبيما حراما اللون وغير ذلك أشياء كثيرة فلما عاد عبد المؤمن أخبر بان ابن عثمان قد تلاشى أمر عسكره وبطلت همته عن محاربة عسكر مصر فسر السلطان بهذا الخبر وفيه جاءت الاخبار من حلب بوفاة صالح الكردي حاجب حلب وشيخ الاكراد بها مات قتيلا وفيه جاءت الاخبار من حلب أيضا بقتل محمود بن أبي سعيد صاحب سمرقند قتله محمود بن يونس كان صاحب شاس وملك من بعده سمرقند وكان محمود هذا آخر ذرية تمرلنك وبه زالت دولتهم كأنها لم تكن وهو محمود بن أبي سعيد بن أحمد بن ميرزاشاه بن تمرلنك وكان من أعيان ملوك الشرق وفيه ترشح أمر تمراز الشمسي بان يلي الاتابكية وفي صفر في مستهله يوم الاثنين عمل السلطان الموكب وخلع على جماعة من الامراء فقرر تمراز الشمسي في الاتابكية عوضا عن الاتابكي أزبك بن ططخ بحكم نفيه الى مكة المشرفة وخلع على تاني بك الجمالي وقرره في امرية مجلس عوضا عن تمراز بحكم انتقاله الى الاتابكية وقرر ازبك اليوسفي في امرية سلاح عوضا عن تاني بك الجمالي بحكم انتقاله الى امرية مجلس وقرر تاني بك قرا الاينالي رأس نوبة كبير عوضا عن أزبك اليوسفي بحكم انتقاله الى امرية سلاح وقرر اينال الخسيف في حجوبية الحجاب عوضا عن تاني بك قرا بحكم انتقاله الى رأس نوبة كبير وأنعم في هذا الشهر بتقادم ألف على جماعة من مماليكه منهم ماماي بن خداد وقانصوه المحمدي المعروف بالبرجي وكرتباي الاحمر كاشف البحيرة وقانم قريب وأنعم على جماعة كثيرة من هم من عصبة اقبردى بامرية طبلخانات وعشراوات منهم اقباي الطويل وخاير بك الدوادار وطقطباي من طبقة الاربعين وطمطباي أيضا من طبقة الطازية وغير ذلك جماعة كثيرة يأتي الكلام عليهم في موضعه وفيه خلع السلطان على قاني بك الشريفي وقرره في نيابة الاسكندرية عوضا عن على باي بحكم انتقاله الى التقدمة وفيه توفي المسند شرف الدين الهيانى وكان من أهل الفضل لا بأس به وفيه خلع على الاتابكي تمراز وقرره في نظر البيمارستان المنصوري فتوجه الى هنالك في موكب حافل وفي ربيع الاول خلع السلطان على شمس الدين محمد ابن مزاحم وقرره في نظر الاوقاف والاحباس ونظر القرافتين وكان أصله من طرابلس وكان غير مشكور في أفعاله وفيه عمل السلطان المولد النبوي وكان حافلا وهذا آخر

من أولاد السلطان قايتباي ولم يحضر بعد ذلك مولدا وفيه خلع على تاني بك قرا وقرره في امرية الحاج بركب المحمل وقرر برديك في امريه الركب الاول وفيه جاءت الاخبار من القدس بوفاة يشبك الجمالي الذي تقدم ذكره وكان دينا خيرا وأصله من مماليك ناظر الخاص يوسف ابن كاتب جكم ورقي في دولة الاشرف قايتباي وولي عدة وظائف سنية منها حسبة القاهرة والزردكاشية الكبرى ثم بقي مقدم ألف وجمع بين الزردكاشية والتقدمة وسافر أمير حاج بركب المحمل غير ما مرة وفيه وقع بين الامير اقبردي الدوادار وقرقماس بن ولي الدين أمير اخور ثالث واستمرت العداوة بينهما تتزايد حتى كان ما سنذكره وفي ربيع الآخر خلع السلطان على شاديك بن مصطفى المعروف بالخوخ وقرره أمير اخور كبير عوضا عن قانصوه خمسمائة بحكم انتفائه وقرر برديك المحمدي الاينالي أمير اخور ثاني وقرر صولاتباي بن عيسى الاينالي في الزردكاشية الكبرى عوضا عن يشبك الجمالي بحكم وفاته بالقدس الشريف بطالا وقرر برقوق الساقي الاينالي في الحسبة عوضا عن كسباي وقرر كسباي في الدوادارية الثانية وكان يعرف بكسباي الشريفي وقرره مصرباي في شادية الشراب خاناه وقرر اركماس الطلبي في نيابة القلعة وقرر سودون العجمي في استادارية الصحبة وقرر برديك بن برعلي في تجارة المماليك فخلع السلطان على هؤلاء في يوم واحد وفيه جاءت الاخبار من المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بان أمير المدينة وجماعته هجموا على حواصل المال التي بها من قبل النذور فاستولى على اثني عشر ألف دينار وأخذ عدة قناديل ذهب كانت معلقة بالحجرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وخرج الى جهة العراق فلم يدرك وفيه أخبر جماعة من الفلكية بان زحل قد اقترن مع المريخ في برج الجوزاء وذكروا أن هذا القران سيقع فيه فتن عظيمة عن قريب فأجاب شيخنا عبد الباسط بن خليل الحنفي عن ذلك بقوله

ليس القران بفاعل كلا ولا بمؤثر
ان المؤثر من له خلق القران ففكر
فالفعل عنه صادر كم يا منجم تفترى

وفيه توفي بيغوت قرابن قنبق قرا الاشرفي برسباي أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به فلما مات أنعم السلطان بامريته على تاني بك الاعرج وفيه رخص المغل جدا حتى بيع كل خمسة أرادب قمح بدينار وبيعت البطة الدقيق بثلاثة أنصاف وعم الرخاء سائر البضائع وفي جمادى الاولى رسم السلطان بقطع أيدى ثمانية أنفار من عمل الدراهم الزغل وكان فيهم شيخ قد أناف على الثمانين سنة من العمر فقطعت أيديهم وشهروا بالقاهرة وفيه توفي قيتباي الناظر الظاهرى خشقدم وكان من الامراء الطبلخانات بدمشق وفيه أذن السلطان

للقاضي بدر الدين محمود بن أجابان يتوجه الى حلب على وظيفته في قضاء الحنفية وكان قد
حج في العام الماضي وفي جمادى الآخرة نزل جماعة من العسكر على العلائي علي بن الصابوني
ناظر الخاص وكان في تربته التي أنشأها في رأس درب الحسينية فأخذوا جميع ما كان
عنده وجرح ابن الصابوني في يده وكانت واقعة مهولة وفيه مات يشبك دجاج المحمدي
الظاهري جقمق أحد العشراوات وفي رجب توفي الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن عربشاه
الدمشقي الحنفي شيخ المدرسة الصرغتمشية وكان من أهل الفضل وكان لا بأس به وقرر
عوضه في مشيخة الصرغتمشية شمس الدين الغزي وفيه جاءت الاخبار بأن قانصوه نائب
دمشق قبض على قاضي المدينة سيف الدين يوسف الحنفي وقد بلغه أنه يكاتب ابن عثمان بأخبار
هذه المملكة ويدعوهم لذلك وفي شعبان كانت وفاة القاضي عبد الغني بن الجيعان وهو
عبد الغني بن علم الدين شاكر وكان متولي كتابة الخزانة وكان من خيار بني الجيعان رئيسا
حشما موصوفا بالكرم الزائد ويحكى عنه أشياء في بر الناس ما لا يحكى عن البرامكة في
أيامهم ومات وهو في عشر الثمانين وكانت جنازته حافلة وكان أحق بقول القائل

فلو أن البرامك عاينوه * وأنعمه تم الخلق سقيا
فينصب جعفر يحوز فضل * ويبلى خالد ويموت يحيا

وفيه هجم العسكر على سوق التجار بجامع ابن طولون وكسروا منه عدة دكاكين وأخذوا
ما كان فيها من القماش وراحت على أربابها وفي رمضان توفي سودون الكرشي الظاهري
جقمق أحد العشراوات وكان لا بأس به وفيه من الحوادث في الشهر المذكور أن السلطان
نادى للعسكر بالعرض فلما طلعوا الى القلعة أحضر لهم المصحف الشريف الكبير العثماني
وحلفهم عليه قاطبة وكذلك الامراء بأن لا يخرجوا عن طاعته ولا يخالفوه فيما يأمر
وفيه أنفق السلطان على العسكر وقيل صدقة ففرق على المماليك القرانصة والسيفية
الذين كانوا منزلين بالديوان قبل سلطنته هم وجلبانه لكل واحد منهم مائة دينار والسيفية
الذين نزلوا أيام سلطنته لكل واحد منهم خمسون دينارا ولأولاد الناس أصحاب الجوامك
ألفين لكل واحد عشرون أو ثلاثون دينارا وقيل انه فرق بعد ذلك على الخدم الطواشية
لكل واحد منهم عشرون دينارا واثنا عشر دينارا ثم أرسل نفقة للخليفة ولبعض الامراء
فبلغت هذه النفقة زيادة عن أربعمائة ألف دينار ولا يعلم ما سبب هذه النفقة التي انفقت
من غير موجب لذلك والذي أشيع بين الناس ان السلطان قال أنا لما تسلطنت لم أنفق على
العسكر شيأ فهذه في نظير ذلك والاصح ذلك لانه أنفق على القرانصة العتق والسيفية
العتق مائة دينار لكل واحد وعلى الذي تجدد من القرانصة السيفية في أيامه خمسين
دينارا لكل واحد وسماها صدقة والوجه الثاني ما قيل ان السلطان قصد ظهور قانصوه

خمسمائة وكانت له به عناية تامة فأنفق على العسكر حتى أرضاهم بسبب ظهور فانصوه خمسمائة فما سهل ذلك على اقبردى الدوادار وأخذ حذره كما سيأتى ومن العجائب أن مال هذه النفقة كان مجمدا حاضرا وهو من الخمسة أشهر التى أخذها من أجرة الاملاك والاوقاف ومن أوقاف الجوامع والمدارس والبيمارستان وصادر فيها طائفة اليهود والنصارى وتجار الفرنج وتجار المغاربة والبرانسة وغير ذلك من أعيان التجار ومشاهير الناس وكان هذا المال الذى يجى من هذه الجهات تحت يد القاضى على بن الصابونى ناظر الخاص والامير تغرى بردى الاستادار فلما حدثت فتنة ابن عثمان التى كانت سببا لذلك لم يوفق الله تعالى السلطان أن يرد للناس ما أخذه منهم كما فعل الاشرف برسباى لما أخذ من أجناد الحلقة عن اقطاعاتهم بسبب تجريدة شاه روخ بن تمرلنك لما تحرك عليه فى سنة احدى وأربعين وثمانمائة فلما بطل أمر التجريدة وحصل للاشرف برسباى توعك فى جسده رد لاجناد الحلقة ما كان أخذه منهم وكتب ذلك فى صحيفته الى يوم القيامة والاشرف قايتباى جمع هذا المال من وجوه المظالم وحصل للناس بذلك مشقة زائدة وأخرجه فى غير مستحقه لا فى وجه فيه منفعة للمسلمين كما قيل

لست أعطى فى حرام * أبدا الا حراما

وفى شوال قرر عنبر السكروري فى نيابة تقدمة المماليك ثم بقى بعد ذلك مقدم المماليك وفيه توفى تنم الضبع الظاهرى جقمق أحد الامراء العشراوات وكان أخو تانى بك الجمالى أمير سلاح فلما مات تنم الضبع وقف شخص من الامراء يقال له ملاج بن ططخ الظاهرى جقمق يطلب من السلطان اقطاع تنم الضبع فلم يوافق السلطان على ذلك فخنق ملاج من السلطان فلما نزل ملاج الى داره شنق نفسه من شدة قهره فمات هو وتنم الضبع فى يوم واحد وقد تقدم القول على وفاة ملاج وفيه وقعت الوحشة بين اقبردى الدوادار وبين جان بلاط وسبب ذلك ان جان بلاط طلب امرية الاخورية الكبرى وعينت له فوقف اقبردى وباس الارض على ان يكون شاد بك الخوخ اميرا خور كبير فانعم السلطان على شاد بك بها فمن حينئذ وقعت الوحشة بينهما وقد التف على كرتباى الاحمر ويشبك قر وكان جان بلاط أعز أصحاب اقبردى وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير المحمل الشريف تانى بك قرا وأمير الركب الاول بردبك نائب جدة وفيه توفى اركماس الحلبى نائب القلعة وكان لا بأس به وفيه توفى محمد بن نوروز المحمدى الميقاتى وكان علامة فى فن الميقات وفيه ظهر الامير قانصوه خمسمائة وكان مدة اختفائه تسعة أشهر فلما طلع الى القلعة رسم السلطان له بان يأخذوه بالعلبكيا حتى يرق عليه قلب العسكر يعنى جاء وكفنه تحت ابطه فلما وقف بين يدى السلطان قبل الارض وخلع عليه كاملة صوف صفى

بسمور ورسم له بأن يتوجه الى داره ونزل من القلعة فى موكب حافل وصحبته الاتابكى تمراز واقبردى الدوادار فأوصلاه الى داره ورجعا وفى ذى القعدة ثارت فتنة كبيرة من المماليك الجلبان ممن هم من عصبية قانصوه خمسمائة فلبسوا آلة السلاح وطلعوا الى الرميلة وحاصروا اقبردى الدوادار فلما تزايد الامر أحرقوا الربع الذى عند سوق الحلاق فلما بلغ السلطان ركب ونزل الى باب السلسلة وجلس بالمقعد المطل على سوق الخيل بالرميلة فلم تخش منه المماليك وتزايد الامر ومما أخش به المماليك فى حق السلطان أنه قبل ذلك بمدة طويلة كان السلطان ينام فى الصيف على الدكة التى بالحوش فدخل بعض الخاصكية عليه فى الليل وقالوا له ان المماليك الذين فى طبقة المطبخ قد عولوا على أن يتشبوا على السلطان وهو راقد على الدكة فلما بلغ السلطان ذلك قام وبادر وراح من على الدكة فلما أصبح وجد ثلاثة أسهم من النشاب فى المخدة والصاف الذى كان السلطان بسبب النوم والتغطية عليه فلم يسع السلطان الا أنه فرق المماليك الذين بطبقة المطبخ على الاطباق وجعل على حائط طبقة المطبخ بناء يستر منه رؤية الحوش وقيل ان الذى فعل بذلك ورمى هو شخص خاصكى من أخصائه يسمى شرامنت فاحضره وضربه بين يديه نحوا من ألفى عصا حتى قيل انه مات وضرب معه جماعة من أصحابه وحبسهم بالبرج وقطع جوامكهم وأبطل شرامنت من الخاصكية وذلك قبل فتنة ابن عثمان مع السلطان واستمر السلطان بالمقعد الذى بباب السلسلة الى ما بعد العصر فبلغه ان اقبردى الدوادار قد غيب من داره فعند ذلك قام السلطان وقد حم فى جسده فركب وطلع الى القلعة وكان هذا آخر ركوبه ورؤية الناس له فلما دخل الى الحوش طلع الى المقعد ودخل الى البيت الذى كان به فلزم الفراش وثقل فى المرض من ليلته ولما غيب اقبردى نهب العوام داره ودور الامراء الذين من عصبته منهم اينال الحسيف وشادبك وقانم وجانم مصبغة وغيرهم وهذه أول كسرة اقبردى فكان كما قيل

لا تعجبوا الدهر فى أفعاله ٭ ان أضحك الباكى وأبكى الضاحكا

ثم ان السلطان تزايد به الالم وقوى عليه أمر الاسهال المفرط وعجز عن الحركة وكثر القيل والقال بين الناس ثم ان النيل أوفى فى تلك الايام فرسم السلطان لتمراز أمير كبير بأن يتوجه ويفتح السد والناس فى غاية الاضطراب ثم طلع الاتابكى تمراز الى القلعة ولبس خلعة بسبب فتح السد هذا كله والسلطان على غير استواء وأشيع أنه فى النزع وقد خرس فلما كان يوم الجمعة خامس عشريه طلع الاتابكى تمراز الى القلعة ودخل على السلطان فى البيت فوجده فى السياق فقال له يا مولانا السلطان ان الاحوال قد فسدت ومن الرأى أن تسلطن سيدى محمد اقفرد السلطان له جوابا فأخذ سيدى محمد ابن السلطان ونزل به الى باب

السلسلة فأجلسه فى المقعد الذى هنالك وجلس معه ليوليه السلطنة فانتظر الامير اقبردى الدوادار أن يطلع اليه فاختفى اقبردى ولم يطلع الى القلعة فى ذلك اليوم فلم يشعر تمراز الا وقد هاجمته العساكر كالجراد المنتشر وذلك ان قانصوه خمسمائة وكرتباى الاحمر لما بلغهما أن تمراز الأمير الكبير بباب السلسلة ومعه ابن السلطان لبسوا السلاح وهجموا ودخلوا الميدان من عند حوش العرب وطلعوا الى باب السلسلة من الاصطبل فقبضوا على تمراز الامير الكبير وقيدوه وسجنوه بالبرج الذى بباب السلسلة ثم فى عقيب ذلك اليوم نزلوا به وهو مقيد بقيدين أحدهما برجليه والآخر بركبتيه وخلفه أوجاقى بخنجر فنزلوا به من باب الميدان الذى عند الحوش وتوجهوا به من جهة الجراة الى البحر فانزلوه فى الحراقة وتوجهوا به الى الاسكندرية فسجن بها وكان المتسفر عليه جانم بن برسباى أخو قانصوه الالفى وبطلت الاشاعات بسلطنته فلما جرى ذلك وقع النهب فى داره وفى دار اقبردى الدوادار وجماعة من الامراء ممن كانوا فى عصبة اقبردى الدوادار ثم ان قانصوه خمسمائة وكرتباى الاحمر وجماعة من الامراء ممن هم فى عصبة قانصوه خمسمائة باتوا بباب السلسلة واشتوروا فيمن يلى السلطنة فترشح أمر سيدى محمد ابن السلطان ووقع الاتفاق على سلطنته فلما كان يوم السبت سادس عشرى ذى القعدة اجتمع الامراء والعسكر بباب السلسلة وأرسلوا خلف أمير المؤمنين المتوكل على الله أبى العز عبد العزيز فحضر وحضر القضاة الاربعة وهم قاضى القضاة زين الدين زكريا الشافعى وقاضى القضاة ناصر الدين محمد الاخميمى الحنفى وقاضى القضاة عبد الغنى بن تقى المالكى وقاضى القضاة بدر الدين محمد السعدى الحنبلى فلما تكامل المجلس تكلموا فى خلع الاشرف قايتباى بحكم أنه قد أشرف على الموت فخلع وبايع الخليفة ولده الناصرى محمدا بالسلطنة عوضا عن أبيه الاشرف قايتباى وشهد عليه القضاة بذلك هذا كله والسلطان فى النزع لم يشعر بشئ مما جرى فلما كان يوم الاحد سابع عشر الشهر المذكور من سنة احدى وتسعمائة كانت وفاة السلطان الملك الاشرف قايتباى المحمودى الظاهرى الى رحمة الله تعالى فى ذلك اليوم بعد العصر ومات بالقلعة وأخرج صبيحة يوم الاثنين ثامن عشرى ذى القعدة وتوفى وله من العمر نحو من ستة وثمانين سنة ومات وهو بعلة الدبيلة واعترته علة البطن أيضا وامتنع عن الاكل مدة انقطاعه حتى مات وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر واحدا وعشرين يوما بما فيه من مدة انقطاعه عند توعك جسده فانه تسلطن يوم الاثنين سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وتوفى يوم الاحد سابع عشرى ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة وهذه المدة لم تتفق لاحد من الملوك غيره قبله وعاش عمره كله وهو فى عز وشهامة من حين كان شاويشا الى أن بقى سلطانا ما انكسر قط ولا انتصر ولا

تقيد وكانت عليه سكينة ووقار مهيب الشكل فى العيون جميل الهيئة مجبلا فى موكبه
كفؤا للسلطنة وافر العقل سديد الرأى عارفا باحوال المملكة يضع الاشياء فى محلها ولم يكن
عجولا فى الامور بطىء العزل لارباب الوظائف يتروى فى الامور أياما قبل وقوعها وكان
لا يخرج أقطاع أحد من الجند الا بحكم وفاته ولا من أبناء الناس المقطعين الا بحكم وفاته
ويرسل يكشف عليه وهو ميت حتى يصدق بموته وكانت صفته طويل القامة عربى الوجه
مصفر اللون خفيف الجسد شائب اللحية تولى الملك وله من العمر أربع وخمسون سنة وكان
موصوفا بالشجاعة عارفا بانواع الفروسية ولا سيما فى لعب الرمح علامة فى فنه لكنه كان
محبا لجمع الاموال ناظرا لما فى ايدى الناس ولولا ذلك لكان يعد من خيار ملوك الجراكسة على
الاطلاق ولكنه كان معذورا فى ذلك تحرك عليه فى أيام سلطنته شاه سوار وحسن الطويل
وابن عثمان وغير ذلك من ملوك الشرق وغيرهم وجرد عليهم عدة تجاريد كثيرة وهو ثابت على
سرير ملكه ولم يتزحزح حتى قيل ضبط ما صرفه على نفقات التجاريد التى جردها فى أيام سلطنته
الى أن مات فكانت نحوا من سبعة آلاف ألف دينار وخمسة وستين ألف دينار خارجا عن
عما كان ينفقه عند عودهم من التجاريد وهذا من العجائب التى لم يسمع بمثلها وكان مغرما
بشراء المماليك حتى قيل لولا الطواعين التى وقعت فى أيامه لكان تكامل عنده ثمانية آلاف
مملوك ومن العجائب أنه من بعده قد انحصرت مملكة مصر فى مماليكه فقط دون غيرهم
وتسلطن منهم الى الآن أربعة سلاطين وكان متقيا فى نفسه لم يشرب قط خمرا ولا كان
يستعمل شيأ من الاشياء المخدرة وكان له اشتغال بالعلم كثير المطالعة فى الكتب وله أذكار
وأوراد جليلة الى الآن تتلى فى الجوامع وكان له اعتقاد فى الفقراء ويعظم العلماء عارفا بمقام
الناس ينزل كل أحد منزلته وكان تابعا الطريقة الصوفية فى التقشف وكان لا يوصف بالكرم
الزائد ولا بالبخل المفرط وكان له بر ومعروف ووقف عدة جهات على وجوه البر والصدقة
وكانت محاسنه أكثر من مساوئه رحمة الله عليه ولم يخلف من الاولاد سوى ولده محمد الذى
تسلطن من بعده وكان من سريته اصلباى ولم يتزوج مدة عمره سوى فاطمة بنت العلائى
على بن خاص بك واستمرت معه الى أن مات رحمة الله تعالى عليه وفى أيامه توفى الاديب زين
الدين أبو الخير بن النحاس وكان من أعيان الشعراء فى عصره وكانت وفاته بالشام ولما مات
الاشرف قايتباى رثاه الشيخ بدر الدين محمد بن الزيتونى بهذا الزجل فقال

يرحم الله سلطاننا الاشرف . كان مؤيد على العدا ظاهر
وكذا ابنو الظافر المنصور . ينصر الله العادل الناصر
لما راد الضعف بقايتباى . والدوادار فى غاية الامكان
ووافق مع الامير قراز . وطلع قانصوه الى الميدان

وأتى القلعة مع سكرباى * والاماره وهدموا البنيان

هرب اقبردى وقيد واقراز * وتولى سلطاننا الناصر

من يخالف أمره ومن يعصيه * ردّ مقهور والامر للقاهر

فولى الملك سادس العشرين * من شهر ذى القعده طلوع شمسو

بعد واحد من الستين تالى * تسعمايه بعد انقضا أمسو

وتوفى أبوه آخر النهار * فى صباحو وار وحلول رمسو

بعد ملكه تسعه وعشرين عام * وأربعه أشهر بالكاتب الحاصر

ويليها واحد وعشرين يوم * لاتزيد أول ولا آخر

مات الاشرف والقبر صار حاويه * بعد ذلسه وبالموت وحوحاق

وسرا فيه سم الديب حائق * ماوجدلو من دى القضا ترياق

وقد أمسى مرهون بافعالو * وأنت لو آفه قضاه تساق

لهف قلبى عليه شجاع وقتو * والخوندات تبكى عليه باكر

كم رأينا ثكلى وهى حيه * شعرها صار من حزنها ناشر

لهف قلبى على الامير قراز * كان موقر وهو الامير كبير

والدوادار حولو رجال واعوان * يضربوا بالحسام ومالو كثير

قالو القراز ماعندنا غيرك * كن مساعدو انت النظام والمشير

جت جماعه لقانصو باخبر * خبرو بيه ركب وكان صابر

وطلع للقلعه مسك قراز * وظفر بيه وصار عليه ظافر

العجب فى الركبه نهار جمعه * من سنه كان فى الازبكية القوم

كيف يوافق لشهر ذى القعده * والعدد فيه خمسه وعشرين يوم

مثل يومو فى الشهر والجمعه * والعدد فيه فاعجب لهذا دوم

والجزا من جنس العمل قالوا * وبهذا صار المثل سائر

كل من كان يحفر لاخيه حفره * مايقع فى الحفرة سوى الحافر

الدوادار وشادبك والخسيف * هم وجانم غابوا عن الحضار

والجمالى تنام أمير سلاح * بالمقعد وكرتباى قد صار

والقانم وكاشف الكشاف * وسدير وزير واستادار

وعلى الكل قانصوه عالى * خمسايه هو الشاطر الماهر

وتولى اتابك العسكر * والامير كبير وهو الناظر

شفت دوله كرقعة الشطرنج * والدوادار وقانصوه فى رهان

كم رأينا بيدق من الماشيه * قد تقدم عند وصار فرزان
لما ساق الفرس بريد الفيل * غالبهم في حومة الميدان
ضربوا شاه لما انكشف رخو * ما وجد لو في رقعتو ساتر
ماتت النفس وانقلب دستوا * وهرب من ماه وهو الخاسر
ضربوا تحت الرمل للغياب * بجودتهم دلت على الحضره
ورأينا الالسن نقاطعو * في بياض وقد أشرقت حمره
واجتماعو باصحابو بالاحباب * وكذا الاشكال يلتقي بهم نصره
وظهر لو راية فرح في الطريق * مع جماعة بالعز تتباشر
بانو يطلع ويتظهر السلطان * مرحبا بالطالع وبالناظر
اعتذاري لمن يسمع قولي * ان عجبي والقريب ياوتي
يطلبوني ويقصدوا فني * وان توانيت بالعجز يرموني
أستحي أن أظهر ضعف نظمي * وا حالي تنسب ليشوني
ولكني أبو النجا العوفي * ان تجدني فيما أقول ساشر
استر العيب وارجو ثوابا بستري * جل من لا عيب فيه وهو الغافر
لو تكون البحار مع الانهار * وجميع المياه وسيل الغمام
حبر يا وي وسائر الاعشاب * والنبات والشجر جميع أقلام
والسموات والارض والاكوان * تبق أوراق طباق ليوم القيام
وجميع العالم يجوا كتاب * يكتبوا المدح في النبي الطاهر
للقيامه ما يحصروه ذرة * من مديحو ووصفه الفاخر
كان للاشرف خصال ملاح فاسمع * ما رأينا في عصرنا مثلو
يا الذي جا يسمع بديع نظمي * خذ وحرر عني جميع نقلو
وان أتى لك من يطلب التاريخ * والوقائع عن الملوك قلو
يرحم الله سلطاننا الاشرف * كان مؤيد على العدا ظاهر
وكذا ابنو المظفر المنصور * ينصر الله العادل الناصر

وأما ما أنشأه الاشرف قايتباي في أيام دولته من البنيان الفاخر فأشياء كثيرة منها أنه جدد عمارة المسجد الشريف النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام لما احترق وأنشأ قبة عظيمة على القبر الشريف النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وأنشأ هنالك مدرسة مطلة على الحرم النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وأنشأ مدرسة بمكة المشرفة عند باب السلام وعدة ربوع وأماكن بمكة المشرفه وأنشأ مدرسة ببيت المقدس ومدرسة

وبيوتا ودكاكين بدمشق ومدرسة بغزة ومدرسة بثغر دمياط ومدرسة بثغر الاسكندرية
والبرج العظيم الذي أنشأه مكان الفنار القديم والبرج الذي بثغر رشيد وأما ما أنشأه من
البنيات بالديار المصرية فالجامع الذي بالصحراء مكان تربته وجامع بالروضة وجامع برأس
الكبش وجامع بباب اللوق عند الشيخ سلطان شاه والسبيل والمكتب الذي بقرب تحت
الربع وجامع لطيف خارج باب القرافة وجدد عمارة قبة الامام الشافعي رضي الله عنه
ورحمه وأنشأ زاوية بالبرج والزيات ومدرسة بالخانقاه وغير ذلك من الجوامع والمدارس
في أماكن شتى من البلاد وأنشأ السبيل الذي برأس سويقة عبد المنعم وأنشأ بالقاهرة
عدة زوايا وأسبلة وصهاريج وغير ذلك وعدة ربوع وحوانيت في مواضع متفرقة وجعلها
وقفا على الشيشة التي قد كان قررها بالمدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام
وأما ما أنشأه بالقلعة فالمقعد الذي أنشأه داخل الحوش والمبيتان اللذان حوله والحواصل
التي بجوار قاعة البحرة وجدد عمارة الايوان الناصري الذي بالقلعة وأنشأ مواضع كثيرة
بالقلعة وجدد عمارة قناطر أبي المنجا والقناطر التي بشبرمنت بالجيزة وأنشأ هناك رصيفا
وحصل به غاية النفع في أيام النيل للمسافرين وجدد عمارة قنطرة باب البحر وجدد عمارة
الميدان الكبير الذي بجوار البركة الناصرية وصرف عليه جملة مال وجدد مقام سيدي
أحمد البدوي وبناه بناء حافلا ووسعه وجدد بناء زاوية الشيخ عماد الدين رحمه الله وجدد
عمارة باب القرافة وأنشأ هناك الربوع وأنشأ مقعدا ومبيتا وجنينة بدار البقر التي تحت
القلعة وجدد عمارة جامع الرحمة الذي بغيط جاني بك نائب جدة وأنشأ عدة ربوع بالخشابين
والبندقانيين وبالجامع الازهر وغير ذلك وله عدة أماكن قد أنشأها وحصل بها النفع
العام للمسلمين وأما ما أبطله في أيام سلطنته من شعار المملكة فخدمة القصر بالشاش
والقماش وقد قررته الملوك السالفة لاقامة الحرمة ونظام المملكة وأبطل الرمايات
التي تعمل ببركة الحبش ودخول الملوك الى القاهرة والعسكر قدامها بالشاش والقماش ويكون
يوما مشهودا وأبطل لبس الصوف بالمطعم وكان الملك يشق من القاهرة وهو لابس الصوف
هو والامراء ويكون لهم يوم مشهود وأبطل المركب المسماة بالذهبية وكانت من شعار
المملكة ولاسيما في يوم الوفاء بالنيل وكانت الملوك تتوجه فيها الى المقياس وكان بها
ستون مقدافا وأبطل المركب المسماة بالدرمونة وكانت تحمل مغسل الحرمين
الشريفين وكانت غريبة الهيئة في شكلها وأبطل دوران المحمل الرجبي في أيام
سلطنته وما كان يعمل فيه وأبطل المسايرات التي كانت تعمل في تلك الايام وكان ينفق في مدة
دوران المحمل مالا له صور وأبطل في أيام سلطنته أشياء كثيرة من شعار المملكة
لم نذكرها خوف الاطالة ولكن آخر من مشى من السلاطين على النظام القديم مما ذكرناه
الظاهر خشقدم رحمه الله تعالى وأما ما عده من المساوي فانه لما ولي السلطنة نب

يتسبب الهواد ارلما ولى الوزارة فقطع لحوم جماعة من الناس كانت مرتبة للايتام ونساء أرامل وكانت تباع وتشترى من الناس من الديوان الى آخر دولة الظاهر خشقدم وكانت الوزراء تنتج السداد لذلك ثم فعل مثل ذلك بالجوامك وقطع عدة جوامك لجماعة من أولاد الناس والذى أبتدأ أخذ منه مائة دينار عمن له جامكية ألف درهم وأخذ ممن له جامكية ألف درهم خمسين دينارا وذلك بسبب بدل تجريدة سواء ممن لم يسافر للتجريدة وأخذ من أجرة الاملاك والاوقاف من الجوامع والترب بالقاهرة وغيرها أجرة سبعة أشهر وحصل للناس بذلك الضرر الشامل وصادر اليهود والنصارى فى أيامه مرتين وصادر جماعة من أعيان التجار ومن تجار الارياف والبرانسة ورمى على البلاد التى فى الشرقية شيئا يقال له الخص بسبب خيالة تخرج مع التجريدة الى ابن عثمان وفعل مثل ذلك بعربان جبل نابلس ثم قطع هذا الخص من خراج المقطعين ومنها انه كان ولى جماعة من مماليكه عوضا عن مشايخ العربان فجاروا أيضا على الفلاحين وأخذوا منهم غير العادة أضعافا وكذلك الكشاف يقرر عليهم الاموال فيجوروا أيضا على البلاد ويأخذوا المال أمثالا فى يوم متذ تلاشى أمر البلاد وانحط خراج المقطعين جدا ومنها أنه أحدث مكسا على بيع الغلال وجعل على كل اردب نصف فضة خارجا عن ثمنه لمن يشترى أو يبيع وقد تزايد الامر بعده فى ذلك حتى صار على كل اردب نصفان وهو أول من أحدث تفرقة الجامكية بحضرته وضيق على الناس ولم يفعل ذلك أحد قبله من الملوك وكان مقدم المماليك وأحد رؤس النوب يتولى تفرقة الجامكية فى الايوان ولم يشعر السلطان بذلك فبطل ذلك واستمر من يومئذ تنفق بحضرة السلطان الى الآن ومنها انه فعل بجماعة من المباشرين وغيرهم الافعال الشنيعة منها شنق القاضى ابن المقسى وتوسيط مجد الدين ابن البقرى الاستادار وغير ذلك مما تقدم ذكره وقطع يد ابراهيم بن فرج بن صبر فى الجامكية وكان فى سن الشيخوخة وعاش بعد ذلك مدة طويلة وهو أقطع وقد رتب له السلطان ما يكفيه الى أن مات وهو أول من أحدث برددارية السلطان ولم تكن هذه الوظيفة قبل ذلك تعرف فصارت زيادة مظلمة أخرى ومن محاسن الاشرف قايتباى رحمة الله عليه انه كان فيه شهامة وتحصيل فى المال [illegible] وهذه من أجل المحاسن [illegible] أكثر من مساوئه وكان [illegible] من السلاطين ولم يكن [illegible] ولكن كما يقال

ومن الذى ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وقال بعض الشعراء

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما * يرجى الفتى كيما يضر وينفع

انتهى ما أوردناه من أخبار الأشرف قايتباي رحمه الله تعالى وذلك على سبيل الاختصار
ولما مات ولي ابنه محمد

ذكر سلطنة الملك الناصر أبي السعادات ناصر الدين محمد ابن الملك الأشرف أبي النصر قايتباي المحمودي الظاهري

وهو الثاني والأربعون من ملوك الترك وأولادهم في العدد وهو السادس عشر من ملوك
الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية تقدم أنه بويع له بالسلطنة يوم السبت سادس عشري
ذي القعدة سنة إحدى وتسعمائة وقد تقدم أن قانصوه خمسمائة وكرتباي الأحمر والأمراء
الذين يلونهم لما هجموا على الأمير تمراز بباب السلسلة قبضوا عليه وقيد وأرسل إلى السجن
بثغر الإسكندرية فلما جرى ذلك وقع الاتفاق على سلطنة الناصر محمد ابن السلطان قايتباي
فأحضروا الخليفة والقضاة الأربعة وخلعوا الأشرف قايتباي من السلطنة وبايعوا ولده
من غير عهد له من أبيه ولقبوه بالملك الناصر وكني بأبي السعادات وكان تلقب بالمنصور أولا
ثم قرر لقبه بالناصر فلما انقضى أمر المبايعة أحضر إليه شعار الملك وهي الجبة السوداء وقد
فصلت على قدره ولفت له عمامة لطيفة مناسبة له وتقلد بالسيف الجمالي وقدمت إليه
فرس النوبة بالسرج الذهب والكنبوش وركب من سلم الحراقة وكانت مبايعته في الساعة
الرابعة من النهار والماضي من الشروق ثمانية وأربعون درجة والطالع بالميزان فلما
ركب تقدم قانصوه خمسمائة وحمل القبة والطير على رأسه وقد ترشح أمره لأن يلي الأتابكية
فركب السلطان والخليفة معه ومشى بين يديه الأمراء حتى طلع من باب سر القصر
الكبير وجلس على سرير الملك وقبل له الأمراء الأرض وضربت له البشائر بالقلعة
ونودي باسمه في القاهرة وارتفعت له الأصوات بالدعاء من الخاص والعام وفي حال جلوسه
على سرير الملك خلع على الخليفة ونزل إلى داره وخلع على قانصوه خمسمائة وقرره أميرا
كبيرا عوضا عن تمراز الشمسي وخلع على جان بلاط بن يشبك وقرره في الدوادارية
الكبرى عوضا عن اقبردي الدوادار وخلع على تاني بك الجمالي وصيره نظام الملك مضافا لما
بيده من إمرة سلاح وكان القائم في هذه الأمور وتدبيرها كرتباي الأحمر هذا كله جرى
والأشرف قايتباي في النزع لم يشعر بما وقع من هذه الأمور ولو كان واعيا لما مكن
الأمراء أن يسلطنوا ولده ولا كان هذا قصده وكان الملك الناصر لما ولي الملك له من
العمر نحو أربع عشرة سنة وأشهر وقد قارب البلوغ وكان مولده سنة سبع وثمانين

وثمانمائة وكانت أمه جركسية تسمى أصلباى من مشترى الاشرف قايتباى وكان الملك الناصر محمد هذا جليل الهيئة مليح الشكل وعنده عترسة وجراءة فى الامور متصر كافى نفسه وعنده رهج وخفة ومما مدح به قول القائل

ان العناصر فى سلطاننا اجتمعت * شمائل جرت من حسين مولده
فقد ناسب النار عزما والهوى خلقا * والبحر جودا وملك الارض فى يده

ولما كان يوم الاحد سابع عشرى هذا الشهر كانت وفاة الملك الاشرف قايتباى رحمة الله عليه توفى بعد العصر من ذلك اليوم وبات بالقلعة فطافت المنادية بالقاهرة وهم يقولون يصلى غدا باكر النهار على العبد الفقير الى الله تعالى الملك الاشرف قايتباى رحمه الله فتأسف عليه الكثير من الناس فلما كان يوم الاثنين ثامن عشريه وهو اليوم الثالث من سلطنة ولده شرع الامراء فى تجهيزه واخرجوه فغسل فى البيت الذى مات فيه وأخرج نعشه قدام الدكة التى بالحوش وصلى عليه هناك ونزلوا به من سلم المدرج ومشت قدامه الامراء والعسكر قاطبة وكانت جنازته مشهودة بخلاف من يموت من الملوك فتوجهوا به الى تربته التى أنشأها بالقرب من زاوية سيدى عبد الله المنوفى رحمه الله فدفن بها وانقضت مدته من الدنيا كأنها لم تكن وزال ملكه بعد أن حكم بالبلاد الشامية والبلاد المصرية تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر واحدا وعشرين يوما وهذه المدة لم تتفق لاحد من ملوك الترك قبله وقد قيل فى المعنى

ان الذى اغتر بالدنيا وزينتها * وظل فيها بحب المال مفتونا
أتت اليه المنايا وهى مسرعة * فاصبح الجسم تحت الترب مدفونا
قد فارق الاهل والاوطان وانقطعت * آماله وغدا فى القبر مرهونا
خلا باعماله ما كان من حسن * أومن قبيح به قد صار مقرونا

وفى ذى الحجة فرق السلطان الملك الناصر الضحايا على العادة للعسكر وفيه أنعم السلطان بتقادم ألوف على جماعة من الامراء منهم أزبك اليوسفى الظاهرى جقمق المعروف بقشق وكسباى الزيق ويشبك الجمى المعروف بقرو وقرقماس بن ولى الدين وفيه كتب المراسيم بحضور الامراء الذين كانوا أخرجوا الى النفى من حين كانت وقعة قانصوه خمسمائة واقبردى وكتب بحضور قانصوه الشامى الذى كان قرر فى نيابة حماه وقرر عوضه بنيابة حماه اركماس أحد المقدمين بدمشق وكتب بحضور قانصوه الالفى أيضا وبقية الامراء المنفيين وفيه ظهر تغرى بردى الاستادار وكان له مدة وهو مختف تزيد على أربع سنين وكان قد فر خوفا من السلطان قايتباى لما تحمد عليه مال له صورة وفيه جاءت الاخبار بقتل أحد بن بهادر نائب قلعة صفد وكان لا بأس به وقد قتله كرتباى أخو اقبردى الدوادار

وكان كرتباي يومئذ نائب صفد فخرجت المراسيم بقبضه على يد خاصكي يقال له الماس بن ولي الدين فلما تحقق كرتباي ذلك ضرب عنق الماس وأحمد بن بهادر نائب القلعة وخرج من مدينة صفد وفيه عينت نيابة صفد لبرديك الطويل عوضا عن كرتباي بحكم صرفه عنها وفيه قرر القاضي عبد القادر القصروي في نظر الجوالي وهذه أول وظائفه وفيه عظم أمر الاتابكي قانصوه خمسمائة الى الغاية حتى انه لم يصل مع السلطان صلاة عيد النحر ولا صلاة الجمعة ثم أمر باخراج مماليك اقبردي الدوادار الى أماكن شتى من البلاد وكان قد تخوف منهم وفيه توفي الشيخ الصالح المعتقد سيدي علي الغزال وكان مقيما بخانقاه سرياقوس وفيه فرق الملك الناصر جملة أقاطيع كانت في الذخيرة من أيام الاشرف قايتباي وكانت نحوا من ألف اقطاع ففرقت على المماليك جميعا ما بين أقاطيع ورزق وغير ذلك وفيه قرر سيباي بلاط الغوري في نيابة القلعة عوضا عن ايدكي وفيه قرر طراباي الشريفي أمير اخور رابع عوضا عن تغري بردي يونس السيفي الدوادار بحكم انتقاله الى امرية الاخورية الثالثة وفيه قرر السيد الشريف عبد الرحيم الحموي في كتابة سر دمشق عوضا عن محب الدين الاسلمي فأقام بها مدة وعزل عنها وتوجه الى ابن عثمان فأكرمه وفيه قرر بخشباي في تقدمة ألف بدمشق ثم تولى نيابة حماه فيما بعد وفيه قرر كرتباي الاحمر في الوزارة والاستادارية وكاشف الكشاف مضافا لما بيده من تقدمة ألف وصار صاحب الحل والعقد في تلك الايام فأظهر أشياء كثيرة من أنواع العدل منها أنه أبطل وظيفة نظر الاوقاف ونودي بذلك في القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء وأبطل عدة مكوس ومظالم وحجر على البردارية والرسل والنقباء أن لا يأخذوا من الاخصام أكثر من نصف فضة وأن أحدا منهم لا يقدر على أحد منهما ولو دام كرتباي عصر لحصل للناس بذلك خير وفيه قبض على القاضي أبي المنصور صاحب ديوان اقبردي الدوادار فتسلمه الامير سيباي بلاط الدوادار وضربه ضربا مبرحا وقرر عليه مالا له صورة وفيه خلع على الامير اقباي الطويل نائب غزة واستمر على نيابته بغزة وكان أشيع عزله لانه كان من عصبة اقبردي الدوادار فلما أراد أن يتوجه الى غزة أخذ معه اقبردي الدوادار في الخفية فلما بلغ قانصوه وكرتباي الاحمر أن اقبردي الدوادار خرج صحبة اقباي الطويل بعثا اليه والى الشرطة الى الخانقاه ففتشوا حوله حتى الحوايج خاناه وستر الله تعالى على اقبردي حتى خرج من القاهرة ولم يظفر به أحد وهذا كان سبب خروج اقبردي من مصر وتوجهه الى غزة وكبسوا بسببه في ذلك اليوم عدة أماكن ودور بالخانقاه حتى هجموا هناك الجوامع والزوايا وحصل الضرر الشامل بسبب ذلك للناس وقيل انه لما خرج من الخانقاه نشوا سنيح الامير اقباي الطويل أيضا وكان قد اختفى اقبردي في الدست الكبير الزخية لما حملوها على الجمل فستر الله عليه وفيه نزل السلطان الملك الناصر من القلعة وتوجه الى القرافة فزار وعاد الى

القلعة وهذا أول ركوبه في حال السلطنة وفيه حضر الامير خشكلدي البيسقي وكان مقيما بدمشق من أيام الاشرف قايتباي رحمه الله تعالى فلما حضر أكرمه السلطان وكان من أمره ما سنذكره في موضعه وفيه كثرت الاشاعات بوقوع فتنة فبادر الاتابكي قانصوه وقبض على جماعة من طائفة الاينالية نحو ستة عشر نفرا وأخرج جوامع نقيب الجيش شيأ فشيأ ووجهوا نحو البلاد فكان منهم بردبك المحمدي وبرقوق ودولات باي بن عيسى وآخرون وفيه قوي الفحص والتفتيش على اقبردي الدوادار وهجموا بسببه عدة دور فلم يجدوه ولم يعلموا أنه خرج صحبة أقباي نائب غزة

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعمائة) فيها في المحرم كان خليفة الوقت يومئذ الامام المتوكل على الله عبد العزيز العباسي وكان سلطان العصر يومئذ الناصر أبو السعادات محمد ابن الاشرف قايتباي والقضاة الاربعة على الحكم الاول كما تقدم وكان الاتابكي قانصوه خمسمائة وتطام الملك تاني بك الجمالي الظاهري والدوادار الكبير جان بلاط بن يشبك والاستادار كرتباي الاحمر وفيه خرج اصطمر بن ولي الدين ومعه عدة من الجند بسبب القبض على أمير الحاج تاني بك قرا الاينالي فلاقاه من بحرود فقيده وبعث به من هناك الى ثغر الاسكندرية فسجن بهامع تمراز أمير كبير كان وفيه جاءت الاخبار بقتل عساف الحبشي نائب صيدا وبيروت وكان من مشاهير الرؤساء وله شهرة زائدة بتلك البلاد وفيه كانت نفقة البيعة على الجند فأنفق على الجند على العادة ولكن لم يعط مائة دينار كاملة لغير القايتباهية وأعطى من دون ذلك لكل واحد خمسون دينارا وأنفق على أولاد الناس ثلاثين دينارا وفيه أحضر السلطان المصحف العثماني وحلف عليه سائر الامراء والعسكر ولم يطلع الاتابكي قانصوه خمسمائة ولا حلف ولكن طلع بعد أيام وحلف أيمانا غير صادقة كما يقال في المعنى

شان اليمين وعهد الود قد فسخا ❊ ولا ترى قط صدقا خالصا ناسخا

وفيه قرر دولات باي بن اركماس الساقي في نيابة البيرة وخرج اليها عن قريب ودولات باي هذا هو الذي تولى الاتابكية بمصر وفيه قبض كرتباي الاحمر على شمس الدين الفرنوي امام اقبردي الدوادار وعاقبه أشد العقوبة وتسلم أيضا المصور وعاقبه أشد العقوبة وجرى لهما أمور يطول شرحها وما خلصا الا بعد جهد كبير وكان السلطان له عناية في الباطن بجماعة اقبردي الدوادار وفيه قبض كرتباي الاحمر على جماعة من الامراء العشراوات ممن كان من عصبة اقبردي الدوادار منهم اسنباي الابراهيمي المعروف بالاصم وبرسباي السلحدار وجاني بك بن ازدمر المعروف بالصغير وبخشاي بن عبد الكريم وطقطباي ابن بردبك الدوادار ومن الخاصكية تمراز بحوش واينال السلحدار وقانصوه الساقي وأبو يزيد

الصغير وآخرون غيرهم ولم يكن ذلك باختيار السلطان وفيه توفى الشيخ حمزة بن محمد
ابن حسن بن على بن عبد الحليم المغربى الحيساوى المالكى وكان عالما فاضلا مقيما
بالخانقاه الشيخونية وكان لا بأس به وفيه رسم السلطان للخليفة بأن يطلع الى القلعة ليسكن
فيها كما كان ساكنا من قبل وكان السلطان قايتباى رسم له بأن ينزل ويسكن
بالمدينة عندما حرق حاصل الخيام كما تقدم وفيه من الحوادث أن السلطان ضرب
امرأة بين يديه بالمقارع وشهرت على حمارة وفى عنقها زنجير وهذا لم يعهد قط فلما طاش
الملك الناصر وخف وكل كرتباى الاحمر أربعة من الخاصكية يمنعونه من اللعب مع أولاد
العوام ومن كل تصرف فى شئ وصار تانى بك الجمالى نظام الملك يبيت عنده كل ليلة بالقلعة
ومع ذلك ما ارعوى وما حصل من هذا طائل وزاد فى الطيشان حتى خرج فى ذلك عن الحد
وكان منه ما سنذكره فى موضعه وفيه دخل الحاج الى القاهرة وقد نفى تانى بك قرا من مجرود
فلما دخل المحمل طلبه السلطان عنده بالقلعة ليراه ولم يكن رآه قط قبل ذلك وفيه أنعم
السلطان بتقدمة تانى بك قرا على قيت الرجبى وفيه ان من جملة طيشان الملك الناصر أنه
خرج لصلاة الجمعة وهو بغير كلوته بل بتخفيفة صغيرة فشق ذلك على الامراء وعابوا عليه
هذا الفعل وفى صفر خلع السلطان على قانصوه الشامى الذى كان نائب حماه وقرره فى
الرأس نوبة الكبرى عوضا عن تانى بك قرا السابق أمير مجلس ونفى الى الاسكندرية وفيه قرر
فى مشيخة تربة الامير يشبك بن مهدى الدوادار الكبير كان الشيخ أبو النجا القوى الواعظ
وكان من أهل الفضل وفيه من الحوادث ان الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز عهد
للشيخ جلال الدين الاسيوطى بوظيفة لم يسمع بمثلها قط وهو أنه جعله على جميع القضاة قاضيا
كبيرا يولى منهم من يشاء و يعزل منهم من يشاء مطلقا فى سائر ممالك الاسلام وهذه الوظيفة
لم يلها قط سوى القاضى تاج الدين ابن بنت الاعز فى دولة بنى أيوب فلما بلغ القضاة ذلك شق
عليهم واستخفوا عقل الخليفة فى ذلك وقالوا ليس للخليفة مع وجود السلطان حل ولا ربط
ولا ولاية ولا عزل ولكن الخليفة استخف بالسلطان لكونه صغيرا فلما قامت الدائرة
والالسنة على الخليفة رجع عن ذلك وقال ايش كنت أنا الشيخ جلال الدين هو الذى حسن
لى ذلك وقال لى هذه كانت وظيفة قديمة وكان الخلفاء يولونها من يختارونه من العلماء ثم
أشهدوا على الخليفة بالرجوع عن ذلك وبعث أخذ العهد الذى كان كتبه للشيخ جلال
الدين الاسيوطى وكادت أن تكون فتنة كبيرة بسبب ذلك ووقعت أمور يطول شرحها
ثم سكن الحال بعد مدة وفيه أشيع أن الاتابكى أزبك قد حضر من مكة فى الخفية
فاضطربت أحوال المماليك الجلبان وكادوا أن يثيروا فتنة ولم يكن لتلك الاشاعة صحة
وفيه عزل الشهابى أحمد ناظر الخاص وولى القاضى محيى الدين عبد القادر القصروى

وكان الساعى له فى ذلك جان بلاط الدوادار وكان من أخصائه وفيها بشد الامراء المقدمون فى لبس الخفافيف التى بالقرون الطوال وقد خرجوا فى ذلك عن الحد وفى هذه الواقعة يقول بعض الشعراء

يقول أمـيرنا لما تبدى * أنا فى الحرب ذوالقرنين دعنى
أنا كبش وأعدائى نعاج * اذا برزوا فانطحها بقرنى

وفيه خلع السلطان على قانصوه الالفى وقرره أمير آخور كبير عوضا عن شاد بك الجوخ بحكم انتقاله وفيه أنعم السلطان على دولات باى القصاص بتقدمة ألف وصار من جملة المقدمين وفيه خلع السلطان على بخشباى وقرره فى نيابة قلعة دمشق بعدما كانت بيد غيره وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها وفيه جاءت الاخبار بوفاة كرتباى نائب البيرة وكان قصد الحضور الى مصر فمات بحلب وفى ربيع الاول خلع السلطان على الناصرى محمد بن الشهاب أحمد بن العينى وقرره فى نظر الجوالى عوضا عن عبد القادر القصروى وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وهذا أول موالده فلما جلس بين الامراء اعتراه النعاس حتى رش الماء على وجهه كى يستفيق وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى تربة والده فزار قبره ثم توجه من هناك الى قبة الامير يشبك الدوادار التى بالمطرية ثم عاد الى القلعة وشق من القاهرة فى موكب حافل وفيه خلع السلطان على كرتباى ابن عمة السلطان وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وفيه قرر قانصوه الدوادار يشبك فى امرية ميسرة بحلب ثم جرى عليه بعد ذلك أمور شتى وفيه قرر قصروه فى نيابة الكرك كما كان أولا وفيه قرر طومان باى الخازندار فى نيابة الاسكندرية فأقام بها مدة يسيرة ثم عاد الى القاهرة وطومان باى هذا هو الذى تسلطن فيما بعد وتلقب بالعادل وفيه حضر الى القاهرة قانى باى الرماح وكان أتابكا بحلب وصرف عنها وفى ربيع الآخر سافر سيباى الدوادار الثانى الى جهة غزة بسبب اقبردى الدوادار وقد ثبت أنه عند اقباى نائب غزة ثم جاءت الاخبار بأن اقبردى الدوادار خرج من غزة هو واقباى نائب غزة وتوجها الى البلاد الشامية فتأثر الامراء لذلك وضربوا مشورة فى أمره فوقع الاتفاق على أن يكتبوا له بأمان من السلطان والامراء فكتبوا له أمانا وأرسلوه له وكل هذا عين الخداع وفيه قرر محمد بن أبى يزيد فى نظر البيمارستان المنصورى وكان قد عظم أمره فى تلك الايام جدا وفيه جاءت الاخبار بوفاة قانصوه نائب قلعة الروم وكان لا بأس به وفى جمادى الاولى نزل السلطان من القلعة وتوجه الى قبة يشبك الدوادار التى فى المطرية وبات بها ثم طلع الى القلعة وشق من القاهرة وزينت له وكان يوما مشهودا وفيه ترايدت الاشاعات بوقوع فتنة كبيرة ونقل الناس أمتعتهم من الدور فلما كثر الكلام فى ذلك أحضر السلطان المصحف العثمانى وطلع به الى

القلعة وحلف عليه الأمراء والجند بأن يكونوا كلمة واحدة ويكونوا عباد الله اخوانا وأن الامراء الذين هم من عصبة الأمير أقبردى الدوادار يظهرون ويكونون واياهم شيأ واحدا فوافق الاتابكى قانصوه خمسمائة على ذلك وكذلك كرتباى الاحمر وبقية الامراء فلما جرى ذلك نادى السلطان فى القاهرة بأن الغياب الذين من عصبة اقبردى يظهرون ولهم الأمان من السلطان فعند ذلك ظهر شادبك الجلوخ الذى كان أمير اخور كبير واينال الخسيف الذى كان حاجب الحجاب وقانم قريب السلطان أحد المقدمين بمصر وجانم مصبغة فلما ظهروا وطلعوا الى القلعة خلع عليهم السلطان كوامل بسمور وذلك فى يوم الثلاثاء سابع عشرى الشهر المذكور ثم رسم لهم السلطان بأن يتوجهوا الى دار الاتابكى قانصوه خمسمائة التى بقناطر السباع ويقبلوا يده فتوجهوا الى هناك وقبلوا يد الاتابكى قانصوه خمسمائة و رجعوا الى بيوتهم فلما كان آخر النهار من ذلك اليوم أرسل الاتابكى قانصوه خلفهم وزعم أنه يضيفهم ويعدلهم مدة فحضر اليه شادبك الجلوخ واينال الخسيف وقانم قريب السلطان ولم يحضر صحبتهم جانم مصبغة وكان صاحب الرأى فى عدم حضوره فلما اجتمعوا عند الاتابكى قانصوه طاولهم بالكلام ثم أحضر لهم سفرة الشراب فشربوا ولم يجلس معهم شادبك ثم قفلوا بينهم باب العتاب واستمروا على ذلك حتى نصف الليل فلم يشعروا الا وقد دخل عليهم مصرباى الثور والى القاهرة فقبض على الثلاثة وتوجه بهم الى نحو الجزيرة الوسطى فقيل انه أغرقهم هناك وكان هذا آخر العهد بهم كما قيل فى المعنى

لما رأيت الغدر منهم بدا * والبغض من أعينهم لى يلوح
فقلت للقلب ارتجع عنهم * ماقصدهم منك سوى أخذ روح

فلما كان يوم الثلاثاء ليلة الاربعاء ثامن عشريه صلى الاتابكى قانصوه العشاء وركب بمن معه من الامراء والعسكر وهجم وملك باب السلسلة وكان قانصوه الألفى أمير اخور كبير فما أحوجه بدق باب السلسلة ولا ينتظر الجواب فلما كان يوم الاربعاء صبيحة تلك الليلة جلس الاتابكى قانصوه خمسمائة فى الحراقة التى بباب السلسلة وأرسل خلف أمير المؤمنين المتوكل على الله عبد العزيز فحضر وحضر القضاة الاربعة واجتمع عنده أربعة عشر مقدم ألف والعسكر قاطبة من الامراء والجند فلما تكامل المجلس مشوا مع الخليفة فى خلع الملك الناصر وتولية قانصوه خمسمائة فخلع الناصر من السلطنة بصورة شرعية وكتب بذلك محضر وشهد فيه جماعة كثيرة وبويع قانصوه خمسمائة بالسلطنة وتلقب بالاشرف أبى النصر على لقب استاذه الاشرف قايتباى فلما تمت بيعته قبل له الامراء الارض والعسكر قاطبة ونودى له فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء من الخاص والعام وخلع على شخص يسمى جانم أغا قانصوه الالفى وجعلوا الى القاهرة وكان

قانصوه خمسمائة تحبا الناس قاطبة بخلاف اقبردى فلم يبق سوى أن يفاض عليه
شعار الملك و يركب فرس النوبة و يحمل على رأسه القبة والطير و يصعد الى القلعة و يجلس
على سرير الملك وقع عند ذلك العجائب والغرائب كما يقال فى المعنى

ستقضى لنا الايام غير التى قضت * و يحدث من بعد الامور أمور

ثم ان قانصوه خمسمائة بعث بعض الامراء الى القلعة بأن يقبض على الملك الناصر و يدخله
الى قاعة البحرة فتعصب له جماعة من مماليك أبيه الذين كانوا بالطباق و بعد ارتسمو كتابيه
وكانوا نحوا من ألف مملوك وكان رأس الجلبان قانصوه خال الملك الناصر فمنعوه من دخول
قاعة البحرة ومن اعطائه الترس والنمجاة ولم يكن عند الناصر أحد من الامراء فقام قانصوه
فى محاربة قانصوه خمسمائة أشد القيام وقاتل هو والجلبان قتال الموت فملكوا فى ذلك اليوم
رأس الصوة و سلم المدرج والطبلخاناه و صعد قانصوه خال السلطان الى الزردخاناه ففتحها
وأخرج منها زرديات وخوذا وقسيا ونشابا وفرقها على المماليك الجلبان وكان البدرى
حسن بن الطولونى نائبا بالقلعة فأحضر الضاربين والجارين فعملوا أشياء من الطوارق
والمدافع وكان عند الملك الناصر عدة وافرة من العبيد رماة ما بين بندق رصاص ونفطيه
فحاصروا قانصوه خمسمائة وهو بباب السلسلة أشد المحاصرة ثم ان كرتباى الاحمر توجه
خلف القلعة ونصب مكحلة على الجبل المقطم تجاه القلعة و رمى بها على الحوش السلطانى
فلم يفد ذلك شيأ ثم ان قانصوه خمسمائة نادى فى القاهرة بأن أولاد الناس النفطية تطلع
الى باب السلسلة و يبيتون بها فلم يطلع اليه أحد منهم فاستمر قانصوه فى المحاصرة وهو مقيم
بباب السلسلة والخليفة والقضاة الاربعة والامراء عنده واستمر على ذلك يوم الاربعاء
والخميس فلما كان يوم الجمعة مستهل جمادى الآخرة وقع فى ذلك اليوم واقعة مهولة وقت
صلاة الجمعة وأحرق المماليك الذين بالقلعة سقيفة الاصطبل السلطانى بحراريق و بارود
رموه عليها فاحترق الاصطبل وصار المقعد الذى بباب السلسلة مكشوفا فخاف قانصوه
خمسمائة على نفسه أن يرموا عليه شيأ من فوق وكانت سقيفة الاصطبل تمنع الرمى عن
المقعد الذى بباب السلسلة فلما رأى قانصوه خمسمائة عين الغلب ركب و نزل من باب
السلسلة و وقف عند سبيل المؤمنين فرمى عليه بعض الرماة بكفيه وقيل ببندقية فجاءت على
طرف أذنه بجوارا فسقط عن فرسه الى الارض وقد أغمى عليه وغاب عن الوجود فحمله
الغلمان على أعناقهم و بقى لباسه بشكته بأسا الناس و رأسه مكشوفة وعليها زنط أقرع فنزلوا
به من الصليبة وهو على هذه الهيئة فلما وصلوا به الى المدرسة الجاولية أركبوه على حمار وهو
مغمى عليه لا يدرى ما جرى له فلما وصلوا به الى درب الشمسى اختفى فى مكان هناك وكانت
هذه الواقعة من أعجب الوقائع كما قيل

و بين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

فلما انكسر قانصوه وخرج من باب السلسلة على أقبح حال نزل المماليك الجلبان من القلعة الى باب السلسلة ونهبوا كل ما فيه من سلاح وقماش وغير ذلك ونهبوا طشتخاناة الامراء والخليفة وخطفوا عمائم القضاة ونوابهم وما سلم الخليفة والقضاة من القتل الا السلامة وقتل فى هذه الحركة جماعة من الجند وقتل شخص من الامراء العشراوات يقال له كشبغا وكانت النصرة للملك الناصر على قانصوه خمسمائة على غير القياس بعد أن ملك باب السلسلة وبايعه الخليفة وتلقب بالأشرف واجتمع عنده سائر الامراء المقدمين من الظاهرية الجقمقية والقايتباهية وسائر العسكر من كبير وصغير وقبلوا له الارض قاطبة فاورث الخذلان وانتصر عليه الملك الناصر وكان قد استخف به لصغر سنه وقلة عصبته فكان كما قيل فى المعنى

ولا تحقرن صغيرا ما لك * وان كان فى ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

﴿وقال آخر﴾

لا تحقرن كيد الصغير فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب

﴿وقال آخر﴾

لا تحقرن صغيرا فى مخاصمة * ان الذبابة تدمى مقلة الاسد

فلما كان يوم السبت مستهل جمادى الآخرة طلع الخليفة الى القلعة والقضاة الاربعة يهنئون السلطان بالشهر وبهذه النصرة التى حصلت له ثم ان الخليفة أعاد الناصر الى السلطنة وبايعه ثانيا وكان خلع من السلطنة وأقام ثلاثة أيام الى أن عاد اليها وقيل ان الملك الناصر رشد فى ذلك اليوم وثبت رشده وأباحوا له التصرف فى المملكة بما يختار ثم انه خلع على الخليفة ونزل الى داره وضربت البشائر بالقلعة وتخلق جماعة السلطان بالزعفران وفرق على الخاصكية سلاريات حرير أصفر بسنجاب وتوشحوا بالبنود الحرير الاصفر وفى ذلك اليوم رسم السلطان بالافراج عن الاتابكى تمراز الشمسى وتانى بك فتوجهوا بالمراسيم الى ثغر الاسكندرية الى مغلباى الشريفى وهو الآن الزردكاشى الكبير وكتب السلطان أيضا مراسيم الى اقبردى الدوادار بالحضور وتوجه اليه جانى باى وفى ذلك اليوم خلع السلطان على اينال السلحدار وقرره فى ولاية القاهرة عوضا عن مصرباى الثور بحكم اختفائه وصرف نظر الجيش عن عبد القادر القصروى وأعيد اليها الشهابى أحمد بن ناظر الخاص يوسف وقرر البدرى محمد بن كمال الدين ناظر الجيش فى نظر الجوالى عوضا عن الناصرى محمد بن العينى بحكم صرفه عنها وقرر شمس الدين القرنوى فى نظر الاحباس عوضا عن محمد بن مزاحم الطرابلسى وعين الأمير سودون العجمى فى نيابة الاسكندرية عوضا

عن قانى بردى البهلوان وأرسل بالقبض عليه فلما جرى ذلك وقع النهب فى بيوت الامراء
الذين اختفوا لما انكسر قانصوه خمسمائة وأقامت القاهرة نحوا من أربع عشرة ليلة لم يدق
فيها طبلخانات بموجب اختفائهم واضطربت الاحوال وفى هذه المدة كانت القلعة شاغرة لم
يقم بها خدمة ولا يصعد اليها أمير والاشاعات كل ليلة قائمة بوقوع فتنة وكثر القال والقيل
فى ذلك وامتنع الناس من السفر الى الشرقية والغربية لتزايد فساد العربان فى الطرقات
والقاهرة مائجة باهلها يترقبون وقوع فتنة كبيرة وفيه من الوقائع أنه لما انكسر قانصوه
خمسمائة توجه فى ذلك اليوم قانصوه الشامى ومصرباى والى القاهرة خرجا على جرائد
الخيل الى بر الجيزة وتوجها من هناك الى ثغر الاسكندرية ليقتلا الاتابكى تمراز وتانى بك قرا
وكانا بالسجن بالاسكندرية كما تقدم وكان قانى بردى البهلوان أخو قانصوه خمسمائة يومئذ
نائب الاسكندرية فلم يشكا بأن نائب الاسكندرية يمكنهما من قتل الاتابكى تمراز وتانى بك
قرا وكان تدبيرهما فى يد غيرهما فبينما هما فى أثناء الطريق اذ خرج عليهما جماعة من العربان
فى تروجة قصار بامعهم فانكسرا وقبضت عليهما العربان فقتل مصرباى الثور وحزت
رأسه وعلقت على باب الاسكندرية وأما قانصوه الشامى فقبضوا عليه وأحضروه الى
الاسكندرية فسجن بالبرج الذى كان فيه الاتابكى تمراز والجزاء من جنس العمل وكانت مدة
سجن الاتابكى تمراز بالاسكندرية ستة أشهر وأياما وكذلك تانى بك قرا بعده بمدة يسيرة
وأخرجا من السجن معا وقد قيل

وكم من طالب يسعى لشئ * وفيه هلاكه لو كان يدرى

فأقام قانصوه الشامى أياما فى السجن بثغر الاسكندرية وفيه بعث السلطان مراسيم على
يد قانصوه دوادار الامير شادبك الجوخ الذى قتل بضرب عنق قانصوه الشامى فلما
وصلت المراسيم الى ثغر الاسكندرية أخرج قانصوه الشامى من برج الاسكندرية وتوجه
به الى آخر المدينة وضرب عنقه قيل وكان المشاعلى غائبا والذى ضرب عنقه كان صبى
المشاعلى وقيل انه ضربه ثلاث ضربات حتى أطاح رأسه وعذبه غاية التعذيب وذلك أن
قانصوه دوادار شادبيك الجوخ أخذ بثار أستاذه منه وعلقت رأسه على باب الاسكندرية
وهى مشهورة فكان أول من قتل من الامراء وكان شجاعا بطلا عارفا بأنواع الفروسية
وكان لا بأس به وفى أثنائه وصل الاتابكى تمراز وتانى بك قرا فخرج الناس الى
ملتقاهم وطلعا الى القلعة فى موكب حافل وعليهما الملاليط الطرح فلما قابلا السلطان
خلع عليهما ثم أعاد تمراز الى الاتابكية عوضا عن قانصوه خمسمائة وخلع على تانى بك قرا
وقرره فى امرية مجلس عوضا عن أزبك اليوسفى المعروف بالخازندار وأنعم على قانى بك
المعروف بنائب الاسكندرية وقرره من جملة المقدمين الالوف وقرر تنكلدى فى

استادارية الصحبة وعزل اينال السلحدار عن ولاية القاهرة وقرر بها قانصوه الفاجر عوضا عن اينال وفيه أنعم السلطان على مصرباى الشريفى شاد الشراب خاناه بتقدمة ألف وخلع على خاله المقر السيفى قانصوه بن قانصوه وقرره فى شادية الشراب خاناه وأنعم عليه بامرية طبلخاناه وهذا أول ظهوره بمصر واشتهاره وكان من جملة مماليك السلطان الجمدارية ولم يكن خاصكيا فخدمه السعد بجملة واحدة واستمر يرتقى الى أن بقى سلطانا كما سيأتى ذكره فى موضعه فلما بقى شاد الشراب خاناه اجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية وصار المرجع لارباب الوظائف من بابه وعولت الناس على أشغالها فى ديوانه فهذا كله يجرى وقانصوه خمسمائة من حين انكسر مختف والاشاعات قائمة بوقوع فتنة كبيرة وصار الناس على رؤسهم طيرة ثم أشيع بين الناس ان المماليك الذين من عصبة قانصوه خمسمائة يقصدون قتل الاتابكى تمراز وتانى بك قرا فرسم لهما السلطان بأن يطلعا الى القلعة ويقيما بها حتى يكون من الامر ما يكون فطلع الاتابكى تمراز وتانى بك قرا وأقاما فى الجامع الصغير الذى هو داخل الحوش السلطانى أياما فلما كان يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة ظهر الاشرف قانصوه خمسمائة من مكان فى درب المرسينة الذى عند قناطر السباع وكان قد أشيع بأنه قد خرج على وجهه من حين انهزم من الرملة فلما ظهر تسامع به من كان من عصبته وأتوا اليه أفواجا أفواجا فركب من هناك وتوجه الى الميدان الناصرى الذى عند البركة وعلى رأسه صنجق فلما تسامع به العسكر حضر عنده جماعة من الامراء ممن كان من عصبته واختفى يوم الهزيمة فحضر قانصوه الالفى وجان بلاط بن يشبك وماماى وقرقماس بن ولى الدين وقانصوه المحمدى وقيت الرحبى وكرتباى الاحمر وكسباى الشريفى ويشبك قرفهو ولاجين مقدم ألوف وحضر من الامراء الطبلخانات والعشراوات جماعة كثيرة فلما تكاثر هناك العسكر ضاق بهم الميدان فحسن ببال قانصوه خمسمائة أن يأخذ العسكر ويتوجه الى الازبكية فتوجه الى هناك ونزل بدار الاتابكى أزبك فلم يحضر اليه من العسكر الا القليل فتلاشى أمره وبان عليه الخذلان وهولا ينتبه لما هو فيه كما يقال فى الامثال

الموت فى طلب الثار * ولا الحياة فى العار

﴿وقال آخر﴾

خوضى فى الوغى عيشى لانى * رأيت العيش فى أرب النفوس

فبات تلك الليلة هناك فى الازبكية فلما أصبح يوم الاربعاء تسحب من كان عنده من العسكر ولم يبق عنده منهم لا قليل ولا كثير وتوجه الامير كرتباى الاحمر الى المطرية وخايج الزعفران لاجل أخذ الخيول فانها كانت فى الربيع وبلغ قانصوه خمسمائه أن المماليك الجلبان نازلة من الطبقات وهم مشاة وقد وصلوا الى رأس البندقانيين فلما تحقق ذلك طلب الفرس وركب هو ومن عنده من الامراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات نحو من

عشرين أمير الطواشى فيروز الزمام ومنهم قايتباى الاقرع الزردكاش وبرسباى الخسيف أمير اخور ثانى وقرقماس الشريفى المحتسب واسنباى المبشر وقراز الشيخ ودولات باى المصارع وازدمر الخازندار ودولات باى بركس وقرباى المحمدى كاشف الشرقية وسودون الدوادار وطومان باى أخو الامير جانم وآخرون من الامرا انفر بجوامن الازبكية بعد طلوع الشمس وهم على جرائد الخيل وتوجهوا نحو خانقاة سرياقوس بعد ان أخذوا خيول السلطان وغيره من الربيع وكان آخر العهد بهم وقد قتلوا أجمعين كما سيأتى ذكره فكانت هذه ثالث كسرة وقعت لقانصوه خمسمائة وكان أرشل معكوس الحركات فى سائر أفعاله لم يطب طبه وكان ذلك خذلانا من الله تعالى له وقد قيل فى المعنى

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

فان نال بالسعى المنى تم سعده * وان حالت الاقدار كان له العذر

فلما وصل المماليك الجلبان الى الازبكية وجدوا قانصوه قد تسحب منها وكان الاتابكى قرازبك مع جماعة من الجلبان من على باب الخرق وأتوا الى الازبكية والجماعة الثانية مع تانى بك قرا نزلوا وتوجهوا من البندقانيين من على قنطرة الموسكى وأتوا الى الازبكية من هناك فلم يجدوا بها أحدا فاحرقوا طبلخاناة الامير أزبك ونهبوا داره والربوع التى هناك ونهبوا قناديل الجامع والحصر التى به وكان هناك حواصل للاتابكى فيها خيام ونشاب فنهبوا ذلك جميعه ونهبوا دور سكان الازبكية فكان كما يقال

غيرى جنى وأنا المعذب فيكم * فكأننى سبابة المتندم

وفيه جاءت الاخبار بأن قانصوه خمسمائة لما خرج من الازبكية قصد التوجه الى غزة ليقتل اقبردى الدوادار ولكن فاته الشنب وكان مقيما عند اقباى نائب غزة وكان السلطان أرسل خلفه ليحضر الى القاهرة وكان يظن أن الوقت قد صفا له بكسرة قانصوه خمسمائة فقصد التوجه الى الديار المصرية فلما خرج من غزة ووصل الى خان يونس الذى هناك فلم يشعر الا وقد دهمته عساكر قانصوه خمسمائة ولم يكن عنده علم بذلك فاحاطوا به وكان بينهما واقعة قوية مهولة فانكسر اقبردى الدوادار ودخل الى خان يونس وأغلق عليه الباب فحاصره قانصوه خمسمائة أشد المحاصرة وأحرق باب الخان وأشرف أن يظفر به فلما رأى اقبردى عين الغلبة طلب من قانصوه خمسمائة الامان فلم يعطه الامان فبينما هو على ذلك وقد دنت الشمس للغروب واذا باقباى نائب غزة واينالباى نائب طرابلس وشيخ العرب ابن بقيعة ومعهم جماعة من العربان والعشير أتوا ليتوجهوا مع اقبردى الى القاهرة فوجدوه فى المحاصرة وهو فى خان يونس فكان كما يقال * فى أضيق الوقت يأتى الله بالفرج *

فكان بينهما واقعة لم يسمع بمثلها فلما حال بينهما الليل انكسر قانصوه خمسمائة ومن معه من الامراء والعسكر وهذه رابع كسرة وقعت لقانصوه خمسمائة فكان كما يقال

والنفس لا تنتهى عن نيل مرتبة • حتى تروم التى من دونها العطب

فكان أول من أسر من الامراء ماماى بن خداد فحزت رأسه بين يدى اقبردى ثم حزت رأس فيروز الزمام وحزت رأس سودون الدوادار وأما قانصوه خمسمائة فمن الناس من يقول انه قتل فى المعركة وحزت رأسه وأخذت فرسه والهيا كل التى كان حاملها ومن الناس من يقول انه لما انكسر وحال بينهما الليل ركب فرسه وكان مجروحا فقصبا بنفسه ولم يعلم له خبر والاصح أنه قتل وحزت رأسه وأحضرت بين يدى اقبردى ودخلت رأسه الى القاهرة وهى على رمح وصار الناس بعد ذلك يشكون فى قتله الى الآن ويزعمون أنه باق فى قيد الحياة الى الآن وهذا من الأمور المستحيلة وقد قضى الامر فى قتله فلما كان صبيحة يوم الواقعة صار اقبردى يقبض على الامراء الذين كانوا صحبة قانصوه خمسمائة فقبض عليهم من الغيطان التى هنالك والخانات فأمسك منهم قانصوه الالفى وكسباى الزينى ويشبك قر ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات زيادة عن عشرين ممن تقدم ذكرهم فلما قبض عليهم قيدهم وقبض على جماعة من الخاصكية ممن كان صحبة قانصوه خمسمائة واستمر وافى أسره حتى كان من أمرهم ما سنذكره فى موضعه هذا ما كان من أمر قانصوه خمسمائة واقبردى الدوادار وأما ما كان من أمر الملك الناصر بعد حركة قانصوه خمسمائة فانه صار مع مماليك أبيه فى الضنك وهو يهدد كل يوم بالقتل حتى امتنع من صلاة الجمعة وصار الاتابكى تمراز فى غاية المشقة وقد وعدبالقتل غير ما مرة وفيه فى يوم السبت تاسع عشريه وقعت قلقلة بين المماليك والامراء بالقلعة فقال المماليك للامراء غيروا لقب السلطان ولقبوه بالاشرف على لقب أبيه فطال الكلام فى ذلك فقالت الامراء كيف يكون هذا الامر بعد ما خرجت عدة مناشير ومربعات الى البلاد الشامية باسم الملك الناصر فكيف يغير لقبه بالملك الاشرف فقال المماليك لابد من ذلك وصمموا على قولهم فعند ذلك غير لقبه ونودى فى القاهرة بأن السلطان تغير لقبه وتلقب بالملك الاشرف فتعجب الناس من ذلك وصار الخطباء منهم من يخطب باسم الملك الناصر ومنهم من يخطب باسم الملك الاشرف وكان سبب تغيير لقب السلطان أنه أخرج خرجا من المماليك فصاروا يسمون الناصرية وعماليك أبيه يسمون الاشرفية فصارت المماليك الناصرية أرجح كفة من المماليك الاشرفية فما أطاقوا ذلك وقالوا لبسوا السلطان بالاشرف ونصير كلنا أشرفية فما زالوا الى ذلك حتى فعلوا وتقرب هذه الواقعة مما اتفق للملك الصالح أمير حاج ابن الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون الالفى أنه تسلطن أولا وتلقب بالملك الصالح الى ان خلعه الظاهر برقوق من السلطنة

وتسلطن عوضه فلما أعيد الى السلطنة ثانيا وخلع برقوق من السلطنة في فتنة يلبغا الناصري ومنطاش غير واقبه بعد مضي ثمانية أشهر ولقبوه بالملك المنصور وقد تقدم سبب ذلك وفيه كثر الاضطراب بالديار المصرية وامتنع الامراء من طلوع الخدمة وكثر بين الناس القال والقيل بأن المماليك يقصدون الهجوم على السلطان ويقتلونه فرسم السلطان بسد باب السلسلة وباب الميدان وباب الحوش الذي يلي العرب فسدوها بالحجر واستمروا على ذلك مدة طويلة فكان الناس يطلعون الى القلعة من باب المدرج فقط و يطلعون الى باب السلسلة من الباب الذي عند الصوة تحت الطبلخانات وفي رجب خلع السلطان على ابن سيف وقرره في امرية آل فضل عوضا عن أبيه وفيه رسم السلطان بنفي أزبك قشق الظاهري جقمق وفيه أنعم السلطان بتقادم ألوف على بردبك نائب جدة ومصرباى وقرقماس التنمي ولكن لم يتم له ذلك فيما بعد وقرر في نيابة غزة عوضا عن اقباى كما سيأتي الكلام عليه وفيه أنعم السلطان أيضا على قانى بك نائب الاسكندرية وصار من جملة المقدمين وقرر مغلباى البجمقدار في الخازندارية الكبرى وفيه هجم العسكر على سوق باب اللوق وأخذوا أموال التجار وقصوا عدة من الدكاكين وفعلوا مثل ذلك بسوق تحت الربع وكسروا منه عدة دكاكين وأخذوا ما فيها وفيه قبض الملك الناصر على القاضي كاتب السر بدر الدين ابن مزهر واودعه بالطشتخاناه التي بجوار الجمرة وقرر عليه أموالا لا يقدر عليها وهذه أول نكباته وقاسى من البهدلة والانكاد ما يطول شرحه واستمر بعد ذلك في النكبات وهي تترادف عليه شيأ بعد شيء حتى كان فيه هلاكه كما سيأتي ذكر ذلك وكان سبب ذلك أنه يوم مبايعة قانصوه خمسمائة كان هو المذبذب له وأظهر البشر والفرح في ذلك اليوم فصار له ذنب عند الملك الناصر بسبب ذلك ومن جملة ما قاساه أن الناصر لكمه على عينه فنفرت من مكانها وكادت أن تذهب وأقام أياما وعينه مرفودة وهو في التوكيل به أياما حتى أورد مالا له صورة مما قرر عليه وفيه رسم السلطان للاتابكي تمراز والامير تاني بك قرا بأن ينزلا الى دورهما وكانا بجامع القلعة من حين ركب قانصوه خمسمائة وانكسر كما تقدم ذكر ذلك وخلع عليهما ونزلا الى دورهما في غاية التعظيم وفيه جاءت الاخبار بنصرة أقبردى الدوادار على قانصوه خمسمائة فلما تحقق السلطان ذلك نادى في القاهرة بالزينة ودقت البشائر بالقلعة وفيه في يوم الخميس رابع رجب جاءت رؤس من قتل في المعركة على خان يونس كما تقدم ذكر ذلك فكان عدة الرؤس التي حضرت الى القاهرة أربعا وثلاثين رأسا وهي معلقة على رماح وينادي عليها هذا جزاء من يخامر و يعصى على السلطان وكان من جملة تلك الرؤس رأس ماماى بن خداداد أحد المقدمين وكان رئيسا حشما وافر العقل شجاعا بطلا وكان من خواص الاشرف قايتباى توجه قاصدا الى ابن عثمان غير مامرة وبولى من

الوظائف الدوادارية الثانية ثم بقي مقدم ألف وهو الذي جدد الدار المعظمة التي بين القصرين وصرف عليها جملة مال عظيم ومن جملة الرؤس رأس فيروز الطواشي الزمام فلم يرثه أحد من الناس ولا أثنى عليه خيرا وكان عنده خفة وطيش ومن الامراء العشراوات بخشباي بن عبد الكريم وتمرباي كاشف الشرقية وسودون الدوادار ومن الخاصكية عدة وافرة منهم قايتباي بن قيت الرحبي وخاير بك دوادار الاتابكي أزبك وأزبك اليري السيفي جاني بك نائب جدة وآخرون من الخاصكية المماليك السلطانية وكان آخر الرؤس الذي تسلطن وما كان أغناه عن هذه السلطنة فصنعوا له عيونا من زجاج حتى يعرف بها من بين الرؤس وكان قانصوه خمسمائة أميرا جليلا موصوفا بالشجاعة وافر العقل كثير الادب والحشمة ويقال كان أصله من مماليك الملك الظاهر خشقدم من كتابيته واشتراه الاشرف قايتباي وأعتقه فهو من عتقائه وولي من الوظائف الدوادارية الثانية والامير اخورية الكبرى ثم بقي أتابك العساكر بمصر ثم تسلطن وتلقب بالاشرف وأقام في السلطنة ثلاثة أيام وخرب بسببه عدة دور وقتلت جماعة كثيرة من الامراء وكان قانصوه خمسمائة ليس له سعد في حركاته وقتل وهو في عشر الخمسين فلما عرضوا تلك الرؤس شك أكثر الناس بان هذه ليس برأس قانصوه خمسمائة واستمروا على ذلك الى الآن والاصح أنها رأسه فأمر السلطان أن تعلق بباب زويلة وباب النصر واستمرت الكوسات تدق بالملة سبعة أيام وكذلك بيوت الامراء المقدمين ثم ان اقبردي الدوادار أرسل يشاور السلطان في أمر هؤلاء الامراء الذين أسروا بخان يونس فبرزت اليه المراسيم الشريفة بقتلهم أجمعين فلما وصل اقبردي الى الخطارة سلم هؤلاء الامراء الى شيخ العرب أحمد بن قاسم بن بقر فأتى بهم الى فاقوس وقتلهم أجمعين تحت جميزة كانت هنالك ثم رموهم ببئر كانت هنالك وانقضت أخبارهم وقيل ان الذي باشر قتلهم تاني بك أبو شامة وقتل تاني بك أبو شامة بعد مدة يسيرة كما سيأتي الكلام عليه ومثل ما تعمل شاة الحي في القرظ يعمل القرظ في جلدها فكان عدة من قتل هنالك من الامراء نحوا من خمسة عشر أميرا منهم مقدمو ألوف ثلاثة وهم قانصوه الالفي وكسباي الزيني ويشبك قرو وكان قانصوه الالفي من خواص الاشرف قايتباي وولي من الوظائف الدوادارية الثانية ثم بقي مقدم ألف ثم بقي أمير اخور وكسباي الزيني تولى حسبة القاهرة والدوادارية الثانية ثم بقي مقدم ألف ويشبك قرو تولى ولاية القاهرة ثم بقي مقدم ألف ومات بقية الامراء امشرمية حتى قيل ان العرب قطعوا أرجلهم بالمناشير حتى أخذوا منها القيود الحديد وألقوهم هنالك في بئر خراب وأما من قتل هنالك من الامراء الطبلخانات فالامير قايتباي الاقرع الزردكاش الكبير وبرسباي الخسيف أمير اخور ثاني وقرقماس الشريفي المحتسب واسنباي المبشر استادار الصحبة وتمرباي وتمراز الشمسي ودولات باي بن جركس

وازدمر الخازندار ودولات باى المصارع وآخرون من الامراء العشراوات وقد تقدم
القول على ذلك وكانت هذه الواقعة من أشنع الوقائع وأبشعها وكان قانصوه خمسمائة لما
تحصن من الازبكية وقصد التوجه الى غزة أخذ عدة خيول للسلطان وللناس كانت
فى المرابط على البرسيم فى زمن الربيع فحصل بسبب ذلك غاية الضرر وكانت تلك الايام كلها
اضطراب وفيه أرسل السلطان الملك الناصر يستحث اقبردى الدوادار على الدخول الى
القاهرة وكان ظن أن الوقت قد صفا له ولكن حدث بعد ذلك أمور يأتى الكلام عليها
وفيه خلع السلطان على جوهر المعينى وقرره فى الزمامية عوضا عن فيروز الرومى بحكم قتله
كما تقدم وقرر عبد اللطيف الرومى فى الخازندارية الكبرى عوضا عن فيروز أيضا وفيه أنعم
السلطان على قانى باى الرماح بتقدمة ألف وكان أمير عشرة وولى نيابة صهيون قبل ذلك
وفيه خلع السلطان على أبى يزيد الصغير وقرره فى باشية مكة المشرفة وكان ذلك باختياره
خوفا على نفسه من القتل والفتن وفيه من الحوادث أن مماليك الاتابكى تمراز قتلوا
شخصا من خواصه يقال له محمد البارنبالى وكان من وسائط السوء عند تمراز وكان
صاحب دواته ومباشره فما أطاق المماليك فعله فقتلوه وهو جالس بباب الاتابكى تمراز
وتعصب لهم بعض مماليك السلطان فلم يطلع من يد الاتابكى تمراز فى حقهم شئ وراح
القتيل فى كيس محمد البارنبالى وفيها ابتدأ الملك الناصر فى الطيش ومخالطة الاوباش
والاطراف وحملت اليه مركب صغيرة فجعلها فى البحرة ووضع بها حلوا وفاكهة وجبنا
مقليا وصار ينزل فى المركب بنفسه ويبيع كما يصنع الباعون فى المتفرجات وكان كل
ذلك خفة لصغر سنه ثم انه عرض المحابيس فاطلق منهم جماعة وأمر باتلاف سبعة أنفار من
المفسدين كانوا معهم فى السجن ثم أدخلهم الى الحوش الذى قدام باب قاعة البحرة فوسطهم
بيده وعلمه المشاعلى كيف يوسط ثم قطع أيديهم وآذانهم وألسنتهم بيده والمشاعلى
يعلمه كيف يصنع وهذا كله من أقبح الفعال التى لا تليق بالملوك ولكن قصد أن يمشى
على طريقة الملك الناصر فرج بن برقوق وهى أنحس طريقة وفى يوم الاحد رابع عشر
رجب كان دخول اقبردى الدوادار الى القاهرة فزينت له ودخل فى موكب حفل وطلب
طلبا عظيما وكان له يوم مشهود ودخل معه من الامراء اقباى نائب غزة واينال باى
نائب طرابلس وشيخ العرب ابراهيم بن بيبغا وجماعة من الامراء والخاصكية
ممن كان من عصبته وفر معه منهم بردبك المحمدى الخازندار الاينالى ردولات باى ومغلباى
عسل نحل وجانم الابرودفهو لاء من الاينالية وأما من كان من القايتباهية فهم
اسنباى الاصم وبرسباى السلحدار وجانى باك الصغير وآخرون وأحضر بصحبته جماعة
ممن كان قد تسمع قانصوه خمسمائة من الخاصكية والمماليك السلطانية ممن أسرهم وهم فى
جنازير حديد فقصد اقبردى أن يدخل بهم قدامه وهم فى جنازير وكانوا نحوا مائتى انسان

فتعصب

فتعصب لهم خشداشينهم وقالوا متى فعل ذلك قتلناه فرجع عن ذلك وكان أحضر معه رأس
قانصوه الالفى وكسباى الزينى و يشبك قر الذين قتلوا فى النطارة وقصد أن يشهرهم
على الرماح قدامه لما يدخل الى القاهرة فلم يجسر يفعل ذلك ولكن عرضهم على السلطان
فيما بعد فى الخفية ولم يشعر بهم أحد فلما شق القاهرة وطلع الى القلعة خلع السلطان عليه
وعلى من جاء صحبته من الامراء وعلى شيخ العرب بن نبيعة ونزلوا الى دورهم ثم ان الملك
الناصر قصد أن يفتك بالمماليك الذين حضر وا صحبة اقبردى ممن أسر على خان يونس
فما جسر على ذلك وخشى من وقوع فتنة فلم يسعه الا أنه عفا عنهم وأنفق على كل واحد منهم
عشرة دنانير وأطلقهم وخمدت فتنة قانصوه خمسمائة وفيه عمل السلطان الموكب وحضر
الاتابكى تمراز وتانى بك قرا أمير مجلس وأقبردى الدوادار ثم أحضر المصحف العثمانى الى
القلعة فحلف عليه الاتابكى تمراز وتانى بك قرا واقبردى الدوادار ولم يكن حلفهم قبل اليوم
بانهم لا يخامروا ولا يعصوا ولا يركبوا على السلطان فحلفوا على ذلك ثم انه خلع على اقبردى
الدوادار وقرره فى امرية سلاح عوضا عن تانى بك الجمالى بحكم أنه اختفى وقرره أيضا فى
الدوادارية الكبرى عوضا عن جان بلاط بن يشبك بحكم اختفائه وقرره أيضا فى الوزارة
والاستادارية الكبرى وكاشف الكشاف عوضا عن كرتباى الاحمر بحكم اختفائه أيضا
فصار كما كان يشبك بن مهدى وكان تمام سعد اقبردى فأقام على ذلك مدة يسيرة نحوا من
شهرين وكان من أمره ما سنذكره فى موضعه وفيه قرر كرتباى أمير اخور كبير عوضا عن
قانصوه الالفى بحكم قتله وفيه خلع السلطان على اقباى نائب غزة وقرره فى رأس نوبة
الكبرى عوضا عن قانصوه الشامى بحكم قتله بالاسكندرية وأنعم على جانم الاجرود كاشف
منفلوط بتقدمة ألف وأنعم على بردبك المحمدى بتقدمة ألف وأنعم على كرتباى أخو اقبردى
بتقدمة ألف وقرر اينال باى نائب طرابلس على حاله فأقام فى القاهرة أياما ورجع الى
طرابلس على عادته وفيه رسم السلطان لكاتب السر وناظر الجيش أن لا يخرجوا مراسيم
سلطانية ولا مربعات ولا مناشير الا بختم من وراء العلامة السلطانية وأن يكتبوا أيضا وراء
العلامة مما تضمنه ذلك المرسوم وفيه قويت الاشاعات بوقوع فتنة وأخذ السلطان فى
تحصين القلعة ونقل اليها أشياء كثيرة من الدقيق والبقسماط والاحطاب والماء والعليق
وغير ذلك وكانت الاحوال فى غاية الاضطراب وظهر غالب من كان اختفى من عصبة قانصوه
خمسمائة وانضموا الى قانصوه خال السلطان والتفوا عليه بغضا فى اقبردى الدوادار وقد
تلاشى أمره لما عاد فى هذه المرة وصار مهددا بالقتل فى كل ليلة ولم تنفذ له كلمة كما يقال

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكيفما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

فكان زوال اقبردى عن قريب وفى شعبان أنعم السلطان بامرية عشرة على قراكز البهلوان
وهى امرية قايتباى الشرفى الذى قتل بغزة وفيه حضر الى الابواب الشريفة برديك
الطويل نائب صفد فلم يأذن له السلطان بالاجتماع به ومنع من الطلوع الى القلعة عند
حضوره وقاسى من أقبردى الدوادار غاية البهدلة وفيه أمر السلطان بان تقطع الحيات التى
تصنع فى البيمارستان بحضرته حتى يتفرج عليها فاحضروها بين يديه بقاعة البحرة
فقطعت بحضرته وهو ينظر اليها وخلع على رئيس الطب شمس الدين القوصونى وولده
والمناوى الذى أحضر الحيات وآخرين منهم وفيه أنعم السلطان على طومان باى الخاصكى
بالطبلخانات يعنى امرية عشرة وكان قد قدم من البلاد الشامية وطومان باى هذا هو
الذى تسلطن فيما بعد وتلقب بالملك العادل وكان بين امرية العشرة وسلطنته دون الاربع
سنين وفيه هجم المنسر على سوق أمير الجيوش وأخذوا منه أشياء كثيرة من عدة دكاكين
وقتلوا الغفير وراحت على أصحابها وفيه خلع السلطان على جام المصبغة وقرر فى مجوبية
الحجاب عوضا عن اينال الخسيف وفيه رسم السلطان بشنق عبد القادر صبى القصديرى
وفيه جاءت الاخبار من دمشق بقتل شمس الدين بن بدر الدين حسن بن المزلق الدمشقى مات
مذبوحا بدمشق وهو فى داره وكان متولى قضاء الشافعية بدمشق وفيه جاءت الاخبار بوفاة
رستم صاحب العراقين وديار بكر وكان لا بأس به وفيه ثارت فتنة من المماليك الجلبان
على السلطان وطلبوا منه نفقة بسبب هذه النصرة التى وقعت له فأنفق عليهم بعدما كانت
فتنة كبيرة بسبب ذلك فبلغت هذه النفقة نحوا من خمسمائة ألف دينار وصودر فيها جماعة
كثيرة من المباشرين وغيرهم وفيه صار السلطان يخرج اقطاعات الناس والرزق بل
والاملاك ويفرقها على مماليكه الجلبان وحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك وفيه قرر
السلطان قراز جوشن أمير اخور ثانى وقرر قصروه فى نيابة القلعة وفيه قبض اقبردى
الدوادار على داود بن عمر أمير هوارة وآل أمره فيما بعد الى أنه شنق على باب شونة منفلوط
بالوجه القبلى لامور حقدها عليه وفيه جاءت الاخبار من نواحى هرمز بان خسف بها مدينة
كاملة باهلها وفيه أكمل السلطان النفقة على الجند والامراء وفيه توفى شهاب الدين
أحمد بن عامر المغربى المالكى شيخ تربة الاشرف قايتباى وكان عالما فاضلا صالحا متقشفا
لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بأن الطاعون قد وقع بمدينة غزة وهو زاحف نحو البلاد
المصرية وفيه خلع السلطان على وفا الماوردى وقرره فى امرية دوت أمير شكار وأمره
بان يتزيا بزى الاتراك ويلبس التخفيفة التى بالقرون والسلارى القصير الكم وكان عاميا
يلبس لبس العوام فعد ذلك من نواقص الملك الناصر وفيه تزايد أذى الجلبان فى حق
اقبردى وصار مهددا بالقتل فى كل يوم حتى سأل السلطان أن يوليه نيابة الشام ويخرج اليها

خوفا

خوفاعلى نفسه من ابطلبان فلم يسمع له السلطان بذلك وفى رمضان فى أول ليلة منه لم يطلع أحد من الامراء ولا أفطر عند السلطان على جارى العادة وكثرت الاشاعات بوقوع فتنة كبيرة بسبب اقبردى فلما كان يوم السبت رابع شهر رمضان ركب الامير اقبردى ووافقه على ذلك تانى بك قرا أمير مجلس واقباى نائب غزة رأس نوبة النوب وجانم مصبغة حاجب الحجاب وجانم الابرودكاشف منفلوط أحد المقدمين وغير ذلك من الامراء الطبلخانات والعشراوات وجم الغفير من الجند ممن كان من عصبية اقبردى فوقع فى ذلك اليوم واقعة مهولة فانكسر اقبردى بعد العصر واختفى فلما دخل الليل هرب اقبردى هو ومماليكه وأخذ صحبته اقباى نائب غزة رأس نوبة كبير فلما هرب توجه نحو الصعيد فأقام به حتى كان من أمره ما سنذكره وفيه توفى خالص الطواشى التكرورى مقدم المماليك وكان عنده لين جانب وكان لا بأس به فلما مات قرر فى تقدمة المماليك مثقال الحبشى البرهانى الذى كان مقدم المماليك ونفى الى القدس وأعيد الى القاهرة وفيه اشتد الحر وعز وجود السقائين وتكالب الناس على الروايا والجمال حتى تخانقوا بالعصى وبلغ سعر راوية الماء ثلاثة أنصاف وفيه من الوقائع الغريبة انه فى اليوم التاسع والعشرين من الشهر المذكور أمر السلطان بان تدق الكوسات بالقلعة وقال أنا أعمل العيد فى الغد من هذا الشهر انرأوا الهلال أو لم يروا فلما أشيع ذلك بين الناس ركب قاضى القضاة الشافعى زين الدين زكريا وطلع الى القلعة فاجتمع بالسلطان وعرفه بأن العيد لا يكون الا اذا رؤى الهلال فى تلك الليلة فشق ذلك على السلطان وهم بعزل القاضى فى ذلك اليوم فلما دخل الليل لم ير الهلال فى تلك الليلة وجاء العيد بالجمعة وكان الناصر تطير من العيد أن يجى يوم الجمعة فكان ذلك على رغم أنفه وفى شوال لم يخرج السلطان الى صلاة العيد ولا طلع الاتابكى ازبك الى القلعة ولا بقية الامراء المقدمين فبعث السلطان الخلع اليهم فى بيوتهم وفى أواخر ذلك اليوم طلع الخليفة ليهنى السلطان بالعيد وكان بقاعة البحرة مع الاوباش الذين يعاشرهم فلم يخرج اليه السلطان وأرسل يتشكر منه وأمره بالانصراف فعد ذلك من نواقص الملك الناصر وكان الملك الناصر فى تلك الايام فى غاية الطيشان وفيه أنعم السلطان على قصروه بتقدمة ألف بمصر وخلع على جمقيت وقرره فى نيابة القلعة عوضا عن قصروه بحكم انتقاله الى التقدمة وقرر ولده جانم فى الزردكاشية عوضا عن أبيه وفيه رسم السلطان لشخص من الامراء يقال له قانصوه الساقى بأن يكون أمينا على باب القلعة عند سلم المدرج يحيط علما بمن يطلع الى القلعة أو ينزل منها فعد ذلك من النوادر وفيه جاءت الاخبار من المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بوفاة الحافظ شمس الدين السخاوى وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد

ابن أبي بكر بن عثمان وكان عالما فاضلا بارعا في الحديث وألف تاريخا فيه أشياء كثيرة
من المساوى في حق الناس وكان مولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه جاءت الاخبار
من الصعيد بانه قد قامت هناك فتنة كبيرة بين حميد بن عمر أمير هوارة وهو أخو داود الماضي
خبره فوقع بين حميد و بين قريبه ابراهيم فتنة مهولة يأتي الكلام عليها وفيه كانت الفتن
قائمة بين طائفة بني حرام وبني وائل حتى أعياجان بردى الكاشف أمرهم وخرجت اليهم
تجريدة وبها عدة من الامراء ولم يفد ذلك شيأ وفيه عين السلطان أبا يزيد الصغير
بأن يتوجه الى أقبردى الدوادار للصعيد وصحبته خلعة وفرس بسرج ذهب وكنبوش
وعلى يده مراسيم شريفة لاقبردى الدوادار بأنه على عادته في وظائفه حتى يصير له حرمة
على العربان ثم حضر الى القاهرة عن قريب وكان من أمره ما سنذكره في موضعه وفيه
خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل مصرباى أحد المقدمين وبالركب
الاول الناصري محمد بن العيني وكان الحاج في تلك السنة قليلا وفيه صعد سليمان
ابن قرطام أحد مشايخ بني حرام الى القلعة وعلى رأسه منديل الامان من السلطان فلما
مثل بين يديه لكمه قانصوه القابجي والى الشرطة وأخذ منه منديل الامان والسلطان
ساكت لم يتكلم وثارت عليه جماعة من المماليك السلطانية وقالوا هذا قتل خشداشيننا
الذين قتلوا بالمطارة فكيف تعطونه منديل الامان فشق ذلك على السلطان وقام من فوق
الدكة وهو غضبان من المماليك وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة قانصوه اليحياوى
نائب الشام وحضر سيفه وكان أصله من مماليك السيفي جقمق وكان لا بأس به
تولى عدة وظائف سنية منها نيابة الاسكندرية ونيابة صفد ونيابة طرابلس ونيابة حلب
ونيابة الشام وجرى عليه شدائد ومحن وأسر عند يعقوب بك ابن حسن الطويل في كائنة
يشبك الدوادار مع بايندر ونفي الى القدس ثم تولى بعد ذلك نيابة الشام ومات بها وهو
على نيابته وكان من أجل الامراء وأعظمهم قدرا وفيه توفي الشيخ الصالح المسلك
نور الدين الذاكر ابن عين الغزال وكان معروفا بالصلاح لا بأس به وفي ذي القعدة توفي
قاضي القضاة الحنبلي بدر الدين السعدي وهو محمد بن محمد بن أبي بكر بن خلف بن ابراهيم
الحنبلي وكان عالما فاضلا عارفا بمذهبه تولى القضاء بمصر وهو في عنفوان شبوبيته
وأقام به مدة طويلة حتى مات وهو في وظيفته وكان لا بأس به توفي وهو في عشر السبعين
فلما مات أرسل السلطان خلف شهاب الدين الشيشي وكان بمكة المشرفة فلما حضر
خلع عليه السلطان وأقره في قضاء الحنابلة بمصر عوضا عن بدر الدين السعدي بحكم
وفاته وهو باق على وظيفته الى أن مات بها لكن بعد عزل واعادة وفيه ظهر قانصوه
المحمدى المعروف بالبرجي أحد الامراء المقدمين وكان مختفيا من حين ركب قانصوه

خمسمائة وانكسر فلما ظهر أمنه السلطان على نفسه وأقام بداره وفيه من الحوادث
أن القاضي أبا البقاء بن الجيعان كان طالعا الى القلعة فصلى صلاة الفجر وخرج
من داره فلما وصل الى الحمام الذي هو خارج من زقاقهم خرج عليه بعض المماليك
بخنجر فضربه في بطنه ضربة بالغة فمات من وقته وما عرف قاتله واتهم به جماعة من المماليك
وكان رئيسا حشما فاضلا عالما عارفا باحوال المملكة وكان مقربا عند السلطان الاشرف
قايتباى ترقى في أيامه وانتهت اليه الرياسة وفاق على من تقدم من أقاربه وكان أدوبا حلو
اللسان سيوساوله اشتغال بالعلم وكان من نوابغ أولاد ابن الجيعان وهو أبو البقاء محمد بن
يحيى بن شاكر وله بر ومعروف وهو الذي أنشأ عمارة الزاوية الحمراء وجعل بها خطبة وحوضا
وسبيلا وأنشأ هنالك القصور والمناظر والغيط وصار ذلك المكان من جملة متفرجات القاهرة
تسعى اليه الناس في زمن النيل بسبب الفرجة هنالك وصار عوضا عن التاج والسبعة
وجوه التي كانت من المفرجات القديمة ومات أبو البقاء وقد قارب الستين سنة من العمر
فلما مات خلع السلطان على أخيه صلاح الدين وقرره في استيفاء الجيش مضافا لما بيده
من نيابة كتابة السر وفيه تزايد شر المماليك الجلبان وضيقوا على السلطان وصار معهم
في غاية الضنك فأرسل يستحث اقبردى الدوادار في سرعة المجىء • وفيه في رابع عشرى
الشهر المذكور يوم الخميس وصل اقبردى الى بر الجيزة فلما تسامع به الامراء خرجوا اليه
قاطبة وكذلك العسكر ولم يخرج اليه قانصوه خال السلطان فتلطف به الاتابكي تمراز حتى
ركب معه وتوجها الى نحو السواقي التي عند الهيئة بالقرب من درب التلولي فقصد خال
السلطان أن يعدى من هنالك ويتوجه الى اقبردى ليسلم عليه فمنعه المماليك من ذلك وقالوا له
متى عديت ورحت اليه يقبض عليك فخيل من ذلك ورجع من حيث أتى فعند ذلك كثر
القال والقيل واضطربت الاحوال وصار العسكر على ثلاث فرق فرقة مع اقبردى الدوادار
وفرقة مع قانصوه خال السلطان وهي الفرقة التي كانت من عصبة قانصوه خمسمائة
فالتفوا على خال السلطان وفرقة وافرة من المماليك الجلبان مع السلطان ثم ان طائفة من
المماليك لبسوا آلة السلاح وتوجهوا الى بيت اقبردى الدوادار عند حدرة البقر فاحرقوا
مقعده ونهبوا رخامه وأخشابه وأبوابه وذلك قبل دخول اقبردى الى القاهرة فلما كان يوم
الجمعة خامس عشرى الشهر المذكور عدى اقبردى من الجيزة الى مصر فلما وصل مصلاة
خولان التي بالقرافة الكبرى لاقاه الاتابكي تمراز وتانى بك قرا وقد ظهر وكان مختفيا من
حين كسرة اقبردى في شهر رمضان كما تقدم وتوجه الى اقبردى الجم الغفير من العسكر وكان
اقبردى أرسل خلف جماعة من عربان عزالة وبني وائل ثم ان العربان كانوا في طلائع عسكر
اقبردى وأتوا معه ووصلوا الى باب الزغلة وقد كان توجه اليهم جماعة من المماليك الذين هم

من عرضى قانصوه خمسمائة فالتقى معهم خاير بك الكاشف وجماعة من المماليك الذين هم من عصبة اقبردى فكسر وهم وطردوهم هم والعرب الى أن وصلوا الجراة التى عند باب الزغلة وصار العرب يشوشون على الناس الذين يتوجهون من هناك ويعرونهم ويأخذون عمائمهم وأثوابهم وقتل فى ذلك اليوم جماعة من الغلمان واثنان من المماليك السلطانية فلما كان يوم سادس عشرى الشهر المذكور دخل اقبردى الدوادار من مصلاة خولان ودخل المدينة على مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ورجهاولم يشق من الصليبة بل توجه الى بيته من درب الخازن فلما استقر بداره أتى اليه الامراء والعسكر أفواجا أفواجا ولو حطم فى ذلك اليوم وطلع الى القلعة لملكها من غير مانع وكان ذلك من عين الصواب لكن أشار عليه الاتابكى تمراز بالمجىء الى داره والتثبت فى ذلك فكان كما يقال فى المعنى

وربما فات بعض الناس حاجته * مع التأنى وكان الرأى لو عجلا

فلما بلغ قانصوه خال السلطان أن اقبردى دخل الى القاهرة وأحضر صحبته عربان من بنى وائل وعزالة اضطربت أحواله ولم يكن عنده بالقلعة من العسكر الا القليل فعند ذلك طلع الى القلعة الامير كرتباى الاحمر وكان مختفيا من عهد واقعة خان يونس فلما بلغ جماعة قانصوه خمسمائة بأن كرتباى قد طلع الى القلعة بادروا اليه بالطلوع وكان قد حضر من الشام مماليك قانصوه اليحياوى وصعدوا الى القلعة لينزلهم السلطان فى الديوان فأقاموا بالجامع وصاروا من عصبة الفواقة وكان أكثرهم رماة بالمدافع والسبقيات والبندق الرصاص وهم الذين كانوا سببا فى كسرة اقبردى فقويت شوكة خال السلطان بهم وبالامير كرتباى الاحمر وصار جماعة المماليك طالعين الى القلعة أفواجا أفواجا وقويت الفواقة وأرسل خال السلطان خلف طائفة عربان من بنى حرام وأحضر قراجا نائب غزة كان عربان السوالمة فصارت العربان يقاتل بعضهم بعضا فلم يحصل بالطائفتين نفع بل حصل منهم غاية الضرر وصاروا يعرون الناس ويخطفون العمائم بالطريق وبولاق ومصر العتيقة والقرافة وصاروا ينهبون الترب ومزارات الصالحين حتى مزار الامام الشافعى والامام الليث رضى الله عنهم ورجهم وأظن أن هذا هو الذى كان سببا فى كسرة اقبردى ثم ان اقبردى أحضر أشياء كثيرة من الاخشاب وشرع فى عمل طوارق وأحضر عدة قناطير نحاس وشرع فى سبك مكحلتين كبار وأحضر المعلم دميلكو السباك وشرع فى سبكها وأظهر اقبردى الدوادار فى هذه الحركة همة عالية وكان عنده من الامراء الاتابكى تمراز وتانى بك قرا الاينالى أمير مجلس وكرتباى ابن عمة السلطان أمير اخور كبير واقباى نائب غزة رأس نوبة النوب وجانم مصبغة حاجب الحجاب وتانى بك الشريفى نائب الاسكندرية أحد مقدمى الالوف وجانم الاجرود أحد المقدمين وبردبك المحمدى الاينالى أحد المقدمين

ومن

ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات زيادة على ثلاثين أميرا منهم مغلباى مصرق الاشرفى برسباى وغير ذلك من الامراء واجتمع عنده الجم الغفير من العسكر من سائر الطوائف فكان اقبردى فى كل يوم يمد للامراء والخاصكية أسمطة حافلة فى أول النهار وفى آخره ثم يحضر لهم السكر والحلواء والفاكهة والبطيخ الصيفى واستمر الحرب ثائرا بين الفريقين وحاصر اقبردى من بالقلعة أشد المحاصرة ومنع الغلمان والعبيد أن يصعدوا الى القلعة بشئ من الاكل وقطع آذان جماعة من العبيد وأيديهم بسبب ذلك وفى ذى الحجة قوى عزم اقبردى على محاصرة القلعة وكان يركب كل يوم هو والاتابكى تمراز والامراء وعلى رأسه الصنجق السلطانى يخفق وقد أرسله اليه الملك الناصر فى الدس وكان له به عناية فى الباطن فصار اقبردى يظهر أنه لم يكن راكبا على السلطان وانما غرماءه من الامراء وقصده القبض عليهم هذا ما كان من أمر اقبردى الدوادار وأما ما كان من أمر الملك الناصر فانه لم يكن عنده من الامراء سوى قانصوه خمسمائة ثم صعد فى ذلك اليوم كرتباى الاحمر على الفور وكان مختفيا وجلس بالمقعد الذى برأس سلم المدرج وكان الامير سودون العجمى وجان بلاط الغورى وقانى باى الرماح وطومان باى الشريقى ودولات باى قرموط وغيرهم من الامراء قد ركبوا المكاحل حول القلعة والسبميات وركبوا المكحلة المسماة بالمجنونة على باب السلسلة وكان غالب مماليك قانصوه اليحياوى نائب الشام الذى توفى وحضرت مماليكه فى تلك الايام كلها رماة بالسبميات والبندقيات الرصاص فاخذ بخاطرهم كرتباى الاحمر وخال السلطان قانصوه وأنزلوهم فى الديوان السلطانى وصرفوا اليهم الجامكية حتى انهم صاروا معهم وكانوا زيادة عن مائتى انسان وصار الحرب ثائرا بين الفريقين فبقى مع الفرقة التى بالقلعة من باب المدرج الى رأس الصوة الى باب زويلة الى باب النصر الى المطرية وصار مع الفرقة التى مع اقبردى من باب القرافة الى الصليبة الى قناطر السباع الى مصر العتيقة وبولاق وصار يقتل فى كل يوم من طوائف العربان مقتلة كبيرة من بنى وائل وبنى حرام وكانوا يدخلون برؤس القتلى آخر النهار فى شبائك السبن فقتل فى هذه المعركة من العربان نحو من ألف انسان وزيادة على ذلك فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكانت الاتراك تتقاتل مع بعضها والعربان تقاتل مع بعضها فلما قرب عيد الاضحية فرق اقبردى على الامراء والعسكر الذين ركبوا معه عدة أبقار وأغنام كثيرة ثم أنفق لهم جامكية ذلك الشهر والاضحية من ماله دون مال السلطان فصرف فى هذه الحركة فوق المائة ألف دينار وبات هذا أفاده شيأ ثم ان اقبردى أحضر دميلكو السبالة واستحثه فى سرعة عمل سبك المكحلة فأخذ فى أسباب ذلك ثم ان اقبردى وزع الامراء فى أماكن شتى بسبب حصار القلعة فكان كرتباى ابن عمة السلطان أمير اخور كبير وتانى بك قرا أمير مجلس

وجماعة من العسكر فى مدرسة السلطان حسن بسبب حصار القلعة فكانوا يرمون عليها
فلم يفد شئ من ذلك ثم انهم رموا بالمكحلة المسماة بالمجنونة على من فى مدرسة السلطان
حسن فخرق المدفع شباك المدرسة ودخل فقتل ثلاثة أنفار من المماليك الذين هناك فحصل
للعسكر من ذلك زعقة وكان لهم يوم عيد النحر واقعة قوية تشيب منها النواصى وقتل فى
ذلك اليوم شخص من الامراء العشراوات يقال له جانم بن قايتباى وآخر من الامراء يقال
له طومان باى نائب البهسنا وشخص يسمى قصروه نائب سنجر وكان حضر صحبة الأمير
اقبردى الدوادار من البلاد الشامية وقتل ممن كان بالقلعة شخص من الامراء الطبلخانات
يقال له برسباى اليوسفى أبوذقن وكان من مماليك الظاهر جقمق مات فجأة بالقلعة فى مدة
المحاصرة وكان لا بأس به فلما طال على العسكر الذين كانوا مع اقبردى أمر الحصار وأبطأ
عليهم دميلكو بفراغ المكحلة التى شرع فى سبكها وصار يقتل كل يوم من جماعة اقبردى
جماعة كثيرة فبقى يتسحب منهم جماعة ويطلعون الى القلعة شيأ فشيأ فبان على اقبردى
أمر التلاشى فلما سمعت الطائفة الفوقانية ظهر جان بلاط بن يشبك الذى كان دوادارا
كبيرا وظهر الامير قرقماس بن ولى الدين وقيت الرجبى وقانصوه المحمدى المعروف بالبرجى
وكان ظهر قبل هذا اليوم عند دخول اقبردى القاهرة كرتباى الاحمر ثم ظهر أزبك اليوسفى
الظاهرى وتانى بك الجمالى وغير ذلك من الامراء ممن كان مختفيا من حين ركب قانصوه
خمسمائة وانكسر فلما ظهروا وطلعوا الى القلعة قويت شوكتهم وحققوا القتال ولو
هجم اقبردى أول يوم دخل فيه الى المدينة وطلع الى القلعة لكان ملك القلعة فى ذلك اليوم
من غير مانع ولم يكن بها أحد من العسكر وكانت قلوب العسكر محرقة منهم بالكرب الشديد
واستخف اقبردى بمن فى القلعة وسمع رأى الاتابكى تمراز وتوجه الى بيته حتى كان ذلك
سببا لقلة نصرته ولم يعلم ما وراء ذلك فاشتد أمر القتال عن كان بالقلعة واستطالوا على
الحصاتين الذين من حلف اقبردى بالنشاب والبندق الرصاص والمدافع حتى أهلكوا منهم
مالا يحصى وكان مع اقبردى مدرسة السلطان حسن وسبيل المؤمنين وسويقة عبد المنعم
وصار اقبردى معه صنجق سلطانى ويقول الله ينصر السلطان الملك الناصر وكرتباى الاحمر
وبقية الامراء معهم صنجق سلطانى وهم يقولون الله ينصر السلطان فحار فكر الناس بين
الفريقين ولم يبق يعلم هذه الركبة على من هل هى على السلطان أو على الامراء فى بعضهم
واستمر الحال على ذلك حتى كان ما سنذكره فى موضعه وفيه توفى من الاعيان قاضى القضاة
ناصر الدين محمد بن الاخميمى الحنفى وهو محمد بن أحمد بن الانصارى القاهرى الحنفى وكان
عالما فاضلا وقرأ بالسبع روايات وكان ضنينا بنفسه وكان امام السلطان الملك الاشرف
قايتباى ثم قرر فى قضاء القضاة واستمر به الى أن مات وكان موته فجأة فأخرجت جنازته ولم

يشعر به أحد من الناس بسبب تلك الفتن القائمة وفيه توفي القاضي أبو الفتح المنوفي كاتب المماليك ونائب جدة وكان من أعيان المباشرين ورأى من العز والعظمة ما لا يوصف وفي آخر عمره قاسى شدائد ومحنا واعتراه جنون وماليخوليا واستمر على ذلك حتى مات وفيه توفي سيدي ابراهيم بن أبي الفضل بن أبي الوفا وكان شابا صالحا لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة قريبغا الترجمان وكان لا بأس به وفيه توفي شمس الدين محمد بن الخادم الحنفي وكان من أهل العلم والفضل وكان لا بأس به وفيه توقف النيل عن الزيادة في ليالي الوفاء وكان كل أحد مشغولا بنفسه عن ذلك والفتن قائمة وفيه في يوم الاثنين ثاني عشري الشهر المذكور الموافق لسابع عشري مسرى وفى النيل المبارك وكسر في الثامن والعشرين من مسرى وقد أبطأ عن ميعاده فلما وفى شاوروا الامير اقبردى في فتح السد فبعث اليه والي القاهرة ليفتحه فوجد الشيخ عبد القادر الدشطوطي رضي الله عنه قد فتح جانبا منه قبل مجيء الوالي ولم يتوجه أحد ليتفرج على فتح السد على جاري العادة لكون القاهرة كانت في غاية الاضطراب من عدم الأمن وفساد الأحوال من هذه الشرور والفتن فكان كما قيل

أتطلب من زمانك ذا وفاء * وتنكر ذاك جهلا من بنيه
لقد عدم الوفاء به وإني * لأعجب من وفاء النيل فيه

فلم يقم النيل سوى أيام قلائل وهبط بسرعة وشرق غالب البلاد وحصل بسبب ذلك الضرر الشامل ولما وقعت بمصر الفتن بين الاتراك وقعت الفتن أيضا بين العربان وأحرقوا القمح والشعير وهو في الجرون ونهبوا عدة بلاد فوقع الغلاء بالديار المصرية وانتهى سعر القمح الى ألف درهم كل اردب واستمر على ذلك مدة طويلة وكانت الاحوال في تلك الايام في غاية الفساد واستمر الحرب ثابتا على ما ذكرناه من القتل والنهب حاصل والحصار ليلا ونهارا حاصل في القلعة وفيه في يوم الجمعة سادس عشري الشهر المذكور تسحب من كان عند اقبردي الدوادار من العسكر جملة ولم يبق معه سوى مماليكه وبعض مماليك السلطان والامراء المقدمين وكان الامير جانم الاينالي كاشف منفلوط وأحد المقدمين قد جرح واختفى ومات من ذلك ولم يشعر به أحد ثم ان الامير اقبردي اضطربت أحواله وتشتت عنه جماعته بعد ما أكلوا عيشه وأخذوا أضحيته وجامكيته وصرف عليهم جامكية شهرين من ماله ولم يراعوا له حق ذلك ولا أثر فيهم ما فعله بهم فكان كما قيل في المعنى

لقاء أكثر من يلقاك أوزار * فلا تبالي أصدوا عنك أو زاروا
أخلاقهم حين تبلوهن أوعار * وفعلهم ما أثم للمرء أو عار
لهم لديك اذا جاؤك أوطار * اذا قضوها تنحوا عنك أو طاروا

وكان أحسن لغالبهم وأنفق على بعضهم وأرضاهم بكل ما يمكن وبعد ذلك بعضهم رماه وطمع

الى القلعة فلما كان وقت المغرب من ليلة السبت نزل كرتباي الاحمر من القلعة وصحبته
جميع من كان بالقلعة وكان خشكلدي البيسقي قد ظهر وطلع الى القلعة فنزل صحبة
الامراء من كان بالقلعة والمماليك الكبار والصغار الذين كانوا بالطباق فزحفوا زحفة
واحدة وهجموا على جماعة اقبردي فانكسروا وفروا فهجموا على من كان بمدرسة السلطان
حسن وأحرقوا بابها ودخلوا على من بالمدرسة من الامراء فأخرجوا كرتباي ابن عمة السلطان
وهو مجروح جرحا بليغا فقتل منه وهو أمير اخور كبير وهرب تاني بك قرا فلم يظفروا به وهرب
من كان بمدرسة السلطان حسن من الامراء والمماليك فنهب الجلبان جميع ما كان بالمدرسة
من طشتخانات الامراء ونهبوا بسط المدرسة والقناديل وقلعوا شبابيك القبة التي بالمدرسة
وأخذوا رخامها وأحرقوا الربع الذي عند سوق الرميلة بجوار بيته وربع يشبك الدوادار
وربع خشكلدي البيسقي وسبيل المؤمنين وبعض من بيوت الصوة وغير ذلك فلما دخل
الليل ركب اقبردي في نفر قليل من مماليكه وطلع الى الرميلة فلم يطلب طبه واستمر على ذلك
طول الليل فلما أصبح يوم السبت سابع عشري الشهر المذكور وهو ذو الحجة انكسر
اقبردي كسرة مهولة ورجع الى داره وأخذ بركه وزردخانته والطشتخاناه وخرج من داره
وعلى رأسه صنجق وقدامه طبلان وزمران ومماليكه حوله وهم لابسون آلة السلاح وخرج
صحبته من الامراء تاني بك قرا أمير مجلس واقباي نائب غزة رأس نوبة كبير وجانم مصبغة
حاجب الحجاب وقاني بك نائب الاسكندرية أحد المقدمين وكرتباي أخو اقبردي الدوادار
أحد المقدمين ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات جماعة كثيرة نحوا من عشرين أميرا
فمن جملتهم اينال السلحدار المعروف بالصغير ومن المماليك السلطانية والسيفية نحو من ألف
مملوك فلما خرج من داره دخل من الدرب الذي عند حمام الفارقاني وخرج من الدرب الذي
تجاه المدرسة الصرغتمشية وتوجه من هناك الى بولاق وطلع على جزيرة الفيل ثم خرج الى
الفضاء وقصد التوجه الى البلاد الشامية فدخل خانقاه سرياقوس فلم يمم بها واستمر يجد
السير حتى وصل الى بلبيس فلم يتبعه أحد من الامراء ولا العسكر حتى خرج وتوجه الى
البلاد الشامية وجرى منه أمور يطول شرحها يأتي الكلام على بعضها في مواضعه
والذي وقع لاقبردي الدوادار لم يسمع لمنطاش الناصري في أيام الظاهر برقوق وكانت مدة
محاصرته للقلعة احدا وثلاثين يوما ولم يسمع بمثل هذه الواقعة فيما تقدم قال بعض
المؤرخين لم يقع بمصر من يوم فتحها الى الآن مثل واقعة اقبردي الدوادار فكانت من غرائب
الوقائع وفي مدة هذه المحاصرة كانت الاسواق معطلة والدكاكين مقفلة وامتنع
البيع والشراء ولم تظهر في تلك الايام امرأة بالاسواق ولا بالطرقات وكثر القتل والنهب وكان
الناس في أمر عظيم قيل لما طال أمر هذه الفتنة دخل على الامير اقبردي جماعة من الفقراء

الرفاعية والقادرية والاحمدية وجماعة من الصوفية سألوه أن يكف عن هذا القتال وان يقع الصلح بين الطائفتين فأبى اقبردى ذلك ثم نزل اليه مثقال مقدم المماليك رسولا عن لسان السلطان بأن يكون الصلح بينه وبين الامراء على يد السلطان فأبى اقبردى ذلك وكان دميلكو قد فرغ من المكحلة وركبها ورمى بها أول حجر فكسر باب السلسلة فاضطرب من كان بالقلعة وهجموا على المكحلة ودقوا بها مسمارا وكانت معيبة فلما نزقوا منافضها وشمت النار خرج الحجر منها على حين غفلة وانكسر اقبردى وكانت هذه ثالث كسرة وقعت لاقبردى وكانت آخر العهد به فلم يدخل بعدها الى مصر وقاسى شدائد ومحنا يأتى الكلام عليها فهذا ما كان من أمر اقبردى الدوادار وأما ما كان من أمر الاتابكى تمراز فانه كان مقيما بالبيت الذى بجوار بيت يشبك الدوادار الذى كان عند المدرسة البندقدارية وكان متوعكا فى جسده فلم يشعر بكسرة اقبردى فلما أراد اقبردى أن يفر أرسل خلف الاتابكى تمراز وأعلمه بما جرى وأراد أن يأخذه معه فأبطأ عليه وخشى من العسكر أن يهجموا عليه ويقتلوه فأسرع فى الخروج من داره وترك الاتابكى تمراز فى داره ومضى ثم ان الاتابكى لبس قماشه وركب وخرج من البيت الذى كان به فلما وصل الى بيت تانى بك قرا لاقاه جماعة من المماليك الفواقة وقبضوا عليه وقصدوا قتله وأدخلوه الى بيت تانى بك قرا ثم بدا لهم أن يطلعوا به الى القلعة فلما خرجوا به من بيت تانى بك قرا ومشوا الى رأس الصليبة لقيه طائفة من المماليك الفواقة غير هؤلاء فقنطروه عن فرسه فوقع الى الارض وطلعوا به الى دكان هناك ونزعوا ثيابه عنه وحزوا رأسه على الدكان بالسيف فلم تنقطع فكسروها حتى خلصت عن جثته وكان الذى قتله من أرذل المماليك السيفية يقال له برديك الاشقر ثم أخذ رأسه وقبض عليها من ذقنه وطلع بها الى القلعة فلما عرضت على الملك الناصر شق عليه ذلك لكونه كان من قرابة أبيه الملك الاشرف قايتباى رحمه الله ثم أمر بلفها فى فوطة وأرسل معها نوبين بعلبكيين وثلاثين دينارا ثم ان بعض جماعة الاتابكى تمراز أحضروا له نعشا وأخذوا فيه جثته وتوجهوا بها الى مكان بالقرب من بيت تغرى بردى الاستادار وخيطوا رأسه على جثته وغسلوه ثم أحضروا كرتباى ابن عمة السلطان الذى قتل فى مدرسة السلطان حسن فغسلوه مع الاتابكى تمراز وأخرجوهما فى يوم واحد وصلوا عليهما فى مصلى باب الوزير ثم توجهوا بهما الى تربة الاشرف قايتباى فدفن الاتابكى تمراز داخل القبة ودفن كرتباى ابن عمة السلطان على جانم قريب السلطان الذى كان نائب طرابلس ومقدم ألف وكان الاتابكى تمراز أميرا جليلا معظما دينا كثير البر والصدقة محسنا للناس جميل الهيئة وله آثار ومعروف منها ما فعله فى الجسور التى صنعها بالغربية وهو كاشف التراب بالغربية وكان أصل الاتابكى تمراز من مماليك الاشرف برسباى فأعتقه وأخرج له خيلا

وقلاشا وصار من الجمدارية ثم بقى خاصكيا ساقيا فى دولة الاشرف اينال ثم أنعم عليه بامرية
عشرة وصار عنده من المقربين ثم نفى الى دمياط فى دولة الظاهر خشقدم ثم حضر الى القاهرة
فى دولة الظاهر تمربغا ثم ظهر انه ابن أخت السلطان الاشرف قايتباى فلما تسلطن جعله
مقدم ألف ثم بقى رأس نوبة كبير ثم بقى أمير سلاح ثم بقى أتابك العسكر عوضا عن أزبك بن
ططخ لما نفى الى مكة المشرفة كما تقدم وكان تمراز أميرا كبيرا كان اذا جلس فى أى مكان
ودخل اليه الادنى أو الاعلى يقوم له القيام الكلى ويجلسه وكان لا يجلس بمقعده الا وهو
مزرر الملوطة وهو بالخف والمهماز ولم تبن له رجل وهو جالس وهذا من النوادر فى زمننا هذا
فلما مات رثيته بهذه الابيات وهى قولى مع التضمين

أرغمت يادهر أنوف الورى * بقتل تمراز ويتم العباد
أتابك العسكر ذو رأفة * بالجود قد شاع لأقصى البلاد
أخطات يا قاتله كيف قد * قتلت من يقمع أهل العناد
مصيبة جلت فمن أجلها * قد أطلقت فى كل قلب زناد
لكن له فى قتله أسوة * الى الحسين بن على الجواد
من أودعوه الرمس ما أنصفوا * بل كان يخفى فى صميم الفؤاد
فالله يأجره على ما جرى * من قتله بالعفو يوم المعاد

ومات الاتابكى تمراز وهو فى عشر الثمانين وكان لين الجانب واسع الخير وكان يظن كل أحد
أنه يتسلطن وقد ترشح أمره لها غير ما مرة وكان اذا سأله أحد فى حاجة يقول له اصبر علينا
حتى يجى وقتها وكان طامعا فى السلطنة فخابت فيه الظنون وجاء الامر بخلاف ما أمله أن
يكون فكان كما يقال

وقائل لى لما أن رأى قلقى * من انتظارى لآمال تعنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخربنا

وفيه جاءت الاخبار بأن أقبردى لما أمر على الشرقية كادت طائفة عربان بنى حرام أن تقتله
فرجموه حتى جاءته رجمة فى وجهه وسبوه وسباقيها وفعلوا به ذلك فى عدة أماكن وما خلص
منهم الا بعد جهد كبير وسبب ذلك أنه سلط عليهم بنى وائل وقتل منهم فى مدة المعركة
ما لا يحصى فلما انكسر وهربهم انتقموا منه وجرى عليه منهم ما لا خير فيه فلما هرب اقبردى
وقتل تمراز اضطربت الاحوال وتزايدت الاهوال ونزل المماليك من القلعة وعطوا فى
المدينة وصاروا يدخلون الحارات وينهبون البيوت حتى نهبوا الربوع التى هى سكن العوام ثم
توجهوا الى حارة زويلة ونهبوها بسبب انه كان لاقبردى حاصل هناك فيه مال فنهبوا ما كان
فيه حتى قيل كان فيه ما يزيد على مائة ألف دينار غير الخيام والقماش الذى كان به ونهبوا

بيوت

بيوت اليهود الذين حوله ودخل الزعر والعبيد فنهبوا القبة التي في مدرسة السلطان حسن وأخذوا الرخام التي بها والشبابيك والنحاس الذي بها والابواب ومن يومئذ تلاشى حال المدرسة الى الآن واستمر النهب والقتل دائرا ثلاثة أيام متوالية ولم يجدوا من يردهم عن ذلك والمدينة مائجة وقد تعطلت الخطبة واقامة الصلاة من مدرسة السلطان حسن نحوا من ستة أشهر وكان كل من ظفروا به من جماعة اقبردي يقتلونه أشر قتلة ثم قبض على المعلم دميلكو وأحضروه عند الامير كرتباى الاحمر فقطع رأسه وعلقها على باب السلسلة كما قيل في الامثال وربما عوقب من لا يجني وقد خرجت السنة المذكورة على ما شرح فيها من الفتن والانكاد والفساد وخراب البلاد ووقع فيها الغلاء وتشحطت الغلال وقتل فيها من الامراء نحو من خمسين أميرا ما بين مقدمي ألوف وطبلخانات وعشراوات وقد تقدم ذكر ذلك عند وقوع كل حادثة من أوائل السنة المذكورة الى آخرها حسبما أوردناه من الوقائع وقتل من الجند والعرب نحو من ألف انسان فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وما حصل لعسكر مصر بعد وفاة الاشرف قايتباى خير وجاءت الامور بضد ما أملوه من بعده فكان كما يقال

يسعى ابن آدم في قضا أوطاره * والموت يتبعه على آثاره
يلهو وكف الموت في أطواقه * كالكبش يلعب في يدي جزاره
يمسي وقد أمن الحوادث ليله * فلربما تطرقه في أسحاره
من رام يتطر كيف تصبح داره * من بعده فليعتبر بجواره

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعمائة فيها كان مستهل المحرم يوم الثلاثاء ووافق ذلك اليوم يوم النوروز للقبط بموجب تحويل السنة الهلالية الى السنة العربية فصعد القضاة الى التهنئة بالشهر والعام الجديد وبهذه النصرة التي وقعت للسلطان ولم يحضر الخليفة في ذلك اليوم بسبب انه كان متوعكا في جسده وهو مقيم بالقلعة فنزل الى داره في محفة وكان ذلك ابتداء ضعف الموت وفي ذلك اليوم خلع السلطان على برهان الدين بن الكركي الامام وقرره في قضاء الحنفية عوضا عن ناصر الدين بن الاخميمي بحكم وفاته وهذه أول ولاية ابن الكركي وخلع على الشيخ سري الدين عبد البر بن الشحنة وقرره في مشيخة المدرسة الاشرفية عوضا عن البرهان بن الكركي فلم يقم بها عبد البر غير ثلاثة أشهر وأعيد اليها ابن الكركي مضافا لما بيده من قضاء الحنفية وفيه تخوف السلطان على نفسه من الامراء فأحضر لهم المصحف العثماني وحلف عليه الامراء الذين هم من حزب قانصوه خمسمائة بأنهم لا يخونونه قط ولا يغدرون به ولا يركبون عليه وهذا رابع يمين حلفه السلطان للامراء على المصحف العثماني وكل أيمانهم كانت كاذبة فاجرة وفيه عمل

السلطان الموكب وخلع على جماعة من الامراء منهم المقر السيفي قانصوه خال السلطان وقرره في الدوادارية الكبرى عوضا عن اقبردي بحكم هروبه وخلع على كرتباي الاحمر وقرره في امرية سلاح وخلع على جان بلاط بن يشبك وقرره في نيابة حلب وخرج اليها عن قريب وفيه دخل مبشر الحاج وهو شخص من العرب وقد تأخر عن عادته ستة أيام لفساد طريق الحاج وفيه توفي الزيني قاسم بن قاسم المالكي أحد نواب الحكم وكان عالما فاضلا متفننا لا بأس به وفيه قرر كشبغا الشريفي في نيابة الاسكندرية عوضا عن اسنباي وفيه عين السلطان خاير بك أخا قانصوه بأن يتوجه قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم وفيه قرر عبد القادر بن النقيب في مشيخة خانقاه سعيد السعداء وكانت عينت للسلمي ولم يتم له ذلك وفيه توفي الشيخ بدر الدين محمد الوفائي وكان لا بأس به وفيه خلع السلطان على طرباي الشريفي وقرره أمير اخور ثاني وهذه أول وظائفه وخلع على دولات باي الاجرود وقرره في ولاية الشرطة وفيه وقع الاتفاق من الامراء على عود الاتابكي أزبك وحضوره من مكة المشرفة ليلي الاتابكية عوضا عن تمراز فكتبت له المراسيم بالحضور وتوجه بها طراباي الشريفي الذي قرر أمير اخور ثاني فخرج على الفور بسبب ذلك وفيه خلع السلطان على قانصباي الرماح وقرره أمير اخور كبير عوضا عن كرتباي بحكم قتله بمدرسة السلطان حسن في واقعة اقبردي وخلع على قانصوه المحمدي المعروف بالبرجي وقرره في امرية مجلس عوضا عن تاني بك قرا الاينالي بحكم هروبه مع اقبردي وخلع على قيت الرجبي وقرره حاجب الحجاب عوضا عن جانم مصبغة بحكم اختفائه وهروبه مع اقبردي وخلع على طومان باي وقرره في الدوادارية الثانية عوضا عن سيباي نائب سيس وخلع على سيباي وقرره في تقدمة ألف وهي تقدمة جانم الاجرود الاينالي كاشف منفلوط بحكم أنه خرج في واقعة اقبردي ومات عقيب ذلك وخلع على تمراز الزردكاش الكبير وقرره بها عوضا عن قيت الاحول أخي الاشرف قايتباي وقرر بيبرس في نيابة القلعة عوضا عن قيت عم الملك الناصر فعزل عن الزردكاشية الكبرى ونيابة القلعة وقد نسب الى ميل مع عصبة اقبردي الدوادار وفيه خلع السلطان على أزبك اليوسفي المعروف بالخازندار وقرره مقدم ألف مشير المملكة وقرر قانصوه كرت في الخازندارية الكبرى وفيه دخل الحاج الى القاهرة بعد ما قبض على أمير الحاج مصرباي في عجرود وتوجهوا به من هناك الى السجن بثغر الاسكندرية فسجن بها وفيه جاءت الاخبار بأن اقبردي الدوادار لما خرج من مصر بعد فراره استولى على غزة وما حولها فاتفق رأي الامراء على تجريدة اليه وفيه خلع السلطان على جان بلاط الغوري وقرره في رأس نوبة كبير عوضا عن اقباي نائب غزة بحكم فراره مع اقبردي وقرر أزبك قفص في الرأس نوبة الثانية وفيه

أشيع بين الناس ان الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز قد اشتد به المرض وأشرف على الموت وقد عهد بالخلافة الى ولده الشرفى يعقوب وحكم بذلك قاضى القضاة المالكى عبد الغنى بن تقى ونفذه بقية القضاة وعهد أيضا لولده محمد من بعد أبيه يعقوب فلما بلغ ذلك ابن عمه خليل اضطربت أحواله وضاقت عليه الدنيا بما رحبت وكان منتظرا للخلافة بعد عمه عبد العزيز فلم ينله من ذلك شئ وفاته المطلوب فقدح فى الشرفى يعقوب بكلمات قبيحة من نار قلبه فلم يفده من ذلك شئ ولم يلتفت اليه أحد من القضاة ولا السلطان وولى الخلافة يعقوب على رغم أنف خليل كما سيأتى ذكر ذلك وقد قلت مع التضمين فى هذه الواقعة

قالت العليا لمن حاولها * سبق المولى وقد حل عراها
فدعوا الحاسد فيها انها * حاجة فى نفس يعقوب قضاها

فلما كان يوم الخميس سلخ المحرم من سنة ثلاث وتسعمائة كانت وفاة أمير المؤمنين أبى العز عبد العزيز وهو عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله ولم يل والده يعقوب الخلافة بل جده محمد المتوكل على الله وكان الخليفة عبد العزيز رئيسا حشما ذا شهامة جميل الهيئة كفؤا للخلافة وافر العقل سديد الرأى وله اشتغال بالعلم وحفظ جيد مع حسن عبارة وكان عنده لين جانب واتضاع كثير العشرة للناس وتوفى وله من العمر نحو من أربع وثمانين سنة ومولده بعد العام السابع عشر والثمانمائة وكانت مدة خلافته تسعة عشر سنة وأياما وحضر مبايعة الملك الناصر محمد بن قايتباى الاشرف رحمهم الله تعالى ومبايعة قانصوه خمسمائة وكان من خيار بنى العباس وكان له مشهد عظيم ونزل الملك الناصر وصلى عليه بسبيل المؤمنين ودفن بجوار مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ورحمها ورحمهم داخل القبة التى بها مشاهد الخلفاء ثم بعد وفاته تولى بعده ولده يعقوب

ذكر خلافة أمير المؤمنين المستمسك بالله أبى الصبر يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله

وهو الرابع والخمسون من خلفاء بنى العباس فى العدد وهو الخامس عشر من خلفاء بنى العباس بمصر وهو من خلاصة بنى العباس لكونه هاشمى الابوين ولم يل الخلافة من هو هاشمى الابوين غير أربعة من بنى هاشم وهم الامام على كرم الله وجهه وكانت أمه هاشمية وهى فاطمة بنت أسد بن هاشم ثم ابنه الحسن رضى الله عنه ورحمه وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم محمد الامين بن زبيدة وكانت أمه هاشمية

ثم يعقوب بن عبد العزيز وأمه هاشمية تسمى آمنة بنت أمير المؤمنين المستكفي بالله أبي الربيع سليمان فهؤلاء الاربعة هاشميو الابوين وغيرهم من الخلفاء كانوا من سرارى مولدات وحبش وغير ذلك وكانت صفة ولاية الشرفي يعقوب أنه لما كان يوم السبت ثالث صفر بعث الملك الناصر خلف الشرفي يعقوب فحضر وحضر ابن عمه خليل فعرض العهد المقدم ذكره على السلطان فشرع خليل يتكلم في حق الشرفي يعقوب بكلمات فاحشة منها أنه قال انه قليل النظر ولا تصح ولايته فلم يلتفت السلطان الى كلام خليل وقال أهذا أبوه كان خليفة فقيل له لا فقال ما لي الخلافة الا من كان أبوه خليفة وشرع قرتباى الاحمر وأزبك اليوسفي مشير المملكة وتغرى بردى الاستادار يساعدون الشرفي يعقوب فترشح أمره لأن بني الخلافة في الحقيقة لم يكن يومئذ من بني العباس من يصلح للخلافة غير الشرفي يعقوب في الدين والخير والصلاح فاتفق رأي الامراء على ولايته ونزل خليل من القلعة بخفي حنين فلما حضر القضاة وتكامل المجلس لم يحتج الى مبايعة ثانية لانه استقر في الخلافة بعهد من أبيه له عند موته فاستكفى القاضي الشافعي بذلك ثم أحضر اليه شعار الخلافة فأفيض عليه وتلقب بالمستمسك بالله أبي الصبر وعد لقبه هذا من النوادر وقيل ان الشيخ جلال الدين الاسيوطي هو الذي كناه ولقبه بهذا اللقب ومن الغرائب أنه لم يل الخلافة من بني العباس ولا من بني أمية من اسمه يعقوب سواه فلما تمت بيعته أحضر اليه التشريف وأفيض عليه فصار في غاية الابهة والوقار وفي الحقيقة انه من عباد الله الصالحين لم يعهد له صبوة من منذ نشأ الى الآن رضي الله عنه وفيه أقول مضمنا

يا أمير المؤمنين اقبل ولا * ترتجي غير الذي قد شرفك
لو أتى العباس أضحى قائلا * يرحم الله الذي قد خلفك

وكان له من العمر لما ولي الخلافة نحوا من خمسين سنة وقد وخطه الشيب فنزل من القلعة في موكب حافل حتى وصل الى داره واستمر في هذه الولاية مدة طويلة حتى كان من أمره ما سنذكره في موضعه وفي ربيع الاول خلع السلطان على قانصوه خاله وقرره في الاستادارية والوزارة عوضا عن قرتباى الاحمر بحكم استعفائه من ذلك وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة السيد الشريف الحسيب النسيب محمد بن بركات أمير مكة المشرفة وكان رئيسا حشما في سعة من المال كفؤا للامرية بمكة المشرفة وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بوفاة اينال باى الابراهيمي نائب طرابلس وكان من حاشية اقبردى الدوادار وفيه جاءت الاخبار أيضا بوفاة اينال باى و بوفاة قرتباى أخي اقبردى الذي كان نائب صفد ثم بقي مقدم ألف بمصر وفر مع أخيه اقبردى فمات في أثناء الطريق ودفن هناك وفيه خلع السلطان على تغرى بردى القادري وقرره في الاستادارية عوضا عن قانصوه خال السلطان

وفيه فى أوائل بابه أمطرت السماء مطرا مهولا حتى وقعت منه عدة أماكن وخسف غالب
القبور التى بالقرافة والصحراء وكان من نوادر الوقائع وفيه خلع السلطان على كرتباى
الاحمر وقرره فى نيابة الشام عوضا عن قانصوه اليحياوى بحكم وفاته وكان كرتباى الاحمر
هو الساعى فى ذلك خوفا على نفسه من الملك الناصر أن يسلط عليه المماليك الجلبان
يقتلونه وقد هموا بذلك غير ما مرة لاجل أن كرتباى الاحمر كان يحجر على الملك الناصر
ويمنعه عن الافعال الفاحشة الشنيعة فكرهه بسبب ذلك وقصد قتله حتى قيل انه ذبح يوما
كبشا بيده وقال هكذا أفعل بكرتباى الاحمر عن قريب فلما خرج كرتباى الاحمر من
القاهرة كان له يوم مشهود وطلب طلبا حافلا وفيه عين السلطان تجريدة بسبب اقبردى
الدوادار فانه لما انكسر وخرج من مصر هارباً حاصر الشام وقصد أن يملكها فلم يقدر
فنهب الضياع التى حول دمشق وخرب غالبها وفعل مثل ذلك بضياع حلب فوقع الاتفاق من
الامراء على خروج تجريدة له فعينوا ذلك وأنفق السلطان على العسكر المعينين للتجريدة
وبعث نفقة الامراء الذين عينوا للخروج الى التجريدة وهم قانصوه البرجى أمير مجلس
وقيت الرحبى حاجب الحجاب وقانصوه الغورى أحد المقدمين وهو الذى تسلطن فيما بعد
واصطمر بن ولى الدين أحد المقدمين وقصروه أحد المقدمين ومن الامراء الطبلخانات
والعشراوات عدة وافرة وفيه جاءت الاخبار بان اقبردى بعد أن حاصر الشام نحوا من
شهرين لم يقدر عليها وحاربه الامراء الذين بالشام ورموا عليه بالمدافع وفر الى حلب فلما
توجه الى حماة حاصرها وأخذ منها أموالا لها صورة فلما وصل الى حلب حاصرها نحوا من
شهرين وكان اينال السلحدار يومئذ نائب حلب وكان من عصبة اقبردى فقصد أن يسلمه
مدينة حلب فرجمه أهل المدينة وطردوه منها وحصنوا المدينة بالمدافع على الاسوار
فعند ذلك فر اقبردى ومن كان معه من الامراء والعسكر وكذلك اينال نائب حلب صحبتهم
وفروا أجمعون وتوجهوا الى على دولات والتجؤا اليه فلما بلغ الامراء ذلك اضطربت
أحوالهم فوقع الاتفاق على أن يولوا جان بلاط بن يشبك الذى كان دوادارا كبيرا نيابة حلب
عوضا عن اينال الذى كان بها بحكم فراره مع اقبردى وفيه خلع السلطان بعد خروج
كرتباى الاحمر الى محل نيابة الشام على محمد بن العظمة وأعاده فى نظارة الاوقاف وكان
الساعى له فى ذلك عبد القادر بواب الدهيشة فكثر عليه الدعاء من الناس بسببه وفيه عمل
السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه فى يوم الخميس ثانى عشريه كان دخول الاتابكى
أزبك الى القاهرة وقد حضر من مكة المشرفة فلما حضر خلع عليه السلطان وأعاده
الى الاتابكية عوضا عن تمراز الشمسى بحكم وفاته فكانت مدة غيبته بمكة سنتين وثلاثة
أشهر وفيه خلع السلطان على جان بلاط المؤتمن أحد العشراوات وقرره فى الحسبة عوضا عن

تانى بك بن حديد بحكم وفاته وفى تلك الايام اشتد الغلاء وانتهى سعر القمح الى ثلاثة أشرفية كل أردب وفيه هجم المتسر على سوق تحت الربع وسوق الحاجب وفتحوا عدة دكاكين فلما بلغ الوالى ذلك ركب وتحارب مع المتسر وقتل جماعة من أعوانه ولم يبلغ من المتسر أربا وراحت على التجار أموالها وفى ربيع الآخر يوم الثلاثاء رابعه كان خروج الامراء الذين عينوا للتجريدة فكان لهم يوم مشهود حتى ارتجت لهم القاهرة وقد تقدمهم كرتباى الاحمر الذى تقرر فى نيابة الشام وسيباى بلاط بن يشبك الذى تقرر فى نيابة حلب واستمرت الاطلاب تنسحب الى قريب الظهر والعسكر خارجون أفواجا أفواجا وفيه ظهر تانى بك الجمالى وكان مختفيا من حين ركب قانصوه خمسمائة وانكسر فلما ظهر خلع عليه السلطان وأعاده الى امرية سلاح عوضا عن كرتباى الاحمر بحكم انتقاله الى نيابة الشام وفيه أعيدت مشيخة المدرسة الاشرفية الى برهان الدين بن الكركى وانفصل عنها عبد البر بن الشحنة وفيه نزل السلطان وتوجه الى قبة يشبك التى بالمطرية وبات بها فلما أصبح شق من القاهرة فى موكب حافل وصحبته قانصوه خاله وبعض أمراء وجعل قدامه طبلين وزمرين وعبيدا سودا ترمى بالنفوط قدامه على هيئة الكشاف وقد تهتكت حرمة السلطان والمملكة ولم يقع من ابناء الملوك من السواقط ما وقع للناصر هذا كما سيأتى الكلام عليه فى موضعه وفيه حضر الشهابى الشيشينى من مكة المشرفة وقد أرسل اليه السلطان مرسوما بالحضور ليلى قضاء الحنابلة فلما حضر خلع عليه السلطان قرره فى قضاء الحنابلة بمصر عوضا عن بدر الدين السعدى وفيه نادى والى القاهرة على لسان السلطان بان أهل الاسواق والحارات يعملون عليهم دروبا فامتثلوا ذلك وبنيت بالقاهرة عدة دروب منها على سوق تحت الربع وسوق أحمد بن طولون وسوق أمير الجيوش وغير ذلك من الاسواق والحارات وكانت المناسر قد كثرت فى تلك الايام جدا وصاروا يهجمون على الاسواق والحارات ويعطعطون بها وفيه من الحوادث الشنيعة نادى السلطان فى القاهرة بأن الامراء المختفين الذين هم من عصبة اقبردى يظهرون وعليهم أمان الله تعالى وأشيع ان اقبردى قد ظهر وانه عند السلطان بالقلعة فعند ذلك ظهر برد بك المعروف بنائب جدة الذى كان من جملة المقدمين وظهر برد بك المحمدى الاينالى وأبو يزيد الصغير وبرسباى السلحدار وبرقوق المحتسب وشادبك وبيبرس وقانصوه التاجر وكرتباى الكاشف وخاير بك الكاشف وقانصوه الساقى ودولات باى بن عيسى وآخرون من الخاصكية وكان قبل ذلك رسم السلطان بالافراج عن مصرباى وكان فى السجن بثغر الاسكندرية فحضر وحضر أيضا قنبك أبو شامة وتانى بك المحمدى الاينالى وجانى باى وكان هؤلاء فى السجن من حين ركب اقبردى الدوادار وانكسر فلما ظهر هؤلاء كثر القال والقيل فى سبب

ظهورهم ثم ان السلطان صرح فى قوله وقال أنا ما رسمت بالاخراج الا لاصلح بينهم وبين الطائفة التى من عصبة قانصوه خمسمائة فلما ظهر واوطلعوا الى القلعة قرى السلطان تلك الليلة ختمة ومد اسمطة حافلة وباتوا عنده فلما صلوا العشاء أحضر عدة خلع فخلع على مصرباى وعينه أمير اخور كبير وخلع على أبى يزيد الصغير وعينه دوادارا ثانيا وخلع على قنبك أبى شامة وعينه نائب القلعة وقرر آخرين منهم فى تقادم ألوف وآخرين فى امريات عشرة وكل هذا خفة وطيش وصبية من الملك الناصر وقد طاش الى الغاية لما خرج كرتباى الاحمر الى الشام وكان يظن أنه ما بقى على يده يد وكل هذا من عقل الصغار فكان كما قال المعمار

ذى دولة خواطر ٭ تسويقه معتر

خليلى وشامى ٭ والنيارمقصر

فلما جرى ذلك تحت الليل بلغ الامراء الذين من عصبة قانصوه ما وقع من السلطان تلك الليلة فلما طلع النهار لبسوا آلة الحرب وصعدوا الى القلعة وثبوا على بعضهم بها وكانت فتنة مهولة فقتلوا الامير أبا يزيد الصغير والامير برسباى الاشقر وهرب الامير مصرباى وقتل قنبك أبو شامة واتسعت الفتنة وقتل فى هذه المعركة جماعة من الخاصكية وقد هموا بقتل السلطان لولا أنه اختفى ثم نزلوا بجثة أبى يزيد على حمار وتوجهوا بها الى داره ليغسلوه ويدفنوه ثم نزل جماعة من المماليك ونهبوا بعض أماكن الامراء الذين من سلف اقبردى ونهبوا بيت الناصرى محمد بن خاص بك لكونه كان صهر اقبردى الدوادار فلما بلغ الاتابكى أزبك ما جرى طلع الى القلعة واجتمع بالسلطان ولامه على هذه الافعال الشنيعة التى تصدر منه فلم يلتفت الى كلامه ثم نزل الاتابكى أزبك الى داره وقد خمدت هذه الفتنة قليلا وكان ذلك فى يوم الخميس حادى عشرى ربيع الآخر وفى جمادى الاولى وقع من الناصر غاية القبح فى حق الامراء المقدمين بأشياء ما سبقه اليها أحد وهو أنه أضاف لكل أمير مقدم ألف ثلاثين مملوكا من المماليك الجلبان يأخذون من اقطاعه فى كل سنة كل واحد منهم عشرة آلاف درهم وأضاف الى أمير كبير أربعين مملوكا لكل واحد كما تقدم وأضاف الى كل أمير طبلخاناة عشرة من المماليك يأخذون من اقطاعه كما تقدم وأضاف الى كل أمير عشرة خمسة مماليك يأخذون منهم كما تقدم فحصل من المماليك فى حق الامراء ما لا خير فيه وصاروا يدخلون بيوت الامراء وهم راكبون ويشوشون على مباشريهم بالضرب والسب حتى يأخذوا منهم ما قرر لهم فأضر ذلك بحال الامراء وما أطاقوا ذلك ولكن لم يطلع من أيديهم شىء بسبب اضطراب الاحوال فى تلك الايام فكان كما يقال

اخضع لقرد السوء فى زمانه ٭ وداره ما دام فى سلطانه

وفيه أمر السلطان بهدم كنيسة اليهود التى فى دموه فتوجه الى هناك بنفسه وهدمت

بحضرته ثم عادالى القلعة وفيه تزوج الامير طومان باى الدوادار الثانى بنت الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق فكان لهامهم حافل وفيه كانت وفاة شيخنا علامة العصر الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن حسن بن عمران بن نجيب المعروف بالقادرى وكان شاعر العصر على الاطلاق بعد الشهاب المنصورى وكان مولده بعد الثلاثة والثلاثين والثمانمائة وكان شاعرا ماهرا وله شعر جيد فمن ذلك قوله فى ميقاتى وأجاد

فى صنعة الميقات بدر نجمسه * بالسعد يخدمه مدى الساعات

حجت عيون الناس كعبة حسنه * وقضت مناسكها من الميقات

وقوله فى فرس تحجيل الثلاثة مطلوق اليمين

وطرف زانه التحجيل يحكى * لمن يحكيه بالسحر المبين

جواد رام أن يخشى نوالا * فأسبل كمه فوق اليمين

وفيه جاءت الاخبار من مكة بأنه وقع بين السيد الشريف بركات وبين أخيه هزاع فتنة كبيرة وكادت أن تخرب فيها مكة المشرفة وفيه توفى امام الكاملية وابن امامها وكان من عباد الله الصالحين دينا خيرا لا بأس به وفى جمادى الآخرة وقعت الوحشة بين السلطان والامرا ابل وبين شاه قانصوه بسبب ما تقدم من تلك الفتنة التى وقعت من حلف اقبردى وقد نسب فيها السلطان الى غرض وفيه قرر يحيى بن سبع فى امرية الينبع عوضا عن دراج بحكم صرفه عنها وفيه جاءت الاخبار بقتل الطواشى لؤلؤ الرومى رأس نوبة السقاة والخازندار وكان قد خرج الى الوجه القبلى فى بعض أشغال ليتوجه الى مكة المشرفة وكان صحبته السميسنى المرافع فخرج عليهم جماعة من العربان فقتلوا لؤلؤا والسميسنى ومن معهم وفيه نزل السلطان وبات فى تربة أبيه وحصل منه تلك الليلة عدة مساوى لا ينبغى شرحها وفيه جاءت الاخبار بوصول الطاعون الى قطيا وقد فشا بها وهو زاحف نحو الديار المصرية وفيه نادى السلطان فى القاهرة ومصر بان تعلق على الحوانيت قناديل وكذلك البيوت المطلة على الشوارع وصار يركب هو بنفسه فى كل ليلة بعد العشاء وقدامه فانوسان أكرو أربعة مشاعل ومعه أولاد عمه قيت وهما جانم وأخوه جانى بك وقدامه عدة عبيد سود معهم بندقيات نفط وكان اذا طاف بالقاهرة بعد العشاء ورأى أحدا يمشى يقطع أذنه مع أنفه ومنهم من يضربه بالمقارع ومنهم من يوسطه فقتل من الناس جماعة فى مدة يسيرة وكان اذا مر بدكان ولم ير عليها قنديلا يأمر بتسميرها وهو واقف بنفسه عليها حتى يسمروها وكل هذا خفة وطيش وقد بهدل حرمة المملكة فى أيامه ولم يتبع طريقة الملوك السالفة فى اقامة حرمة السلطان وصار على طريقة والى الشرطة وفيه قبض بعض الخاصكية والمماليك على عبد من عبيد السلطان يقال له فرج الله وكان مقربا عنده الى

الغاية فضربوه وقتلوه بالرميلة فشق ذلك على السلطان وتأسف عليه ولم يقدر أن يحميه
من المماليك فانهم كانوا متشططين للشر مع السلطان بسبب هذه الافعال التي تصدر منه
وفيه قرر شاهين الجمالي في نظر الحرم الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام على
عادته فخرج الى السفر عن قريب وأمره السلطان بأن يتوجه الى يحيي بن سبع أمير
الينبع ويصلح بينه وبين أمير مكة المشرفة وكان قد وقع بينهما في تلك الايام وحشة وفي
رجب ظهر الطاعون بالقاهرة ومات بها جماعة وفيه تخوفت خوند اصلباي أم الناصر
على ولدها من خاله قانصوه وكانت المماليك قد التفت عليه فأحضرت المصحف العثماني
بين يديها في قاعة العواميد وحلفت عليه أخاها قانصوه وابنها الملك الناصر محمد بوفاء كل
منهما لصاحبه ولم تفد تلك الايمان شيأ وفيه خرج خاير بك بن قانصوه البرجي قاصدا الى
ابن عثمان فخرج في تجمل زائد وصرف في هذه الحركة مالا له صورة وفيه توفي الشيخ
داود المالكي وكان من أعيان علماء المالكية من أهل العلم والدين وكان لا بأس به وفي
شعبان تزايد أمر الطاعون بالديار المصرية ومات من المماليك والاطفال والعبيد والجواري
جانب فلما كثر الموت في المماليك صنع السلطان ثلاثين نعشا برسم من يموت بالقلعة وحصل
بذلك النفع وفيه توفي اينال الفقيه الحسني الظاهري جقمق أحد الامراء الطبلخانات
حاجب ثاني وكان دينا خيرا لا بأس به وفيه وقعت نادرة غريبة وهي أن شخصا من
المماليك السلطانية مات وغسل وكفن ووضع في نعشه وحمل ليدفن فبينما هو في أثناء
الطريق اضطرب وتحرك في أكفانه فوضع على الارض وحلوا أكفانه فاستوى قائما
وعاش بعد ذلك مدة وفيه توفي العزي عبد العزيز بن البرهان وكان من مشاهير الناس
لا بأس به ومات بالطعن وفيه من الحوادث ان الصوفية الذين بالخانقاه البيبرسية ثاروا
على شيخهم الشيخ جلال الدين الاسيوطي وكادوا أن يقتلوه ثم حملوه بأثوابه ورموه في
الفسقية وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها وكان طومان باي الدوادار يحط عليه
فلما تسلطن فيما بعد اختفى الشيخ جلال الدين الاسيوطي في مدة سلطنته حتى كان
من أمره ما سنذكره وفيه خلع السلطان على ماماي جوشن وقرره في الحجوبية الثانية
وفيه صارت معاملة الفلوس الجدد بالعدد وبطل أمر وزنها بالميزان وفيه تزايد شر المماليك
وجاروا على الناس بخطف القماش من الدكاكين والبضائع من الاسواق وصاروا
يستخفون بالسلطان والامراء فقيل ان بعض المماليك كان راكبا على فرس حرون فصادف
جنازة في وجهه فجفل منها فرس ذلك المملوك ووقع الى الارض فقام وهاش وضرب
الحمالين الذين كانوا يحملون الميت فلما عاين ذلك الحمالون ألقوا الميت على الارض وهربوا
فلما هربوا وقع المملوك في الميت وضربه بالدبوس حتى اشتفى وصار الميت ملقى على الارض الى

آخر النهار وقد جرت هذه الواقعة في سويقة صفية وصار الطعن عمالا والمماليك جائرة في
حق الناس بالأذى حتى قلت في ذلك هذه المداعبة وهي قولي

قد قلت للطعن وللمماليك * جاوزتما الحد في النكايه

ترفقا بالورى قليلا * في واحد منكما كفايه

وكان الناس على ما ذكرناه من هذه الأفعال الشنيعة والملك الناصر في طيشانه ولعبه وفيه
نزل الناصر إلى بولاق في ليلة سيدي إسماعيل الانبابي رحمه الله تعالى ورضي عنه وشق البحر
في مركب ومعه جماعة من العوام يغنون على النداء والاجهار وكان معه أولاد عمه وهما
جانم وأخوه جاني بك وأحرق تلك الليلة ببولاق حراقة نفط عظيمة وبات في المركب تلك الليلة
وكانت من الليالي المشهورة وفعل مثل ذلك عدة مرار وفيه مات بالطاعون شاه بضاع بن
دلغادر أمير التركمان وكان مقيما بالقاهرة وفيه جاءت الأخبار بأن العسكر الذين توجهوا إلى
مواجهة اقبردى قد تبعوه إلى عين تاب وتقاتلوا معه هناك ووقع بينهم واقعة عظيمة فانكسر
اقبردى كسرة مهولة وقتل من عصبته جماعة كثيرة منهم اينال السلحدار نائب حلب الذي
كان معه وقتل لعلي دولات معه ولدان وقتل من الخاصكية والمماليك الذين كانوا معه
جماعة كثيرة وقد حاربه كرتباي الأحمر نائب الشام أشد المحاربة وكان قد توجه إليه عصبة
العسكر إلى عين تاب حتى تحارب معه وانكسر وهرب وطلع على جبل الصوف وقيل إنه لما
انكسر وصعد على جبل الصوف توجه إلى نحو الفرات بمن معه من الأمراء والمماليك
وفي رمضان تزايد أمر الطاعون وفتك في المماليك والأطفال والغرباء والعبيد
والجواري فتكا ذريعا حتى قيل إنما انتهى إلى ثمانية آلاف من الأموات فكان كما قيل

الآن بحر الوبا قد طغى * وقد أرسل الطعن طوفانه

ولا عاصم اليوم من أمره * سوى رحمة الله سبحانه

ومات من الأعيان جماعة كثيرة منهم الناصري محمد ابن الشهابي أحمد بن العيني وكان شابا
رئيسا حشما أديبا عاقلا تولى من الوظائف حسبة القاهرة ونظر الجوالي ووكالة بيت
المال وتوجه إلى الحجاز أميرا أول في دولة الملك الناصر وكان عنده من أخصائه ومات بيبرس
ابن حيدر الاشرفي قايتباي نائب القلعة ومات الأمير جان بلاط الغوري رأس نوبة النوب
وكان قليل الأذى لا بأس به وكان أصله من مماليك الأشرف قايتباي ومات صنطباي المبشر
الاشرفي قايتباي أحد الأمراء الطبلخانات وماتت شاشة أم اقبردى الدوادار الجركسية فنزل
السلطان وصلى عليها وحمل نعشها قانم وخال السلطان ومشى بمشطوات وماتت أم
الجمعة بن عثمان سرية أبيه محمد بن عثمان ملك الروم وكان اسمها جلك وكانت لا بأس
بها ومات قيت الاشرفي أحد العشراوات وشاد الطرائة ومات عبد القادر الأوجاقي بواب

الدهيشة وكان عند الملك الناصر من جملة المقربين وكانت الناس تسعى في الوظائف على يديه وفيه من الوقائع أن شخصا من المماليك الجلبان طعن فلما أشرف على الموت أحضر شهودا وأخرج بين أيديهم جملة قماش ما بين بشاخين ومقاعد ومخدات وبسط وغير ذلك ومبلغا نحوا من ثلاثة آلاف دينار وأخبر أنه نهب ذلك من مكان سماه ثم قال له الامة امض وأتني بأصحاب ذلك القماش فمضى الغلام والشهود جالسون عنده فغاب ساعة ثم أحضر أصحاب القماش فعرفهم بذلك المملوك فسلمهم تلك الاموال والقماش بحضرة الشهود وسألهم المحاللة فلما حاللوه ومات من ليلته فعد ذلك من الوقائع ومات آخر من المماليك الجلبان فوجد عنده خمسة عشر ألف دينار فذكر غلامه أنه نهب ذلك من حاصل اقبردى الدوادار في حارة زويلة فحمل ذلك المال الى خزائن السلطان ومات مصرباى بن على باى الذى كان نائب قلعة حلب وعزل عنها وفيه رسم السلطان لما كثر الموت بعمارة سبيل المؤمنين وهى المصلى التى بالرميلة وكان خرابا من حين حاصر اقبردى القلعة وفيه جدد الامير طومان باى الدوادار الثانى ما فسد من مدرسة السلطان حسن من حين كانت واقعة اقبردى الدوادار فجدد باب المدرسة الذى كان احترق وسد شبابيك القبة وأصلح ما فسد منها وأقيمت الخطبة بها وصلاة التراويح وكانت معطلة نحوا من عشرة أشهر بسبب ما تقدم وفيه قبض على انسان زعم وا أنه ينبش القبور على الموتى ويسرق أكفانهم فأمر السلطان بسلخ وجهه وهو حى فسلخوه من رأسه الى رقبته وأرخوه على صدره وصار عظم رأسه ظاهرا وطافوا به فى القاهرة ثم علقوه على باب النصر واستمر معلقا الى أن مات ثم نودى للمغاربين بحفظ أكفان الموتى وفى أواخره تناقص أمر الطاعون وكانت مدته ثلاثة أشهر ومات بمزيادة على مائتى ألف انسان من كبير وصغير ومن المماليك السلطانية نحو من ألف ومائتى انسان وفى شوال خلع السلطان على قرقماس بن ولى الدين وقرره فى رأس نوبة كبير عوضا عن جان بلاط الغورى بحكم وفاته وفيه قرر يلباى المؤيدى من جملة المقدمى الالوف بمصر وفيه فى رابع عشره وصل سودون الدوادارى أحد الامراء العشراوات وصحبته عدة رؤس ممن قتل فى المعركة التى وقعت بين اقبردى والعسكر الذين خرجوا من مصر كما تقدم فكان عدة تلك الرؤس احدى وثلاثين رأسا وكان فيها رأس ايتال السلحدار نائب حلب الذى فر مع اقبردى وفيها رأس ابن على دولات الذى قتل فى المعركة وقيل ان الذين قتلوا اثنان وثلاثون فكان دخولهم فى القاهرة يوم مشهود ودخلت الرؤس وهى مشهورة على رماح وشقوا بها من القاهرة والمشاعلى ينادى عليها فلما عرضوا على السلطان رسم بان يعلقوا على أبواب المدينة فعلقت رأس ايتال ورأس ابن على دولات على باب زويلة والباقى على باب النصر وغيره وكل هذا يشق على الملك الناصر فى الباطن وكانت له عناية بأقبردى وتعصب وأخبر سودون الدوادارى ان كرتباى الاحمر نائب الشام رجع الى الشام وان

جان بلاط نائب حلب رجع الى حلب وان العسكر واصل عن قريب وفيه جاءت الاخبار
أن كرتباى الاحمر لما استقر فى نيابة الشام استولى على نيابة قلعة الشام أيضا مضافا لما بيده
من نيابة الشام وهذا الامر عزيز الوقوع جدا وفيه أمر السلطان ببناء جامع القيوم
وكان القائم فى ذلك الشيخ عبد القادر الدشطوطى وأرسل السلطان صحبته جماعة من
البنائين والمهندسين وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بان كاتب السر بدر الدين ابن
مزهر لما توجه الى مكة أصلح بين أمير مكة المشرفة وأخيه بمرسوم السلطان وجاءت الاخبار
من مكة المشرفة أيضا بوفاة بردبك نائب جدة وكان أحد المقدمين بمصر وخرج منفيا الى
مكة المشرفة بعد كسرة اقبردى فمات بها وكان أصله من مماليك الاشرف قايتباى وكان
لابأس به وفيه كان ابتداء الوحشة بين السلطان وخاله وصار بعض الامراء يمشى بينهما
الفتن حتى بلغ بذلك مقاصده وخيلوا الملك الناصر من خاله وخيلوا خاله منه باشياء من أنواع
الحيل والخداع وأخذوا فى أسباب ما تم به الحيلة على قتل الملك الناصر وقد سعوا فى
ذلك سعى الشطار حتى كان من أمره ما سنذكره فى موضعه وقد قيل فى معنى ذلك

صف بالدهاء الذى يخشى الدهاء فما * ينام شيمة ان تبدو له الحيل
فقد يبيت بقلب ضمه أسد * ولا يبيت بقلب ضمه رجل

وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير ركب المحمل تانى بك الجمالى وأمير
ركب الاول جان بلاط المؤتزر المحتسب وفيه جدد الامير قانصوه خال السلطان خطبة فى
المدرسة البشيرية التى بدرب الخازن ولم يكن ما قبل ذلك خطبة فجدد الخطبة بسبب مماليكه
وكان ساكنا بالقرب منها وفيه قبض الوالى على شخص من السراق فلما عرضه على السلطان
أمر بقطع يده ورجله وألزم ذلك السارق أن يقطعهما بيده ففعل ذلك بحضرة السلطان
وفيه دخلت التجريدة التى توجهت الى اقبردى الدوادار وقد حضروا من غير اذن السلطان
فشق عليه ذلك وأخذ حذره من الامراء لكونهم دخلوا من غير اذن منه وفى ذى القعدة
جاءت الاخبار من حلب بان اقبردى الدوادار لما بلغه أن التجريدة عادت الى مصر عاد الى
عين تاب وصار ينهب البلاد ويقطع الطريق على التجار فلما بلغ الامراء ذلك أعياهم أمره
وفيه تزايد أمر العربان بالشرقية حتى خرج اليهم قانصوه خال السلطان وفر قماس رأس
نوبة كبير فلما خرج قانصوه خال السلطان سرح فى بلاد الشرقية والغربية سرحة عظيمة
وغاب نحوا من شهر ودخل عليه جملة تقادم حافلة من الكشاف ومشايخ العربان وغيرهم
وفيه قصد السلطان أن يخرج الى مولد سيدى أحمد البدوى رحمه الله ورضى عنه فلم يمكنه
الامراء من ذلك وفيه توفى الخطيب الوزيرى شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عثمان المالكى
وكان من أهل العلم والفضل لابأس به وفى ذى الحجة عاد قانصوه خال السلطان من السرحة

فنادى له السلطان فى القاهرة بالزينة فزينت له ثم انه دخل فى موكب حافل وطلع الى القلعة فخلع عليه السلطان خلعة سنية فلما نزل من القلعة ووصل الى رأس الصوة لاقاه جماعة من المماليك السلطانية الجلبان وبأيديهم دبابيس مصوبة فقالوا له قل للسلطان ينفق علينا بسبب نصرته على اقبردى واستمروا يحاصرونه من رأس الصوة الى أن دخل بيته الذى عند درب حمام الفارقانى فلما دخل الى بيته وقفوا له على الباب حتى قلع الخلعة وأكل المدة وأركبوه ثانيا وطلعوا به الى القلعة وهو مهددمعهم بالقتل فلما طلع الى السلطان لم يوافقه على ذلك فرد الجواب على المماليك بالمنع من السلطان فاستمروا صابرين حتى مضى عيد النحر وانقضى أمر تفرقة الاضحية فلبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرملة وحاصروا السلطان وهو بالقلعة وكان قانصوه خاله عنده فوق القلعة وتوجهوا الى بيت الاتابكى أزبك فاركبوه غصبا وطلعوا به الى القلعة فتكلم مع السلطان فى ذلك فامتنع ساعة ثم انه وقع الاتفاق على أنه ينفق عليهم بعد مضى شهر لكل مملوك خمسون دينارا فلما نزل الاتابكى أزبك من القلعة رد عليهم الجواب بذلك فخمدت تلك الفتنة وقلعوا آلة السلاح وفيه أخذ السلطان فى أسباب جمع الاموال فوزع على المباشرين جانبا وعلى قضاة القضاة جانبا وعلى أعيان الناس من التجار وغير ذلك حتى على اليهود والنصارى قاطبة ومشاهير السوقة والمتسببين وكان القائم فى ذلك قانصوه خال السلطان وأعوانه وهم ناصر الدين الصفدى وكيل بيت المال وابراهيم المهاجرى امام الامير قانصوه خال السلطان وقانى بك الدوادار يحلس قانصوه خال السلطان فى داره الذى عند درب حمام الفارقانى وأحضر المعاصير والكسارات وأحمى خود حديد على النار وطلب الناس بالرسل الغلاظ الشداد فأما قاضى القضاة المالكى ابن تقى فانه اختفى فى بيته وكذلك قاضى القضاة الحنبلى الشهاب الششينى وطلب القاضى شهاب الدين أحمد ناظر الجيش فامتنع مما قرر عليه فطرح على الارض ليضرب وكذلك ناظر الخاص علاء الدين بن الصابونى وعلى هذا فقس بقية الناس من الاعيان والمشاهير فجمعت تلك الاموال من الناس بالضرب والحبس والتراسيم وحصل لهم غاية المشقة بسبب ذلك فكثر الدعاء على الناصر وخاله وقد تزايد الظلم والجور فى تلك الايام الى الغاية حتى فرج الله تعالى عن قريب وكان كما قيل

وماذا ينفع الترياق يوما * اذا وافى وقد مات اللديغ

فلما تكامل جمع الاموال ابتدأ السلطان بتفرقة النفقة فأعطى لطائفة المماليك القايتباهية لكل واحد منهم خمسون دينارا وما عدا ذلك خمسة وعشرين دينارا وفيما كان من أخبار الملك الناصر التى هى فى غاية البشاعة انه دخل الى حارة الروم وهجم على دار ابراهيم مستوفى الخاص ليلا وقبض على ولده أبى البقا ورام توسيطه فالتى والده نفسه

عليه واقتداءه بألف دينار قيل كان سبب ذلك أن الناصر بلغه أن زوجة أبي البقاء جميلة فهجم عليه بسببها فأخفوها منه فجرى بسبب ذلك ما جرى وهذا الكلام مستفاض بين الناس والله أعلم وفيه جاءت الاخبار من بلاد المغرب بان المسلمين أخذوا حصن جربة من أيدى الفرنج وكانوا قد استولوا عليه نحوا من سنة وأشهر فكانت النصرة للمغاربة على الفرنج وفيه كثرت الفلوس الجدد بأيدى الناس حتى صارا لنصف الفضة يصرف بأربعة عشر من الفلوس الجدد وصار الدينار الذهب يصرف من الفلوس بثلاثين نصفا وصارت البضائع تباع بسعرين سعر بالفضة وسعر بالفلوس الجدد وأضر ذلك بحال الناس وقد وقع في دولة الاشرف قايتباى أن النصف الفضة وصل صرفه بالفلوس أربعة وعشرين وفيه تزوج قايتباى قرا أمير اخوركبير بنت يشبك الدوادار التى كانت زوجة كرتباى ابن عمة السلطان الاشرف قايتباى الذى قتل في واقعة اقبردى بمدرسة السلطان حسن وفيه خرج نوروز اتلوخ أحد الامراء العشراوات قاصدا الى كرتباى الاحمر نائب الشام وعلى يده مراسيم بالعتب عليه لكونه استولى على نيابة قلعة الشام من غير اذن السلطان فتوجه اليه وعاد بعد مدة بغير طائل وفيه توفى اقباى استادار الذخيرة وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة اسنباى الذى كان نائب الاسكندرية واتهم بموته كاتب السر لما توجه الى هناك وقد خرجت السنة المذكورة عن الناس وهم في أمر عظيم ووقع بها الغلاء والفناء والمصادرات وجور السلطان في حق الناس كما تقدم وأذى المماليك في حق الرعية وقد كان الناس في غاية الاضطراب وما كفى هذا كله حتى فشا في الناس داء يقال له الحب الفرنجي أعاذنا الله تعالى منه والمسلمين أجمعين بمنه وكرمه وقد أعيا الاطباء أمره ولم يظهر هذا بمصر قط الا في أوائل هذا القرن ومات به من الناس مالا يحصى

❁ ثم دخلت سنة أربع وتسعمائة فيها في المحرم كان خليفة الوقت المستمسك بالله أبا الصبر يعقوب بن المتوكل على الله عبد العزيز وسلطان العصر الملك الناصر أبا السعادات محمد ابن الاشرف قايتباى رحمه الله وأما القضاة الاربعة فالقاضى زين الدين زكريا الشافعى والقاضى برهان الدين بن الكركى الامام الحنفى والقاضى عبد الغنى بن تقى المالكى والقاضى شهاب الدين احمد بن الشيشينى الحنبلى وأما الامراء المقدمون فقد تقلبت أحوالهم بموجب ما جرى من الفتن والقتل كما تقدم في أخبار السنة الخالية فكان الاتابكى أزبك بن ططخ أمير كبير يومئذ وتانى بك الجمالى الظاهرى جقمق أمير سلاح وقانصوه المحمدى المعروف بالبرجى أمير مجلس وقانى باى ازماح أمير اخور كبير وقانصوه خال السلطان دوادار كبير واستادار كبير وكاشف الكشاف وقرقماس بن ولى الدين رأس نوبة كبير وقيت الرجبى حاجب كبير وبقية الامراء على حكم ما تقدم من أخبارهم وأما

المباشرون

المباشرون فالقاضي بدر الدين بن مزهر كاتب السر ونائبه صلاح الدين بن الجيعان والقاضي شهاب الدين أحمد ناظر الجيش والقاضي علاء الدين بن الصابوني ناظر الخاص ووكيل بيت المال وبقية المباشرين على حكم ما تقدم وفيه من الوقائع أن النيل أوفى تاسع عشر مسرى الموافق لرابع المحرم وكان السلطان عوّل على أن ينزل ويفتح السد بنفسه وأخذ في أسباب ذلك فلم يمكنه الامراء من ذلك خوفا عليه من القتل فشق عليه ذلك فلما صلى العشاء نزل من القلعة على حين غفلة وقدامه عدة فوانيس ومشاعل ومعه أولاد عمه وبعض خاصكية نحو من مائة خاصكي فتوجه الى السد وفتحه تحت الليل ثم توجه الى سد قنطرة قديدار ففتحه أيضا ثم عاد الى القلعة وكل هذا تحت الليل فلما طلع النهار وجد الناس الماء في الخلجان والبرك قد غمرت بالمياه فتعجبوا من ذلك وما وقع قط في الجاهلية ولا في الاسلام أن السد فتح بالليل وقد قطع على الناس فرحتهم بيوم الوفاء وما كان فيه من القصف والفرجة المعتادة وفي هذه الواقعة يقول الناصري محمد بن قانصوه بن صادق

منذ السلطان قالوا * للورى بالكسر جبر
كسر السد بليل * فغدا للناس كسر

وفيه توجه السلطان الى قناطر أبي المنجا وفتح سدها أيضا فعد ذلك من النوادر وفيه ضرب السلطان الكرة بالحوش في غير موكب وكان معه بعض أمراء الطبلخانات والعشراوات منهم الامير طومان باي الدوادار الثاني فاقتصم على أخذ الكرة من السلطان فحنق منه السلطان وضربه على ظهره بالصولجان غير مامرة فكان ذلك من جملة ما حقده طومان باي حتى كان سببا لقتله عن قريب وفيه مر السلطان من بين القصرين بعد العشاء فرأى شخصا ماشيا في السوق وقد خرج من الحمام فقيل له هذا الرجل سكران فوسطه ولم يفحص عن أمره وراح ذلك الرجل ظلما وكان الناصر قد ترايد شره في تلك الايام الى الغاية وفيه نادى السلطان لسكان بركة الرطلي بأن يوقدوا بها وقدة سبع ليال متوالية فامتثلوا ذلك وصار ينزل في المراكب ويطوف البركة هو وأولاد عمه وان رأى امرأة جميلة في بيتها هجم عليها وطلع لها من الطاق وأخذها غصبا وضرب زوجها بالمقارع في وسط بيته فارتاب الناس منه وبقي على رؤسهم طيرة وفيه من الحوادث انه أشيع بين الناس ان السلطان عمل له برقا سافلا بتربة أبيه وقد عول على أن يسافر في الدس الى نحو البلاد الشامية بسبب اقبردى الدوادار ليكون له عونا على نصرته ودخوله الى مصر وكان الناصر له عناية باقبردى ظاهرا وباطنا فلما بلغ الامراء ذلك توجهوا الى المكان الذي فيه السيح ونهبوه الى آخره وضربوا الغلمان الذين تعينوا الى السفر مع السلطان وكادت أن تكون فتنة مهولة بسبب ذلك وقصدوا أن يلبسوا آلة السلاح ويثير وا فتنة عظيمة ثم سكن الامر قليلا وفيه وصل الحاج

ودخل الى القاهرة بعد أن قاسى مشقة زائدة وعطشا وقلة أمن من فساد العربان وأشيعت الاخبار بوفاة يوسف بن أبي الفتح كاتب المماليك مات بمكة المشرفة وكان مجاورا بها وكان لا بأس به وفيه وقعت نادرة وهي أن المحمل لما دخل الى القاهرة صحبة الحاج شق المدينة فلما أن وصل الى جامع الماردانى بركوا جمل المحمل هنالك وأرادوا أن ينزعوا ما عليه من القماش واذا بقاصد من عند السلطان بطلب المحمل وكان بقبة يشبك التى بالمطرية فتوجهوا به اليه فشقوا به من القاهرة ثانيا حتى رآه السلطان وهو بالقبة ثم عادوا به فشق القاهرة ثالث مرة فعد ذلك من النوادر التى قط ما وقعت وفى صفر جاءت الاخبار من البحيرة بان ابن الجويلى ومرعى أثاروا فتنة مهولة بالبحيرة ونهبوا البلاد وأسروا النساء وقتلوا الاطفال وأشيع ان ابن الجويلى حلف أنه لا يمكن أحدا من أرباب الدولة أن يأخذ خراجا من بلاد الغربية والبحيرة فى السنة المذكورة فلما تحقق السلطان ذلك عين تجريدة الى البحيرة فلم يوافق أحد من الامراء ولا العسكر على ذلك وكان النيل فى قوة زيادته ثم ان السلطان نادى للعسكر بالعرض فى الميدان فلما حضر العسكر لم ينزل اليهم السلطان وكذ تخوف على نفسه فانفض ذلك الجمع وكثر القال والقيل بين الناس وكانت أيام الناصر كلها فتنا وشرورا وفيه ظهر البدرى بن مزهر كاتب السر وكان مختفيا فارسل له السلطان بالامن والامان وفيه قرر السلطان قانصوه بركس المعروف بابن اللوقاف بجوبية الحجاب بدمشق وفيه قرر ابراهيم بن يحيى المهاجرى فى نظر الديوان المفرد بواسطة قانصوه خال السلطان فانه كان أمامه وفيه نودى فى القاهرة من قبل السلطان بان جميع الحوانيت التى بالاسواق والشوارع يبيضون وجوهها ويزخرفونها بالدهان فحصل للناس بسبب ذلك غاية المشقة ثم رسم بتبييض وجوه الربوع المطلة على الشوارع وكل هذا من وسائط السوء التى حوله وعقل الصغار وفيه تزوج السلطان بمصرباى الجركسية زوجة كرتباى أخو اقبردى الدوادار الذى كان نائب صفد ووقع بين السلطان وأمه بسبب زواج مصرباى ما لا خير فيه وكانت عليه كعب الشوم فاقام معها دون الشهر وقتل وفى ربيع الاول طلع القضاة الاربعة للتهنئة بالشهر فلما تكامل المجلس أحضر السلطان المصحف العثمانى بين يديه وحلف العسكر قاطبة عليه ثم حلف الامراء فلما حلفوا قالوا مثل ما حلفنا السلطان يحلف لنا هو أيضا أنه لا يمسك منا أحدا بغير سبب فتوقف السلطان فى ذلك اليمين وكان المتكلم بين السلطان والامراء تانى بك الجمالى أمير سلاح فانفض المجلس على مانع ونزل الامراء من غير رضا فلما كان يوم الجمعة لم يطلع من الامراء أحد الى صلاة الجمعة مع السلطان واجتمعوا فى بيت قانصوه خاله ولم يمكنوه من الطلوع الى القلعة واستمر الحال الى يوم الاثنين ثم ان السلطان أرسل نقيب الجيش الى طومان باى الدوادار الثانى وطراباى أمير اخور ثانى وازدمر شاد الشراب خاناه واسنباى فقال لهم نقيب الجيش عن لسان

السلطان رسم السلطان لكم بأن تكتبوا وصية وتخرجوا في عقيب هذا اليوم وتتوجهوا الى مكة المشرفة من البحر فلم يلتفتوا الى كلام نقيب الجيش وقالوا والله ما نخرج من مصر لموضع ومهما يفعله بنا يفعل فعند ذلك أضمروا له السوء وتغيرت عليه خواطر الامراء قاطبة وهو في غفلة عما يراد به وقد حقدوا عليه قبل ذلك مما يقع منه من هذه الافعال الشنيعة وصار كل أحد من الناس حاقدا عليه باطنا وظاهرا من سوء تدبيره كما قيل

ما تفعل الاعداء في جاهل • ما يفعل الجاهل في نفسه

وفيه ظهر مصرباي وآخرون من الامراء ممن كانوا مختفين من عصبة اقبردي الدوادار فلما ظهروا طلعوا الى القلعة وهم مصرباي وقانبك أبو شامة وقانصوه التاجر وقراز جوشن وقانصوه الساقي وآخرون من الخاصكية وكان ظهورهم بأمر السلطان وجماعة من الاينالية منهم دولات باي بن عيني و برقوق الساقي فلما قابلوا السلطان خلع عليهم وعلى خاله وأشيع بان الصلح قد وقع بين حاشية اقبردي الدوادار و بين حلف قانصوه خمسمائة وكان هذا أكبر أسباب الفساد في حق الملك الناصر وأخذ عقيب ذلك بايام وفيه نزل السلطان بقبة يشبك الدوادار التي بالمطرية فأقام بها الى آخر النهار وعاد الى القلعة وكان هذا آخر ركوبه الى جهة قبة يشبك وفيه عمل السلطان المولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فلم يطلع الى القلعة من الامراء سوى أزبك أمير كبير وتاني بك الجمالي أمير سلاح و بعض أمراء عشراوات والقضاة الاربعة ولم يطلع خاله قانصوه ولا أحد من الامراء ولا حضروا المولد ووقع في ذلك اليوم من المماليك الجلبان في حق الامراء والفقهاء ما لا خير فيه و رجموا الامراء من الاطباق وكبوا عليهم الماء المتنجس بالاوساخ وخطفوا عمائم الفقهاء وكان يوما مهولا فلما انقضى يوم المولد بعث السلطان يقول لطومان باي دوادار ثاني اخرج في هذه الساعة على بر الجيزة الى جهة الصيرة بسبب فساد جويلي ومرعي فخرج طومان باي من يومه وأتى الى بر الجيزة ونصب بها خيامه فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر الشهر المذكور نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو القناطر العشرة وكان ذلك في أواخر النيل فعدى الى بر الجيزة وسبقه الخيام والمطبخ وكان عنده حياب كبير من بقية احتياج المولد فلما وصل السلطان الى الوطاق نزل به ولم يكن معه سوى أولاد عمه قيت وهما جانم وجاني بك أخوه وجماعة من الخاصكية ولم يتوجه معه أحد من الامراء ولا خاله فارسل أحضر أبا النسير ومعه خيال الظل وجوق مغاني العرب و براوه رئيس الحبظلين فأقام هناك ثلاثة أيام وهو في أرغد عيش وقد خرج عن الحد في اللهو والخلاعة والانشراح ومد هناك أسمطة حافلة وحلوى وفاكهة وغير ذلك وأنعم على جماعة من الخاصكية بخيول وقماش ومال وانشرح في تلك الايام بخلاف العادة وتلاعبت به الدنيا

كأنه لاعبث بأمثاله من المقدمين فكان كما قيل

تزود من الدنيا فانك لاتدرى * اذا جن ليلك هل تعيش الى الفجر

فكم من صحيح مات من غير علة * وكم من عليل عاش حينا من الدهر

وكم من فتى يمسى ويصبح آمنا * وقد نسجت أكفانه وهو لايدرى

فلما كان يوم الاربعاء خامس عشر الشهر المذكور أدركت السلطان تفرقة الجامكية فأذن للخاصكية الذين كانوا معه أن يتقدموا قبله كى لايزاحموه وقت التعدية فتقدم جماعة منهم وراحوا الى بيوتهم فصلى السلطان العصر وركب ولم يبق معه سوى ابن عمه وبعض سلحداريته فلما ركب مر على الطالبية وكان الامير طومان باى هناك بقصد التوجه الى البحيرة كما تقدم ذكره فلما مر عليه خرج له طومان باى مسرعا وعزم عليه فلم ينزل عنده فخرج اليه بجفنة فيها لبن فاتر فوقف السلطان وهو راكب على فرسه فقدموا له الجفنة اللبن ومعلقة فمد يده الى الجفنة وأكل من اللبن فبينما هو يأكل والامير طومان باى ماسك بلجام فرسه فلم يشعر الا وقد خرج عليه كمين من الخيام التى هناك نحو من خمسين مملوكا وهم لابسون آلة السلاح فاحتاطوا به وعاجلوه بالحسام قبل الكلام فقتلوه شر قتلة وحملوا عليه اى حملة فجاءته ضربة على عاتقه وكتفيه فهدلته وطاعن فى جوفه فوقع عن فرسه الى الارض وقتلوا أولاد عمه الاثنين جانم وأخاه جانى بك وكانا شابين جميلين وقتل معهما شخص من السلحدارية يقال له أزبك المغرى الخاصكى المعروف بالبواب وكان من خواص السلطان وتقريب هذه الواقعة من واقعة الاشرف خليل ابن الملك المنصور قلاون وقد قتل مثل هذه القتلة بعينها فى تروجة بمكان يعرف بالحمامات وذلك فى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة قتله مماليك أبيه أيضا وكانت قتلة الملك الناصر فى يوم الاربعاء بعد العصر خامس عشر ربيع الاول سنة أربع وتسعمائة وقتل بأرض الطالبية وقد نسب قتله الى طومان باى وأزبك وازدمر وبعض مماليك أبيه فكان كما قيل فى المعنى

كنت من كربتى أفر اليهم * فهم كربتى فأين المفر

أو كما قيل

ورعاة الشاة تحمى الذئب عنها * فكيف اذا الرعاة هى الذئاب

فلما قتل الملك الناصر صارت جثته مرمية على الارض ومن قتل معه فلما دخل الليل حمله جماعة شيخ الطالبية وأدخلوه مسجدا هناك وألقوه على حصير هو ومن معه وهو ملطخ فى دمه ورأسه مشتبكة فى جثته ببعض شئ ثيابات هناك فى تلك الليلة فلما جاءت الاخبار الى القاهرة بما وقع للناصر من قتله اضطربت أحوال المدينة وماجت بأهلها ولبس العسكر آلة الحرب وكانوا تلك الليلة فى اضطراب وكان جماعة من الامراء قرروا مع الامير قانصوه خال السلطان انه اذا قتل الناصر يكون هو السلطان بعده فتغافل عن هذه الواقعة حتى قتل الناصر ولولا انهم استمالوا خاله لما قدروا عليه ولا قتلوه فلما كان يوم الخميس صبيحة ذلك الاحد

بعث نائب السلطان ثلاثة نعوش الى الطالبية فأحضروا جثة السلطان وأولاد عمه جانم وأشاميانى بك وازبك الخاصكى فلما عدوا بهم من الجيزة أتوا بهم الى بيت الاشرف قايتباى الذى أنشأه بقرب حمام الفارقانى فغسلوا السلطان وأولاد عمه والخاصكى وأخرجوا ولم يكن معهم غير الحمالين فقط فأتوا بهم الى باب الوزير فلم يجدوا من يصلى عليهم حتى أمسكوا بعض الفقهاء وصلى عليهم ثم توجهوا بهم الى تربة الاشرف قايتباى فدفنوا الملك الناصر على أبيه داخل القبة وأولاد عمه على جانم قريب السلطان وازبك الخاصكى وحده بعيدا عنهم فى التربة وقد رثيت الملك الناصر لما مات بهذين البيتين وهما قولى

يا قبر لا تظلم عليه فطالما * جلى بطلعته دجى الاظلام

طوبى لقبر قد حواه وكيف لا * يحكى السماء وفيه بدر تمام

وكان الملك الناصر حسن الشكل أبيض اللون عربى الوجه نحيف الجسد معتدل القامة وكان ضعيف الخط فى العلامة قتل وله من العمر نحو من سبع عشرة سنة وكان مولده سنة سبع وثمانين وثمانمائة وكان يوصف بالكرم الزائد والشجاعة لكنه كان جاهلا عسوفا يرى اليد سفا كالدماء سيئ التدبير كثير العشرة للاوباش من أطراف الناس ووقعت منه أمور شنيعة فى مدة سلطنته لا ينبغى شرحها وليس له من المحاسن الا القليل وسار فى المملكة أقبح سير ولم يقع من أبناء الملوك من السوء قط ما وقع منه فى سائر أفعاله حتى جاوز الحد فى ذلك وفيه أقول

سلطاننا الناصر المفسدى * أخباره نقلها صحيح

بالجهل أضحى قبيح فعل * فلم يفد شكله المليح

وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية نحوا من سنتين وثلاثة أشهر وتسعة عشر يوما وكانت أيامه كلها فتنا وشرورا وحروبا قائمة كما تقدم ذكر ذلك من الوقائع وما كان قصد السلطان الاشرف قايتباى أن يتسلطن ولده خوفا عليه من ذلك انتهى ما أوردناه من أخبار الناصر محمد ابن الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى وذلك على سبيل الاختصار ولما قتل الملك الناصر تولى بعده خاله المقر السيفى قانصوه الدوادار الكبير

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبى سعيد قانصوه ابن قانصوه الاشرفى

وهو الثالث والاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو السابع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد وكان أصله جركسى الجنس اشتراه الامير قانصوه الالفى مع جملة مماليك وقدمهم للسلطان الاشرف قايتباى فى سنة ثمان وتسعين وثمانمائة

فأنزل بالطبقة مع جملة المماليك الكتابية فأقام بها مدة يسيرة ثم ظهر انه أخو سرية السلطان أصل باى الجركسية ام ولده محمد الذى تسلطن فأخرج له السلطان خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك الجمدارية فأقام على ذلك حتى توفى الاشرف قايتباى وتسلطن ولده الناصر محمد فعمل خازندارا كبيرا وبقى يسمى خال السلطان فلما وثب قانصوه خمسمائة على الملك الناصر كما تقدم لم يكن عنده بالقلعة الا خاله قانصوه هذا وجماعة كثيرة من المماليك الجلبان فقام قانصوه بنصرته هو والمماليك الجلبان وقاتلوا قتال الموت بعدما أرسل قانصوه خمسمائة بادخال الناصر الى قاعة البحرة وتقييده فلما انتصر الناصر على قانصوه خمسمائة خلع على خاله قانصوه وقرره أمير طبلخانات وشاد الشراب خاناه دفعة واحدة فعظم أمره وشاع بين الناس ذكره ولما ركب اقبردى الدوادار وانكسر وتوجه الى البلاد الشامية خلع السلطان على خاله وقرره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن اقبردى ثم قرره فى الوزارة والاستادارية فعظم أمره جدا فلما قتل الناصر وقع الاضطراب بين الامراء فيمن يتسلطن بعد الناصر فاجتمع الامراء بدار الظاهر تمربغا وحضر الاتابكى أزبك وبقية الامراء وأشيع فى ذلك اليوم أن قانصوه خمسمائة فى قيد الحياة فنودى له بالامان وأن يظهر فلم يكن لهذا الكلام تأثير وبطلت هذه الاشاعات ثم قالوا للاتابكى أزبك تولى السلطنة أنت فحلف بالطلاق ثلاثا من بنت الملك الظاهر بانه ما يتسلطن وان يعود الى مكة المشرفة كما كان ثم صعدوا الى باب السلسلة وحضر قانصوه خال السلطان الناصر من بيته المشهور وصعد الى باب السلسلة ووقع الاتفاق على سلطنته وكان القائم فى ذلك طومان باى الدوادار الثانى فأرسل خلف أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب والقضاة الاربعة وهم زين الدين زكريا الشافعى والبرهان بن الكركى الحنفى وعبد الغنى بن تقى المالكى والشهاب الشيشينى الحنبلى فبايعه الخليفة بالسلطنة وشهد عليه القضاة الاربعة بذلك وتلقب بالملك الظاهر أبى سعيد وذلك فى يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول من سنة أربع وتسعمائة وذلك فى أثناء الساعة الرابعة وهى ازحل فأحضر شعار الملك وهو الجبة والعمامة السوداء والسيف البداوى فافيض عليه شعار الملك وقدمت له فرس النوبة وركب من سلم المقعد الذى بباب السلسلة ومشت الامراء بين يديه وركب الخليفة معه وتقدم الاتابكى أزبك وحمل القبة والطير على رأسه وكان هو أولى بالسلطنة من كل أحد وقد فاتته عدة مرار كما قيل

اذا رفع الزمان محل شخص ✱ وكان سواه أولى لو تصاعد

فكم فى العرس أبهى من عروس ✱ ولكن للعروس الوقت ساعد

فلما طلع الظاهر الى القصر جلس على سرير الملك فأول من قبل له الارض الاتابكى أزبك

ثم

ثم بقية الامراء شيأ فشيأ وقيل ان الذى لقبه بالملك الظاهر هو تانى بك الجمالى أمير سلاح فلما جلس خلع على الخليفة ونزل الى داره وخلع على الاتابكى أزبك بالاستمرار فى الاتابكية وخلع على طومان باى الدوادار الثانى وقرره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن نفسه ثم دقت البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت الاصوات له بالدعاء وفرح كل أحد من الناس بسلطنته بخلاف الملك الناصر مما كان يفعله من الافعال الشنيعة فلما كان وقت صلاة الجمعة من ذلك اليوم خطب باسم الملك الظاهر على المنابر وجاء فى حال سلطنته باشياء على الوضع وانصلحت الاحوال فى أيامه على قدر ما كان جلبا فتولى الملك وله من العمر دون الثلاثين سنة وكان له عقل وافر ونبات جنان والذى وقع له لم يقع لاحد من مبتدا دولة الاتراك الى الآن فانه كان من دخوله الى مصر واقامته فى الطبقة وحضوره من بلاد جركس وامريته وسلطنته دون الست سنين وهذا لم يتفق لاحد من الاتراك قبله وكان من جملة الجمدارية فى دولة الاشرف قايتباى ثم صار فى دولة الناصر كما تقدم وكان له سعد خارق من العناية الازلية فى القدم كما قيل

اذا خص الرحمن عبدا بنعمة • فكل حسود بعد ذلك مقمع

فيا طالب العليا مهلا ولا تطل • فليس بسعى المرء ما شاء يصنع

وفى حال سلطنته حضر سيف كرتباى الاحمر نائب الشام لموته وقد مات الناصر بحسرة أن يسمع بذكر موته ويقال ان الناصر رشا على قتل كرتباى الاحمر بألف دينار فقيل ان بعض غلمانه سمه فى زيق الكوفية وقيل فى قبع العرقية فلما لبسها وعرق سرى السم فيه فورم وجهه ووصل الورم الى قلبه فمات وقد تمت حيلة الناصر عليه وكان كرتباى الاحمر أميرا جليلا رئيسا وكان يحجر على الناصر وينهاه عن هذه الافعال الشنيعة فكرهه بواسطة ذلك وكان الناصر يصور أوراقا بقاعة البحرة بهيئة كرتباى الاحمر وهو مسمر على جمل والناس تتشبه وكان كرتباى يصرخ فى وسط مجلسه فى الشام ويقول أنا من تحت حكم صبى أو امرأة يعنى الناصر وأمه ولما استقر كرتباى فى نيابة الشام ملك قلعتها وطرد نائبها ووقع منه أمور شتى فى حق السلطان الناصر يطول شرحها وفى ذلك اليوم ثار جماعة من المماليك الجلبان على ناصر الدين الصفدى وكيل بيت المال فضربوه ضربا مبرحا حتى كاد أن يموت وفيه عمل السلطان الموكب بالقصر وخلع على قصروه بن اينال وقرره فى نيابة حلب عوضا عن جان بلاط بن يشبك وأرسل الى جان بلاط خلعة ونقله من نيابة حلب الى نيابة الشام عوضا عن كرتباى الاحمر بحكم وفاته وفيه قرر الامير طومان باى فى الوزارة والاستادارية مضافا لما بيده من الدوادارية الكبرى وفيه ثار جماعة من المماليك الناصرية على الامير طومان باى ورجموه من الطباق وقصدوا قتله غير مامرة وقد أشيع عنه انه كان سببا

لقتل الناصر فلما بلغ السلطان ذلك رسم بسد جميع الطباق والشبابيك والمناور التى تطل
على دهاليز القلعة من طباق المماليك وفيه خلع السلطان على طراباى الشريفى وقرره
فى الدوادارية الثانية عوضا عن طومان باى المذكور وقرر تانى بك الجمالى أحد الامراء
العشراوات فى الخازندارية وقرر اقباى الطويل فى نظر الجوالى وأنعم على بيبرس الاشقر
بامرية عشرة وفيه قبض الامير طومان باى على على بن رحاب المغنى وضربه بالمقارع
وشهره بالقاهرة وهو عريان مكشوف الرأس على حمار وكان على بن رحاب طالما أدخل نفسه
فيما لا يعنيه وتعصب لاقبردى الدوادار وصار يسب الامراء سبا قبيحا فى المجالس جهارا
و يهجوهم الهجو الفاحش و يصرح بذلك فى السماعات وهو على الملأ وكان كرتباى
الاحمر قبض عليه قبل ذلك وأراد ضربه ثم وبخه بالكلام وعفا عنه فلما زاد فى هذا
الامر ضربه طومان باى وشهره فى القاهرة والمشاعلى ينادى عليه هذا جزاء من يكثر كلامه
و يدخل نفسه فيما لا يعنيه وفيه أخذ السلطان فى أسباب تحصيل الاموال لاجل النفقة
على الجند فقرر على الشهابى أحمد ناظر الجيش مبلغا له صورة فاختفى فلما اختفى خلع
السلطان على القاضى عبد القادر القصروى وقرره فى نظر الجيش عوضا عن الشهابى
أحمد بحكم اختفائه وفيه اختفى الشهابى أحمد بن العينى بسبب مال فرض عليه
واختفى بجوهر المعينى الزمام بسبب مال فرض عليه وقبض على محسن الطواشى الخازندار
وآخرين من الطواشية وقرر عليهم الاموال وتسلم طراباى محسن الخازندار والطواشية
وعاقبهم واستخلص منهم الاموال حتى باعوا جميع ما يملكونه من بيوت وقماش ولم يبق
مما قرر عليهم شئ وكان من جملة الطواشية مسك الساقى وغيره من الطواشية وفى ربيع
الآخر خرج قصروه فى نيابة حلب وخرج صحبته اقباى الذى قرر فى نيابة قلعة الشام
وفيه تعين قرقماس بن ولى الدين رأس نوبة كبير فى امرية ركب المحمل وتعين أزبك المكحل
أحد الامراء الطبلخانات فى امرية الركب الاول وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن
اقبردى الدوادار قد حاصر حلب أشد المحاصرة وأحرق ما حولها من الضياع وأشرف
على أخذ المدينة وقد التم عليه الجم الغفير من الناس والتركمان وحصل منه غاية الضرر فلما
تحقق السلطان ذلك عين تجريدة ثقيلة الى اقبردى وكان باش العسكر تانى بك الجمالى
أمير سلاح و بها من الامراء المقدمين قانى باى أمير اخور كبير وسودون العجمى و بلباى
المؤيدى وجماعة من الامراء الطبلخانات والعشراوات وعدة وافرة من العسكر فأنفق
عليهم واستحثهم على الخروج الى حلب بسرعة وفيه توجه جام طار الابراهيمى
أحد العشراوات الى على دولات بن دلغادر وصحبته خلعة و تقليد الى على دولات باستمراره
على امرية التركمان على عادته وفيه أمر السلطان بتوسيط شخص من المماليك يقال له

الناس وقد قتل قتيلا فوسطه السلطان بسبب ذلك وفي جمادى الاولى في يوم الاثنين عاشره
خرجت التجريدة المعينة الى اقبردى الدوادار وكان لخروجها يوم مشهود وفيه صنع
السلطان مولدا في غير وقته وحضر فيه القضاة الاربعة على العادة وكان يوما حافلا
سلطانيا وفيه أنعم السلطان على جان بردى الاشقر الكاشف بامرية عشرة وفيه جاءت
الاخبار من دمشق بوفاة هلال الطواشي الرومي وكان صار مقدم المماليك وكان لا بأس به
وفيه كان ابتداء نفقة البيعة على الجند وفيه جاءت الاخبار من دمشق بان قصروه الذي
قرر نائب حلب لما دخل الى الشام وضع يده على مال كرتباى الاحمر جميعه وكان مبلغا
ثقيلا نحوا من سبعة وستين ألف دينار وكان هذا أول عصيان قصروه واستخفافه
بالسلطان فلما بلغ السلطان ذلك تنكد لهذا الخبر وعين مشد أحد الدوادارية بالتوجه
الى قصروه وان يأمره برد ما أخذه من مال كرتباى الاحمر فلما توجه الى قصروه لم يلتفت
الى مراسيم السلطان ولا رد شيأ من المال الذى أخذه واعتذر باشياء لم تقبل وفيه
قبض السلطان على شخص من الحرامية يقال له ابن الوارث فقطع لسانه وكحلت عينه
بالنار ومع هذا لم يرتجع عن الحرام والسرقة وقد قبض عليه بعد ذلك وعلى رأسه عملة
والطبع في الانسان لا يتغير وفيه جاءت الاخبار بوفاة كشبغا الشريفى نائب الاسكندرية
وكان لا بأس به وفيه أخرج السلطان تقدمة أربك اليوسفى بحكم أنه كبر سنه وعجز
عن الحركة فلما أخرجت عنه أنعم السلطان بها على ازدمر بن على باى الذى كان شاد
الشرابخاناه وفي جمادى الآخرة عاد الامير طومان باى الدوادار من السرحة التى سرحها
نحو بلاد الصعيد وأحضر صحبته من الاغنام فوق الاربعة آلاف رأس زعموا أنها
من أغنام عرب عزالة وجرى فيما بعد أمور غريبة بسبب ذلك يأتى الكلام عليها وفيه
قرر السلطان أربك المكحل في نيابة الاسكندرية عوضا عن كشبغا الشريفى وفيه كثرت
المصادرات للمباشرين وأعيان الناس بسبب النفقة وقد عجز السلطان عن سدها
وفيه عين السلطان البدرى بن مزهر كاتب السر بان يخرج الى مكة المشرفة في بعض
المهمات الشريفة وفيه قبض السلطان على الناصرى بن خاص بك أخى خوند زوجة
الاشرف قايتباى فأقام في الترسيم مدة وطلب منه مالا له صورة وعرض للضرب غير
ما مرة وقد آل أمره الى أن يخرج أمير حاج بالركب الاول وأمره أن يقوم بما يحتاج
اليه من ماله ولا يأخذ من السلطان شيأ ثم قبض على أخته خوند بنت خاص بك التى كانت
زوجة أقبردى الدوادار ورسم عليها وطالبها بمال له صورة وزعم أن أقبردى أودع عندها
مائة ألف دينار وأجرى عليها ما لا خير فيه من الانكاد والضرر وفيه غمز بعض التجار على
قنبك أبى شامة أحد الامراء وكان مختفيا في مكان في رأس حارة زويلة فكبس عليه والى
الشرطة ومعه جماعة من المماليك فلما دخلوا عليه هاش عليهم بالسيف فتكاثروا عليه

ومسكوه وقتلوه بالدار التى كان بها وكان قتيلاً أبو شامة من الامراء الطبلخانات وكان
من أكبر أصحاب أقبردى الدوادار وقد فاته القتل عدة مرار وكان غير مشكور السيرة فى
أفعاله وفى رجب أنعم السلطان على أنس باى وقرره فى شادية الشراب خاناه عوضاً عن ازدمر
ابن على باى بحكم انتقاله الى التقدمة وفيه خلع السلطان على بخشباى وقرره فى نيابة
حماه وخرج اليها فيما بعد وفيه قرر شخص يقال له محمد الباسطى فى التكلم على جهات
الحسبة وجرى من الباسطى هذا أمور يطول شرحها وآل أمره الى ان ضرب بالمقارع وشهر
على جمل فى دولة العادل طومان باى وفى شعبان غرق محب الدين محمد ابن قاضى القضاة
الشافعى زين الدين زكريا قيل انه كان فى مركب فغرق قدام المقياس وكان غير مشكور
السيرة وفيه جاءت الاخبار بأن الامير طومان باى الدوادار لما توجه الى جهة الصعيد احتال
على حميد بن عمر أمير عربان هوارة فلما ظفر به قتله وحز رأسه وأرسلها الى مصر فعلقت بباب
زويلة ثلاثة أيام وفيه فى حادى عشره وصل خاير بك أخو قانصوه البرجى الذى توجه
قاصداً الى ابن عثمان ملك الروم وكان الملك الناصر أرسله قاصداً عن لسانه الى ابن عثمان
فأكرمه وأظهر الفرح بسلطنة الملك الناصر فلما بلغه قتله الملك الناصر شق عليه ووبخ
خاير بك بالكلام وفيه تغير خاطر السلطان على جان بردى الغزالى كاشف الشرقية
وأمر بتوسيطه حتى شفع فيه وفيه عاد الطاعون الذى كان فى العام الماضى ومات فيه
كثير من الناس من الغرباء عن قرز وعاد بعد رفع الطاعون وفى هذه السنة كان الطاعون
خفيفاً جداً وفيه جاءت الاخبار بأن عسكر ابن عثمان زحفوا على بلاد السلطان وآل
الامر الى أن ابن عثمان أرسل يقول لنائب حلب اعزل ابن طرغل فأجابه نائب حلب
الى ذلك وعزل ابن طرغل وفى رمضان خلع السلطان على بهاء الدين عبد الرحمن بن قدامة
الدمشقى وقرره فى قضاء الحنبلية وصرف عنها الشهاب أحمد بن الشيشينى فأقام ابن قدامة
فى منصب القضاء شهراً واحداً وأربعة أيام وعزل عنها وأعيد الشيشينى الى القضاء ثانياً
وفيه تغير خاطر السلطان على الشيخ سراج الدين عبد البر بن الشحنة ورسم بنفيه الى قوص
فشفع فيه بعض الامراء من النفى فرسم له بأن يلزم داره ولا يركب ولا يجتمع على أحد من
الناس وجرت عليه أمور مهولة فى تلك الايام وفيه اجتمع السلطان والامراء فى قاعة
البحرة وضربوا مشورة فى أمر اقبردى الدوادار فوقع الاتفاق فى ذلك اليوم على أن أقبردى
يستقر فى نيابة طرابلس وان اقباى الذى كان رأس نوبة كبير يستقر فى الاتابكية بدمشق
وان تانى بك قرا يتوجه الى القدس بطالاً فانفصل المجلس على ذلك وفيه تغير خاطر السلطان
على جان بلاط الابح نائب القلعة وأمر بنفيه نحو البلاد الشامية حتى شفع فيه بعض
الامراء من النفى وفيه وقع للناصرى محمد ابن بنت جمال الدين الاستادار كائنة عظيمة

وهى أن شخصا تخاصم معه فشكاه من بيت طراباى وكان يومئذ دوادارا ثانيا فوقع من ابن بنت جمال الدين فى المجلس بعض كلام فى حق خصمه فبطحه طراباى بين يديه وضربه ضربا مبرحا حتى كاد أن يهلك وفيه قرر ابن قدامة فى قضاء الحنابلة بدمشق وتوجه اليها فيما بعد وفيه فى يوم الاربعاء عشرينه كانت وفاة الاتابكى أزبك بن ططخ وقد زعموا أن والده يحيى قد حصر حتى مات وقبض على شخص يقال له القصديرى وصيته اتهم بانه الذى حصره حتى مات وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها وكان أزبك من أجل الامراء قدرا وأعظمهم ذكرا وكان أميرا جليلا فى سعة من المال وافر الحرمة نافذ الكلمة وكان أصله من عتقاء الظاهر جقمق يقال ان أصله من كتابية الاشرف برسباى واشتراه الظاهر جقمق من بيت المال وأعتقه فصار من عتقائه وصاهره مرتين فى ابنتيه وولى عدة وظائف سنية بمصر منها حجوبية الحجاب ورأس نوبة كبير ثم بقى نائب الشام فى دولة الظاهر بلباى ثم عاد الى مصر وولى الاتابكية فى دولة الاشرف قايتباى سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة وأقام بها نحو ثلاثين سنة وكان من مبدأ أمره رتبه خشقدم فى امرية العشرة فى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ولازال يترقى حتى كان من أمره ما ذكرناه وقاسى شدائد ومحنا ونفى نحوا من أربع مرات وسجن بالاسكندرية مرتين وكان كفؤا للمهمات السلطانية والتجاريد وقد سافر فى عدة تجاريد وبطلب الاطلاب الحافلة وصرف على التجاريد من ماله مالا يحصر وكان مسعود الحركات فى سائر أفعاله ذا شهامة وعلو همة وأظهر العزم الشديد فى قتال عسكر ابن عثمان ولم يجئ فى الاتابكية بعده مثله ومات وله من العمر نحو من خمس وثمانين سنة وخلف من الاولاد ولده الناصرى محمد الذى من بنت الظاهر جقمق وولده يحيى وصاهره قانصوه خمسمائة فى احدى بناته وماتت معه فلما مات ترافع محمد ويحيى بين يدى السلطان فوضع السلطان يده على تركته من صامت وناطق فيسل وجد له من الذهب العين سبعمائة ألف دينار خارجا عن البرك والخيول والقماش والتحف وخارجا عن جهاز ابنته التى ماتت مع قانصوه خمسمائة وقد قوم ذلك بنحو من مائة ألف دينار فحمل ذلك جميعه الى الخزائن الشريفة وقد نال أزبك أمير كبير من الدنيا منالا عظيما فكان كما قيل

أتلهو من نعيمك فى قصور ... وأنت من الهلاك على شفير

فيا من غره أمل طويل ... يؤديه الى أجل قصير

أتفرح والمنية كل يوم ... تريك مكان قبرك فى القبور

هى الدنيا فان سرتك يوما ... فان الحزن عاقبة السرور

ستسلب كل ما جمعت منها ... كعارية ترد على المعير

ولولا الذى صرفه أزبك أمير كبير على التجاريد وعمارة الازبكية ما كان ماله ينحصر وكانت

تركته تعادل موجود سلار نائب السلطنة وقد تقدم ذكر ذلك ومن أراد أن يعلم علو همة الاتابكي أزبك فلينتظر ما صنعه من عمارة الازبكية وقد أنشأها في سنة احدى وثمانين وثمانمائة وقد تقدم ذكر ذلك كما يقال

(١) ليس الفنا بفناء يستظل به • حتى يكون له في الارض آثار

وما عدمن مساوى أزبك أمير كبير انه كان شديد الخلق صعب المراس اذا سجن أحدا لا يطلقه أبدا وكان عنده حدة زائدة وشمم في نفسه جرىء اللسان مع تكبر و بطش وقد فاتته السلطنة عدة مرار فكان كما يقال

اذا منعتك أشجار المعالى • جناها الغض فاقنع بالشميم

فلما علم السلطان بموته نزل وصلى عليه وكان له يوم مشهود ودفن بتربة أستاذه الملك الظاهر جقمق فلما نزل السلطان وصلى عليه قيل له ان الامير أزبك اليوسفي أمير مجلس في النزع وسيموت في هذه الساعة فجلس السلطان على مدورة في سبيل المؤمنين ينتظر أزبك اليوسفي حتى يموت ويصلى عليه فلم يمت في تلك الساعة فقام السلطان وطلع الى القلعة فلما كان وقت العصر من ذلك اليوم توفى فيه الامير أزبك اليوسفي فهيء وصلى عليه السلطان وطلعت جنازته من الصليبة فلما رجعوا به توجهوا به الى مدرسته التى أنشأها ودفن بها وكان أميرا جليلا دينا خيرا لين الجانب وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وكان يعرف بازبك الخازندار وناظر الخاص مات وهو طرخان وقد كبر سنه وشاخ وناف عن الثمانين سنة من العمر وكان قليل الاذى كثير البر والصدقات وولى عدة وظائف سنية منها الخازندارية الكبرى ثم بقى مقدم ألف ثم بقى رأس نوبة كبير ثم بقى أمير مجلس ثم مشير المملكة في دولة الناصر محمد بن قايتباى ثم أخرجت عنه التقدمة الى ازدمر بن على باى فأقام على ذلك مدة يسيرة ومات وفى شوال في يوم عيد الفطر جاءت الاخبار بان عربان عزالة ثاروا على الكاشف بالصيرة فحاربهم فقهروا منه وعدوا من الوراق وطلعوا ابالقرب من شبرا وتوجهوا من خلف الجبل الاحمر وطلعوا من بحر بلامه قبالة طرا ثم نزلوا بالمعصرة وهى ضيعة هناك فلما بلغ السلطان ذلك عين لهم تجريدة تخرج اليهم في الحال فانصوه البرجى أمير مجلس وقرقماس بن ولى الدين رأس نوبة النوب وقيت الرجبى حاجب الحجاب وسنباى نائب سيس أحد المقدمين ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات منهم طراباى الشريفي دوادار ثانى واليهم الغفير من العسكر فلبسوا آلة السلاح وخرجوا يوم عيد الفطر فتوجهوا الى نحو المعصرة فوجدوا هناك عزالة نازلين فتقاتلوا معهم قتالا عظيما فانكسر الاتراك وتشتتوا وقتل من الاتراك من المماليك السلطانية نحو من خمسين مملوكا ونحو ذلك من الغلمان والعبيد وجرح الامير قرقماس رأس نوبة كبير في وجهه وكذلك قيت الرجبى وأما

(١) ذكر هذا البيت في صحيفة (١٨٦) من هذا الجزء بزيادة

طراباي فقيل انه جاءته ضربة في ظهره نفذت من وريده لكنه لم يمت من ذلك وجرح من
العسكر ما لا يحصى ثم ان العرب نهبوا بركهم عن آخره وتوجهوا الى نحو بلاد الصعيد فلما
جاءت هذه الاخبار الى القاهرة اضطربت وماجت فنادى السلطان للعسكر قاطبة
للخروج الى المعيصرة وهم لابسون آلة السلاح فلما وصلوا الى هناك وجدوا العرب قد
رحلوا والذين قتلوا من العسكر مطروحين على الارض فارسلوا يطلبون من القاهرة عدة
نعوش بسبب من قتل هناك فارسلوا اليهم نعوشا في مراكب من البحر الى طرا فاحضروا
فيها من قتل وصار العيد مثل المأتم في كل حارة نعي كأيام الفصول بسبب من قتل وموجب
ذلك ان الترك استخفوا بالعرب فاكمنوا لهم كمنة فهربت الترك وخرجت العرب من
ورائهم فانكسروا وقتل منهم من قتل وكانت هذه الحادثة من الحوادث المهولة وقد قلت
في معنى ذلك

ألا قولوا لأعراب تجبروا * على حرب فهل يخشوا عقيبه
سهام مليكنا أضحت نفوذا * ونرجو أن تكون لكم مصيبه

ومن الحوادث في هذا الشهر أن الامير دولات باي القلاج أحد المقدمين خرج في يوم
الاربعاء يسير الى نحو الرصد فلعب بالكرة وساق الفرس في أرض محجرة فقنطره
فمات لوقته فحملوه على قفص حمال وأتوا به الى بيته حتى غسلوه وكفنوه وأخرجوه يوم
الخميس ونزل السلطان وصلى عليه ثم ان السلطان بعد أن صلى عليه توجه الى بيت طراباي
الدوادار الثاني وسلم عليه بسبب ما وقع له من عرب عزالة وفيه تغير خاطر السلطان على
قراجا نائب غزة فاحضره الى القاهرة وهو في الحديد وجرى عليه ما لا خير فيه ثم آل أمره
الى أن تولى نيابة طرسوس وقتل وفيه دخل الامير طومان باي الدوادار الكبير الى القاهرة
وكان مسافرا في جهة الصعيد فلما بلغه ما فعلت عرب عزالة كما تقدم ذكره كبس عليهم
في مكان بالوجه القبلي وقبض على جماعة منهم نحو من ثمانمائة انسان من رجال ونساء
وصغار فوصلوا بهم الجيزة وعدوا بهم وطلعوا بهم من الصليبة قدام الامير طومان باي فكان
يوما مشهودا فوضعوا الرجال في زناجير والنساء والصغار في حبال وعلقوا رؤس من قتل
من الرجال في رقاب النساء وكانت واقعة من الوقائع الغريبة ولم يتفق مثل ذلك الا في أيام
الظاهر برقوق بما وقع لبدر بن سلام كبير عربان البحيرة وقد تقدم ذكر ذلك في أخبار
الظاهر برقوق فلما طلع الامير طومان باي الى القلعة صادف ذلك اليوم خروج المحمل من
القاهرة وكان أمير ركب المحمل قرقماس رأس نوبة كبير وبالاول الناصري بن خاص بك
فلما عرضوا عرب عزالة على السلطان رسم بتسميرهم على جمال فسمروهم وشقوا بهم من
القاهرة وكان يوما مشهودا وصارت الفرجة فرجتين على المحمل وعلى عربان عزالة ثم انهم

كلبوهم وعلقوهم على أبواب المدينة على كل باب نحو من عشرة أنفار حتى على باب القنطرة وباب الشعرية وغير ذلك من الابواب ثم ان السلطان رسم بان سائر الناس يرجمون العربان بالاحجار حتى يكون من أمرهم ما يكون وقد قام الامير طومان باى بنصرة الاتراك على العرب بعد كسرتهم التى تقدمت وفى هذه الواقعة يقول الشيخ بدر الدين الزيتونى

نحمد الله ونشكروا * خالق الجسم والعصب
اذ نصرنا على العرب * بالدوادار والعصب
والعرب أكثروا الفساد * من عزاله وعزلوا
بحروا عدوا وشرقوا * وعلى الحرب عولوا
واهلكوا الحرث والنسل * فى الضواحى وجملوا
من عزاله عرب طغوا * عمرهم فى الوغا ذهب
جتهم الترك أرخسوا * واقتهم بما النهب
صار عزا العرب ذليل * وبقى فى الوجود عدم
وجميع ما جرى لهم * بالمقدر وبالحكم
كان مسطر على الجبين * وبهذا جرى القلم
نحمد الله ونشكروا * خالق الجسم والعصب
اذ نصرنا على العرب * بالدوادار والعصب

وهذا الزجل يقرب من الزجل الذى قاله الغبارى فى واقعة العرب التى كانت فى سنة احدى وثمانين وسبعمائة فى دولة الظاهر برقوق وقد وقع فيهما ما يشبه ذلك وهذا الزجل الذى تقدم من اختصاره وفيه قرر شمس الدين بن عزاسم الطرابلسى فى نظر الاصطبل عوضا عن يحيى بن البقرى بحكم صرفه عنها ومات يحيى عقيب ذلك وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن اقبردى الدوادار دخل الى حلب طائعا وقد تم الصلح بينه وبين الامراء الذين توجهوا من مصر وسبب ذلك ان العسكر الذين توجهوا الى قتال اقبردى وجدوه بالمرعش عند على دولات فلما طال الامر على العسكر وكان الغلاء موجودا بحلب والعليق لم يوجد أرسل قصروه نائب حلب يسأل اقبردى فى الصلح فتوجه اليه قانى باى الرماح أمير اخور كبير فتنى فى أمر الصلح وكان السلطان والامراء مائلين الى ذلك فلما وثق اقبردى بذلك حضر صحبة قانى باى الرماح ودخل الى حلب طائعا مختارا فلاقاه قصروه نائب حلب وسائر الامراء الذين كانوا هناك وكان له بحلب يوم مشهود وكان الامير اقبردى متوعكا فى جسده فلما استقر بحلب كاتبوا بذلك السلطان فعين له خلعة حافلة وفرسا بسرج ذهب وكنبوش وكتب له تقليد نيابة طرابلس ومالها فى كل سنة ثم أخذوا فى أسباب التوجه اليه

وفيه

وفيه توفى برهان الدين مستوفى الخاص وكان لا بأس به وفيه أرسل السلطان الامير قراز الزردكاش الى المقر السيفى جان بلاط بن يشبك نائب الشام يسأله فى الحضور الى مصر ليلى الاتابكية عوضا عن أزبك بحكم وفاته فخرج قراز بسبب ذلك وفى ذى القعدة جاءت الاخبار بوفاة أقبردى بن على باى الدوادار الكبير وكان أميرا جليلا رئيسا حشما بشوشا متواضعا كريما سخى النفس فى سعة من المال مثريا جدا وكان أصله من مماليك الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى ثم ظهر أنه قريبه ورقى فى أيامه الى منتهى الرياسة وولى عدة وظائف سنية منها امرية السلاح والدوادارية الكبرى والاستادارية والوزارة وكاشف الكشاف ومدبر المملكة وصاحب الحل والعقد بالديار المصرية وكان قريب السلطان وعديله تزوج باخت خوند الخاصكية وكان وافر الحرمة نافذ الكلمة شديد العزم شجاعا بطلا مقداما فى الحرب تولى الدوادارية الكبرى بعد يشبك بن مهدى سنة سبع وثمانين وثمانمائة وأقام فيها نحوا من ست عشرة سنة وكان مشهورا بالعطاء الجزيل على الامراء والعسكر وجرى عليه شدائد ومحن ونهبت أمواله أربع مرات وقاسى من الشدائد والضيق ما يطول شرحه واستمر يحارب عسكر مصر بمفرده ثلاث سنين وكان غالبا للعسكر وتوجه الى آخر الصعيد ثم توجه الى الشام وحاصرها وكذلك حماه وحلب ثم توجه الى بلاد التركمان ولم يظفر به أحد ولم يسلم نفسه عن عجز ولا سجن قط ولا تقيد وآخر الامر مات على فراشه من غير أن يقتل فكان كما قيل

أنا أسمر والراية البيضاء لى * لا للسيوف وسل من الشجعان
لم يصل لى عيش العداة لاننى * نوديت يوم الحرب بالمران

قيل ان أقبردى لما دخل الى حلب وأقام بها اعترته آكلة فى فمه وقيل فى وجهه ورعت فيه حتى مات بحلب ودفن عند سيدى سعد الانصارى رحمة الله عليه ثم نقلت جثته الى القاهرة فى أواخر صفر سنة خمس وتسعمائة ودفن بتربته التى أنشأها فى الصحراء ومات وله من العمر دون الخمسين سنة وكان أسمر اللون مستدير اللحية أسود الشعر غير عبوس الوجه وكان لا بأس به وكان الامراء والسلطان يخشون من سطوته فلما مات كفى كل أحد شره وقد قلت فى ذلك مع التضمين والاقتباس هذه الابيات

مات أقبردى الامير وولى * بعد عز وحاز جاها ومالا
فأتاه من بعد ذا ريب دهر * نال منه من العنا ما نالا
وقضى نحبه بغير قتال * وكفى الله المؤمنين القتالا

فلما تحقق السلطان موت أقبردى جهز مراسيم للامراء الذين كانوا صحبة أقبردى وهم تانى بك قرا الذى كان أمير مجلس وأقباى نائب غزة الذى كان رأس نوبة كبير وجانم مصبغة

الذى كان حاجب الحجاب وقنبك نائب الاسكندرية أحد الامراء المقدمين بمصر فأما تانى بك قرا وأقبناى فرسم السلطان لهما بان يتوجها الى القدس ويقيما به بطالين وأما بيانم مصبغة وقنبك فرسم لهما أن يتوجها الى الشام بطالين فاستمروا مقيمين بالشام والقدس حتى كان من أمرهم ماسنذكره وأما اينال الصغير السلحدار الذى كان والياً أحد العشراوات قيل انه قتل وقيل انه غرق فى بعض الانهار وأما بقية العسكر الذين كانوا مع أقبردى فمات منهم جماعة كثيرة ودخل الباقون الى مصر وخمدت فتنة أقبردى كأنها لم تكن بعد ماجرت منه أمور مهولة بمصر والشام وغير ذلك وهذا ملخص واقعته وفى ذى الحجة فرق السلطان الضحايا على العسكر وكان عيداً حافلا وجاء العيد بالجمعة فلهج الناس بزوال السلطان عن قريب وكان الامر كذلك ولم يقم الى العيد الثانى وفيه توفى الطواشى مقبل الرومى رأس نوبة السقاة الاشرفى اينال وكان لا بأس به فلما مات خلع السلطان على الطواشى محسن الحبشى الاشرفى قايتباى وقرره رأس نوبة السقاة عوضا عن مقبل الرومى بحكم وفاته وقد قاسى محسن هذا فيما بعد غاية الشدائد والمحن وفيه انتقل قصروه من نيابة حلب الى نيابة الشام عوضا عن جان بلاط نائب الشام بحكم انتقاله الى الاتابكية بمصر وانتقل دولات باى بن اركماس نائب طرابلس الى نيابة حلب عوضا عن قصروه وقرر بلباى المؤيدى فى نيابة طرابلس عوضا عن دولات باى وأضيف الى بلباى حجوبية طرابلس مع النيابة وفيه دخلت مسرى من الشهور القبطية فكانت زيادة النيل فى ثالث مسرى ثلاثين اصبعا وفى الرابع منها أربعين اصبعا وفى الخامس منها عشرين اصبعا فوفى فى خامس مسرى وكسر فى اليوم السادس منها الموافق لحادى عشرى ذى الحجة فرسم السلطان للامير طومان باى الدوادار الكبير بأن يتوجه ويفتح السد وكانت الاتابكية شاغرة من حين توفى أزبك وكانت الامراء غائبين فى التجريدة بسبب اقبردى فلم يكن بمصر أكبر من طومان باى فتوجه الى المقياس فى الحراقة وفتح السد وكان له يوم مشهود وكان نيلا عظيما فى تلك السنة وثبت فى أواخر بابه كما قيل

وفت أصابع نيلنا * وطغت وطافت فى البلاد

وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أياد

وفيه دخل الامراء الذين كانوا توجهوا الى التجريدة بسبب اقبردى فحضر صحبتهم من كان مع اقبردى من الامراء العشراوات منهم اسنباى الاصم ونوروز أخو بشبك الدوادار كان وبيانم أقبى الابراهيمى وآخرون من الخاصكية ممن كان من عصبة اقبردى فأقاموا بالقاهرة مدة يسيرة ثم عادوا الى البلاد الشامية وفيه توفى شرف الدين بن الاشقر وكان من أعيان المباشرين وفيه توفى جلال الدين الصالحى وكان لا بأس به وقاسى شدائد

وخناق آخر عمره وفيه جاءت الاخبار بوفاة داود باشا وزير ابن عثمان ملك الروم وكان رئيسا حشما مدبر المملكة الرومية سديد الرأى وافر العقل مشكور السيرة وفيه جاءت الاخبار بوقوع فتنة كبيرة ببلاد الغرب بين ملوك الفرنج وملوك الغرب وكانت النصرة للمسلمين على الفرنج ولله الحمد وفيه ابتدأ السلطان بعمارة تربته التى بالصحراء وحصل للناس منه غاية الضرر بسبب ذلك وفيه جاءت الاخبار بوقوع فتنة بين الشريف محمد أمير مكة المشرفة وبين أخيه هزاع واستمرت الفتنة قائمة هناك فيما بعد حتى كان ماسنذكره فى موضعه

* ثم دخلت سنة خمس وتسعمائة فيها فى المحرم كان الخليفه أمير المؤمنين المستمسك بالله أبا الصبر يعقوب العباسى الهاشمى الاموى والسلطان الملك الظاهر أباسعيد قانصوه خال الناصر وأما القضاة الاربعة فعلى حكم السنة الماضية وكذلك الامراء المقدمون من أرباب الوظائف غير الاتابكية فانها عينت الى جان بلاط المقدم ذكره وكتب بالحضور وفيه توفى يحيى بن البقرى الذى كان ناظر الاصطبل وصرف عنه وكان لابأس به وفيه تغير خاطر السلطان على القاضى علاء الدين بن الصابونى ناظر الخاص فعزله ورسم عليه ثم خلع على شهاب الدين الرملى وقرره فى نظر الخاص عوضا عن ابن الصابونى ولم يكن شهاب الدين هذا تقدم له رياسة بمصر ولاولى قط تلك الوظيفة السنية وكانت ولايته من غلطات الزمان وفى ذلك يقول شيخنا عبد الباسط الحنفى

قد ولى الرملى على منصب الـ ـخاص برأس المال يشملى

من عدم الدست ومن جهل من * يطبخ حتى انحط للرملى

وفيه استعفى هلال الرومى من تقدمة المماليك وسأل أن يتوجه الى الشام ويكون بها على امرية عشرة فأجيب الى ذلك ثم ان السلطان خلع عليه بذلك وخلع على عنبر التكرورى وقرره فى تقدمة المماليك عوضا عن هلال الرومى وفيه توفى أزبك قفص الاشرفى قايتباى أحد الامراء الطبلخانات الرأس نوبة الثانى ثم بعد موته خلع السلطان على أبى يزيد المحمدى وقرره فى رأس نوبة ثانى عوضا عن المذكور بحكم وفاته وفيه كانت اقامة الخطبة بالجامع الذى أنشأه بركات بن قريعط بحارة زويلة وجاء فى غاية الحسن ولاسيما فى ذلك الخط وفيه دخل الحاج الى القاهرة وقد قاسى فى تلك السنة مشقة زائدة وخرج طائفة من العربان على الركب الغزاوى بالقرب من الشرفة فاستولوا عليه من أوله الى آخره وأسروا النساء وقتلوا الرجال ولولا أنهم أدركهم قرقماس أمير كبير بعد أمير ركب المحمل لاخذوا جميع من فى الركب الغزاوى وقد نهبوا أطراف الركب الاول من الناصرى محمد وكان أمير الركب الاول الناصرى محمد بن خاص بك أخو خوند وفيه توفى الشيخ خالد الوقاد النحوى الازهرى

الشافعي وكان فاضلا في الصوفية في ذلك عدة تصانيف وفي صفر كان دخول المقر السيفي
بيان بلاط نائب الشام فلما حضر خلع عليه السلطان وقرره عوضا عن أزبك في الاتابكية
بحكم وفاته وسكن بالازبكية فلما أقام بمصر شرع في بناء تربته التي بجوار باب النصر وصنع
بها جامعا بخطبة ولم تتم الا بعد موته ودفن بها وفي ثالثه توفي الشيخ الصالح الزاهد الورع
أبو العباس أحمد بن محمد الغمري رحمه الله ورضي عنه ودفن بجامعه الذي أنشأه
بالقرب من مرجوش وباب القوس وفيه حضرت جثة اقبردي الدوادار ودفنت في تربته
التي أنشأها بالصحراء وقد نقلت من حلب الى مصر بعد دفنه في تربة سيدي سعد الانصاري
رحمه الله ورضي عنه وفي ربيع الاول عين السلطان قانصوه كرد أحد الامراء الطبلخانات
واسلاندار الثاني بأن يتوجه الى ابن عثمان ملك الروم قاصدا فخرج بعد مدة وجرى عليه
أمور شتى من بعد ذلك وفيه جاءت الاخبار بوفاة أيدكي حمار الاشرفي قايتباي نائب قلعة
الشام وجرى عليه قبل موته شدائد ومحن شتى وفيه عمل السلطان المولد النبوي وكان
حافلا وفيه عين السلطان الامير قانصوه البرجي المحمدي أمير مجلس أمير ركب المحمل
وعين بيان بلاط الموتر المحتسب أمير الركب الاول وفيه جاء للسلطان ولد ذكر من زوجته
خوند بيان كادي الجركسية فسماه أحمد فلما كان يوم سابعه اجتمع سائر الخوندات ونساء
الاعيان بالقلعة وكان مهما حافلا وحمل الزمام جوهر المعيني القبة والطير على رأس
خوند بيان كلدي وكان لها يوم مشهود وفيه تزوج السلطان بخوند مصرباي زوجة الناصر
وكانت عليه كعب الشوم ولم يسن معها وفي ربيع الآخر جاءت الاخبار بأن قصروه الذي
تولى نيابة الشام قد عصى وخرج عن الطاعة واستولى على قلعة دمشق كما فعل كرتباي
الاحمر واستمر العصيان يتزايد من قصروه حتى كان من أمره ما سنذكره في موضعه وفيه
قبض السلطان على خاير بك الكاشف فأحضر في الحديد فأمر بنفيه الى قلعة المرقب فسجن
بها ثم أطلق وجرى عليه من الانكاد ما لا خير فيه وصودر غير ما مرة وفيه قدم البدري
محمود بن أجا وقد انفصل من قضاء الحنفية بحلب وأتى الى مصر وأقام بها وكان من
أمره ما سنذكره وفيه قرر فارس المنصوري نائب دمياط في كشف الغربية عوضا عن
خاير بك الماضي ذكره وفيه قبض على سليمان بن قرطام وكان من كبار المفسدين بالشرقية
فلما قبض عليه رسم السلطان بان يشنكلوه على باب زويلة وأقام معلقا ثلاثة أيام
بلياليها وفيه قبض السلطان على أخت خوند بنت خاص بك زوجة أقبردي فرسم عليها
بالقلعة وقرر عليها مالا له صورة وقد رافعها أبو المنصور مباشر اقبردي وزعم أن اقبردي
أودع عندها مالا فأقامت في الترسيم حتى أوردت ما قرر عليها وفعل مثل ذلك بأختها خوند
الكبرى زوجة قايتباي وقرر عليها مالا له صورة ووكل بها جماعة من الطواشية حتى

أوردت ما قرر عليها أو باعت أشياء كثيرة من قماشها وقد حصل عليها ما هو أعظم من ذلك
وهو أنه فى دولة الملك الناصر محمد بن قايتباى توجه طائفة من المماليك الجلبان الى دارها
وقصدوا أن يهجموا عليها ثم قالوا لبعض الطواشية ادخلوا قولوا لخوند تنفق علينا لكل
مملوك خمسون دينارا فلما بلغ خوند ذلك غيبت من البيت وكان سبب ذلك انه أشيع عنها
أنها تزوجت بقانصوه خمسمائة فى الخفية فلما قتل قانصوه تحرشت المماليك على خوند
وطلبوا منها النفقة كما تقدم وكان الذى تحرش على خوند جماعة من عصبة اقبردى
فلما بلغ ذلك الملك الناصر قام مع خوند قياما تاما ونادى فى القاهرة لجميع العسكر حسبما
رسم السلطان المقام الشريف بان لا يتوجه أحد من العسكر الى بيت خوند زوجة الاشرف
قايتباى ولا يقف لها على باب وكل من خالف مرسوم السلطان شنق بلا معاودة فانكف
المماليك عن التوجه الى بيت خوند من حين نادى وكان تقدم ذكر ذلك فى دولة الملك
الناصر وقام بنصرتها بعد ما قصدت أن تسافر الى المدينة مع أن الملك الناصر صادر خوند فى
أيامه بحسن عبارة وأخذ منها جملة مال وحصل لها عقيب ذلك طلوع فى وجهها واستمر
بها ذلك العارض حتى ماتت كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه وفى جمادى الاولى فى
اليوم الثانى منه نزل السلطان الى قبة يشبك الدوادار التى بالمطرية وبات بها فلما أصبح
ركب وشق من القاهرة وزينت له ثم طلع من الصليبة والامراء والمباشرون قدامه واستمر
فى ذلك الموكب الحافل حتى طلع الى القلعة وفيه قرر ابن النيربى فى نظر الجيش بدمشق وقد
سعى فى ذلك بمال له صورة وفى جمادى الآخرة جاءت الاخبار بوفاة الطواشى هلال الرومى
الذى كان مقدم المماليك توفى بدمشق وكان لا بأس به وفيه فى يوم الجمعة ثامنه عقد للاتابكى
جان بلاط على خوند أصل باى الچركسية أم الملك الناصر وأخت الملك الظاهر قانصوه وكان
العقد بجامع القلعة وحضر القضاة الاربعة وكان عقدا حافلا وفيه جاءت الاخبار من
القدس بوفاة اقباى الطويل الذى كان نائب غزة ثم بقى رأس نوبة كبير وفر مع اقبردى
الدوادار لما انكسر وخرج من مصر وآل أمره الى ان أقام بالقدس بطالا حتى مات وكان
أصله من مماليك الاشرف قايتباى وقيل انه مات مسموما وكان شجاعا بطلا وجرى عليه
شدائد ومحن وقاسى ما لا خير فيه بسبب صحبته لاقبردى الدوادار وهو الذى كان سببا
لنصرته على قانصوه خمسمائة فى الواقعة بخان يونس الذى بقرب غزة وفيه قرر على بن
طرغل فى نيابة عين تاب وفيه توفى شمس الدين محمد القرنوى الذى كان امام اقبردى
الدوادار ثم بقى ناظر الاحباس وكان يكتب الخط الجيد المنسوب وقاسى من الشدائد
والمحن ما لا يعبر عنه وعذبه كرتباى الاحمر بانواع العذاب وفيه توفى الشيخ أحمد المجذوب
الذى كان يجلس تحت الكوم الذى عند القنطرة الجديدة وكان من كبار الصالحين وفيه

خرج الامير طومان باى الدوادار متوجها الى الشرقية والغربية فسرح فى البلاد نحوا من
عشرين يوما ثم عاد الى القاهرة وقد ساق عدة خيول وجمال وأغنام من العربان وفى
رجب تزايدت عظمة الملك الظاهر قانصوه خال الناصر فجلس على الدكة التى بالحوش
ونصب سحابة جديدة صنعها من المخمل المذهب وبها زركش جاءت غاية فى
الحسن فجلس على الدكة والسحابة على رأسه وطلع القضاة الاربعة للتهنئة بالشهر وكان
موكبا حافلا وفى حادى عشره تغير خاطر السلطان على القاضى كاتب السر بدر الدين
ابن مزهر فقبض عليه وحبسه بالعرقانة ثم طلب أخاه كمال الدين محمد وقرره فى كتابة السر
عوضا عن أخيه بدر الدين وفيه قرر سيباى فى نيابة صهيون عوضا عن قنبك الشيخ بحكم
فراره عند ابن عثمان وخوفه على نفسه من القتل وفيه كان دخول خوند أصل باى ام
الملك الناصر على جان بلاط أمير كبير فنزل جهازها من القلعة فى يوم السبت خامس عشره
وشق من القاهرة واستمر ينسحب من ضحوة النهار الى وقت الظهر وتوجهوا به الى
الازبكية فكان عدة الحمالين أربعمائة حمال والبغال نحو من مائتى بغل فسرحت
له القاهرة وكان يوما مشهودا وكان فيه من الامتعة والتحف ما يعجز عنه الواصفون فلما
كان يوم الاربعاء تاسع عشره نزلت خوند أخت السلطان فى محفة زركش وتوجهت الى
الازبكية ومشى قدامها جماعة من المباشرين منهم كاتب السر كمال الدين بن مزهر وناظر
الجيش عبد القادر بن القصروى وصلاح الدين بن الجيعان نائب كاتب السر وآخرون
من المباشرين والطواشية وبعض أمراء عشروات وهم بالشاش والقماش وعدة وافرة من
الخاصكية فلما وصلت الى باب البيت الكبير الذى بالازبكية فرشت لها الشقق الحرير
تحت حوافر بغال المحفة ونثرت على رأسها خفائف الذهب والفضة وكان يوما مشهودا
ولكن جرى بعد ذلك أمور شتى وأنكاد مترادفة يأتى الكلام عليها فى موضعها كما يقال

أمور تضحك السفهاء منها * ويبكى من عواقبها اللبيب

وفى شعبان فى يوم السبت سادسه جاءت الاخبار من القدس بقتل الامير تانى بك قرا وكان
مقيما بالقدس كما تقدم ذكر ذلك وكان من عصبة اقبردى وفر معه فلما استقر بالقدس
توجهت المراسيم بخنقه فخنق وهو بين أولاده وعياله وكانوا توجهوا اليه وكان قتله يوم
الاحد ثانى عشرى رجب ودفن بالقدس فلما جاءت الاخبار بوفاته تأسف عليه الكثير
من الناس وكان أميرا جليلا رئيسا حشما لين الجانب قليل الاذى كثير الخير ومن آثاره
السبيل والصهريج الذى أنشأهما برأس سويقة ابن عبد المنعم تجاه الرميلة وصرف على
ذلك من ماله ما لا له صورة فلما كمل بناء ذلك قدم هذا السبيل والصهريج للسلطان قايتباى
فصار ذلك يعرف بسبيل السلطان ومن آثاره المسجد اللطيف الذى أنشأه بجوار بيته عند
خوخة القردى وكان أصله من مماليك الاشرف اينال ورقى فى دولة الاشرف قايتباى وولى

عدة وظائف منها تاجر المماليك والدوادارية الثانية ثم بقي مقدم ألف ثم بقي حاجب الحجاب ثم بقي رأس نوبة كبير ثم بقي أمير مجلس ووقع له من الشدائد والمحن ما يطول شرحه وفاته القتل عدة مرار وفر مع اقبردى الى البيرة وعدى الى الفرات وكان موصوفا بالفروسية والشجاعة ومات وله من العمر زيادة عن ستين سنة والله أعلم ولما مات رثيته بهذه الابيات

من طالع التاريخ يوما أو قرا * يروى صروف الدهر عن تنبك قرا
شاع الحديث بخنقه فلاجل ذا * خنقت بعبرتها الورى مستعبرا
قد خانه ريب الزمان بفعله * والدهر ان يصفو يعود مكدرا
قد كنت أحذر من وقوع حمامه * والآن دمعى كالدماء وقد جرى
لو قد عليه من أمير صارم * فى يوم حرب للعداة مدمرا
لم يقتلوه فوق ظهر جواده * لكن غدا قد تعدى وافترى
يالهف قلبى قد تجرع فقده * وتجددت أحزانه بين الورى
يالهف قلبى كم أمير كان فى * عزو جاه فانطوى تحت الثرى
قد غادر الامراء جور زمانهم * فالحكم للرحمن فيما قدرا
يارب فاجعل قبرهم فى روضة * واجعل برحمتك الجنان لهم قرا

وفيه جاءت الاخبار بوفاة الخواجا مصطفى بن محمود بن رستم الرومى توفى ببلاد ابن عثمان وكان لابأس به وهو الذى جدد عمارة الجامع الازهر وصرف على ذلك مالا له صورة من ماله وكان مشكور السيرة وفيه طلع الاتابكى جان بلاط الى القلعة وضمن بدر الدين بن مزهر كاتب السر فان الاتابكى جان بلاط كان تزوج أخت بدر الدين بن مزهر فلما ضمنه تسلمه من السلطان على مال قرره عليه فلما استقر عنده هرب تلك الليلة فى مكان بالازبكية فتشوش الاتابكى جان بلاط لذلك ثم غمزوه على بدر الدين بن مزهر فقبض عليه عقيب ذلك وآل أمره الى كل سوء وفيه توفى ابن السلطان الماضى حديث وضعه وكانت مدة حياته أربعة أشهر وثلاثة عشر يوما فأظهروا عليه الحزن والاسف ودفن فى تربة أبيه التى أنشأها بالصحراء فكان كما يقال فى المعنى

بدا وفى حاله توارى * فيالها طلعة شريقه
جوهرة ما علمت الا * دموع عينى لها عقيقه

وفيه توفى القاضى شهاب الدين بن الصيرفى وهو أحمد بن صدقة الاسرائيلى الشافعى أحد نواب الحكم بالديار المصرية وكان عالما فاضلا فمنا من أعيان النواب وله تصانيف وتعلم جيد ومات وقد قارب السبعين سنة وفيه جاءت الاخبار بقتل قراجا باش ميس وكان توفى

نيابة غزة وكان موصوفا بالشجاعة وفيه توفى الناصرى محمد بن أبى يزيد وكان رئيسا حشما من أعيان الناس وفيه عين السلطان نيابة حلب للامير قرقماس ولى الدين فلما تقرر فى نيابة حلب أخرج عنه وظيفة رأس نوبة الكبرى وقرر بها الامير قانصوه الغورى ولم يتم أمر قرقماس فى نيابته بحلب وأعيد الى تقدمة ألف ووقع بعد ذلك أمور شتى وفى رمضان عرض السلطان المحابيس من الرجال والنساء التى بالجرة وعمل مصالح أرباب الديون وصالح عنهم أرباب الحقوق ووزن عن جماعة من ماله وأطلق فى ذلك اليوم نحوا من مائتى انسان وضاع للناس بعض حقوقها عن كان له دين على من أطلقه من المحابيس فكان كما يقال فى المعنى

رام نفعا فضر من غير قصد * ومن البر ما يكون عقوقا

وفى يوم الاثنين رابع عشره عين السلطان تجريدة الى الكرك بسبب عربان بنى لام وقد تقدم منهم فى حق الحجاج غاية الضرر وكان باش العسكر سنباى نائب سيس أحد المقدمين وجماعة من الجند نحو من ألف أثناء ذلك اليوم مسرعين وفيه جاءت الاخبار من دمشق بان قصروه نائب الشام خرج عن الطاعة وأظهر العصيان جملة واحدة وحضر قانصوه بن سلطان جركس المعروف بابن الوقا حاجب دمشق وأخبر أن قصروه نائب الشام صرفه عن الحجوبية وقصد القبض عليه ففر منه وأخبر بان قصروه نائب الشام قد استولى على قلعة الشام وعلى ما فيها من المال فلما تحقق السلطان ذلك تنكد الى الغاية واضطربت أحواله وأظهر أنه يخرج الى الشام بنفسه وشرع فى أسباب ذلك ثم نزل الى الميدان وعرض ما عنده من الهجن وأمر صلاح الدين بن الجيعان بان يحضر قوائم مصروف الاشرف برسباى عند توجهه الى آمد وكل هذا هيئت وتهيئت على الامراء والعسكر ثم عين قانى بك أحد الدوادارية أن يتوجه لكشف الاخبار عن الحقيقة وفيه أفطر السلطان ليلة العيد بالقصر الكبير واجتمع عنده الامراء وضربوا مشورة فى أمر قصروه فعد فطوره فى الايوان من النوادر وفى شوال صادف أن فى يوم عيد الفطر قلع السلطان الصوف فى ذلك اليوم ولبس البياض وخرج الى صلاة العيد وهو راكب على فرس أبيض قرطاسى بسرج فضة بيضاء من غير طلاء وعباءة حرير أبيض وخف أبيض ومهاميز بيض حتى قلع الكلفتاه حتى المشاية التى فى رجله كانت برغالى أبيض فعد ذلك من النوادر وكان لبس البياض فالا عليه فانه خلع من السلطنة عقيب ذلك وفيه صلى الامير طومان باى الدوادار الكبير صلاة الجمعة مع السلطان بالقلعة فلما انقضت الصلاة خلع عليه السلطان ونزل متوجها الوجه القبلى وكان فى تلك الايام قويت الاشاعات بان السلطان يقصد القبض على الامير طومان باى وكان وقع بينهما فى الباطن بسبب قصروه نائب الشام وكان الامير طومان باى

متواطئا مع قصروه على السلطان وكان طومان باى يقصد التمهيد لنفسه حتى يتسلطن وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد كما يقال

بت فى قلوب أسود * لا فى قلوب رجال
فالكيد للناس لا للشهائم البهال

وفيه أشارت الامراء على السلطان بان يبعث الى قصروه قاصدا وعلى يده مراسيم بان يكون على نيابة الشام وأن يسلم قلعة الشام الى نائبها ولا يؤاخذه بما فعل فعين له اقباى الطويل ناظر الجوالى ثم فرج عن قريب وفيه خرج المحمل من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير المحمل قانصوه البرجى وبالاول جان بلاط الموتر المحتسب فلما توجه الى بركة الحاج استقر المحمل مقيما بالبركة الى خامس عشرى شوال حتى عد ذلك من النوادر وسبب ذلك أن غلمان أمير الركب الاول هرب أكثرهم وتعطلت أحواله بموجب ذلك وفيه جاءت الاخبار بان قصروه قد استولى على مدينة طرابلس وقبض على نائبها بلباى المؤيدى وسجنه بقلعة دمشق وفى ذى القعدة خلع السلطان على قيت الرجبى حاجب الحجاب وقرره فى نيابة طرابلس عوضا عن بلباى المؤيدى ولم يتم له ذلك فيما بعد وفيه خلع السلطان على شخص من خواصه يقال له تمر بن جانم وقرره فى الحسبة عوضا عن جان بلاط الموتر وهو غائب بالحجاز فلم ينتج أمر هذا وقبض عليه فيما بعد وفيه أنعم السلطان على انس باى شاد الشراب خاناه وقرره فى تقدمة ألف وفيه فى ثالث عشره حضر اقباى الطويل الذى توجه الى قصروه كما تقدم فعاد الجواب على السلطان بان قصروه مستمر على العصيان ولم يدخل تحت الطاعة فعند ذلك عرض السلطان العسكر وعين تجريدة الى قصروه وعين بها من الامراء المقدمين ثمانية ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات نحوا من ثلاثين أميرا ومن المماليك السلطانية ألفى مملوك وأظهر السلطان انه يخرج الى الشام عقيب ذلك بنفسه وفيه جاءت الاخبار بقتل قانى بك أحد الدوادارية الذى كان توجه الى قصروه لكشف الاخبار وكان قد سافر من البحر الملح لموجب فساد الطرقات وفيه قويت الاشاعات ان السلطان أرسل بالقبض على الامير طومان باى الدوادار وهو بالصعيد وكانت هذه الاشاعات من أكبر الفساد فى زوال ملك الظاهر قانصوه فلما قويت الاشاعات بذلك نادى السلطان فى القاهرة بان أحدا لا يتكلم كلاما فيما لا يعنيه وان الامير طومان باى دوادار كبير على عادته وكان ترك هذه المناداة أصوب وقد تأكد الامر بذلك وفيه هجم العسكر على سوق الوراقين وسوق الهرامزة وكسروا عدة حوانيت ونهبوا ما فيها وقتلوا ثلاثة من الغفراء وكان العسكر نحوا من مائة نفر ما بين مشاة وركاب ومعهم قسى ونشاب فنهبوا قماشا نحو عشرة الاف دينار وكانت هذه من الوقائع المهولة

وفيه كانت وفاة الرئيس نور الدين بن رحاب المغنى الناشد المادح فريد عصره ووحيد دهره
وكان من نوادر الزمان ينظم الشعر ويلحن اشتقاقات بألحان غريبة وكان آخر مغاني الدكة
في الدخول والطرب ولم يجيء بعده أحذق في الدخول مثله وقد رثيته بعد موته بهذه الابيات

نوى نزهة الاسماع طرا * وصار العيش منا في ذهاب
وناحت بعده الآلات حزنا * وأظهرت الصراخ مع انتحاب
وأبدى الدف والماصول زعقا * كمن جاء المآتم في المصاب
وأضحى الناس في قلق ولم لا * وقد ضاق الوجود بلا رحاب

وفي آخره حضر الامير طومان باى الدوادار وكان مسافرا الى جهة الصعيد فلما حضر
الى الجيزة خرج الامراء والعسكر قاطبة الى ملاقاته فأقام بالجيزة ولم يعد فتوجه اليه
الامير طراباى أحد المقدمين وعلى يده صورة حلف عن لسان السلطان أنه لا يشوش عليه
اذا قابله ولا يقبض عليه فلما توجه اليه طراباى لم يثق الامير طومان باى بذلك الحلف
وأظهر العصيان فرجع الامير طراباى بجواب غير صالح وقد تقلب على الظاهر قانصوه خال
الناصر غالب العسكر فلما رأى أحوال المضطربة تحقق وقوع فتنة فأخذ في أسباب تحصين
القلعة ونقل اليها أشياء كثيرة من البقسماط والجبن وملأ الصهاريج التي بالقلعة وفرق
السلاح على مماليكه وانتظر ما يكون من الامير طومان باى فلما عدت اليه الامراء قبض
على جماعة منهم الامير قانى باى الرماح أمير اخور كبير فلما قبض عليهم شكهم في الحديد
وقبض على القاضي عبد القادر القصروى ناظر الجيش وعلى آخرين من الامراء فلما كان
يوم الاربعاء سادس عشري ذي القعدة عدى الامير طومان باى من معادي امبابة وطلع من
بولاق بمن معه من العسكر وتوجه الى الازبكية بعد العصر وبات بها وكان الاتابكي جان
بلاط ساكنا هناك فاجتمع الامراء عنده وضربوا مشورة في أمر الظاهر قانصوه فوقع
الاتفاق على خلعه من السلطنة فلما كان يوم الخميس سابع عشريه لبس العسكر آلة
الحرب وركب الاتابكي جان بلاط والامير طومان باى وبقية الامراء من الازبكية
وتوجهوا الى بيت الظاهر تمربغا الذي عند سوق السلاح بالقبو فعند ذلك ركبوا وتوجهوا
لحصار القلعة ولم يكن عند الظاهر من الامراء سوى جان بلاط الابح نائب القلعة وبعض
أمراء عشراوات ومن الجند نحو ألف انسان واستمر الحرب ثائرا بين الفريقين ثلاثة أيام
وذلك على قلة من عنده من العسكر بالقلعة وكان الظاهر قانصوه حصن القلعة وسد باب
الاصطبل الذي من جهة باب القرافة فلما كان يوم الجمعة بعد العصر ملك الامير طومان باى
باب السلسلة فلما كان يوم السبت تاسع عشريه انكسر الظاهر قانصوه وتشتت من كان
عنده بالقلعة فلما رأى عين الغلب دخل الحريم وتزيا بزى النساء ونزل من القلعة وتوجه الى

نحو التراب فاختنق فكان كما يقال

وقائلة لم دهتك الهموم * وأمرك ممتثل فى الامم

فقلت ذرينى على غصتى * فان الهموم بقدر الهمم

فلما انكسر الظاهر قانصوه لم يجسر الامير طومان باى أن يتسلطن وكان قدامه الاتابكى جان بلاط فاستمرت القاهرة بلا سلطان يوم السبت ويوم الاحد وقد أشيع وجود قانصوه خمسمائة الذى تسلطن فنودى فى القاهرة ان كان قانصوه خمسمائة موجودا فليظهر وله الأمان فلم يكن لهذه الاشاعة صحة فعند ذلك وقع الخلف بين الامراء فيمن يلى السلطنة فذكر تانى بك الجمالى فلم يرض به العسكر ثم ذكر الاتابكى جان بلاط فلم يرض به العسكر فتعصب له الامير طومان باى حتى تسلطن كما سيأتى ذكره فى موضعه وكانت مدة الظاهر قانصوه فى السلطنة سنة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما وكان ملكا هينا لين الجانب قليل الاذى كثير البر والمعروف وكان مسلوب الاختيار مع الامراء مهما يقولوا له يقول بختشى فسمته العامة بختشى كما سموا الظاهر بلباى ايش كنت أنا قل له وكانت أيام الظاهر قانصوه أصلح بالامن أيام الملك الناصر محمد ابن الاشرف قايتباى وقد انصلحت أحوال البلاد الشرقية وقل الاذى من العربان وكذلك البلاد الغربية ووقع الرخاء فى أيامه فى سائر البضائع وانكفت المماليك عما كانوا يعملون من الاذى فى أيام الملك الناصر وساس الناس فى أيامه أحسن سياسة وشلع والناس عنه راضون وكانت صفته أبيض اللون يميل الى الصفرة خفيف الجسد قصير القامة أسود الشعر عربى الوجه مستدير اللحية جميل الهيئة حسن الشكل فى المنظر جركسى الجنس قليل الكلام بالعربى الغالب عليه الجلوبية ولى المملكة من العمر دون الثلاثين سنة وكان وافر العقل ثابت الجنان مع سكون وعدم رهج وأما ماعد من مساويه فقتله للامير تانى بك قرا من غير ذنب أرسل بخنقه وهو بين عياله وأولاده بالقدس ومنها أنه صادر خوند الخاصبكية زوجة أستاذه الملك الاشرف قايتباى ووكل بها طواشيته حتى باعت قماشها مثل التركة وأوردت ماقرر عليها من المال وصادر أختها زوجة اقبردى ووكل بها بالقلعة وطالبها بمائة ألف دينار وزعم ان اقبردى أودع عندها مالا وصادر أخاها الناصرى محمد بن خاص بك وعرضه للضرب غير مامرة وألزمه أن يسافر أمير حاج بالركب الاول من ماله ولم يعطه شيأ كعادة أمراء الحاج من النفقة ومنها أنه ظلم جماعة من أعيان المباشرين من رجال ونساء وأخذ أملاكهم غصبا وهدمها بسبب البيت الذى أنشأه على بركة الفيل لاجل أخيه قانم وفعل مثل ذلك بالتربة التى أنشأها بالصحراء وضيق بها الطريق على المارين هنالك وأعمى ترب الناس التى بجوارها ومنها انه كان متواطئا مع الامراء على قتل الملك الناصر محمد ابن أخته ولولا تراخيه لما قدروا على قتله ومنها أنه رسم بشنق بدر

الدين بن مزهر كاتب السر حتى شفع فيه طومان باى الدوادار ومنها انه كان غير عفيف
الذيل على ماقيل والله أعلم انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الظاهر أبي سعيد قانصوه خال
الناصر محمد ابن الاشرف قايتباى رحمة الله تعالى عليه وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الاشرف أبي النصر جان بلاط ابن يشبك الاشرفي

وهو الرابع والاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثامن عشر من
ملوك الجراكسة وأولادهم في العدد وكان أصله جركسي الجنس اشتراه الامير يشبك بن
مهدي أمير دوادار كبير وأقام عنده مدة وحفظ القرآن ثم ان الامير يشبك قدمه مع جملة
مماليك الى الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى ثم اخرج له خيلا وقماشا وصار من جملة
المماليك الجدارية ثم بعد مدة بقي خاصكيا ثم بقي دوادار سكين وسافر أمير حاج بالركب الاول
وهو خاصكي غير امرة ثم أنعم عليه السلطان بامرية عشرة في سنة أربع وتسعين وثمانمائة
وسافر الى الحجاز أمير ركب المحمل وهو أمير عشرة وقرر في نظر الخانقاه ثم توجه قاصدا الى ابن
عثمان ملك الروم في سنة ست وتسعين وثمانمائة وكان يومئذ أمير طبلخاناه تاجر المماليك
ثم بقي مقدم ألف في آخر دولة الاشرف قايتباى ثم بقي دوادارا كبيرا عوضا عن اقبردى في
دولة الناصر ثم قرر في نيابة حلب وخرج اليها فلما ولي السلطنة الظاهر قانصوه نقله الى نيابة
الشام عوضا عن كرتباى الاحمر بحكم وفاته ثم احضر الى القاهرة وقرر في الاتابكية عوضا
عن الاتابكي أزبك بحكم وفاته ثم تزوج بخوند اصلباى ام الملك الناصر واستمر على ذلك حتى
وثب طومان باى على الظاهر قانصوه وخلعه من السلطنة وانكسر فوقع الاتفاق على
سلطنته على كره من الامراء والعسكر وكانت صفة مبايعته انه لما انسحب الظاهر قانصوه
من القلعة واختفى كما تقدم اقامت القاهرة يومين بغير سلطان فلما كان يوم الاثنين ثاني ذى
الحجة صعد الامراء والعسكر الى باب السلسلة واشتوروا فيمن يلي السلطنة وكان قصد
الامير طومان باى الذى تسلطن فيما بعد ولكن كان هذا مع جان بلاط وتاني بك الجمالى أمير
مجلس فلم يجسر أن يتسلطن وكان العسكر غير راض بجان بلاط فاوسع طومان باى الا انه
تعصب له وسلطنه فارسل خلف أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب والقضاة الاربعة وهم
زين الدين زكريا الشافعي والبرهان بن الكركى الحنفي وعبد الغنى بن تقي المالكى والشهاب
الشيشيني الحنبلي فلما تكامل المجلس عملوا صورة محضر بخلع الظاهر قانصوه فخلع من
السلطنة في الحال ثم ان الخليفة بايع الاتابكي جان بلاط بالسلطنة وتلقب بالاشرف وكني

بأبي النصر على لقب استاذه الاشرف قايتباى فلما تمت بيعته أحضر اليه شعار الملك
وهو الجبة والعمامة السوداء فأفيض عليه ذلك الشعار وقدمت اليه فرس النوبة فركب من
سلم الحراقة الذى بباب السلسلة ورفعت على رأسه القبة والطير وركب الخليفة عن يمينه
ومشت الامراء بين يديه واستمر فى ذلك الموكب حتى طلع من باب سر القصر وجلس على
سرير الملك وقبل له الامراء الارض من كبير وصغير ثم خلع على الخليفة وألزمه أن ينتقل من
يومه ويسكن بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء وكان ملء
العيون كفؤا للسلطنة وافر العقل سديد الرأى وفى حال سلطنته رسم بالافراج عن الامير
قانى بك الرماح أمير اخور كبير وكان مشكوكا فى الحديد عند الامير طومان باى الدوادار وقد
قاسى من البهدلة والانكاد ما لا يعبر عنه وكذلك الامير طراباى عنده فى الترسيم أيضا فخلع
السلطان على قانى باى الرماح وأعاده الى الامير اخورية الكبرى وأطلق طراباى وانس باى
شاد الشراب خاناه وأبقاهما على وظائفهما ثم انه عين الاتابكية الى قصروه نائب الشام
وكان يظن انه يدخل تحت طاعته وكان الامر بخلاف ذلك وقيل انه تسلطن فى ساعة الشمس
وفى يوم الثلاثاء ثالثه جلس فى شباك الدهيشة وعرض مماليك الظاهر قانصوه ومسح
منهم جماعة وفيه فى ذلك اليوم بعث الامير طومان باى الدوادار نحوا من ثلثمائة فرس من
خيوله الخاصة التى كانت عنده لما حضر من الشام وفى يوم الخميس خامسه فرق السلطان
الاضحيه على الامراء والجند ومن له عادة ثم خلع على بدر الدين بن مزهر وأعاده الى كتابة السر
وعزل أخاه كمال الدين عنها وأعيد الشهابى بن ناظر الخاص الى نظر الجيش وعزل عبد القادر
القصروى وأعاده فى الترسيم وقرر عليه مالا له صورة وخلع على جلال الدين بن الصابونى
وأعاده الى نظر الخاص وعزل شهاب الدين بن الرملى عنه وسلمه الى طراباى على مال قرر عليه
وفيه خلع السلطان على قيت الرجبى وأعيد الى حجوبية الحجاب وبطل سفره الى طرابلس
نائبا وخلع على أربك الناشف وقرره فى نيابة القلعة عوضا عن جان بلاط الابح بحكم
اختفائه ثم عين قصروه الصغير بان يمضى الى قصروه نائب الشام بالبشارة بسلطنته وظن ان
قصروه يسر بسلطنته فازداد الا عصيانا وأرسل اليه بالحضور ليلى الاتابكية فلم يجب قصروه
الى ذلك وتمادى على ما هو عليه من العصيان وفيه قبض السلطان على تمر قريب السلطان
الظاهر قانصوه الذى كان محتسبا ووكل به وقرر عليه مالا وكذلك قبض على تانى بك الخازندار
وقرر عليه مالا وفيه عين السلطان دولات باى تقدمة ألف وكذلك بردبك المحمدى وكذلك
خايربك أخو قانصوه البرجى وفيه قوى الفحص والتفتيش على الظاهر قانصوه وصار
والى الشرطة فى كل يوم وليلة يكبس الحارات ويهجم البيوت وحصل للناس بسبب ذلك
الضرر الشامل من الكبس والنهب فلما طال الامر قبض السلطان على الطواشى مسك

وضربه فأقر بأن زوجته خوند جان كلدى تعرف طريقه فبعث اليها السلطان الامير طراباى فسألها عنه فلم تقر بشئ فأحضر اليها المعاصير وعصر هافى رجليها فلم تقر بشئ فأحضر الوالى وعاقب الجوارى وآخرين من جماعتها فلم يقروا بشئ ولما اشتد الامر بسبب ذلك حضر شخص من أولاد الناس يقال له محمد بن اينال وكان ساكنا فى سويقة صفية عند الزير المعلق فأخبر الامير ازدمر أحد الامراء المقدمين أن الظاهر قانصوه عنده فى بيته فلما تحقق الامير ازدمر ذلك طلع وأعلم السلطان فأرسل جماعة من الخاصكية مع والى الشرطة الى ذلك المكان فقبضوا عليه وأركبوه على بغل وعلى رأسه زنطوعليه كبر أبيض وأتوا به على بركة الناصرية وقاسى من البهدلة والانكاد مالا يعبر عنه وقيل انه وقع من فوق البغل فى أثناء الطريق وتمترس عليهم فأركبوه غصبا وكان القبض عليه فى يوم الاحد ثانى عشرى ذى الحجة وكانت مدة اختفائه أربعة وعشرين يوما فجرى عليه هذا كله وهو ساكت لا يتكلم فكان كما يقال

الصبر أولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار

من لازم الصبر على حاله * كان على أيامه بالخيار

واستمر على هذه الحالة حتى أتوا به الى بيت ازدمر فلما رآه قام له وأدخله الى البيت فلما كانت ليلة الثلاثاء خامس عشريه رسم السلطان باخراج الظاهر الى ثغر الاسكندرية فسجن بها وقيل ان السلطان جان بلاط أنعم عليه بخمسة آلاف دينار لكونه كان صهره زوج أخته وكان المسفر عليه الامير ازدمر بن على باى فأوصله الى ثغر الاسكندرية وسجنه بها وعاد وخمدت فتنة الظاهر كأنها لم تكن وفيه قامت المماليك على الاشرف جان بلاط بسبب نفقة البيعة فلما رأى منهم الجد أخذ فى أسباب جمع الاموال فأطلق فى الناس نار المصادرة وقبض على جماعة من الاعيان ووزع على قاضى القضاة مالا له صورة فشفع الخليفة فى قاضى قضاة المالكية عبد الغنى بن تقى فعفى عما قرر عليه لفقره وفيه قبض السلطان على الخواجا رمضان المهتار وسلمه الى طراباى فعاقبه وعصره واستخلص منه ثلاثين ألف دينار وقد صودر غير ما مرة وهذه آخر مصادراته فباع جميع ما يملكه حتى بيوته وشوار نسائه وانكشف حاله جملة واحدة وكان رئيسا حشما أقام فى مهتريته بالطشتخاناه نحوا من ثلاثين سنة ونال من العز والعظمة فى دولة الاشرف قايتباى ما لا رآه غيره من المهاترة وفيه اشتد الامر على الناس بسبب المصادرات وقاسى أعيان الناس من البهدلة والانكاد مالا يعبر عنه وكان المتكلم فى أمر هذه المصادرات بدر الدين بن مزهر كاتب السر فاظهر النتيجة لصهره الاشرف جان بلاط وحصل منه للناس غاية الضرر الشامل وشوش على الكثير منهم وقد عوقب بذلك عليه حتى كان من أمره ما سنذكره وعمت

هذه المصادرة طائفة اليهود والنصارى وجماعة من أعيان التجار والطواشية منهم مسك وعمبر ومختص وغيرهم وكانت حادثة مهولة وفيه أنعم السلطان بامرية عشرة على خايربك العلائى أحد خواصه وعلى جانم المحمدى الظاهرى خشقدم وعلى على باى دوادار خشكلدى البيسقى وآخرين من الخاصكية وفى ليلة الجمعة سابع عشريه وقعت بالقاهرة زلزلة خفيفة بعد العشاء وأقامت نصف درجة وقد شاهدوا بعض النجوم فى السماء تتناثر وفيه نزل السلطان وتوجه نحو تربة الاشرف قايتباى فزار قبره ثم توجه الى باب النصر وكشف عن عمارة مدرسته التى أنشأها هناك ثم دخل من باب النصر وشق المدينة ثم أتى الى بيت الاشرف قايتباى الذى أنشأه ببركة الفيل فكشف عن زوجته خوند أم الملك الناصر وكانت مقيمة هناك فزارها ثم عاد الى القلعة وفيه أعيد الطواشى محسن كما كان وقد قاسى من الانكاد ما لا خير فيه وفيه كانت وفاة صاحبنا تقى الدين بن محمود أحد أعيان الشهود بالمدرسة الصالحية وكان رئيساً حشماً عشير الناس فكه المحاضرة لكنه كان ملسناً كثير التعلق بالناس لا يفوته أحد من كبير وصغير وكانت أعيان الناس يخشون من كلامه ولسانه حتى قضاة القضاة وقد هجاه الاديب زين الدين ابن النحاس بقوله فيه

قف وقفة وانتظر عند الامام ترى ، جيوش أجفانه بالسود قد كسرت

ومن توقد نيران الحشيش غدت * عيناه ترمى جمراً كلما نظرت

وفى هذه السنة انقطع البلسان من مصر وهو البلسم وكان من آثار عيسى بن مريم عليهما السلام وكانت الفرنج يجيئون من أقصى البلاد حتى يشترون من دهن هذا البلسم ويتغالون فى ثمنه وقد أحضر حب البلسان البرى من الحجاز وزرعوه بأرض المطرية وعالجوه فلم ينبت وانقطع من مصر بالكلية كأنه لم يكن قط بعين شمس وهو أجل نباتها وهذا لم يتفق قط وكان قبل ظهور الاسلام بمدة طويلة وكان ذكى الرائحة أشبه شئ بورق الملوخية وكان دهنه ينفع للامراض الباردة كوجع الظهر والركب وغير ذلك من الامراض البلغمية وكان يستخرج دهن هذا البلسم فى رابع عشرى بشنس القبطى وكان فى الزمن القديم يحضر يوم استخراج دهنه بعض الامراء وقيل الخازندار الكبير وأجود ما طبخ دهنه فى برمهات وكان يزرع حبه فى بؤنة الى هاتور وكان معدوداً من جملة محاسن مصر وكان انقطاعه من مصر فى رأس القرن العاشر ومن حوادث هذا القرن أيضاً الحب الفرنجى أعاذنا الله منه فشاق الناس جداً وقد أعيا الاطباء أمره واستمر يعرض للناس الى الآن

❁ (ثم دخلت سنة ست وتسعمائة) فيها كان خليفة الوقت المستمسك بالله أبا الصبر يعقوب الهاشمى الاموى والسلطان الملك الاشرف أبا النصر جان بلاط بن يشبك الاشرفى والقضاة الاربعة على حكم ما تقدم وكانت الاتابكية شاغرة وقد تعينت لقصروه نائب الشام وفى يوم

الثلاثاء مستهل المحرم كان صعود خوند اصلباى زوجة الاشرف جان بلاط وهى أم الناصر وسرية الاشرف قايتباى وأخت الظاهر قانصوه فكان يوم صعودها الى القلعة يوما مشهودا فشقت من الصليبة وهى فى محفة زركش وحولها الخدام من أعيان الطواشية وقدامها أعيان المباشرين وجماعة من الخاصكية نحو من خمسين انسانا وهم بالشاش والقماش وجماعة من المماليك نحو من مائة انسان وبأيديهم العصى يفسحون الناس فاستمرت فى هذا الموكب الحافل حتى صعدت الى القلعة ومعها نحو من مائتى امرأة على مكارية وفيه فرق السلطان نفقة البيعة على العسكر وقد جمع هذا المال من وجوه الظلم والمصادرات ففرق على جماعة مخصوصة من العسكر وقطع للاكثر من الجند وأولاد الناس وغيرهم وفى يوم الخميس ثالثه حضر قصروه الصغير الذى كان قد توجه الى قصروه نائب الشام بيشارة سلطنة الاشرف جان بلاط فلما عاد أخبر أن قصروه نائب الشام باق على عصيانه ولم يدخل تحت طاعة الاشرف جان بلاط ولم يلبس خلعته ولا قبل له الارض فلما تحقق السلطان ذلك تنكد الى الغاية وكان يظن ان قصروه يدخل تحت طاعته فجاء الامر بخلاف ذلك وفى يوم الجمعة رابعه صلى السلطان صلاة الجمعة وجلس بباب الستارة وخلع على الامير تانى بك الجمالى وقرره فى الاتابكية عوضا عن نفسه وكان السلطان أخر الوظيفة لقصروه فلما تمادى على عصيانه قررها تانى بك الجمالى وخلع على الامير طومان باى وقرره فى امرية السلاح مضافا لما بيده من الدوادارية الكبرى وقرره أيضا فى الوزارة والاستادارية وكشوفية الكشاف كما كان الامير يشبك بن مهدى فعظم أمره جدا وصار صاحب الحل والعقد فى تلك الايام وفيه استقر قرقماس بن ولى الدين فى ولاية حلب كما قرره الظاهر قانصوه وقرر دبردبك الطويل فى نيابة طرابلس عوضا عن قيت الرجبى الذى كان تعين اليها وقرر قانصوه بن سلطان جركس المعروف بابن الموقا فى نيابة حماه وكان قرره قبل ذلك فى نيابة غزة ثم بطل أمر هؤلاء النواب جميعا وحدثت أمور بعد ذلك يأتى الكلام عليها فى موضعها وفى يوم السبت خامس المحرم الموافق لثامن مسرى وفى النيل المبارك وكسر يوم الاحد سادس المحرم فلما وفى توجه الامير طومان باى الدوادار وفتح السد على العادة فأظهر فى ذلك اليوم غاية العظمة وفرق على المتفرجين نحوا من مائتى مجمع حلوى ومائتى مشنة فاكهة حتى فرق البطيخ الصيفى ونثر للعوام فضة لما أراد أن يركب عند السد فارتفعت له الاصوات بالدعاء وكان له يوم مشهود وكان هذا آخر فصه للسد وعقيب ذلك تسلطن وجرت عليه أمور يأتى الكلام عليها فابتهج الناس بيوم الوفاء لكون النيل كان وفاؤه مسرعا وحصل به غاية النفع وكان نيلا عاليا مباركا فكان كما يقال

كان

كان في يوم الوفا نيلنا * أتقن علم الحرف بالضبط
اذ بالصبا صفحات خلجانه * تجدولت بالكسر والبسط

وفيه تكلم وسائط السوء مع السلطان في اعادة وظيفة نظر الاوقاف فلما عرضوا ذلك على الامير طومان باى لم يوافق على اعادة هذه الوظيفة وكان الملك الناصر أبطلها بواسطة كرتباى الاحمر فلما توجه كرتباى الاحمر الى الشام وطاش الملك الناصر بعد سعى محمد بن العظمة الذى كان ناظر الاوقاف في اعادته الى هذه الوظيفة وكان الساعى له عبد القادر البواب بواب الدهيشة فقرره السلطان في نظر الاوقاف فأقام بها مدة يسيرة وضج منه الناس فشكوه للملك الناصر فقبض عليه وضربه ضربا مبرحا ونفاه الى قوص وقد تولى هذه الوظيفة غير ما مرة ولم ينتج أمره وقد تولاها جماعة كثيرة منهم شخص يسمى الفار الوكيل فلم ينتج أمره وتولى بها أيضا شرف الدين بن البدرى حسن فلم ينتج فيما تقرر عليه من المال وقد تولاها جماعة كثيرة ولم يمكنهم السداد وهى وظيفة شر وظلم فشكر الناس فعل الامير طومان باى الدوادار على ابطال هذه الوظيفة في تلك الايام السيئة وفيه قبض السلطان على شمس الدين بن مزاحم ناظر الاصطبل وقرر عليه مالا له صورة يورده للخزائن الشريفة وفيه عاد سنباى نائب سيس أحد المقدمين وكان توجه الى الكرك لقتال بنى لام وعاد من غير طائل وفيه اجتمع السلطان بالامراء وضربوا مشورة في أمر قاصروه نائب الشام فأشاروا على السلطان بأن يرسل اليه قاصدا فعين شخصا من الامراء العشراوات وهو ازدمر الفقيه وعين معه الامير اصباى فتوجها اليه عن قريب وفى أثناء ذلك حضر خاير بك الكاشف الذى كان الظاهر نفاه وفر من أثناء الطريق وتوجه الى قصروه وأظهر العصيان معه فلما بلغه سلطنة الاشرف جان بلاط فر من عند قصروه ودخل تحت طاعة الاشرف جان بلاط فلما حضر خلع عليه ووعده بتقدمة ألف وفى خامس عشريه كان دخول الحاج الى القاهرة وقد حصل لهم مشقة زائدة وعوقهم العرب حتى فات ميعاد دخولهم وفيه تعين قرتباى خازندار الامير طومان باى وأظهر السلطان أنه يروم الصلح بينه وبين قصروه وكان الامر بخلاف ذلك وانما أرسل قرتباى في عمل مصلحة نفسه وقد ظهر ذلك فيما بعد وتلاعب بالاشرف جان بلاط وهو يظن أنه من الناصحين وهو بضد ذلك كما يقال في أمثال الصادح والباغم

جهد البلاء صحبة الاضداد * كأنها كى على الفؤاد

ومنها

كذاك من يستنصح الاعادى * يردونه بالغش والفساد

ومنها

أعظم ما يلقى الفتى من جهد * أن يبتلى من جنسه بالضد

وفيه جاءت الاخبار بأن قصروه قد استولى على غزة وأعمالها والقدس وغير ذلك من النواحى

وفى صفر عظم أمر الامير طومان باى جدا وتصرف فى أحوال المملكة كما يختار وصار الاشرف جان بلاط معه كالمحجور عليه لا يقضى أمرا دونه وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن دولات باى نائبها أظهر الطاعة للسلطان وانه ليس مع قصروه نائب الشام وهذا كله حيل وخداع وترتيب من الامير طومان باى حتى كل عزم السلطان عن ارسال تجريدة الى قصروه نائب الشام وكانت لوائح الخذلان ظاهرة على الاشرف جان بلاط وأحواله كلها معكوسة وصار طومان باى يعهد لنفسه فى الباطن وفيه توعك قاضى القضاة زين الدين زكريا وحصل له ضعف فى بصره فاغلق عليه بابه وأظهر أنه قد عزل نفسه عن القضاء فلم يلتفت السلطان اليه فلما كان يوم الاثنين عشريه خلع السلطان على محيى الدين عبد القادر بن النقيب وقرره فى قضاء الشافعية عوضا عن القاضى زكريا بحكم انفصاله عنها فكانت مدة ولاية الشيخ زكريا فى قضاء الشافعية نحوا من عشرين سنة فانه تولى فى دولة الاشرف قايتباى فى سادس رجب سنة ست وثمانين وثمانمائة وعزل فى صفر سنة ست وتسعمائة وهذه المدة لم تقع لاحد من قضاة الشافعية فى ولاية واحدة غيره فعد ذلك من النوادر وسيعود الى القضاء ثانيا عن قريب فلما تولى عبد القادر بن النقيب شق على كل أحد من الناس ولايته ولاموا السلطان على ذلك وكان يومئذ فى الشافعية من هو أولى بالقضاء منه ولكن سعى بماله صورة حتى تولى على كره من الناس فكان كما يقال دوبيت

فى مصر من القضاة قاض وله ❊ فى أكل مواريث اليتامى وله

ان رمت عدالة فقم مجتهدا ❊ من عند له دراهما عدله

وهو أول قضائه بمصر وقيل انه سعى بسبعة آلاف دينار حتى تولى وسيعزل عن قريب وفيه جاءت الاخبار من جهة المغرب بأن الفرنج قد استولوا على غرناطة التى هى دار ملك الاندلس ووضعوا فيها السيف للمسلمين وقالوا من دخل فى ديننا تركناه ومن لم يدخل قتلناه فدخل فى دينهم جماعة كثيرة من المغاربة خوفا على انفسهم من القتل ثم ثار عليهم المسلمون ثانيا وانتصفوا عليهم بعض شئ واستمر الحرب ثائرا بينهم والامر لله تعالى فى ذلك وفى ربيع الاول نزل السلطان الى بيت الامير طومان باى وترجل ونزل عن فرسه ودخل هو واياه الى البيت وأقام عنده ساعة يتحدثان فى أمر قصروه ثم ركب وطلع الى القلعة وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وهو اول موالده وفيه فى يومه عين السلطان شاربك أتابكا نصوه البرجى ومعه جماعة من العسكر وأمرهم أن يقيموا بغزة خشية من قصروه أن يطرق غزة على حين غفلة فخرج شاربك والعسكر مسرعين وفيه ماتت خوند حبيبة ابنة الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق وهى زوجة الامير طومان باى الدوادار وكانت جنازتها حافلة وفيه عين السلطان الامير سودون العجمى أحد المقدمين وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وعين دولات باى قرموط والى القاهرة بالركب الاول وفيه عرض

السلطان العسكر وعين تجريدة الى قاصروه نائب الشام وقد تمادى على العصيان والخروج
عن الطاعة واضطربت أحوال البلاد الشامية وامتنع ورود القماش والفاكهة وغير
ذلك مما كان يجلب من البلاد الشامية فلما عرض العسكر عين خمسمائة مملوك ومن
الامراء المقدمين أحد عشر أميرا وكان الباش على هؤلاء الامراء المقر السيفى طومان باى
دوادارا كبيرا وأمير سلاح ووزيرا واستادارا وكاشف الكشاف ومشير المملكة ومامع
ذلك من الوظائف وفيه عرض السلطان العسكر وأنفق عليهم وبعث نفقة الامراء ثم
استحثهم على الخروج بسرعة ورسم لهم أن يخرجوا شيأ بعد شئ فلما كان يوم الثلاثاء
سادس عشريه خرج جماعة من الامراء الطبلخاناه المعينين فى هذه التجريدة فكان
جاليش العسكر قيت الرجبى حاجب الحجاب واصطمر بن ولى الدين أحد المقدمين وسودون
الدوادار أحد المقدمين وخرج صحبتهم خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية وفيه قرر
الامير قانبردى اليوسفى فى شادية الشرابخاناه مع امرية أربعين وكان من خواص الامير
طومان باى الدوادار وقرر قلج فى نيابة البيرة ثم لم يتم له ذلك وقرر فى نيابة الاسكندرية ثم نفى فى
دولة العادل طومان باى الى البلاد الشامية وفيه قرر الشيخ صنطباى فى نظر المدرسة
السنقرية التى بباب النصر وأخرج النظر عن قاضى القضاة الشافعى بأمر السلطان
وفيه قرر السلطان أزدمر باى الذى كان شاد الشرابخاناه فى تقدمة ألف وكان من خواص
الامير طومان باى وفيه قرر طقطباى فى كشف أسيوط وصرف عنها يوسف النوام
وقرر جانم المحمدى الخشقدمى فى كشف منفلوط وصرف عنها حيدر السيفى أزبك
اليوسفى وفى يوم السبت مستهل ربيع الآخر خرج من تعين من النواب المقدم
ذكرهم وهم قرقماس بن ولى الدين المعين لنيابة حلب وبردبك الطويل المعين لنيابة
طرابلس وقانصوه بن سلطان جركس المعروف بابن الوفا المعين لنيابة حماه وقد تعينت
لدولات باى نائب حلب نيابة الشام عوضا عن قصروه اذا قبض عليه وكانت هذه التراتيب
كلها فى البطال وآل الامر الى خلاف ذلك كما يأتى الكلام عليه فى موضعه وفى يوم الاثنين
رابعه خرج المقر السيفى طومان باى أمير سلاح ومامع ذلك فلما خرج طلب طلبا حافلا حتى
رجت له القاهرة فلما طلع الى القلعة أفاض عليه السلطان خلعة حافلة وهى فوقانى حرير
ازرق بوجه أخضر بطرز يلبغاوى عريض قيل كان طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين
ونصف من الذهب الخالص البندقى وكان ما دخل فيه ثمانمائة مثقال بحيث لم يعمل قط مثله
ولا سمع بمثل ذلك وكان الاشرف جان بلاط يقاتل على رضا الامير طومان باى بكل ما يمكن
ومع هذا كان الامير طومان باى يضمر له كل سوء فكان لسان حال جان بلاط يقول

أقاسى الموت لنيل المنى * ويا ليت هذا بهذا يفى

وكان الامير طومان باى باغيا على الاشرف جان بلاط فكان كما يقال

والغدر بالعهد قبيح جـــدا ● شر الورى من ليس يرعى عهدا

فلما خرج كان صحبته من الامراء المقدمين قانى باى الرماح أمير اخور كبير والامير قانصوه الغورى رأس نوبة كبير والامير ازدمر بن على باى أحـد المقدمين وأنس باى أحد المقدمين فكانوا بمن تقدمهم من الامراء المقدمين أحد عشر أميرا ومن المماليك السلطانية نحو من ألفى مملوك وزيادة وكانت هذه التجريدة المعينة الى قصروه نائب الشام تعادل تجريدة ابن عثمان وقد تقدم ذكر ذلك فى دولة الملك الاشرف قايتباى فلما شق الامير طومان باى من القاهرة كان له يوم مشهود وارتفعت له الاصوات بالدعاء وكان محببا للناس ولاسيما العوام فلهج الناس بأنه سيعود سلطانا وكان الامر كذلك واستمر فى ذلك الموكب حتى نزل بالريدانية فى الوطاق فأقام به أياما وقيل ان السلطان نزل اليه هناك فى الخفية تحت الليل وجلس عنده وتحدثا فيما يكون من أمر قصروه وأنعم عليه السلطان بأشياء كثيرة من مال وقماش وتحف حتى باحجار حيوانية لمنع السموم القاتلة ثم ودعه وطلع الى القلعة وكان يظن ان الامير طومان باى ناصحا له وكان الامر بخلاف ذلك وفيه من الحوادث ان السلطان تغير خاطره على القاضى كاتب السر بدر الدين بن مزهر فقبض عليه وعلى حاشيته وسجنه بالعرقانة وضربه ضربا مبرحا غير ما مرة وسبب ذلك ان السلطان لما صادر الناس كما تقدم نسبه القاضى بدر الدين الى ذلك فأظهر من الظلم والعسف والتشويش على الناس ما يطول شرحه وأظهر النصيحة فى ذلك للاشرف جان بلاط فانه كان صهره فكثر الدعاء عليه وأخذه الله من الجانب الذى يأمن اليه وكان كما يقال

فكان كالمتمنى أن يرى فلقا ● من الصباح فلما أن رآه عمى

ثم انه قرر عليه مالا وأقام فى العرقانة حتى يورد ما قرر عليه من المال وكان من أمره ما سنذكره فى موضعه فلما كان يوم الخميس ثانى عشره خلع السلطان على صلاح الدين بن يحيى بن شاكر بن الجيعان وقرره فى كتابة السر عوضا عن بدر الدين بن مزهر بحكم صرفه عنها وهذه آخر ولايته لكتابة السر فلم يعد اليها بدر الدين بعد ذلك وفى ليلة الجمعة ثالث عشره خسف جرم القمر خسوفا تاما وأقام فى الخسوف الى قريب التسبيح وغرب وهو مكسوف وفيه توفى القاضى جلال الدين بن الامانة أحد نواب الشافعية وهو عبد الرحمن ابن محمد بن عبد العزيز وكان عالما فاضلا رئيسا حشما وفاته منصب القضاء غير ما مرة وهو آخر من روى صحيح مسلم عن الزين الزركشى بالسماع وكان قد طعن فى السن وقارب التسعين من العمر وفيه نودى من قبل السلطان بابطال ما تجدد من المكوس والمظالم الحادثة من بعد موت الاشرف قايتباى وفيه عاد تمر باى خازندار الامير طومان باى

الدوادار الذي كان توجه الى قصروه نائب الشام ليمشي بينه وبين السلطان بالصلح فلم يوافق قصروه على ذلك وفيه توفي أصباي الاشرفي قايتباي وكان أحد الدوادارية وكان لا بأس به وفي جمادى الاولى في يوم الاثنين خامسه وصل هجان من الشام في الخفية وعلى يده مكاتبات الى تمرباي خازندار طومان باي ليفرقها على الامراء فكان مضمونها أنه تسلطن بالشام وتلقب بالملك العادل واستفاض هذا الكلام بين الناس وفشا فلما فرق تمرباي المكاتبات على الامراء خاف على نفسه ففر تحت الليل وستر الله عليه حتى خرج من القاهرة وفيه جاءت الاخبار مفصلة بصحة ما جرى وهو أن العسكر لما وصل الى الشام نزل في مكان يسمى مصطبح بالقرب من دمشق فركب قصروه نائب الشام في نفر قليل من عسكره وأظهر أنه طائع فاطمأن له العسكر وكان غالب الامراء خشداشينه فلما حضر اليهم دخل معهم الى الشام واجتمعوا في القصر الابلق الذي في الشام بالميدان ولما حضر قصروه نائب الشام ذكروا له أنه يطلع الى القلعة ويقرأ مراسيم السلطان فطلع وطلع الامراء الى القلعة فعند ذلك قروا عليه مراسيم السلطان فلم يلتفت الى ذلك ثم تفاوض هو والامراء في الكلام ثم ثارت فتنة كبيرة بالقلعة ثم أمر قصروه والامير طومان باي بالقبض على جماعة من الامراء وهم قرقماس ابن ولي الدين نائب حلب الذي قريبها وازدمر بن علي باي أحد الامراء المقدمين وخاير بك اخو قانصوه البرجي أحد الامراء المقدمين وسودون بن يشبك الدوادار أحد الامراء المقدمين وقانصوه بن سلطان جركس الذي قرر في نيابة حماه وقبض على آخرين من الامراء الطبلخانات والعشراوات فلما قبض عليهم قيدهم وحبسهم بالقلعة بدمشق وفي أثناء ذلك حضر الى دمشق دولات باي بن اركماس نائب حلب الشهير باخي العادل فلما حضر تعصب للامير طومان باي وتكلم في سلطنته فأحضر قضاة الشام وكتب صورة محضر في خلع الاشرف جان بلاط من السلطنة وبايعوا طومان باي من غير خليفة وتلقب بالملك العادل أبي النصر وأحضر له شعار الملك فأفيض عليه وقبل له الامراء الارض فأول من قبل له الارض قصروه نائب الشام ثم بقية الامراء شيأ فشيأ فلما تم أمره في السلطنة عين الاتابكية بمصر لقصروه نائب الشام وعين نيابة الشام لدولات باي نائب حلب وعين نيابة حلب الى اركماس بن ولي الدين وعين نيابة طرابلس لبرديك الطويل وعين نيابة صفد لجانم وقرر قيت الرجبي في امرية سلاح عوضا عن نفسه وقرر قانصوه الغوري في الدوادارية الكبرى والاستادارية والوزارة وكشف الكشاف عوضا عن نفسه وقرر قانى بك نائب الاسكندرية في رأس نوبة الكبرى وقرر اصطمر بن ولي الدين في الحجوبية الكبرى وعين عدة امريات الوف وامريات طبلخانات وعشراوات لجماعة من عصبته ثم انه رسم بشنق أحد مشايخ العربان من أولاد ابن بيعة وشنق شخصا آخر من مشايخ بني حرام يقال له ثابت

فلما تم أمره فى السلطنة خطب باسمه على منابر دمشق ثم أخذ فى أسباب الحضور الى مصر فلما سمع الاشرف جان بلاط هذه الاخبار اضطربت أحواله وضاقت به الدنيا ثم أخذ فى أسباب تقرير الوظائف للامراء الذين بمصر عوضا عمن أظهر العصيان بدمشق فاستمال قلوبهم حتى يكونوا له عونا ويدخلوا تحت طاعته فاحضر لهم المصحف العثمانى وحلف عليه سائر الامراء من كبير وصغير بعد صلاة الجمعة بحضرة الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الاربعة وكان قاضى القضاة الشافعى عبد القادر بن النقيب ألف صورة أيمان مغلظة بالله وبالمصحف وبالحج وبالعتق والطلاق ثلاثا وغير ذلك من التأكيد فى الايمان المغلظة وكتب ذلك فى سجل ودفعه الى صلاح الدين بن الجيعان كاتب السر ليحلف عليه الامراء وكان هذا سببا لانتقام العادل من ابن النقيب لما حضر الى مصر وتم أمره فى السلطنة فجرى على ابن النقيب منه أمور مهولة يأتى الكلام عليها فلما تكامل المجلس حلف الامراء بتلك الايمان التى تقدمت أنهم لا يخونون ولا يغدرون ولا يميلون مع العادل اذا حضر فحلفوا على ذلك ثم أحضر لهم عدة تشاريف فخلع على قانصوه المحمدى المعروف بالبرجى وقرره فى امرية السلاح عوضا عن طومان باى بحكم سلطنته بدمشق وقرر خشكلدى البيسقى الظاهرى خشقدم فى امرية مجلس عوضا عن قانصوه البرجى بحكم انتقاله الى امرية سلاح وقرر مصرباى فى الدوادارية الكبرى عوضا عن طومان باى بحكم سلطنته بدمشق وقرر سنباى نائب سيس فى الاميراخورية الكبرى عوضا عن قانى باى الرماح بحكم عصيانه مع طومان باى وقرر سودون العجمى فى رأس نوبة الكبرى عوضا عن قانصوه الغورى بحكم عصيانه مع طومان باى وقرر برد بك المحمدى الاينالى فى حجوبية الحجاب عوضا عن قيت الرجبى بحكم عصيانه وقرر قانصوه الصغير فى ولاية القاهرة وقرر تانى بك الابح فى شادية الشراب خاناه وقرر اقباى الطويل فى تجارة المماليك وقرر تمرباى أمير شورى فى استادارية الصحبة وقرر جان بردى رأس نوبة ثانى وأنعم بتقادم الوف على جماعة من الامراء منهم بيبرس الفهلوان وأزبك المكحل وخشكلدى الذى كان استادار الصحبة ودولات باى قرموط الذى كان والى القاهرة وأزبك الناشف وتمراز جوشن وتمراز الزردكاش وقرقماس الشرابى وخير بك الكاشف وغير ذلك من الامراء ممن خامر مع طومان باى ثم فرق عدة أقاطيع على الخاصكية عوضا عمن كان صحبة طومان باى ثم أخذ فى أسباب تحصين القلعة فركب حولها المكاحل المعمرة بالمدافع وأصلح سورها وأبراجها وبنى فوق سلم المدرج بابا وهو موجود الى الآن ثم بنى برجا مستطيلا على باب السلسلة فبناه بالفص الحجر وصنع فيه مراى وأبوابا صغارا ثم سد باب الميدان وباب حوش العرب وباب الاصطبل الذى عند الصوة وصار ينزل فى النهار مرتين يكشف على

العمارة بنفسه ثم رسم بهدم مدرسة السلطان حسن فهدم منها بعض شئ من وراء ظهر محراب القبة فأقاموا يهدمون فيها ثلاثة أيام فلم يقدروا على هدم ذلك فتكلم الامير تغرى بردى الاستادار مع السلطان فى عدم ذلك فرجع السلطان وترك الهدم وقد تأسف الناس على هدمها لانه لم يعمر فى الدنيا مثلها ولو هدمها ما كان يفيده من هدمها شئ وما كان يقدر على هدمها فكان ترك ذلك أوجب وقد ظهر عجزه عن ذلك وفى هذه الواقعة يقول شيخنا عبد الباسط بن خليل الحنفى

هتكت قبة الحسن * واتقى وصفها الحسن
ان فى ذا لعبرة * لكن المستفيق من

وقال محمد بن قانصوه بن صادق سامحه الله

حسن السلطان قد هتكت * خيفة المحذور قبته
نص الراثى بذا وغدت * مثلها فى الهتك حرمته

ثم ان السلطان نقل الى القلعة من البقسماط والجبن والغنم والبقر والاوز والدجاج والقمح والشعير وأشياء كثيرة من احتياج المطبخ ما يكفى للمحاصرة نحو الشهرين ثم نادى فى القاهرة باصلاح الدروب واصلاح باب المدينة فاضطربت الاحوال وترايدت الاقوال وكثر القيل والقال وزعموا قلشهم فى الخابى وظن كل أحد أن هذه فتنة مهولة ما تنجلى الا عن أمور شتى وصار الناس فى رعب من ذلك وقد اشتد الامر جدا وفيه قبض السلطان على اسماعيل زامل وشنقه على باب الميدان وسبب ذلك انه لما هرب قرباى خازندار طومانباى الذى تسلطن بالشام مكنه أن يتوجه الى الشام وما أعلم السلطان بذلك فشنقه لاجل ذلك وصار له ذنب كبير ثم ان السلطان أراد أن يقبض على الامير طراباى وعوقه بالقلعة ساعة ثم بدا له ترك هذا الامر ثم ان السلطان رسم بقطع سلالم مدرسة السلطان حسن وأمر بنقض أماكن من دار يشبك الدوادار ونقل الى القلعة أخشابا كثيرة صنع منها عدة طوارق وسلالم خشب وغير ذلك من آلة الحرب ثم فتح الزردخاناه وفرق منها على جماعة من الجند عدة سيوف وزرديات ولبوس وتراكس وقسى ونشاب وغير ذلك ثم فرق عليهم عدة خيول خاص من خيول الامراء الذين خامروا مع طومان باى فأخذ خيولهم وفرقها على العسكر وفرق عليهم من خيوله الخاص أيضا وأرضى العسكر بكل ما يمكن وأنعم على أكثرهم بوظائف واقطاعات وفرق مثالات تكتب على بياض على جميع من كان عنده ولم يبق عنده من ذلك شئ فكان كما قيل

اذا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك فى اعتدال

وفى جمادى الآخرة فى يوم الاربعاء مستهله خلع السلطان على الامير عبد اللطيف الطواشى

وقرر زماما وخازندارا كبيرا عوضا عن جوهر المعيني بحكم وفاته كما تقدم وفيه توفي الشيخ
الصالح المعتقد سيدي عبيد القفاص وكان من الصالحين وفي يوم السبت رابعه جاءت
الاخبار بأن العادل طومان باي خرج من الشام هو وقصروه نائب الشام ودولات باي نائب
حلب وجماعة من النواب والتف عليهم الجم الغفير من عسكر الشام وعربان جبل نابلس
والعشير وغير ذلك وقد وصل الى غزة فلما تحقق السلطان ذلك علق الصنجق السلطاني على
باب السلسلة ونادى العسكر بأن يطلع الطائع الى القلعة ومعه آلة الحرب وان سائر الامراء
تطلع الى القلعة صغارهم وكبارهم ثم رسم لقضاة القضاة بأن يطلعوا الى القلعة فطلعوا الى
القلعة وكذلك سائر المباشرين من أرباب الوظائف يطلعون الى القلعة أجمعين فامتثلوا ذلك
وطلعوا الى القلعة وأقاموا بها واحتاط في الامور بكل ما يمكن ولم يفده من ذلك شيء فكان
كما يقال

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجني عليه اجتهاده

فلما كان يوم الخميس تاسعه وصل العادل بمن معه من العساكر الى خانقاه سرياقوس ودخل
أوائل عسكره الى القاهرة فماجت القاهرة واضطربت وقلق الاشرف جان بلاط وضاقت
عليه الدنيا بما رحبت فكان كما يقال في المعنى

قد كان يرجف في ليالي وصله * قلبي فكيف الآن عند صدوده

وفيه جاءت الاخبار بوصول عسكر العادل الى المطرية فخرج اليه بعض العساكر
السلطانية وتقاتلوا معهم هناك قتالا هينا ففر منهم أزبك النصراوي ودخل تحت طاعة
العادل وقبل له الارض فخلع عليه العادل هناك وقرره والي الشرطة بالقاهرة ثم ان
بعض المماليك توجهوا الى بيت العادل الذي كان ساكنا به وهو بيت الطاهر تمربغا الذي عند
سوق السلاح بالقبو فاحرقوا مقعده ومبيته ونهبوا منه بعض أثاث وفي يوم السبت
حادي عشره كان دخول العادل طومان باي الى القاهرة فدخل من باب الفتوح ورفع على
رأسه صنجق خليفتي وكان معه من الامراء قانباي الرماح أمير آخور كبير وقانصوه
الغوري رأس نوبة كبير وقيت الرحبي حاجب الحجاب وكان معه من النواب قصروه
نائب الشام ودولات باي نائب حلب وبردبك الطويل نائب طرابلس وجانم نائب حماه
وغير ذلك من الجند والعربان والعشير فشق من القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء
وكان محببا للناس قاطبة فنادى بالامان والاطمئنان والبيع والشراء والاخذ والعطاء
وان لا يشوش أحد على أحد من الرعية فتزايدت له الناس بالدعاء وكان الناس يظنون
ان العادل طومان باي يعمر به مصر عن آخرها بسبب ما يقع من الفتن وان الامر يطول في
ذلك فما حصل الا كل خير وانفرج الامر عن قريب فاستمر العادل طومان باي في ذلك

الموكب وكان له يوم مشهود حتى توجه الى بيت قانى بك قرا الذى عند حمام الفارقانى فنزل به ونزل قصروه بالازبكية بدار الاتابكى أزبك ونزل دولات باى نائب حلب بجامع شيخو ونزل نائب طرابلس بدار أزبك اليوسفى أمير مجلس الذى كان بدرب ابن البابا بالقرب من الصليبة ووزع الامراء والنواب الذين حضروا عصبة العادل كل واحد فى مكان بالقرب من الصليبة ثم ثار الحرب بين الفريقين وعظم الامر جدا وكان القائم بنصرة العادل قصروه نائب الشام فأمر بحفر خنادق فى الطرقات وورائها سور من الحجارة فحفروا خندقا برأس الرميلة عند سويقة ابن عبد المنعم وخندقا عند حدرة البقر وخندقا عند باب الوزير وخندقا برأس سوق جامع أحمد بن طولون وخندقا عند سوق القبو عند مدرسة السلطان حسن فكانت خمسة خنادق ثم ان العادل أحضر عدة أخشاب لاطات وبرم وصوارى وأحضر جماعة نجارين فصنعوا منها عدة طوارق وسلالم وشرعوا فى عمل مجانيق وسدوا عدة أماكن شتى وبنوا عليها دروبا وصاروا يغلقونها وظنوا أن هذه الفتنة يطول أمرها ففى اليوم الثالث من المحاصرة ملك قصروه مدرسة السلطان حسن وركب المكاحل المعمرة بالمدافع ووقف بها ورموا على من بالقلعة بالسبقيات وبالبندق الرصاص فقتل ممن كان بالقلعة جماعة كثيرة وجرح آخرون فضعف عزمهم عن القتال وبانت الكسرة عليهم ولم يكن عند الاشرف جان بلاط بالقلعة سوى الاتابكى تانى بك الجمالى والأمير طراباى والامير مصرباى والامير قانصوه البرجى وخشكلدى البيسقى ونائب سيس سنباى وآخرين من الامراء المقدمين وغيرهم وكان الرماة أشاعوا عن السلطان جان بلاط لما وصل العادل الى المطرية أن يخرج اليه الاتابكى تانى بك الجمالى وآخرون من الامراء ويحاربونه وكان هذا عين الصواب لو فعلوه كما يقال فى الامثال

وانتهز الفرصة ان الفرصه * تصير ان لم تنتهزها غصه

واسبق الى الاجود سبق الناقد * فسبقك الخصم من المكايد

ثم ان العادل قصد أن يحضر جماعة من فرسان عربان الشرقية يقاتلون معه كما فعل أقبردى الدوادار فلم يوافقه الامراء على ذلك وقالوا هذا يحصل منه غاية الفساد فلما كان يوم الاثنين ثالث عشره اشتد الحرب بين الفريقين ووقع بينهما واقعة مهولة بباب الوزير فجرح فيها شخص من الامراء الطبلخانات يقال له تمرباى الطويل استادار الصحبة فلما جرح أغمى عليه فسقط عن فرسه فأخذوا لبسه وسلاحه وحمل الى داره فمات بعد أيام وفى ذلك اليوم تقنطر الامير مصرباى الدوادار بالتبانة وأخذوا فرسه من تحته ونجا بنفسه وهرب وجرح فى ذلك اليوم جماعة كثيرة من الفريقين وقتل فى ذلك اليوم أيضا الامير قانى بك نائب الاسكندرية أحد الامراء المقدمين قتل بكفيه وكان من عصبة الامير اقبردى الدوادار

وحضر الى القاهرة صحبة قصروه نائب الشام وكان مقيما بالشام وقتل جماعة من الخاصكية فى ذلك اليوم وفى يوم الاربعاء خامس عشره استمر الحرب ثائرا بين الفريقين الى يوم الخميس سادس عشره وأنفق العادل طومان باى على العسكر الذين من عصبته جامكية شهر وصار الاشرف ينفق الجامكية بالقلعة على من عنده من العساكر والعادل طومان باى ينفق الجامكية فى بيت تانى بك قرا على من عنده من العسكر فلما تلاشى أمر الاشرف جان بلاط وترشح أمر العادل طومان باى ولاحت عليه لوائح النصر صار جماعة من الامراء والعسكر يتسحبون من القلعة وينزلون عند العادل طومان باى فنزل اليه قانصوه الفقيه وتمر الظاهرى وجان بلاط الابح وقانى بك الابح وغير ذلك من الامراء والخاصكية ثم نزل فى ذلك اليوم القاضى عبد القادر القصروى وتوجه الى العادل فخلع عليه وأقره فى نظر الجيش عوضا عن الشهابى أحمد ناظر الجيش وكان الاشرف جان بلاط وعد العسكر أنه ينفق عليهم مع الجامكية فلم ينفق عليهم شيأ فانقلبوا عليه وتسحب غالبهم وأتوا الى العادل فرحب بهم فلما كان يوم الجمعة سابع عشره خرج العادل من بيت تانى بك قرا وهو راكب وعليه سلارى شوح احمر بفرو سمور وعلى رأسه تخفيفة صغيرة والامراء حوله فتوجه الى جامع شيخو فصلى به صلاة الجمعة فارتفعت له الاصوات بالدعاء وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان وكان يوما مشهودا فلما خطب الشرفى يحيى بن العداس خطيب جامع شيخو دعا فى آخر الخطبة باسم الملك العادل فهى أول خطبة خطبت باسم العادل فى القاهرة قبل أن يخلع جان بلاط من السلطنة وقد خاطر الشرفى يحيى بن العداس بنفسه فى ذلك فعد ذلك من النوادر فلما تسلطن العادل وتم أمره فى السلطنة كتب للشرفى يحيى بن العداس جامكية فى كل شهر ألف درهم فى نظير ذلك وفى يوم السبت ثامن عشره وقت صلاة الفجر نزل من القلعة جماعة من الامراء العشراوات منهم جان بردى الغزالى وخاير بك الكاشف وآخرون من الخاصكية فتوجهوا الى العادل ثم ان جان بلاط رسم بتفرقة الجامكية الثانية فى الاصطبل السلطانى وحضر هناك العسكر وهم لابسون آلة الحرب فبينما العسكر الذين بالقلعه مشغولون بنفقة الجامكية واذا بالقلعة قد ماجت واضطربت وثار الجم الغفير بالرميلة من المماليك الذين من عصبة العادل فنهبت الجامكية عن آخرها التى أنفقت بالاصطبل وكان سبب ذلك ما استفاض بين الناس أن الملك الاشرف جان بلاط كان مقيما فى مدة حصاره بالقلعة بالقصر الكبير وعنده جماعة من المشايخ الصوفية ومن يعرف بالصلاح فلما ضاق الامر على الاشرف جان بلاط قام ودخل الى دور الحريم فأبطأ فيه ساعة طويلة فعمد الامير طراباى الى النمجاه والترس فأخذهما ونزل بهما من القلعة وتوجه الى العادل طومان باى وأشاع ان الاشرف

جان بلاط

جان بلاط قد هرب من القلعة فلما سمع بذلك الاتابكي قصروه وكان مقيما بمدرسة السلطان حسن حطم عن معه من ابلند ذلك باب السلسلة وسلم المدرج من غير مانع ولم يفد تحصين الاشرف جان بلاط شيأ ولا بنايته تلك الابراج ولا تركيب المكحلة الكبيرة التي يقال لها المجنونة وكان هذا اشد لانا من الله تعالى له وقد قلت في المعنى مع التضمين

محصن شرقا جان بلاط بقلعة * فلم تدفع الاعداء عنه المدافع
وكانت مدافعه كفارغ بندق * خلى من المعنى ولكن يفرقع

فلما كانت الكسرة على الاشرف جان بلاط وقع النهب بالقلعة في الحواصل السلطانية فنهبوا أشياء كثيرة من قماش وسلاح وخيول وغير ذلك مما نقله الاشرف جان بلاط الى القلعة من أغنام وأبقار و بقسماط وسكر واحتياج المطبخ وغير ذلك ثم انه في ذلك اليوم رسم العادل بالافراج عن القاضي بدر الدين بن مزهر كاتب السر وكان الاشرف جان بلاط سجنه بالعرقانه وقرر عليه مالا له صورة وأقام بالعرقانة مدة طويلة فأفرج عنه ونزل الى داره في ذلك اليوم فلما حصلت هذه النصرة من غير قتال مهول ركب العادل طومان باى من بيت تاني بك قرا وعلى رأسه الصنجق السلطاني وصعد الى باب السلسلة من غير مانع وملكه وكان من أمر سلطنته ما سيأتي الكلام عليه في موضعه في أثناء ذلك اليوم قبض على الاشرف جان بلاط قيل وجد في مكان مهجور بدور الحريم فأمسك من هناك فلما قبضوا عليه أدخلوه الى قاعة البحرة وقيدوه بقيد ثقيل ووكلوا به جماعة من الخاصكية وفيهم شخص من مماليك اقبردى الدوادار يفعل للاشرف جان بلاط غاية الضرر والبهدلة وما لا خير فيه فكان كما يقال في أمثال الصادح والباغم

عند تعلم المرء يبدو نقصه * وربما اضر الحريص حرصه

﴿ومنها﴾

كم عشت في لذة عيش وهنا ، فاصبر الآن لهذى المحنا

ثم نقل الاشرف جان بلاط من البحرة الى البيت الذي بجوار المقعد الذي بالحوش فأقام نحوا من ثمانية عشر يوما وقيل كان تأخير الاشرف جان بلاط هذه المدة لأجل ان يورد ما قرره عليه العادل من المال فلما كان يوم الاثنين خامس رجب توجهوا بالاشرف جان بلاط الى السجن بثغر الاسكندرية فنزلوا به من باب الدرفيل وقت الظهر وهو مقيد وخلفه أوجاقي بجنبر فتوجهوا به من جهة الجراء الى البحر فنزلوا به في الحراقة وساروا الى الاسكندرية وكان المتسفر عليه الامير انس باى أحد المقدمين والامير قانى بردى أحد الامراء العشراوات وجماعة من الخاصكية فتوجهوا به الى الاسكندرية ورجعوا وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية ستة أشهر وثمانية عشر يوما وكان في هذه المدة في غاية الضنك مع الامير طومان

باى وآخر الامر وثب عليه وخلعه من السلطنة وحاصره وهو بالقلعة نحوا من سبعة أيام فانه دخل الى القاهرة يوم السبت حادى عشر هذا الشهر وهو جمادى الآخرة وملك القلعة يوم السبت ثامن عشره وتعب فى تحصين القلعة ونقل اليها أشياء كثيرة من كل صنف كما تقدم وظن ان حصار القلعة يطول فما افاده ذلك شيأ وكان الاشرف جان بلاط أرشل غليظ القلب قليل الخداع وفاظا لما حصل منه فى مدة سلطنته للناس غاية الضرر من المصادرات وأخذ الاموال ولو أقام فى السلطنة لحصل للناس منه غاية المشقة من الظلم والاذى فعجل الله تعالى به ومن مساويه ما وقع له مع اقبردى الدوادار فانه كان من أعز أصحابه وقيل ضبط ما وهبه له اقبردى فكان ينيف عن خمسين ألف دينار ثم بعد هذا الاحسان انقلب عليه كأنه لم يعرفه وكانت صفته أبيض اللون طويل القامة مستدير الوجه أسود اللحية جميل الهيئة حسن الشكل ولى الملك وله من العمر نحو من أربعين سنة وكان من خواص الاشرف قايتباى وساعده الاقدار حتى تسلطن وأقام هذه المدة اليسيرة وآل أمره الى أن خنق وهو مسجون بالبرج كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه انتهى ما أوردناه من أخبار الاشرف جان بلاط وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك العادل طومان باى بن قانصوه أبى النصر الاشرفى قايتباى

وهو الخامس والاربعون من ملوك الترك وأولادهم فى العدد وهو التاسع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية وكان أصله جركسى الجنس اشتراه قانصوه اليحياوى نائب الشام وقدمه مع جملة المماليك الى الاشرف قايتباى فأقام بالطبقة مدة طويلة ثم أعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك السلطانية جمدارا ثم بقى خاصكيا خازندارا كبيرا فى سنة ثمان وتسعين وثمانمائة ثم بقى أمير عشرة فى دولة الناصر محمد بن قايتباى ثم قرره فى نيابة الاسكندرية فى سنة اثنتين وتسعمائة وتوجه اليها وأقام بها مدة يسيرة ثم عاد الى مصر ثم بقى مقدم ألف دوادارا كبيرا فى دولة الظاهر قانصوه ثم بقى أمير سلاح ودوادارا كبيرا واستادارا ووزيرا وكاشف الكشاف ومدبر المملكة فى دولة الاشرف جان بلاط ثم سافر لما عصى قصروه نائب الشام وتسلطن هناك وعاد سلطانا كما تقدم فلما دخل الى القاهرة وصحبته قصروه وبقية النواب قام قصروه بنصره قياما حافلا وصار ينفق على حفر الخنادق ويشيل التراب بالقفة على رأسه وكذلك هو ومماليكه مع الفعلاء ونصب المكاحل على مدرسة السلطان حسن ووقف الرماة بالبندق الرصاص واستمر

يحاصر القلعة سبعة أيام فلما كان يوم السبت ثامن عشر هذا الشهر انكسر الاشرف
جان بلاط وغلب العادل وملك باب السلسلة من غير مانع فلما استقر بباب السلسلة
قبض على قاضي القضاة الشافعي محيي الدين عبد القادر بن النقيب ووكل به جماعة من
الاوجاقية وقرر عليه مالا له صورة فنزلوا به وهو ماش على أقدامه وحوله اوجاقية ورسل
قابضين عليه من اكمامه فشقوا به من الصليبة وهو على هذه الهيئة فسبه العوام وكادوا أن
يرجموه حتى جاء بعض الاتراك واستمر على ذلك حتى أتوا به الى بيت على بن أبي الجود البزدار
وكان ساكنا في ربع الاشرف برسباى الذى بالصليبة فأقام هناك في الترسيم حتى يورد المال
الذى قرر عليه وكان قد بلغ العادل ما رتبه من الاقسام المغلظة التى حلفها الاشرف
جان بلاط للعسكر لما بلغ ابن النقيب سلطنة العادل بدمشق فانتقم منه العادل بسبب ذلك
وعزله عن القضاء فكانت مدته في هذه الولاية ثلاثة أشهر وثمانية وعشرين يوما وسيعود
الى القضاء ثانيا عن قريب وقد قلت في ذلك

ولولا أشرف منصب يا قاضيا ⁂ لكن ان عدل الزمان ستنضج
طبخوا بنار العزل قلبك بعدنا ⁂ وكذا القلوب على المناصب تطبخ

ثم ان الملك العادل طلب قاضي القضاة زين الدين زكريا فلما توجهوا اليه امتنع من الحضور
واعتذر بأنه متوعك في جسده فلا زالوا به حتى أركبوه وطلعوا به الى القلعة فخلع عليه
العادل وأعاده الى القضاء عوضا عن ابن النقيب بحكم عزله كما تقدم ثم حضر قاضي قضاة
الحنفية ابن الكركى وقاضى قضاة المالكية عبد الغنى بن تقى وقاضى قضاة الحنابلة الشهاب
الشيشيني ثم حضر أمير المؤمنين أبو الصبر المستمسك بالله يعقوب فلما تكامل المجلس
عملوا صورة شرعية في خلع الاشرف جان بلاط وولاية العادل طومان باى فخلع جان بلاط
من السلطنة وبايع الخليفة طومان باى بالسلطنة وجدد له مبايعة ثانية زيادة على ما بيده
من مبايعته بالشام واستمر على لقبه بالعادل الذى تلقب به بالشام وكان أولا تلقب بالملك
المؤيد وهو بالشام ثم تحول لقبه الى الملك العادل فلما انكسر الاشرف جان بلاط كما
تقدم وطلع العادل الى القلعة لم يجلس بالمقعد الذى بباب السلسلة بل طلع الى القصر الكبير
وجلس به وحضر الخليفة العباسى والقضاة الاربعة ووقع مبايعته هناك وأفيض عليه
شعار الملك واجتمع عليه هناك الامراء والعسكر وأرباب الدولة قاطبة واستمر على ذلك حتى
جلس على سرير الملك ورفع الزردكاش القبة والطير على رأسه وكان قانى باك الجمالى أمير
كبير مختفيا وقبل له الامراء الارض قاطبة ثم خلع على الخليفة العباسى وكان ساكنا
بالقلعة ثم قرر قصروه في الأتابكية عوضا عن قانى بك الجمالى بحكم اختفائه فخلع عليه
في ذلك اليوم الفوقانى الذى كان الاشرف جان بلاط صنعه له عند توجهه الى دمشق وكان

فوقانى حرير أزرق بوجه مخمل أخضر بطرز يلبغاوى عريض طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين ونصف قيل فيه من الذهب ثمانمائة مثقال بحيث لم يعمل مثله قط ثم قام العادل لقصروه وقبل رأسه ونزل من القلعة فى موكب حافل فتوجه الى الازبكية بدار الاتابكى أزبك وكان هذا كله من الخداع من العادل فى حق قصروه كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه فكان كما يقال فى المعنى

اذا رأيت ثنايا الليث كاشرة * فلا تظن بان الليث يبتسم

ثم ضربت له البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت الاصوات له بالدعاء وكان محببا للناس ولا سيما العوام فزينت له القاهرة سبعة أيام متوالية وخرج الناس فى القصف والفرجة عن الحد حتى عد ذلك من النوادر الغريبة وصار كل أحد فى فرح بسلطنته وانفرجت تلك الفتنة عن الناس عن قريب وكان يظن كل أحد أن أمر الفتنة يطول ويتسع فآل الامر الى خير بخمود الفتنة عن قريب فكان كما يقال

ملك نداه المبتدا * للناس والمدح الخبر

أمضى لسان سيفه * حكم القضاء والقدر

فلما تم أمره فى السلطنة كان أول شئ صدر منه من الافعال الشنيعة أنه قبض على خوند أصل باى أم الناصر وزوجة الاشرف جان بلاط وأخت الظاهر قانصوه فوكل بها عشرة من الخدام وقرر عليها خمسين ألف دينار وقيل عشرين ألف دينار فباعت أشياء كثيرة من قماشها وأخذت فى أسباب وزن ما قرر عليها من المال ثم انه عزل برهان الدين ابن الكركى عن قضاء الحنفية وقرر بها الشيخ سرى الدين عبد البر بن الشحنة وهذه أول ولايته لقضاء الحنفية وفيه قرر قرقماس المقرى فى الحسبة فلما تقرر بها قبض على محمد الباسطى الذى كان متكلما فى الحسبة فى دولة الناصر محمد بن قايتباى فلما قبض عليه ضربه بالمقارع فى يوم شديد البرد وأشهره فى القاهرة على جمل فما أطاق ذلك ومات عن قريب وكان من الظلمة الكبار وفيه خلع على اسنباى الاصم وقرره فى الجوبية الثانية وقرر نوروز أخا يشبك الدوادار فى رأس النوبة الثانية وقرر طومان الاشرفى فى الامير اخورية الثانية وقرر القاضى عبد القادر المصروى فى نظر الجيش وصرف عنها الشهابى أحمد بن ناظر الخاص وفيه رسم السلطان برم ما فسد من حيطان مدرسة السلطان حسن فى مدة محاصرة القلعة فرم ذلك جميعه وفيه توفى الشرفى يونس بن محمد أستادار الذخيرة وكان لا بأس به وفى ليلة الخميس مستهل رجب جرى من الحوادث الغريبات ان الاتابكى قصروه طلع الى القلعة ليبيت عند السلطان وكان يبيت بالقلعة ليلة الاثنين وليلة الخميس فى تلك الايام فلما طلع على جارى العادة أكل السماط وجلسوا ساعة ثم [illegible]

السلطان

السلطان قلبى خائف منك يا أمير كبير فلما صلى العشاء مع السلطان أمر بعض الخاصكية بالقبض عليه فاقاموه من مجلس السلطان وتوجهوا به الى المكان الذى أنشاء الظاهر قانصوه بجوار الدهيشة فاقام هناك أياما ثم أمر بخنقه فخنق تحت الليل وغسل وكفن وأنزلوه من باب الدرفيل فدفن فى تربة الصاحب خشقدم الزمام التى بالقرب من حوش العرب وكان قصروه أميرا جليلا رئيسا حشما مهيبا جميلا وأصله من مماليك الاشرف قايتباى وولى عدة وظائف سنية منها نيابة حلب ونيابة الشام والاتابكية بمصر وكان فى أيام العادل له الامر والنهى فى الموكب واذا نزل من القلعة يتوجه معه الامراء الى الازبكية و بجميع قراء البلد والوعاظ وعزم على سائر الامراء فى ليلة وعمل أسمطة حافلة جدا وحضر عنده جميع الامراء أكابرهم وأصاغرهم وباتوا عنده وأنعم فى تلك الليلة على جماعة من الامراء بخيول ومال حتى استمال قلوبهم وكان يوصف بالكرم الزائد مع الشجاعة فوعد العسكر بكل جميل فمالوا اليه وعولوا فى السلطنة عليه فلما بلغ العادل ذلك المجلس استغنم الفرصة وبادر بالقبض عليه وخنقه تحت الليل ودفنه فكان كما قيل فى الامثال

وانتهز الفرصة ان الفرصة * تصير ان لم تنتهزها غصة

وقد قلت فى واقعة قصروه عدة مقاطيع منها

اعجبوا من أمر قصروه الذى * ملكه بالشام جهلا قد تركه
وأتى مصرا فما نال المنى * ورماه الدهر فى وسط الشركه

﴿وقولى فيه﴾

كأن قصروه قصيرا عمره * خانه الدهر فولى مسرعا
طلبوا التسليم منه فأبى * ثم ما سلم حتى ودعا

﴿وقولى فيه أيضا مضمنا﴾

لم يزل قصروه ما أمله * من علو قامته فى دهره
رام كيد الملك عادل * فرماه كيده فى نحره

ولكن كان العادل باغيا على قصروه ووشت بينهما الاعادى بالكلام حتى وقع بينهما وجرى ماجرى من القتل وكان قصروه سببا لعز رتبه بالشام وبمصر وكان فى انتصاره بمصر معه بكل ما يمكن كما تقدم وكان يشيل التراب مع الفعلاء على كتفه عند حفر الخنادق وقت محاصرة القلعة عند حضوره من الشام وما أبقى ممكنا فى نصرة العادل على جان بلاط وآخر الامر قتله كما طرده ثم الملك العادل بعده الا أياما قلائل وقتل قال على كرم الله وجهه من سل سيف البغى قتل به وفى الامثال

البغى داء ماله دواء * ليس لملك معه بقاء

وكان بين العادل طومان باى وبين قصروه أيمان غليظة وعهود ومواثيق وما كان قصروه يظن أن العادل يخون تلك الايمان والعهود كما قيل

وحلفت أنك لا تميل مع الهوى * أين اليمين وأين ما عاهدتنى

وكان قصروه عفيفا عن المنكرات شجاعا بطلا سخى النفس غير أنه كان عنده طيش وخفة وسلامة باطن ومات وقد قارب الخمسين سنة من العمر ووخطه الشيب فلما مات تأسف عليه الكثير من الناس وزال حب طومان باى من قلوب الناس كأنه لم يكن ولم يستحسن أحد منهم قتله لقصروه الذى كان سببا لنصرته فنفرت عنه قلوب الرعية وكان هذا على غير القياس كما يقال

لا تشكرن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب

فشكرك المرء ما لم تختبره خطا * وذمه بعد شكر محض تكذيب

ويقرب من واقعة قصروه مع العادل طومان باى ما وقع لطشتمر حمص أخضر وقطلوبغا الفخرى مع الملك الناصر محمد بن قلاوون فان طشتمر وقطلوبغا الفخرى كانا سببا لنصرته لما حضر من الكرك فلما تسلطن قبض عليهما وقيد طشتمر وقطلوبغا ولم يرع لهما ودا ثم أمر بوسطهما بعد عوده من الكرك ولم يكن لهما من الذنب ما أوجب ذلك وهذه الافعال ما تصدر الا من جاهل أحمق يعد من جملة المجانين وكانت هذه الواقعة فى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وفعل العادل هذه الفعلة مع قصروه بعد ما خدعه وألبسه الاتابكية وخلع عليه وعلى الامراء الذين كانوا معه بالوظائف السنية منهم قيت الرحبى خلع عليه وقرره فى امرية سلاح وقانصوه المحمدى البرجى خلع عليه وقرره فى امرية مجلس وقانصوه الغورى خلع عليه وقرره فى الدوادارية الكبرى وخلع على قانى باى الرماح وقرره فى الامراخورية الكبرى وخلع على طراباى الشريفى وقرره فى رأس نوبة الكبرى وخلع على طشتمر وقرره حاجب الحجاب وأنعم على جماعة بامريات تقادم ألوف منهم خضر بك أخو قانصوه البرجى أنعم عليه بتقدمة ألف وطبلخانات وعشراوات ووظائف من كان فى عصبته وفيه قبض السلطان العادل على خشباى الذى كان نائب حماه ثم بقى مقدم ألف فى دولة الاشرف جان بلاط وقبض على غراز بوشتى أمير اخور ثانى ثم شفع فيه بعض الامراء فقرره حجوبية الحجاب بدمشق وخرج من يومه ثم قبض على جان بردى الغزالى كاشف الشرقية وعلى جماعة أخر من الامراء العشراوات والمماليك ممن كان من عصبة قصروه وفى يوم الاثنين ثامن رجب قبض السلطان على الامير قانصوه البرجى المحمدى أمير مجلس وأمر بنفيه الى مكة المشرفة بطالا فتوجه من البحر الملح ثم قبض على قيت نائب الاسكندرية وبعثه الى الشام بطالا وقبض على جان بلاط الموتر الذى كان

مع تسباونفاه وفيه ترح الاشرف جان بلاط منفيا الى ثغر الاسكندرية وهو مقيد كما تقدم وفي يوم الجمعة عاشره عقد السلطان طومان باى على خوند فاطمة ابنة العلائى على بن خاص بك زوجة الاشرف قايتباى فعقد لها عليه بجامع القلعة وحضر القضاة الاربعة العقد وكان يوما مشهودا وفيه أنعم السلطان على قانبردى اليوسفى بتقدمة ألف وقرره في الدوادارية الثانية عوضا عن طراباى الشريفى بحكم انتقاله الى الرأس نوبة الكبرى وفيه عمل الموكب وخلع على جماعة من الامراء فخلع على دولات باى المشهور بانى العادل وقرره في نيابة الشام وقرر ارقماس بن ولى الدين في نيابة حلب عوضا عن دولات باى وخلع على جانم بن قيماس وأقره في نيابة طرابلس عوضا عن بردبك الطويل وخلع على الامير سنباى نائب سيس وقرره في نيابة حماه وخلع على قانصوه الفاجر وقرره في نيابة صفد وخلع على ملاج الاشرفى قايتباى وقرره في نيابة القدس وخلع على قصروه الصغير وقرره في نيابة البيرة وخلع على جانم وقرره في نيابة طرسوس فلما خلع عليهم استحثهم في الخروج بسرعة الى محل ولايتهم فخرجوا بغير اطلاب وفيه أمر بنفى جماعة من الامراء العشراوات الى قوص منهم جان بردى الغزالى وقرقماس قرا وقايتباى وآخرون من الخاصكية وقيل انه فقد منهم جماعة وفيه في يوم السبت سادس عشريه خلع السلطان على جانبك السيفى اقبردى الدوادار وقرره في شادية الشراب خاناه وقرر طوخ المحمدى في نيابة القلعة وقرر تمرباى أحد خواصه في الخازندارية الكبرى وفيه أنعم السلطان على جماعة من الامراء بتقادم ألوف منهم طقطباى وماماى جوشن وفيه حضر خاير بك أخو قانصوه البرجى وكان في سجن بقلعة دمشق مع الامراء المقدم ذكرهم فلما حضر أنعم عليه بتقدمة ألف واستمرت الاتابكية شاغرة من حين قتل قصروه فرسم السلطان للامير طراباى أن يتكلم في جهات الاتابكية حتى يقرر فيها من يختار وفيه عزل السلطان القاضى عبد البر بن الشحنة وأعاد البرهان بن الكركى فكانت مدة القاضى عبد البر في القضاء أياما وعزل عنها وقد قلت في ذلك

ولوك قاضى القضاة لكن • جاؤك بالعزل عن قريب

فمدة الحكم منك كانت • أقصر من جلسة الخطيب

ولما أعيد قاضى القضاة برهان الدين بن الكركى الى القضا قلت في ذلك

بقاضى القضاة استبشرت مصر فرحة • بعودته في منصب للشرائع

فقد قيل من أولى برتبة القضا • على مذهب النعمان من كل بارع

أشار اليه بالايادى مليكها • وأوما اليه نيلها بالاصابع

وقد سعى ابن الكركى في عوده الى القضاء بمال له صورة وفيه اختفى شيخنا جلال الدين

السيوطي وقد طلبه ليقتله وكان بينهما حظ نفس من حين كان السلطان العادل في الدوادارية الكبرى وجرى بينهما أمور شتى يطول شرحها فلما اختفى قرر السلطان الشيخ يس البلبيسي في مشيخة الخانقاه البيبرسية عوضا عن الجلال السيوطي بحكم صرفه عنها وقد جاءت الاخبار بالقبض على مغلباي زجاج حاجب دمشق ونائب قلعتها أيضا ثم ان السلطان قرر في حجوبية دمشق برديك تفاح وقرر غرس بن جانم الظاهر في حجوبية حلب عوضا عن قرازجوش وكانت حيلة عليه فلما خرج أرسل بالقبض عليه ومضوا به الى القدس بطالا وفي شعبان المبارك كانت تفرقة السلطان لنفقة البيعة وفيه حضر قاصد على دولات وعلى يده مكاتبات للسلطان تتضمن أنه أرسل يشفع في الامير قانصوه نائب البيرة وكان فر الى ابن عثمان وعاد فأقام عند علي دولات حتى شفع فيه عند السلطان وفيه عوّل السلطان بالقبض على الامير خشكلدي البيسقي فلما بلغه ذلك فر من داره واستمر مختفيا حتى جرى للعادل ما جرى وفيه طلع جهاز خوند الخاصكية الى القلعة فشق من الصليبة وكان يوما مشهودا وفي يوم الاثنين رابع الشهر المذكور جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بقتل الاشرف جان بلاط مخنوقا وهو بالبرج بالاسكندرية قاتل الله من فعل به ذلك وكان قد أرسل العادل مرسومه على يد مصرباي الصغير الى نائب الاسكندرية بخنقه وهو في قيده وقيل لما أرادوا خنقه أحدث في ثيابه وصار يخور كالثور العظيم فلما مات غسل وكفن وصلى عليه ودفن بمقابر الاسكندرية ثم نقل بعد موته كما سيأتي الكلام عليه في موضعه وكان الاشرف جان بلاط ملكا جليلا وافر العقل جميل الهيئة وكان من خواص الاشرف قايتباي وولي عدة وظائف سنية منها تجارة المماليك وتقدمة ألف والدوادارية الكبرى ونيابة حلب ونيابة الشام والاتابكية بمصر ثم ولي السلطنة وأقام بها ستة أشهر وثمانية عشر يوما وآل أمره الى أن مات مخنوقا بالسجن وقاسى شدائد ومحنا كما يقال في الامثال

والمرء لا يدري متى يمتحن * فانه في دهره مرتهن

ولما مات الاشرف جان بلاط كان له من العمر زيادة على الاربعين سنة ولما مات على تلك الحالة رثيته بهذه الابيات

جان بـــلاط بداله * طالع النحس طرّده
نجمه لاح مخـــبرا * بعكوس مؤبده
عنــــد ما ظن انه * نال بالملك مقصده
جاءه الموت عاجـــلا * في بروج مشيده

وفي يوم الخميس سابعه صعدت خوند الخاصكية زوجة الملك العادل طومان باي الى القلعة

نفرجت من بيتها التى بقنطر قسنقر وهى فى محفة زركش ومشى قدامها رؤس النوب والجابية والشكية وهم بالشاش والقماش ومشى أيضا قدامها الوالى ونقيب الجيش وعبد اللطيف الزمام وأعيان الاكابر والمباشرين منهم كاتب السر صلاح الدين بن الجيعان وعبد القادر القصروى ناظر الجيش وعلاء الدين بن الصابونى وناظر الخاص وبقية المباشرين قاطبة وأعيان الطواشية منهم عنبر مقدم المماليك وآخرون من الخدام وكان معها من نساء الامراء والاعيان نحو مائتى امرأة فلما وصلت الى باب الستارة فرشت لها الشقق الحرير تحت حوافر بغال المحفة ونثر عليها خفائف الذهب والفضة وحمل الزمام القبة والطير على رأسها حتى جلست بقاعة العواميد والنوبة السلطانية عمالة وكان يوما بالقلعة مشهودا واستمر المهم بالقلعة عمالا ثلاثة أيام وكان لها موكب حافل لما شقت من الصليبة وكان قدامها المجمع السلطانى والبقج وطشت وابريق بلور ومدورة زركش ولم يتفق لاحدى الخوندات قبلها أنها نزلت من القلعة وعادت اليها على هذا الوجه سوى هذه وخوند اصلباى أم الملك الناصر ولكن هذه أعظم وأحكم موكبا وقلت فى هذه الواقعة أبياتا لطيفة المعنى

عادت خوند الى سرور ثان * مذ زوجت بالعادل السلطان
فى وجهها الاقبال والبشر الذى * يتقاولون به بكل لسان
طلعت كشمس الافق ضمن محفة * تجلى بنور العين وسط جنان
فى موكب يحكى مواكب قيصر * فاقت على كسرى أنوشروان
لما أتت عند الصعود لقلعة * نثرت عليها الدر كالعقيان
عادت الى الاوطان فى بشر وفى * عز واقبال وصفو زمان
نالت مراتب عزها مذ أقبلت * عاد السرور بعقد دم السكان
واستبشرت دار بها سكنت وقد * رقصت بها طربا على العيدان
وبسمت أزهار أغصان الربا * فرحا بها فى روضة البستان
بحر السماح غدا براحة كفها * يروى العطاش بمنهل الاحسان
وتجود من فيض الندى بمكارم * فيكون منه شفاء الظمآن
والله يكفيها مؤنة حاسد * ويطيل أيامالها بأمان
ماماس غصن فى الرياض وكانت . أبكى الغمام شقائق النعمان

وقد عرضت هذه القصيدة على خوند واستحسنتها وفيه خلع السلطان على طوخ المحمدى وقرره فى نيابة القلعة عوضا عن طقطباى بحكم استعفائه وفيه قرر شمس الدين أبو النصر فى كتابة الخزانة مشاركا لصلاح الدين بن الجيعان وفيه قبض السلطان على القاضى ناظر

الجيش عبد القادر القصروى ووكل بموشلع على القاضى شهاب الدين أحمد وأعاده المختطر
الجيش عوضا عن القصروى وفيه رسم السلطان للامير تمشكلدى اليسق أن يتوجه ٢
وفيه تغيير خاطر السلطان على الامير اصطمر بن ولى الدين وقصد الاخراق به لكونه صهر
اليسق وصار عقوتا عنده وفى مستهل رمضان رسم السلطان للخليفة أن ينزل ويسكن بداره
وكان الملك الاشرف سيان بلاط رسم له أن يسكن بالقلعة وفى يوم الاثنين خلع السلطان على
المقر البدرى بدر الدين محمود بن أجا الحلبى الحنفى وقرره فى كتابة السر بالديار المصرية عوضا
عن صلاح الدين بن الجيعان بحكم استعفائه منها وقد تقدم للبدرى محمود أنه ولى قضاء
الحنفية بحلب غير ما مرة وكان والده القاضى شمس الدين محمد بن أجا الحلبى رئيسا حشما
من الاعيان وولى قضاء العسكر فى أيام الاشرف قايتباى وكان من خواص الامير يشبك
الدوادار ورأى الاوقات الجيدة وفيه توفى العلاى على بن الصابونى ناظر الخاص وهو على
ابن أحمد بن محمد بن سليم البكرى الدمشقى الشافعى وكان رئيسا حشما وولى عدة وظائف
سنية منها قضاء الشافعية بدمشق ووكالة بيت المال ونظر الخاص بمصر ومات وله من العمر
خمس وثمانون سنة فلما مات خلع السلطان على علاء الدين على بن حسن الامام وكان من
جملة مباشرى الخاص وولى نظارة الطور وكانت نظارة الخاص تعينت الى ناصر الدين
الصفدى ثم تحولت الى علاء الدين بن الامام وفيه أنفق السلطان الكسوة على العسكر
على العادة وفيه أرسل السلطان خلعة الى قانصوه قرا الذى كان كاشف الشرقية ثم
بقى نائب غزة وقرره فى نيابة حلب فاستعظم الناس عليه ذلك ولاموا السلطان على هذه
الفعلة فخرج اليه بالتقليد شخص من بعض الدوادارية يقال له أيدكى وفيه قرر السلطان
فى نيابة غزة على باى السيفى بن يشبك عوضا عن قانصوه الشهير بقرا بحكم انتقاله الى
نيابة حلب وقرر بلباى المؤيدى فى دوادارية السلطان بدمشق وفى نظارة الجيش بها أيضا
حتى عد ذلك من النوادر وقرر قانصوه الجمل فى الاتابكية بدمشق عوضا عن قرقماس التنمى
بحكم صرفه عنها وفيه مات فجأة كسباى المغربى الاينالى أحد الامراء العشراوات وكان
لا بأس به وفيه تزايد شر العادل وصار يكبس البيوت والحارات بسبب الامراء الذين
اختفوا منه وهم مصرباى وطقطباى وقرباى وكرتباى وخشكلدى وجماعة آخرون
وصار طراباى وأنس باى وبيبرس البهلوان وقان بردى الغورى وأزبك النصراوى ووالى
الشرطة يطوفون بعد العشاء ومعهم جماعة وافرة من مماليك السلطان فيشوشون على
الناس ويكبسون عليهم البيوت تحت الليل ويسبون حريمهم فحصل للناس الضرر الشامل
بسبب ذلك فما كان عن قريب حتى هرب العادل واختفى وصاروا يكبسون عليه البيوت
والحارات ويطلبونه أشد الطلب وكما يدين الفتى يدان وفيه حضرت الى القاهرة

وأيضاً خاتون ابنة خليل بن حسن الطويل ملك العراقين حضرت تروم الحج فأكرمها السلطان ورسم لها بمحل برق وفيه كان ختم البخارى بالقلعة واجتمع القضاة الاربعة وأرسل السلطان خلف قانصوه الغورى أمير دوادار كبير وقيت الرجبى أمير سلاح وكان يوماً فلا فلم يحضر قانصوه الغورى ولا قيت الرجبى وقد أحسا بما عول عليه السلطان من مسكهما وفيه دارت عدة طواشية على الخيل وأشيع بالعرض للعسكر وان السلطان يريد القبض على جماعة من الجند والمماليك فتخيلوا من ذلك ولم يطلع أحد منهم الى القلعة وقد تغيرت عليه خواطر العسكر قاطبة وفيه أخرج السلطان جماعة من مماليكه وسماهم العادلية وقد استمر الحال فى اضطراب الى يوم الاحد سلخ شهر رمضان فلبس العسكر آلة السلاح ووثبوا على العادل وكان القائم بهذه الفتنة قيت الرجبى ومصرباى فلما اتسعت الفتنة ظهر جماعة من الامراء المختفين منهم خشكلدى البيسق وجان بردى الغزالى وآخرون من الامراء ممن كان مختفيا فلما تحقق العادل أن الركبة عليه نزل الى باب السلسلة وعلق الصنجق السلطانى ونادى للعسكر أن تطلع الى القلعة فلم يطلع اليه أحد من الأمراء ولا من العسكر ولم يكن عنده أحد من الامراء سوى الامير قانبردى الدوادار الثانى أحد المقدمين وكان من عصبته ومن خواصه وقد أشيع بين الناس أنه سيوليه الاتابكية عوضاً عن قصروه وكان عنده قرقماس المقرى المحتسب وطراباى رأس نوبة كبير وأنس باى وآخرون من الامراء وبعض مماليك سلطانية جلس فى المقعد المطل على الرميلة فلم يطلع اليه أحد من العسكر وفى ذلك اليوم وقع قتال هين وجرح الامير اقبردى فى وجهه فلما كان وقت الغروب من سلخ شهر رمضان نزل الامير قانى باى الرماح من باب السلسلة ومعه ماماى جوشن ونزل طراباى وأنس باى فلما رأى ذلك من كان عند العادل من المماليك السلطانية تسحبوا جميعا وتمت الكسرة على العادل فلما دخل الليل قام ونزل من القلعة واختفى وكانت ليلة عيد الفطر فاضطربت الاحوال ولاسيما فى تلك الليلة وقد قلت فى المعنى

في ليلة العيد أتى * سلطاننا كل الضرر

فلم تكن كسرته * الا كلمح بالبصر

وكان سبب هذه الفتنة انه قد أشيع بين الناس فى ليلة العيد أن السلطان قد عول على مسك جماعة من الامراء يوم العيد وهم فى الجامع فلما بلغهم ذلك وثبوا عليه تلك الليلة فلما نزل من القلعة واختفى وقع النهب فى الاصطبل السلطانى والزردخاناه فنهب منها أشياء كثيرة نحو من ستين ألف دينار على ما قيل فلما كان يوم العيد لم يصل أحد من الامراء صلاة العيد واشتغل كل أحد بما هو فيه ووقع الخلف بين الامراء فيمن يلى السلطنة وكان من الامر ما سنذكره فكانت مدة السلطان الملك العادل طومان باى بالديار المصرية ثلاثة أشهر

وعشرة أيام خارجا عن سلطنته بدمشق وكان ملكا جليلا مهيبا جيلا ولى الملك وقد جاوز الاربعين سنة وكانت صفته طويل القامة أبيض اللون مشربا بحمرة مدور الوجه مستدير اللحية أسود الشعر الغالب عليه الشقرة وكان معتدل الجسد جميل الهيئة وافر العقل سديد الرأى غير انه كان سفاكا للدماء عسوفا ظالما قتل الاتابكى قصروه ظلما وأرسل بخنق الاشرف جان بلاط وهو بالبرج وعول على خنق الظاهر قانصوه أيضا وهو بالبرج ولكن كان فى أجله تأخير ونفى جماعة كثيرة من الامراء الخاصكية والمماليك فى هذه المدة اليسيرة ولودام فى السلطنة لوقع منه أمور شتى ولكان يقتل غالب الامراء وثلث العسكر وكانت مدة سلطنته كلها شرور وفتن مع قصرها وآخر الامر هرب واختفى واستمر مختفيا حتى ظهر وقبض عليه وقطعت رأسه كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه وآل الامر الى أن خلع من السلطنة وتسلطن بعده قانصوه الغورى كما سنذكره فى محله انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك العادل طومان باى وذلك على سبيل الاختصار وقد قلت

لله تاريخ له * كل التواريخ تحسد

كادت تذوب لقهرها * لكنها تتجلد

﴿وقلت أيضا﴾

وتاريخ يفرق كل هم * ويبعث كل بشر بعد غم

اذا سرحت طرفى فيه يوما * رمى شيطان أحزانى بسهم

﴿وقال بعضهم﴾

اذا عرف الانسان أخبار من مضى * توهمته قد عاش من أول الدهر

وتحسبه قد عاش آخر عمره * الى الحشر ان أبقى الجميل من الذكر

فكن عالما أخبار من عاش وانقضى * وكن ذا نوال واغتنم أطول العمر

تم الجزء الثانى من تاريخ مصر لابن اياس المسمى بدائع الزهور فى وقائع الدهور ويليه فى أول الجزء الذى بعده ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة

﴿تنبيه﴾

جميع النسخ التى بأيدينا من تاريخ مصر لابن اياس تنقص أغلب مدة سلطنة الغورى وذلك من أثناء سنة ست وتسعمائة الى آخر سنة احدى وعشرين وتسعمائة